

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَحْقِيقُ

بِطَبَقِ قَوْلِ كَلْبِ

وَعَشْرِ الْقُرْآنِ

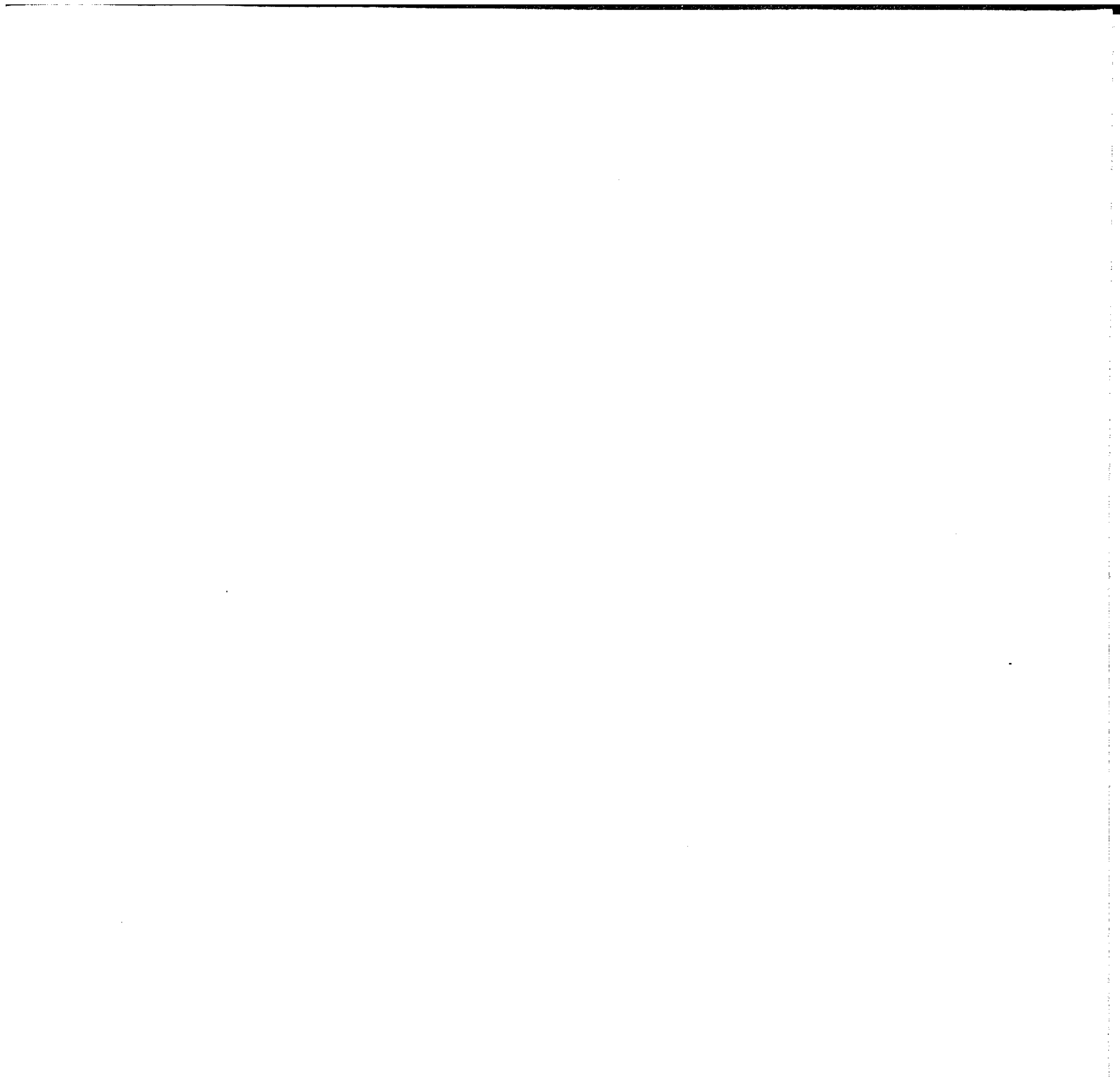
مُتَوَلَّى د. هادي محمد عبد الله

دار الفکر للطباعة

0217064

Bibliotheca Alexandrina

207



اهداءات ٢٠٠١

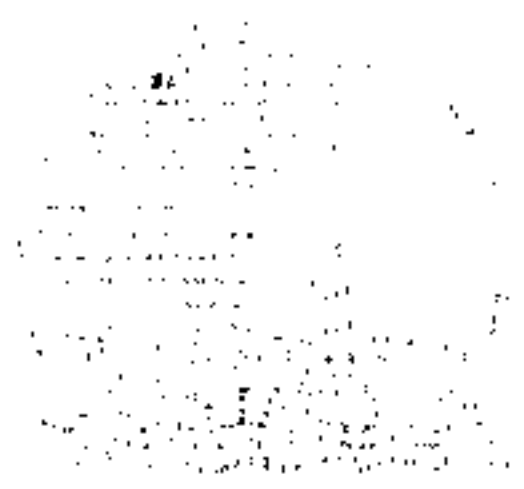
الحكومة التونسية

تونس

٢٩٧١٠



اتحاد أهل الزمان
بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان



المجلد الرابع الجزء السابع

المجلد الرابع
الجزء السابع

التصميم والتنفيذ:

الدار العربية للكتاب

© جميع الحقوق محفوظة

1999

وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ

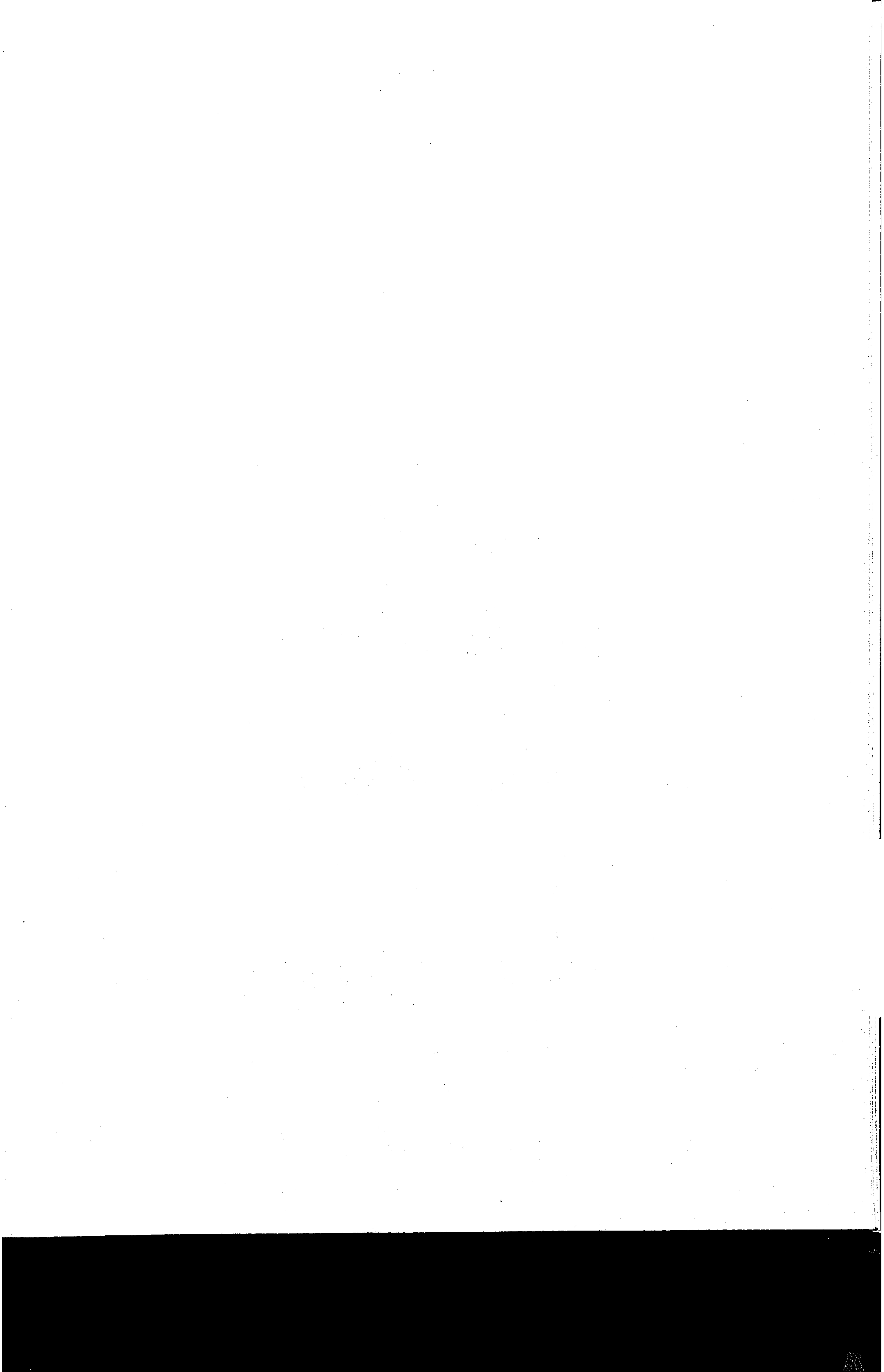
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مُتَحَفَةُ الْأَسْطِثَقِيَّةِ

أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الصَّيَّافِ

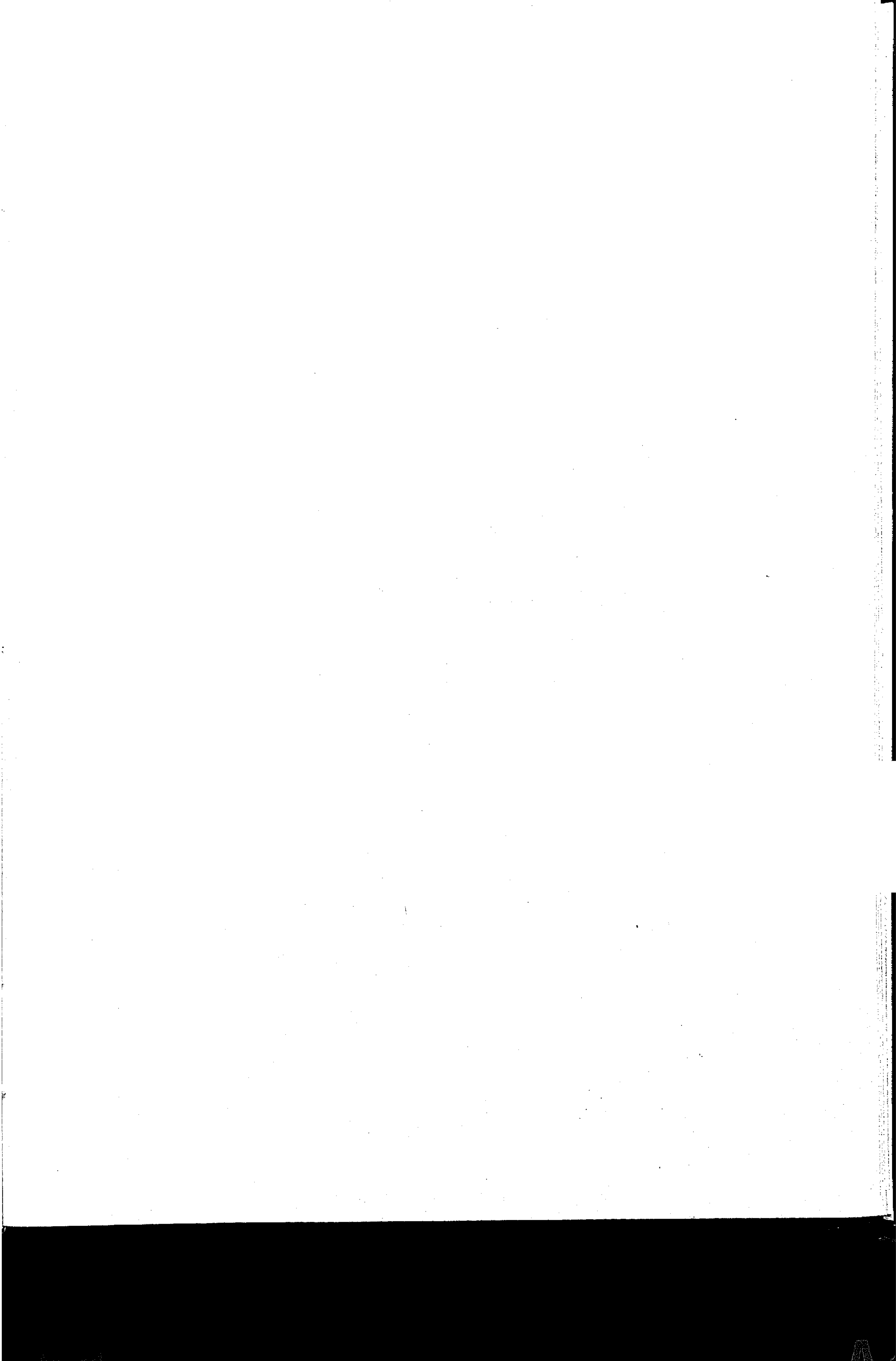
اتِّحَافُ أَهْلِ الزَّمَانِ
بِأَخْبَارِ مَلُوكِ تُونِسَ
وَعَهْدِ الْأَمَانِ

تَحْقِيقُ لَجْنَةٍ مِّنْ وَزَارَةِ الشُّؤُنِ الثَّقَافِيَّةِ

تَنْضِيدُ:
الْهَادِثُ الْهَرَبِيَّةُ الْكَلْبُ



قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ آيَاتِهِ الْكَرِيمَاتِ



الخاتمة الموعود بها
في ذكر أعيان من العلماء والوزراء وغيرهم
على ما ذكرناه في خطبة الكتاب
من تقديم من تقدم للدار الآخرة
من أي صنف كان



ورأينا لاتمام الفائدة ، ان نلمع بذكر أعيان العلماء الذين ذكرهم الوزير الكاتب العلامة أبو محمد حمودة بن عبد العزيز ، في تاريخه « الباشي » ، عند انقراض دولة بني ابي حفص ، فانه ذكر تقريراً بليغاً نفيساً في حال الحضرة التونسية ، وتقلُّبها بين العمران والحضارة في تلك الازمنة ، الى ان وصل الى ذكر العلم في الحضرة التونسية ، فقال ما نصه باختصار : « وقد كان العلم لاول دولة الترك قد ارتفع منها بالمرّة ، كما قدمنا ، حتى ورد عليها المولى احمد افندي من أرض الروم ، لاول المائة الحادية عشرة ، على عهد عثمان داي . وكان متفنناً في العلوم ، فأخذ عنه جماعة من أهلها منهم الشيخ محمد الغماد ، والشيخ ابو يحيى الرّصّاع ، والشيخ محمد برّاو ، وابو قاسم البجائي ، وغيرهم ، وارتحل الى المغرب الاقصى ، وافدا على سلطانه مولاي احمد الذهبي ، فوجده يقرئ « المطول » للمولى سعد الدين التفتازاني ، بالجامع كل يوم ، فأوسع مَبَرَّةً وإكراماً . ثم عاد الى تونس ، فكان يقول : « وجدت في جامع القرويين بمدينة فاس سبعة عشر كرسيًا يقرئون التفسير ، وكلهم عن التفسير بمعزل ، الا أن ملكهم يفهم الخطاب » . ثم ارتحل بعد ذلك الى بلاده . فكانت بها (1) هذه الطبقة التي ذكرنا ومن عاصرهم ، كأبي الفضل قاسم عَظْثُوم ، صاحب « البرنامج » وغيره .

وانتشر بها العلم ، وخرج منها جماعة من الاعلام والافاضل ، طبقةً بعد طبقة ، وكل طبقة هي أكثر عدداً من التي قبلها ، الى ان كانت الطبقة التي في ايام المولى المقدس حسين باي بن علي ، فألقى العلم عندهم عصا التسيار ، وصاروا رحلة لطالبه ، ونجعة لمرتاده ، فكان منهم حافظ المغرب [ابو عبد الله محمد زيتونة ، وعالم افريقية على الاطلاق] (2) ابو عبد الله محمد الخضراوي ، وخلق كثير . واتفق خروج جماعة من أئمة الهدى ، وأعلام الدنيا ، في نواحي عمله ، كالامام أبي الحسن علي النوري ، الذي

(1) اي تونس .

(2) الزيادة عن ق .

طبقت تصانيفه المفيدة الآفاق ، وأبي فارس عبد العزيز الفوراتي ردّيفه في ذلك ، كلاهما بصفاقس ، وأبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله الجُمَني ، الذي أطبق الكافّة على ولايته وعلمه ، بجزيرة جربة .

ثم انتقل الى طبقة بعدهم في أيام علي باشا ، لم يقصروا عن شأوهم ، ولم يقفوا دون مداهم ، كقاضي الجماعة أبي محمد حمودة الريكلي ، الذي بَعُدَ العهد بوجود مثله ، علما وديانة وعدالة ، والمفتي أبي عبد الله محمد سعادة ، شيخ السيرة والادب ، والمحقق شيخ الجماعة ابي الحسن علي سويسسي ، والدنا ابي عبد الله محمد بن عبد العزيز ، الذي لم يكن في عصره من يحسن « المختصر الخليلي » وشروحه مثله ، وشيخنا العلامة الراوية المطلع أبي عبد الله محمد المَكْثُودي ، الوافد عليها من فاس ، وواحد المغرب علما ودينا وورعا أبي محمد عبد الله السُّوسِي ، الوافد عليها من المغرب الاقصى ، الى غير هؤلاء من الاعيان المهرة والعلماء الاجلّة .

ثم جاءت هذه الدولة الميمونة الغراء ... » ، الى ان قال : « وأكثرَ مولانا ايده الله تعالى من الجرايات والاوقاف لاهل العلم بحضرته ، فكثر طالبيه فيها ، وارتحل اليها الناس في طلبه من الآفاق ، ونفقت بها اسواقه ، وزخرت بحاره ، ففيها اليوم من الجهابذة النقاد ، والفحول الذين تضرب اليهم أكباد الابل ، جماعة لا يشق غبارهم ، ولا يجارى مضمارهم ، كشيخنا المفتي أبي الفضل قاسم المحجوب المساكني ، حامل لواء المذهب المالكي بالمغرب ، وشيخنا المفتي الاكبر ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، عالم الحنفية بالمغرب من غير مدافع ، ومن لم يوجد مثله فيهم منذ زمن شاسع ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن علي الغرياني شيخ التربية وواحد العصر علما ودينا وورعا وسلوكا ، وشيخنا أبي عبد الله محمد الشَّحْمِي نسيج وحده الذي لا يدانيه احد ولا يتعلّق به في تحقيق العلوم العقلية من الكلام والمنطق والحكمة ، وشيخنا الفاضل ابي عبد الله محمد بن حسن الهدة بسوسة ، وغيرهم ممن تبتهج بهم المحافل ، وتزدهي بهم المنابر ، ويقال في شأنهم : كم ترك الاول للآخر » . اهـ محل الحاجة من ذلك التقرير ، واكثر هؤلاء أشياخ من يأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى .

[1 - احمد البرانسي]

ابو العباس احمد الشريف الثعالبي الشهير بالبرانسي
احد اعلام المفتين بالمذهب المالكي

هذا الفاضل من ذرية الولي المفسر العارف بالله سيدي عبد الرحمان الثعالبي (1) ،
المعظم ضريحه بالجزائر ، ليومنا هذا .

وهو من اشياخ العلامة شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بيرم الثاني . ذكره في
شرح نظمه للمفتين بتونس على المذهب النعماني ، عند ما ترجم لنفسه بما نصه :
« واخذت العلم عن جماعة.... » ، الى ان قال : « وباقي العلوم عن الشيخ المحقق
صالح الكواش ، والفاضلين البارعين المفتين ابي العباس احمد الشريف الثعالبي الشهير
بالبرانسي ، وابي عبد الله محمد الدرقاوي » ، اهـ محل الحاجة .

وكان الشيخ بيرم يثني على هذا السيد ، بما حصله ، انه كان صالحا عالما متبحرا
في المعقول والمنقول تبحر الراسخين ، سالكا نهج المهتدين ، متقشفا تقشف الاتقياء
الزاهدين ، محتقرا للدنيا ، جادا في طلب المرتبة العليا . وتصدر للفتيا ، وصار رئيس
المفتين ، عابدا عفيفا ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يغير المنكر على الامير والمأمور ،
ولا يكثرث بما وراء ذلك من الامور .

وقد تقدم خبر تغييره للمنكر ، في الباب الاول ، لما حل الطاعون بهذه الحاضرة (2) .
وللناس فيه اعتقاد ، يقود به القلوب الى الخير فتنقاد .

ولم يزل معظما مكسرا ، متبركا به ، الى ان صار الى رحمة ربه ، سنة 1197 سبع
وتسعين ومائة والف ، (1782/83 م) . واعقب ابنا معدودا في الاعيان ، من أهل الشأن .

[2 - اسماعيل كاهية]

الوزير ابو الفداء اسماعيل كاهية .

اصل هذا الرجل من القرّج ، ونشأ في خدمة الباشا ابي الحسن علي باي الحسيني ،
ونجّب وبرع ، فباشر الخطط الجسيمة ، وترقى في المناصب العظيمة ، كالسفر بالمحال ،
وولاية الاعراض وغيرهما .

(1) ولد بالجزائر وتوفي بها (1386 - 1468 م) .

(2) انظر ص 14 من ج 3 .

وصاهره مخدومه على بنته ، فولدت له بنتين ، وكان حديد الطبع ، أبيّ الضيم ، ضيق الحَوَصْلَةِ في الاحتمال ، فهرب من مخدومه ، ثم بعث له وأمنّه ، واعتمد أمانه ، والامان يومئذ اعتبار ، فرجع لخدمته ، وكان ينافس ابناء سيده ، وأبناء أخيه .

ووقعت وحشة بينه وبين الباى أبي محمد حمودة باشا ، اعقبت شحناء من الصغر . ولما توفي سيده ، واستبد ابنه المذكور في الولاية ، خشي بادرة تلك الشحناء ، وحذّره احمد الكافي الجويني ، المختص بالباشا ابي الحسن علي باي ، فلاذ بمنجاته ، وترك بناته ، في حجر امهما وخالهما .

ولما حل مصر ، تقدم وصار من صناجقها ، ثم انتقل للقسطنطينية ، وتسّم الخطط العالية ، وصار باشا بالشام .

ومن كرم طباعه أنه مهما رأى احدا من اهل تونس ، الا حن له وأكرمه ، واعانه على غربته ، ولم تحفظ عنه كلمة سوء في تونس ، ولا في احد من اهلها ، ومهما سئل عن سبب هروبه ، يقول : « مكتوب التقدير » ولم يفه ببنت شفة ، كأنه لم ير تونس . تواتر خبر ذلك عنه من الحجاج وغيرهم .

وكان شجاعا كريما ، وفي العهد ، عزيز النفس .

وتوفي عن سن عالية ، في خدمة الدولة العلية ، ورأينا بعض حَقْدَتِهِ باسلامبول ، سنة سبع واربعين ومائتين والـف ، ولم نعرف تاريخ وفاته . وسمعنا اوصافه ممن عاصره في الخدمة . وبقي اخوه في الخدمة بعد فراره .

[3 - محمد بن حسن الهدية]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ
عبد الرزاق ويعرف بالهدية ابن الشيخ محمد ابن الشيخ
القاضي محمد ابن الشيخ احمد السوسي .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وفضل ، في القديم والحديث ، بسوسة ، خلفا عن سلف ، تسنم بنوه ذرى المخطط العلمية بها ، من تأليف وتدرّيس وفتوى وقضاء وإمامة . وهذا احد الافراد الذين ذكرهم العلامة الوزير ابو محمد حمودة بن عبد العزيز ، مرصعا بهم تاج مخدومه ، ومملكته وعصره ، كما تقدم .

ارتحل هذا الفاضل في طلب العلم الى مصر ، فأخذ عن اعلامها مثل الشيخ الصعيدي ، والشيخ البليدي ، والشيخ الدمنهوري ، وغيرهم من أعلام الازهر . ولما بلغ رتبة التحصيل ، رجع لوطنه ، مملوء الوطاب بالعلوم العقلية والنقلية ، وتصدر في مدينة سوسة للتدريس فأفاد ، وعلا كعبه وطار صيته .

ولما اراد الله نفع اهل الحاضرة بعلومه الزاخرة ، امتحنه بمفارقة بلاده ، فأتى الحاضرة وسكنها ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، جامع الزيتونة ، فاثالت عليه طلبة العلم واعيان الاذكياء ، فأفاد وأجاد ، وبث العلم في صدور الرجال ، ولم ينقطع بذلك عمله . ثم رجع لمسقط رأسه .

وله مصنفات جليلة ، منها ما بيّضه بنفسه ، ومنها ما جمعه ابنه بعد وفاته ، كشرح « السلم » ، وحاشية على « مختصر السعد التفتازاني (1) » ، وحواشٍ على شرح الفاكي ، ورسالة في ذم الدنيا ، واخرى في الرجاء والخوف .

وكان عالماً محققاً فاضلاً تقياً ورعاً ذا فكر وقاد ، يلتفت الى الصعاب فتقاد ، مع همة عالية . وسرت فتاويه في الحاضر والباد ، محبباً الى الناس ، معظماً عند الخاصة والعامة . وكان شيخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي يحكيه باكثر من هذا .

ولم يزل على نزاهته وفضله ، والناس تنتفع بوابله وطلّته ، الى ان توفاه الله سنة 1197 سبع وتسعين ومائة والف ، (1782/83 م) ، ودفن بقبره المشهور بسوسة .

[4 - محمد بن محمد بوراس]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتي ابي عبد الله محمد ابن قاسم بوراس الهنلي .

هذا البيت من أعيان البيوت بالقيروان ، من قبائل الفتح الاسلامي .

ونشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه وغيره من علماء القيروان ، وتقدم لخطة الفتوى والامامة ، وغيرهما من الخطط العلمية .

وكان فقيها عالماً ، خيراً فاضلاً ، وجيهاً ماجداً .

(1) سعد الدين التفتازاني : ولد في تفتازان (خراسان) 1322 م . من علماء الاسلام منقولاً ومعقولاً . توفي بسمرقند 1389 م .

وتوفي في محرم 1198 ثمان وتسعين ومائة واللف (نوفمبر - ديسمبر 1783 م).
وله ابن هو ابو عبد الله محمد السنوسي ، نشأ في طلب العلم ، ثم ارتحل في طلبه
لتونس ، وأخذ عن الشيخ عبد الله السوسي وغيره . ودرّس بالقيروان ، وتوفي قبل والده
في سنة ثمانين (1766/67 م) .

[5 - محمد المحجوب الحنفى]

المفتى الشيخ محمد المحجوب الحنفى

قال الشيخ بيرم الثاني في ترجمته ، في شرحه لنظم المفتين ، ما نصه : « لما توفي
الشيخ حسين البارودي وليّ الفتوى الشيخ محمد المحجوب ، ثم بعد مدة من موته زيد
ابنه الشيخ محمد مفتياً ثالثاً .

اما الاول فكان فقيها مشاركا في عدة فنون ، متوسط الملكة في جميعها ، خيراً
كثير الاعتقاد في المجازيب وأرباب الاحوال . اخذ الفقه عن المفتين ابي المحاسن
يوسف الامام (يعني برتقيز) ، وابي عبد الله محمد أرنوط ، وعن الشيخ البركة حمودة
العامري ، والشيخ المعتقد أبي الفضل قاسم بن عبد الملك ، والمحقق الشيخ الحرقالي .
وأقرأ في الفقه والنحو والبيان والكلام .

ولاه علي باشا تدريس مدرسته الحنفية حين انشأها ، ثم عزله عنها واوى فيها والذي ،
ثم وليّ نقابة الاشراف بعد عزل الشريف المختار ، ثم خطبة الجاهع الباشي بعد موت
الشيخ الكبير ابي العباس احمد الطرودي ، ثم الفتوى بعد الشيخ البارودي ، ثم
توفي الى عفو الله تعالى بالطاعون عام 1198 ثمان وتسعين ومائة واللف « (1783/84 م) .

[6 - علي بوراس]

ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن قاسم بوراس الهذلي .

هو ابن صاحب الترجمة المتقدمة ، نشأ بين يدي ابيه ، واخذ عنه وعن اخيه ، وعن
الشيخ سيدي عبيد الغرياني وغيرهم .

وحصل ودرّس وافاد ، وتقدم لخطبة الفتوى بالقيروان .

وكان عالماً فاضلاً ، خيراً وجيهاً ، نزيه النفس .

توفي في اشرف الربيعين من عام 1199 تسع وتسعين ومائة واللف (جانفي - فيفري 1785 م) .

[7 - عبد اللطيف الطوير]

ابو محمد عبد اللطيف بن محمد الطوير المذحجي القيرواني .

نشأ هذا العالم بالقيروان ، في بيت علم ومجد ، وطلب العلم في بلاده ، ثم رحل في طلبه الى تونس ، فأخذ عن اعلام ، ولازم الشيخ سيدي عبد الله السوسي ، وانتفع به ، وتقدم لخطبة القضاء بالقيروان ، ثم لرئاسة المجلس الشرعي بها .

وكان اذا أتى ، يحضر مجلس الباشا ابي الحسن علي باي بن حسين باي ، ويسامره مع أهل سمره .

وله فيه امداح رائقة ، رام ان يزاحم بها امام البلاغة الكاتب ابا عبد الله محمد الورغي . والتاريخ « الباشي » مشحون بها .

وله مباحثة انتصر فيها للشيخ المفتي ابي عبد الله حسين البارودي على بحر المعارف الذي لا يُسَبَّر غَوْرُهُ ، وروض الفنون الذي تضوُّع مسراه وأينع نَوْرُهُ ، الشيخ لطف الله الازمري ، الطائر الصيت ، لما قدّم الى تونس ، وأشار الى ذلك في بعض رسائله .

وبالجملة فقد كان عالما فقيها ، صدرا ذكيا ، شاعرا ناثرا أدبيا ، عالي الهمة ، كريم النفس ، صادعا بالحق .

ولم يزل معظما مكرما الى ان توفاه الله سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والدف (1784/85 م) .

[8 - محمد بن سعيد]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن علي بن سعيد ، ويلقب في عصره بنجم الدين .

هذا الذكي من افراد العلماء ، ومفاخر تونس . سمعنا ترجمته ممن عاصره ، وان كانت آثاره تنبئك عن اخباره .

اصل والده من بُوْحَجَر ، قرية من قرى المنستير ، وأُتِيَ به لتونس مهاجرا لطلب العلم ، فأقبل عليه بكلية ، وجد فوجدا ، وهجر الرقاد فنال في قليل من الزمن ما اراد .

وسكن المدرسة المرادية ، واخذ عن الشيخ الشريف العلامة المفتي ابي عبد الله محمد ابن عالم عصره المفتي ابي الفضل قاسم المحجوب ، والشيخ صالح الكواش ، وغيرهما من اعيان ذلك العصر ، ولم يلبث ان اقتحم على الفحول أغيالها ، وطمح الى الغايات فنالها ، وتصدر لبث العلم في فنون عديدة ، وتضوع طيبُ تقاريره المفيدة ، وتهافتت الاذكياء الى دروسه ، وتزاحموا على التقاط الفرائد من طروسه ، وكان مصداق كم ترك الاول للآخر ، والمواهب بيد الاول والآخر .

وله من التأليف حاشية على « شرح الاشمونى لالفية ابن مالك » ، ابداع فيها ما شاء ، من عيون التحقيق مع براعة الانشاء ، تتنافس الحذاق في اقتنائها ، والاهتداء بنجوم سمائها ، وحاشية على « السكتاني » في علم الكلام ، وحاشية على « شرح الخبيصي » في علم المنطق ، ورسالة فيه سماها « اللوامع » .

وله ديوان جمع فيه شعره الرائق ، الدال على ادبه الفائق ، سماه « الفلك المشحون » .

وقلمه في الانشاء أمضى من السنان ، وابدع من بديع الزمان . يقال ان الوزير الكاتب ابا محمد حمودة بن عبد العزيز ، كان يتوقع ان يزاحمه في خطة الكتابة .

وانتفع به اعيان من العلماء ، كشيخنا العلامة المفتي ابي العباس حميدة بن الخوجة ، والفقيه الوجيه ابي عبد الله حسين بن عبد الستار وغيرهما .

درس كتاب « الشفاء » بجامع الزيتونة بعد صلاة الصبح ، ويوم ختمه ، حضره العالم الاديب ابو عبد الله الحاج محمد السنوسي ابن الشيخ العلامة عبد الله السوسي ، ومدحه بقصيدته الدالية الغراء ، واجابه عنها .

وكان نقى العرض ، جميل الصورة ، فصيح اللسان ، حتى ان العامة يجلسون وراء حلقة درسه ، تلذذا بنغمته في كيفية الالتقاء ، لا تمر مذاكرة في فن من الفنون الا وله فيها التبريز ، ولا تعرض جواهر الكلام على مُحَاكَّاتِ الافهام الا وكلامه الابريز ، مع محاضرة تسبي المُجالس والمُحاضر ، ويروق الانظار زهرها الناضر .

ولم يزل على حاله ، رافلا في حلل كماله ، الى ان فجعت المجامع العلمية بخبر منيته ، على حال شببته ، وذلك سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والـ (1784/85 م) .

وصلى عليه شيخه ابو عبد الله محمد المحجوب ، وكادت ان لا تتم الصلاة ، من كثرة البكاء والعبرات ، من الامام ومن خلفه ، من شهداء رب الارضين والسموات .
ودفن بزواية سيدى أحمد سقّا ، خارج باب حومة العلوج .

[9 - محمد بن حسن الدرناوى]

ابو عبد الله محمد بن حسن الدرناوى المفتى .

نشأ هذا التقى في طلب العلم ، واخذ عن اعلام عصره ، ودرس بالجامع الاعظم في مصره . واخذ عنه جماعة من الاعيان ، وحاز قصب السبق في هذا الشأن ، وتصدر للفتوى ، فبلغ الغاية القصوى ، وكتب بجميل خطه كتباً عديدة ، على جميعها تقاريره المفيدة ، وتباع الكتب التي بخطه بضعف قيمتها الى الآن ، لما على حواشيها من تقاريره الواضحة البيان .

وكان بارعا في الفقه والفرائض ، وله شرح على « الدرة » .

كان رحمه الله تقيا عفيفا ، محافظا على ما يقرب الى الله زلفى ، بعيدا عن التصنع ، قانعا بالكفاف ، سالكا سبيل الزهد ، متواضعا على تضرعه من العلوم العقلية والنقلية ، عالي المهمة نقى العرض .

ولم يزل على حاله ، في كريم خلاله ، ناظرا في مطية ترحاله ، متزودا من اعماله الى دار مآله ، حتى قدم لرحمة ربه الذي يُحِبُّ لقاءه ، سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والى الف (1784/85 م) . ودفن بالجلال (1) وتبرك الناس بشهود جنازته ، وخلف ابنا من اعيان العدول الموثقين ، يرتزق بصناعة التوثيق ، معروف بالعدة والنزاهة ، رحمه الله .

[10 - محمد بن عبد الله عظم]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتى ابى محمد عبد الله ابن العالم
عبد اللطيف عظم القيروانى .

شهرة هذا البيت بالقيروان وغيرها في العلم والفضل واضحة وضوح الصبح ، غنية عن الشرح . والموضوعات الفقهية « كالبرنامج » و« الاجوبة » وغيرهما من التأليف قاضية بذلك .

وآل هذا البيت ينتسبون لـ « مراد » احدى قبائل العرب الذين جاءوا للفتح الاسلامي . واهل القيروان محافظون على هذه الانساب الزكية .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، سالكا سنن آله ، فقرأ على العالم الفقيه ابي عبد الله محمد الحنقي وغيره من علماء القيروان . ولما ضم الى مجده الاصيل ، ملكة العلم والتحصيل ، تقدم للخطط الشرعية ، كالقضاء والفتوى بالقيروان ، سالكا نهج أسلافه ، متحليا من الكمال بأحسن أوصافه ، الى ان توفي في رجب سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والـف (ماي - جوان 1785 م) ، ودفن بمقبرة آله ، رحمه الله تعالى .

[11 - محمد الحنقي]

العالم الفقيه الشيخ محمد الحنقي .

هذا الفاضل وفد الى القيروان ، واتخذها دارا ، تبركا بآثار الصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم . وكان عالما صالحا ، تقيا خيرا ، مثابرا على نفع الناس بالعلم ، ابتغاء وجه الله .

أخذ عن الشيخ العدوي بمصر ، وغيره من مصاييح الازهر . وتردى في القيروان بالعفة والوقار والسكينة ، فحل من قلوب اهلها بالمكانة المكيمة ، ولم يزل معتقدا متنفعا به معظما ، الى ان توفي سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والـف (1784/85 م) ، ودفن في تراب القيروان .

[12 - احمد العروسي]

ابو العباس احمد العروسي الاندلسي

هذا الرجل من اعيان الاندلس بتونس ، وكان تاجرا خيرا عفيفا .

تقدم امينا على صناعة الشاشية بالحاضرة ، وهي من الخطط النبيهة بها ، لا يتقدم لها الا من كان وجيها ، نقى العرض ، امينا عارفا .

ولم يزل على حالته المرضية ، الى أن أئته المنية ، في الطاعون الجارف سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والـف (1784/85 م) وله عقب بالحاضرة .

[13 - حسونة القصرى]

الشيخ الفقيه حسونة القصرى .

سمعت ترجمة هذا الفاضل من شيخنا القاضي اسماعيل ، وهي انه من قصر الرباط بالمغرب ، وفد الى حاضرة تونس بقصد التجارة ، وكان عالما فقيها خيرا ، حسن المحاضرة ، زكي النفس ، عالي الهمة .

وكان له محل بالربيع (1) في تونس ، لوضع سلعه على اختلافها ، فكان يأتي الى جامع الزيتونة صباحا ، ويقرى درسين احتسابا ، وبعدهما يذهب لموضع سلعه ، كأعيان التجار .

ورغب الطالبون في دروسه ، وانتفعوا بعلومه . ولما جعل الباشا علي باي الحسيني مرتبا للمدرسين ، نظمه في سلكهم ، ولما بعث له مكتوب المرتب امتنع من قبوله ، فأحضره لديه وقال له : « لِمَ ترغبُ عن مرتب بلادنا ، وانت الآن من اعيانها ؟ » فقال له : « لم ارجع عن البلاد ، بدليل اني اخترتها ، وقد جلت في الآفاق ، لكن الله اغنانني ، وله الشكر بما يسره على يدي من ربح التجارة ، فلا يسوغ لي والحالة هذه اخذ الاجرة على العلم ، فاني أثبت العلم لله خالصا ، فأعط ذلك لمن هو احوج منا » ، فاستحسن حاله ، وعظمت منزلته عنده .

ولهذا الشيخ من الوجاهة والفضل ما اقتضى ان الولي العارف بالله سيدي احمد بن سالم التجاني لما اتى الى تونس نزل عنده بداره ، مدة اقامته بالحاضرة ، حتى استكمل تدريس « الحكم » لابن عطاء الله (2) ، بمسجد سوق البلاط ، وسافر من داره شاكراداعيا . ولم يزل هذا الخير في تجاراته الربحية ، وافادته الناجحة ، ونزاهته الواضحة ، الى ان لبي داعي الله المنيب على ما ألهم من الاعمال الصالحة ، في سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م) .

[14 - محمد عريف]

ابو عبد الله محمد عريف .

من اعيان اهل البلاد ، وبيوت النباهة في الحاضرة .

تقدم شيخا في ربح باب سويقة ، فأحسن ضبطه ، واذكى العيون على اهل الشر والدعارة ، وأقام سكانه في مهد أمان وراحة .

(1) اي سوق الربيع ، وهي معروفة بهذا الاسم الى اليوم .

(2) من المتصوفة ، توفي في المدرسة المنصورية بالقاهرة سنة 1309 م .

وله في السياسة التي يستخرج بها الحق من الباطل قدم راسخ ، وفكر وقاد ، حتى قال بعض الجهلة ان له قرينا من الجن يخبره . وله في ذلك اخبار ماثورة في الحاضرة ، ينقلها الخلف على السلف ، حتى اضطر اهل الفساد الى الخروج من الحاضرة ، هروبا منه ، ورجعوا بعد وفاته .

وكان وجيها خيرا عالي الهمة حسن المروءة ثاقب الفكر ، محبا الى الناس . ولم يزل على صفاته المرضية ، الى ان حل به وافد المنية ، رحمه الله ، في شعبان سنة 1200 مائتين والـ (جوان 1786 م) ، وترك ابنا يأتي خبره ، ان شاء الله تعالى .

[15 - عبد القادر الحلفاوى]

الشيخ عبد القادر بن على بن محمد الحلفاوى ابن الشيخ محمد الولي مشهور الزاوية بباب الحضراء

نشأ هذا الشيخ في بيت أصيل ، مؤسس على صلاح ومجد ائيل ، وجرى في خلاله ، على نسق آله .

وكان فقيها فاضلا ، وجيها نزيها ، عفيفا تقيا ، معتقدا معظما عند الخاص والعام ، متفيا ظلال ما لزاويتهم من الاجلال والاحترام .

وتوفي ، رحمه الله تعالى ، أول هذا القرن الثالث عشر سنة 1201 (1786/87 م) ، ودفن بزاويتهم .

[16 - حمودة بن عبد العزيز]

الوزير الكاتب ابو محمد حمودة بن محمد بن عبد العزيز .

نشأ هذا الفاضل بين يدي ابيه ، العالم الفقيه ، واخذ عنه ، حتى إنه كان يسامره ليلا بعلم السيرة والتاريخ ، في حال صباه . ثم أخذ عن اعلام من العلماء ، كالشيخ أبي عبد الله محمد المكودي المفتي ، والشيخ المفتي أبي الفضل قاسم المحجوب ، والمفتي الأكبر أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم عالم الحنفية ، والشيخ العالم الصوفي أبي عبد الله محمد بن علي الغرياني ، وأبي عبد الله محمد الشحمي ، والشيخ المفتي أبي عبد الله محمد بن حسن الهدية السوسي ، وغيرهم من علماء الحاضرة .

وتصدر للتدريس ، فشنف الاسماع بكل نفيس ، وانتفع به اعلام ، صاروا أئمة في الاسلام ، كالعلامة المفتي ابي عبد الله محمد بيرم الثاني ، وعالمي المالكية ابي عبد الله محمد المحجوب واخيه ابي حفص عمر وغيرهم .

وطلبه الباشا علي باي الحسيني ، ليستعمله في قلم الانشاء ، فامتنع ، ثم طلبه ثانيا على يد الشيخ المفتي ابي عبد الله محمد بن حسين البارودي فاجاب ، وقبله أحسن قبول ، وقربه نجيباً ، واستعان به في تدبير دولته ، وبعثه سفيراً عنه الى قسنطينة والجزائر ، في بعض الاغراض السياسية ، ثم ضمه الى ابنه ابي محمد حمودة ، ولي عهده ، فاحسن تربيته ، وعلمه النحو والصرف والتاريخ ، وغير ذلك مما لا يسع الكمال جهله ، ونال ما شاء من الخطوة والاقبال ، وتوجهت تلقاء مدينه الآمال ، وباكر بابنه العمال .

وكان من افراد العلماء واعلام الكتاب ، وفريدة عقد ذوي الالباب والآداب ، وتاريخه « الباشي » الذي ألفه في مدح مخدمه ، اعظم شاهد له بالبلاغة والبراعة في فن الانشاء ، والله يؤتي الحكمة من يشاء . وله في العلوم الشرعية والعقلية القدم الراسخ واليد الطولى . وكان فصيح اللسان ، ماضي القلم ، عذب المجالسة ، آية الله في المحاضرة ، بحيث اذا حضر مجلسا توفرت الدواعي على سماع ما يلفظ من قول في كل فن ، مع وقار وهمة عالية زاحمت الكواكب ، وأشعة زينت المواكب .

وكان يُدَلُّ على مخدمه الثاني ، وهو ابن تربيته الباي حمودة باشا ، بما له من حق التعليم ، بما لا يحتمله سن الشباب ، وعلى رجال دولته ، ويحتملون له لقصور الانشاء والترسيل على قلمه يومئذ .

ولما تفاقم الحال ، أردفه مخدمه بولاية العلامة الاكتب ، الجامع بين شرفي النسب والاكتساب ، ابي محمد سيدي حسن بن عبد الكبير الشريف ، فغص منه ، وضاق ذرعه ، لتقدمه في العلم والصناعة ، فتحيل — يغفر الله له — بما اقتضى انفصال سيدي حسن الشريف عن خطة الكتابة ، وايدل الله درهمه دينارا .

وبهذا التحيل سلفته الالسن من رجال الدولة وغيرها ، بتتبع المعائب ، ومن سابق الدهر عشر ، حتى ضربه فرج الزوز الباجي بالرصاص ، وحكمه الباي فيه ، فحكم بكسر يديه ورجليه ، وإلقائه ببطحاء القصبة ، حتى يموت ، كما سبق خبره في الباب الاول ، فكانت القاصمة لنجم سعادته ، وسقوط منزلته عند مخدمه .

سمعت من شيخنا العلامة القاضي اسماعيل التميمي ، وهو الذي حفظت منه ترجمة هذا الشيخ ، قال : « انه كان يجلس عندي بدكان الشهادة في سوق البلاط ، لقربه من داره ، فمر الشيخ عبد الرحمان البقلوطي ، ايام اختلال عقله ، بقتل مخدومه الباشا علي بن محمد ، وهو ينظر اليه ، وبذهاب ماله ، فجلس امام الدكان على قارعة الطريق ، يلتقم بطيخا مكسرا ، فقال له : « قبح الله رجلا اصطفاك لخدمته » ، فقال له البقلوطي : « رأيتني والامر مدبر عني ، ولو رأيتني والامر مقبل ، كحالك الآن ، لعظمت من حالي ما حقرت ، واستحسننت مني ما قبحت ، وسبحان من لا يحول » ، واختنق بالبكاء ، وانصرف » .

ولم يزل بعد ذلك في تراجع ، الى ان حملته ايدي المنية ، من هذه الدنيا الدنية ، في السنة 1202 الثانية من هذا القرن الثالث عشر (1787/88 م) .

وله حاشية على « الوسطى » ، في علم الكلام ، وتاريخه المعروف ، ورسالة في القبلة ، وديوان شعره الرائق ، وكان في الشعر أحسن منه في النثر ، لانه يقول كما يريد .

واعقب ابنا اسمه محمد ، ساء حاله ، وأباد تراث ابيه ، في قليل من المدة ، بمذاهب الترف ، وباع الربع والعقار ، وخرج بالبيع من الدار ، ولله عاقبة الامور ، رحمه الله ومتعه برضوانه .

[17 - محمد الريفي]

أبو عبد الله محمد ابن العالم الفاضل أبي عبد الله محمد الريفي السوسي .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وفضل بسوسة ، واخذ عن ابيه ، وجد في طلب العلم الشريف ، وروى من مناهله ، وجلى في ميادينه ، وتدرج في الخطط العلمية ، وتصدر للفتوى .

وله عند الملوك اجلال وتعظيم ، سمعت من شيخنا العالم الراوية القاضي اسماعيل التميمي ، أن هذا الفاضل لا تأخذه في الله لومة لائم . وذلك ان علي باشا بن محمد ، لما غلب عمه ، واستولى على البلاد ، ومنها سوسة ، قتل منها ما شاء ، وقال لهذا الشيخ : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا... الآية » (1) ، فقال له الشيخ ، غير مبال ولا مكترث : « لو غيرك

قالها يا سيدنا ، وانت من اهل العلم ، وبيعة عملك في اعناق هؤلاء القوم ، لا يجوز لهم الخروج عنه ، ولم يصدر عنه ما يقتضي خروجاً ، فافعل باجتهادك ما تريد » ، فسكت الباشا ، وتجاوز له ، ومن تلذذ بالكلام تنغص بالجواب .

وكان هذا الفاضل عالماً تقياً ، جريئاً في الحق ، خيراً وجيهاً ، محمود السيرة . ولم يزل على حاله ، يتدرج في اوصاف كماله ، الى ان توفي في السنة الثانية من هذا القرن الثالث عشر (1787/88 م.) رحمه الله تعالى .

[18 - محمد بن محمد بن محمد صدام]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتي ابي عبد الله محمد
ابن العالم المفتي الحاج محمد ابن العالم المفتي ابي بكر ابن العالم
المفتي ابي الطيب صدام اليمنى القيروانى .

هذا الفاضل اصله من قبائل الفتح الاسلامي ، نشأ في بيت علم ودين ، وحاز قصب السبق في الميادين ، واخذ راية الفتوى باليمين .

وكان فاضلاً عالماً ، بارعاً في العلوم الشرعية .

تقدم لخطبة الفتوى بالقيروان ، وبث فيها العرفان .

ولم يزل على حاله ، في حلل كماله ، الى ان توفي عن سن عالية سنة 1204 اربع ومائتين والـف (1789/90 م.) .

[19 - محمد سويسى]

الشيخ القاضى ابو عبد الله محمد سويسى .

هذا الفاضل من بيت علم وعفاف وتقوى ، درس بجامع الزيتونة وافاد واجاد . وتقدم لخطبة القضاء ، فحمدت سيرته ، وباشرها بلين مع دين متين . [فكان من قضاة العدل ، وتقدم اماماً ثانياً بجامع الزيتونة ، فلازم الجامع ، وكان عالماً فاضلاً ، ماجداً تقياً ، معدوداً في الصالحين ، محبباً لاهل الحاضرة ، ما شئت من] (2) زهد وعفاف ،

(2) الزيادة عن ق .

ورضى بالكفاف ، وثبت في الانصاف ، الى ان توفي سنة 1204 اربع ومائتين
والف (1789/90 م.) ، بعد ان اقام في خطة القضاء ، اربعين سنة ، وتجاوز السبعين
في العمر ، رحمه الله تعالى .

[20 - علي دمدم]

ابو الحسن علي دمدم .

نشأ هذا السيد في بيت فضل وشرف ، واقتفى أثر السلف ، ونال الخطط العلمية
كالامامة والعدالة ، وهو شيخ الطريقة الشاذلية بهذا المصير في ذلك العصر ، أمّ رجالها
بالمقام والمغارة ، وكرّر بهم احزاب الشاذلي ومناقبه وأخباره ، واقتفى بهم ما استطاع آثاره ،
وتعرض للواردات الالهية ، في تلك المعابد المباركة بالاورد ، والمنهل الشاذلي غير ممنوع
عن الوراد ، والاعمال بالنيات .

وكان فاضلا وجيها ، خيرا عفيفا ، تقيا مقصودا للدعاء ، محببا الى الناس ، وهم
شهداء الله على خلقه ، وتوفي سنة 1206 ست ومائتين والف (1791/92 م.) .

[21 - أبو الطيب صدام]

ابو الطيب بن عبد الحفيظ ابن القاضي ابي العباس احمد صدام اليمنى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده الشريف الشهير ، وطلب العلم بالقيروان ، فآخذ
عن اعلامها ، ثم ارتحل لطلب العلم بتونس ، وأخذ عن اعلام عصره ، ورجع لبلاده ،
فأفاد وأجاد ، وتقدم لخطة القضاء ، ثم ترقى الى الفتوى .

وكان فاضلا عالما ، خيرا فقيها ، وجيها معظما .

وتوفي أوائل القرن الثالث عشر .

[22 - حمودة صدام]

ابو محمد حمودة بن عبد الحفيظ ابن القاضي ابي العباس احمد صدام اليمنى القيروانى .

نسج هذا الفاضل على منوال آله ، وجدّ في تحصيل العلم من رجاله ، ورمى أغراضه
البعيدة ، بسهامه السديدة . وعرضت عليه خطة القضاء فابى ، وأثر التدريس ، ونثر الجواهر
النفيس ، فكان عالما فاضلا ، تقيا ورعا ، عالي الهمة ، يأنس بالوحدة والانقطاع ،

ويتعلل من الدنيا بقليل المتاع ، الى ان توفي ، رحمه الله ، ليلة الاثنين السادس والعشرين (1) من شوال سنة 1208 ثمان ومائتين والـف (26 ماي 1794 م) .

[23 - أحمد السوسى]

ابو العباس احمد ابن العالم الولي سيدى عبد الله السوسى .

هو ابن أحد الاعلام الذين ذكرهم الوزير الكاتب ابو محمد حمودة بن عبد العزيز ، ونقلنا كلامه في فاتحة الخاتمة .

نشأ هذا الفاضل في حجر أبيه ، وقرأ عليه مع أخويه ، ابي عبد الله محمد السوسى وابي عبد الله محمد الوسط ، وكانوا على درجة عليا في الفضل والعلم ، واكبرهم آية الله في الشعر والادب ، وشعره يسع ديوانا معروفا عند اهل الادب ، واوسطهم آية الله في الفقه والتصوف ، واصغرهم صاحب الترجمة عاقه المرض عن بث العلم في الجامع ، فعاش في كسر بيته جليس كتبه ، وآثاره العلمية في هوامش كتبه على كثرتها بخطه ، دالة على اطلاعه ، واتساع باعه .

وكان تقيا عفيفا ، نزيها سالم العرض ، معتقدا معظما ، مزارا للتبرك به .

وله في هذه الحاضرة وجاهة على حمولة وتواضعه .

وله بنات علمهن القرآن والفقه ، وطريق التصوف ، سمعت من والدي انه اراد خطبة احدهن ، فاستشار في ذلك الشيخ المفتي ابا النخبة مصطفى البارودي ، فقال له : « لا تفعل ، فانها لا ترضى بامثالنا ، ولا ترى كفوعا لها الا من كان على قدام والدها ، في العلم والصلاح ، ونحن من ابناء الدنيا ، وهي من بنات الآخرة ، هذا وابوها ميت » .

ولم يزل هذا الفاضل ابن الفاضل اخو الفاضلين حليف ذكر ، وجليس كتاب ، الى ان دعاه الله فأجاب ، أواسط رمضان من سنة 1208 ثمان ومائتين والـف (أواسط افريل 1794 م) .

ولم اقف على تاريخ اخويه . ومما يشهد لفضلهم ، ان والدهم نفعا الله به ، لما حضرته الوفاة ، أحضر ثلاثتهم ، وقال لهم : « من ترك اولادا ، والشكر لله ، مثلكم أنفق وصيته ؟ » ، فقالوا : « لك علينا السمع والطاعة » ، فقال لهم : « اذا مت

فاغسلوني على مقتضى السنة ، واحملوني الى قبري ، من غير جهر بالذكر امام
النعش » ، وفعلوا وصيته ، ووصل الى قبره ، وجميع من شهد الجنازة سكوت ، يذكرون
الله سرّاً ، رحم الله جميعهم .

[24 - علي محسن]

ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن محسن ابن الشيخ سيدي
احمد الشريف امام جامع دار الباشا .
وقد ذكر الوزير السراج سلسلته الى سيدنا الحسين بن
علي ابن ابي طالب رضى الله عنهم .

نشأ هذا الشريف في بيت شرف ودين وفضل ، توارثه عن السبط الحسين ، واخذ راية
العلم والتقوى باليمين ، وسلك ما استطاع سبيل آباءه الطيبين الطاهرين ، ما شئت من
كرامات تذكر ولا تنكر ، واخلاق نبوية تشكر .

تقدم اماما ثالثا بالجامع الاعظم جامع الزيتونة ، مع الشيخ ابي عبد الله محمد سويسي ،
وكان فاضلا عالما عاملا ، صالحا بركة معتقدا ، تتبرك الناس الى الآن بقبره ، سليم
الصدر ، عالي القدر ، هاشمي النفس ، عالي الهمة ، محبا الى الناس ، بحيث لا ينطق
باسمه احد الا مقرونا بالسيادة ، التي تظهر عليه سيماها ، والى البتول منتهاها .

ولم يزل على فضله الذي لا يبلى ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، وكان ذلك في
السادس والعشرين من ذي القعدة سنة 1209 تسع ومائتين والـ (الاحد 14 جوان 1795 م.) ،
وابنه محمود الخصال ، ومظهر سرّ الآل ، هو كبير الائمة بالجامع الاعظم في هذا
التاريخ ، وهو سنة ثلاث وثمانين من القرن الثالث عشر ، فسح الله في اجله ، ومتع
المسلمين ببركته .

[25 - محمد الملا]

الشيخ محمد الملا .

نشأ هذا الخير في بيت نبيه من بيوت الحنفية ، وقرأ العلم وحصل الملكة العلمية ،
لا سيما في الفقه ، وسلك طريقة القطب الجيلي رضي الله عنه ، وجذبه حبه ، وله امداح نبوية ،
وامداح في شيخه ، تحسن بها اصوات المنشدين ، وتجتمع لها الجماعات ، والاعمال بالنيات .

وكان تقيا عفيفا ، ذا كرا رقيق القلب ، متواضعا ادبيا ، وشعره معروف .
ولم يزل معتقدا ، معظما مكرما ، الى ان توفاه الله سنة 1209 تسع ومائتين والـ
(1794/95 م) . واعقب ابنا نسج على منواله ، واقتدى بحميد خلاله .

[26 - محمد بن حسين الدرنـاوى]

الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن حسين الدرنـاوى .

هذا الرجل له ملكة حسنة في العلم والادب ، وتدرج في قلم الانشاء ، في دولة
الباشا علي باي وابنه ، الى ان صار رئيس الكتاب ، ثم عزله مخدمه .
وكان ادبيا حسن اللقاء وجيها ، وبقي بعد عزله نقي العرض ، على وجاهته واحترامه ،
الى ان توفي في ربيع الاول سنة 1211 احدى عشرة ومائتين والـ (سبتمبر 1796 م) .

[27 - رجب خزـنه دار]

الوزير رجب خزـنه دار .

اصل هذا العفيف من الموالي ، وله ذكر في التاريخ الباشي ، رباه الباشا علي
باي ، وكان معه في غربته بالجزائر ، ولما حان رجوع اولاد حسين باي بن علي الى تونس ،
أتاهم رجل معتقد ، واجازهم في التوسل بالصلاة الكاملة ، المعروفة لتفريج الكرب ،
يقرأها اقربهم للتقوى ، في الليل تحت اديم السماء ، عددا معيناً مستكثراً ، فاجمعوا
على أن يقرأها رجب خزـنه دار ، وفيهم العلامة الشريف الفاضل ابو عبد الله محمد الشافعي ،
والفقيه الكاتب ابو العباس احمد الاصـرم .

وخـدم في دولة سيده ومرييه ، وفي دولة ابنه ابي محمد حمودة باشا ، معظما مكرما .
وكان تقيا عفيفا ، امينا ثقة ، سلم الناس من يده ولسانه ، الى ان توفي في الرابع
والعشرين من ذي القعدة سنة 1211 احدى عشرة ومائتين والـ (الاحد 21 ماي 1797 م) .
ودفن بالتربة ، عند سيدي قاسم السبابطي .

[28 - حمودة الخلفـاوى]

الشيخ الحاج حمودة بن ابي الحسن بن ابي عبد الله محمد الخلفـاوى .

نشأ هذا الفاضل في بيت عفة وصلاح وفضل ، وزاويتهم في الحاضرة معروفة ،
وبالخير والبركة موصوفة .

وكان وجيها كريما ، خيرا عفيفا ، معتقدا عالي القدر ، معظما عند الخاصة والعامة ، الى ان توفي سنة 1212 ثنتي عشرة ومائتين والـف (1797/98 م) .

[29 - محمد العواني]

الشيخ الشريف ابو عبد الله السيد محمد ابن السيد الحاج
عبد الملك العواني القيرواني .

طلع هذا السيد في افق شرفه ، سالكا نهج سلفه ، وازضاف الى نسبته الهاشمية ،
النسبة العلمية ، ورحل في طلب العلم الى حاضرة تونس فاخذ عن اعلامها .
ولما امتلا حوضه ، واثمر بالعلوم روضه ، رجع لمسقط راسه ومدفن اجداده ، واستقر
بزاوية اسعاده .

ولبيت العواني ذكر في القيروان بل وفي غيرها من البلدان ، وناهيك بالنسبة
الى سيد ولد عدنان .

وكان فقيها خيرا ، فاضلا وجيها ، متحليا بوقار وسكينة ، حالا من الناس بالمكانة
المكينة ، ما شئت من فضل وادب ، وشرف موروث ومكتسب ، الى ان توفي سنة 1212
ثنتي عشرة ومائتين والـف (1797/98 م) .

[30 - محمد بيرم الاول]

شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بن حسين بيرم .

اول هذا البيت رجل من الجند الذي قدم متطوعا مع سنان باشا ، لفتح هذه البلاد
الاسلامية ، وافتكاكها من يد السبنيول ، المتغلب عليها .

واختار بعد الفتح المقام بها ، وتزوج ، ومن ذريته صاحب الترجمة ، وقد ترجم له
ابنه شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد في شرح منظومته للمفتين على المذهب الحنفي ،
من لدن الفتح ، عند ما شرح قوله :

قفاه حسين الباردي وقرينه أبو من غدا في جمعهم ينظم الشعرا

بما نصه : « واعلم انه لما اضيف ابو عبد الله محمد درغوث للشيخ ارنووط ، بقي معه
اسما بلا مسمى ، ولفظا بلا معنى ، وما زال الامر على ذلك الى ان انقرضت دولة علي باشا

يوم الخميس سادس ذي الحجة من عام 1169 تسعة وستين ومائة والـف ، وجاءت دولة المولى الامير المعظم محمد باي ابن الامير الكبير حسين باي ، فعزل المفتين ، واولى مكان الشيخ ارنووط الشيخ ابا عبد الله حسين البارودي ، عم والدتي ، الفتوى بخطبة الجامع اليوسفي ، التابعة لها ، ومكان أبي عبد الله محمد درغوٹ والدي ، وخرجت بذلك الفتوى وتلك الخطبة عن بيت الدرغوٹيين ، بعد ان أقامتا بها من عام خمسة وسبعين والـف الى آخر عام تسعة وستين ومائة والـف ، اربعا وتسعين سنة ، متداولتين بين أربعة منهم ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وليس سبب عزل المذكورين كونها من جماعة علي باشا ، بدليل عدم عزل الافندي ، وهو الشيخ الاجل ابو النخبة مصطفى الطرودي ، ولا مفتي المالكية وهما الشيخان الاجلان ابو العباس احمد المكودي وابو الفضل قاسم المحجوب ، وكلهم من الجماعة الذين هو أولاهم ، وانما عزل كل منهما ، كالقاضي المالكي الشهير بالكافي ، لسبب يخصه ، على ما افصح به ذلك الامير ، وقت توليتها لوالدي . اما ابو عبد الله محمد درغوٹ فلما سبق في صورة ولايته من كونها بشفاعة صهره لقصوره ، واما القاضي الكافي ، فلكثرة القدح في أمانته ، واما الشيخ ارنووط فلما صدر من باي قسطنطينة من مهانته ، وذلك ان علي باشا لما ايقن بحركة الجزيريين اخذ كثيرا من ماله ، فقسطه اقساطا ، كل قسط عشرة آلاف بندقية ، وادع كل قسط بعضا من الناس ، ومنهم المفتي المذكور ، فلما دخلت البلد من اقطارها ، وعبثت ايدي الجزيريين بالنهب في ديارها ، دخلت دار الشيخ ارنووط ، ونهبت له تلك الوديعة ، فلم يصدق حسن باي قسطنطينة في ذلك ، واتهمه بانه استخلصها لنفسه ، فضربه بالسياط ، رجلا كبيرا قارب الثمانين من اهل العلم ، لا سامحه الله ، فتذمم الامير بعد هذا من ابقائه رئيس المفتين بدولته ، ولقد كان حاملا من فعل حسن باي به أمرا عظيما ، ساعيا في خلاصه جهده .

حكى لي من كان رئيس الكتاب ببلدنا ، وهو ابو عبد الله محمد الدرناوي ، ان ذلك الامير استدعاه ، وارسله للشيخ ارنووط ، وهو في سجن حسن باي ، وقال له : « قل للشيخ يكتب كتابا لحاكم الجزائر ، يفصل القضية ويستعطفه فيه » ، ولما وقع الصلح على قدر من المال يؤديه الشيخ ، وباع فيه ما ملكه في عمره ، من دار سكناه ، وهنشيره ، ولم يوف ثمنهما بذلك ، زاد فيه الامير الف محبوب من عنده .

« فلنرجع لترجمة من في البيت من الشيخين ، فنقول : اما الاول فهو الشيخ الكبير الصدر الشهير العَلَمَ النحرير صاحب الغوص في التحرير ، ولد عام اثني عشر ومائة والـف في ايام مراد باي ، واخذ العلم عن جماعة منهم الاستاذ ابو الحسن علي سويسى ، حضر له في اقراءه لشرح الباشا على « التسهيل » .

والعلامة المحقق ابو عبد الله محمد الحرقاني ، سمعت منه رحمه الله قال قرأت عليه شرح « القطر » لمصنفه ، فلما ختمته سألته تعيين ما اقرأ بعده ، فإشار « بمنزلة جامي » ، فاستصغرت نفسي عنه ، فقال انا أدري بما يصلح لك ، فطرتك جيدة ، ومالك الا ان تصل الى فهمه ، فقرأته عليه .

والشيخ ابو محمد حمودة العامري الخليفة بالجامع الاعظم . واخذ الفقه عن الشيخين ابي العباس احمد الطرودي ومُلاً باكير امام علي باشا ، وقد عاقتهم المحن التي اعترضته في الدولة الباشية عن تعاطي التدريس ، لان جل مدتها مرّ عليه بين سجن ونفي مكرّر لزغوان مرتين ، فانه بعد ان سرحه لتونس ، حين جاء نفي اخيه الشيخ حسن ، من الروم ، واولاه ما كان بيده من امامة الجامع اليوسفي وروايته ، لم يمض الا نحو عام ، وبدا له فيه ، فردّه منفيا لزغوان ، وما سرحه الا بعد انقضاء فتنة ابنه يونس باي ، فأولاه امامة الجامع الباشي ، وروايته وتدريسه .

ولما انقرضت دولته ، وجاءت دولة المولى محمد باي ، انشده لسان الحال :

سعد الزمان وساعد الاقبال ودنا المنى واجابت الآمال

لان ذلك الامير اولاه من العز والاقبال ، ما لا يعبر عنه مقال ، فصرفت اليه الوجوه ، وتعلقت به الآمال ، واولاه منصب الفتيا بتابعته على ما مرّ ، واعطاه ايضا خطبة باردو ، ونقله من الجامع الباشي ، مُبَقِّى عليه رويته وتدريسه ، لجامع والده امامة ورواية وتدريسا وخطبة ايضا ، فاجتمعت بيده ثلاث خطب ، ولم يتفق ذلك لاحد قبله ولا بعده .

فاما خطبة باردو فباشرها بنفسه ، واما خطبة جامع يوسف داي فاناب فيها امام الخمس به الشيخ عمر بوشناق ، كما أنابه في رواية الجامع الباشي ، واما خطبة جامع والد الامير فاناب فيها من كان مستقلا بها ، كبقية وظائف ذلك الجامع ، المنقول عن

جميع ذلك لمجرد امامة الجامع الباشي ، وهو الشيخ محمد قَرَبَطَاق ° ، فكان منشدا بلسان الحال ، قول من قال :

ومن النوائب أنني في مثل هذا الامر نائب
ومن العجائب يا فتى صبري على هذي العجائب

وأعطي ايضا المدرسة الشماعية فأقرأ بها « مُلّا مِسْكِين على الكنز » ، كما أقرأ بدرس الجامع الباشي « الجوهرة على القدوري » ، ولم يختمها .

وكان رجلا قَانِتًا لربّه خاشعا ، قائما بالحق صادعا ، حسن التلاوة لكتاب الله تعالى اتقاناً لتجويده ، وعدوبة نعمة به ، لا يشق له في ذلك غبار .

وله رسائل مفيدة ، في مسائل عديدة ، وما زال على ما هو عليه من الاحترام ، الى ان وافاه الحمام ، وانتقل لرحمة الملك العلام ، وذلك في ذي القعدة الحرام من عام 1186 سنة وثمانين ومائة والف (جانفي - فيفري 1773 م) . «

وذكر في الشرح المذكور ، ما قيل فيه من المراثي ، لا داعي لذكرها ، ثم قال : « واما الثاني ، وهو والدي رحمة الله عليه ، فولد في شوال من عام ثلاثين ومائة والف (اوت - سبتمبر 1718 م) ، ثم جد في تحصيل العلم ، فأخذه معقولا ومنقولا ، فروعاً واصولا ، من جهابذة ذلك العصر ، أشهرهم الامام الكبير ملحق الاحفاد بالاجداد ، وحائز قصب السبق بين النقاد ، ابو الحسن علي سويسسي ، اخذ عنه « مغني ابن هشام » و « تسهيل ابن مالك » و « البخاري » بشروحها .

وحافظ العصر العلامة المحقق المفتي ابو العباس احمد المكودي ، أخذ عنه كتب المنطق بأسرها ، و « مختصر السعد » ، و « مطوله » . وروى عنه « صحيح البخاري » ، واجازه بمروياته .

والعلمان العكّمان محققا المذهب المالكي في ذلك الزمان ، ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز ، وابو الفضل قاسم المحجوب . أخذ عن الثاني « المكودي على الالفية » ، وعن الاول ذلك ، و « الاشموني » ، و « التصريح » ، و « المحلي » ، و « مختصر السعد » على « التلخيص » ، وعصام على « الاستعارات » بحواشيها و « الكبرى »

بحاشيتي المنجور واليوسي ، و « الفية العراقي » في المصطلح ، بشرحي القاضي والمصنف . ورَوَى عنه « الصحيح » ، واخذ الفقه النعماني عن محققه العلامة ابي محمد حسن البارودي ، وهو عن شيخه المحقق المفتي عبد الكبير الصوفي ، وهو عن شيخه علم الاعلام وشيخ الاسلام ابي النخبة مصطفى بن عبد الكريم ، وهو عن شيخ الاسلام صدر الحنفية ، وبات هذا المذهب بالديار التونسية ، ابي العباس احمد الشريف الاندلسي .

واخذ عنه جماعة من اعيان المذهبين ، كالشيخ الفقيه النبيه الفرّضي ابي محمد حمودة بن محمود ، والشيخ الفقيه النبيه ابي محمد حمودة باكير الامام ، والشيخ الفقيه ابي الحسن علي شندرلي ، وهؤلاء من الحنفية ، ومن المالكية الشيخ العلامة حامل رواية مذهب مالك ومفتيه الآن ابو عبد الله محمد المحجوب ، والفاضل المحقق ابو عبد الله محمد الدميني قاضي الكاف كان ، والمحصل ابو زيد عبد الرحمان الفوراتي قاضي صفاقس كان ، والبارع المحقق للعلوم العقلية والادبية ، الناظم الناصر ، ابو محمد حمودة ابن عبد العزيز ، وهو المترجم له في تاريخه « الباشي » ، في الجماعة الذين قال فيهم لا يشق غبارهم ، ولا يجارى مضمارهم ، واليهم تضرب اكباد الابل ، بقوله : وشيخنا المحقق المفتي الاكبر ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم عالم الحنفية بالمغرب ، غير مدافع ، ومن لم يوجد فيهم مثله منذ زمن شاسع .

وله من التأليف اختصار « انفع الوسائل » المسمى « ببغية السائل » ، ورسالة في « السياسة الشرعية » ، وتقريض على شرح العلامة ابي النخبة مصطفى الطرودي على الرسالة « العبادية » في العروض ... » . وذكره ، ولا حاجة لنا بنقله ، ولا ننقل ما بعده ، ثم قال : « واكتفيت من نظمه بيتين نظمهما في تقريض « مقدمة ابن هشام » ، قبل موته ، وهو في غاية المرض ، بنحو سبعة ايام ، فانه لما رأى ذلك الكتاب بيد ابني محمد زاد الله في علمه وتوفيقه ، اذ كان يقرأ فيه اذ ذاك ، وهو صغير ، أمره فكتبهما على ظهره ، وهما :

لله در امام حاز كل ثناء وكل فخر ونال الفضل اكمله

سمى القواعد هذا الجمع قلت اذا ان القواعد جمع لا نظير له

وابيات كتبها اجازة لانينا العلامة مفتي المالكية ، المنفرد بتحقيق ذلك المذهب في البلاد المغربية ، ابي عبد الله محمد المحجوب ، وقد كان استجازه ، وهو بحال مرض ،

فبعث اليه باجازة العلامة ابي العباس احمد بن مبارك لشيخه الحافظ ابي العباس احمد
المكودي ، واقتصر على قوله :

اجزت ابا عبد الاله محمدا بمحجوب يد عتي فخر مذهب مالك
بما قد اجاز الشيخ لي وهو الذي اجاز له العلامة ابن مبارك
وما كنت اهلا ان اجيز وانما لمرغوب من أحببت لست بتشارك
وعذرا لتترك البسط اذ حال دونه عوارض اسقام بجسمي فواتك
وأسأل من مولى تواتر فضله لنا ولكم هديا لخير المسالك

انتهى محل الحاجة . الى ان قال : « واتى الوالد الاجل المحتوم ، وانتقل الى رحمة
الحي القيوم ، يوم الاربعاء آخر شوال عام 1214 اربعة عشر بعد مائتين والـ (26 مارس
1800 م.) ، فاستكمل من العمر اربعا وثمانين ، وإقام في الفتوى خمسا واربعين ، وكتب
على ضريحه من انشاء الشيخ العلامة المحقق ابي حفص عمر المحجوب قاضي
المالكية والخليفة بالجامع الاعظم كان ، رحمه الله تعالى ، وهو :

أحسن عزاء القائلين وأرخسوا لهفا لحامل مذهب النعمان (1)

انتهى بلفظه ، مع اختصار ما نبهنا عليه . وقبره في تربته قرب داره الشهيرة .

وانما ذكرنا الترجمة بطولها ، لانها لا تخلو عن فوائد تاريخية .

ثم ان صاحب الترجمة توفيت زوجته ، وألح عليه الباشا علي باي بن حسين ، وزوجه
بجارية من حظايا داره ، بعد أن أعتقها ، وجعلها ، فتزوج بها في بستانه بمرناق ، وأولدها
ابنه العالم الفاضل ابا النخبة مصطفى بيرم ، وهو الآن من اعيان المفتين ، وامام الجامع
اليوسفي ، كثر الله في علماء الامة من امثاله وامثال بنيه .

31 - حمودة الوحيشي

العالم الفقيه حمودة بن محمد الوحيشي القيرواني .

نشأ هذا الفاضل في زاوية احترامه ، واثالت عليه بركة جده ، فانقطع الى العلم ،
واخذ عن اعلام القيروان ، كالشيخ حمودة عطاء الله ، والشيخ الخنقي ، وغيرهما ،
وتقدم لخطبة القضاء ببلده ، فأبان بسيرته ، ما اودع الله في سريرته .

(I) وقعت مقارنة المنقول من هذا النص بمخطوطة من رسالة الشيخ بيرم الثاني المشار اليها .

وكان خيرا عفيفا ، حسن الاخلاق ، كريم النفس ، محبا لاهل بلده .
وتوفي في ذي الحجة من سنة 1214 اربع عشرة ومائتين والـف (افريل - ماي 1800م).
واعقب ابنا لاحت عليه سيماء النجابة في العلوم ، لولا عائق الاجل المحتوم .

[32 - عبد الله التميمي]

الكاتب عبد الله التميمي .

احد اعيان الموثقين بالحاضرة . كان فقيها مشاركا ، له معرفة بالفرائض وصناعة
الانشاء ، تقدم لديوان الانشاء ثم انفصل عنه ، وبقي في وجاهته ينتحل صناعة التوثيق ،
الى ان توفي سنة 1214 اربع عشرة ومائتين والـف (1799/1800 م) .

[33 - محمد عيسى]

ابو عبد الله محمد عيسى

هو من اعيان بلدية الحاضرة ، المرتزقين بالفلاحة ، وله بها معرفة مذكورة ، اقتضت
ان تقدم بسببها امينا .

وكان مقربا عند الباشا ابي الحسن علي باي ، يعتمد رأيه في الاسباب الباعثة على
عمل الفلاحة ، التي اعظمها العدل في قبول الاعشار ، وأرى مصداق ذلك عيانا للباي
ابي محمد حمودة باشا ، فقال له : « ان العَشَّارين يأخذون لانفسهم شيئا كثيرا زائدا
على ما التزموا به ، وها انا التزمت ، ولا تأخذ لنفسك شيئا زائدا ، واذا لزمته خسارة فهي علي » ،
فأسعفه لذلك ، وظهر سر ذلك عيانا ، وكثر البذر ، فكثر العشر . ثم ان بعض
الشياطين زاد عليه ، فكلمه الباي في ذلك ، فقال له : « ان الذي ابتدع هذه اللزمة ،
لا شك انه في النار ، وانا فعلت ذلك لوجه الله وتقربا اليه » ، وسلم ، وظهر بتسليمه ما
توقعه من النقص ، فراوده الباي على الرجوع فامتنع .

وكان وجيها خيرا ، نقي العرض ، صادعا بالحق ، من غير مبالاة ، سوي الظاهر
والباطن ، جدي الطبع .

واسم يزل على حاله ، الى ان توفي سنة 1214 اربع عشرة ومائتين
والـف (1800 - 1799 م) . رحمه الله تعالى وعفا عنه .

[34 - على الجزيري]

ابو الحسن على الجزيري .

اصله من ابناء جند الجزائر ، ولد بالحاضرة التونسية ، ونشأ في خدمة الباي حسين بن علي ، وقاسى مع اولاده ألم الغرب بالجزائر .

وله في الجزائر اسم معروف ، وابلى البلاء الحسن في حروب وهران مع الصبنيول ، وأبدى من الشجاعة والصبر والاقدام ، ما لم يزل حديثه ، وجاء مع ابناء الامير حسين بن علي لتونس حين عادت الكرة لهما ، وأبدى من الشجاعة ما صار مثلاً ، وتقلد الخطط النبيلة ، كالاعراض ودار الجلد وغيرهما .

وكان شجاعاً مهيباً ، خيراً وجيهاً ، ذا جِدٍّ وحِدَّةٍ ، ومع هذه الحدة كان رقيق القلب . يحكى انه في مَحَجِّ حوانيت عاشور ، سمع بمكتبته المعلم يضرب صبياً صغيراً ، وأكثر من ضربه ، فارسل اليه ، وقال له : « اي ذنب لهذا الصغير ، الذي بالغت في ضربه ؟ » ، فقال له : « لم يحفظ » ، فقال له : « ان بُنِيته لا تطيق هذا المقدار ، ولعلك ايها المؤدب لم تعلم معنى الضرب » ، وجلده بنفسه ، وأوجعه ، واستحسن الحاضرون ذلك ، ولعمري انه حسن ، لان تأديب الصبيان له حد محدود في الشريعة المطهرة . وسمع الامير بذلك ، ولم ينكرها عليه .

ولم يزل على هذا الاجلال ، الى ان صار لرحمة الرب المتعال ، في السابع عشر من ربيع الثاني سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والـ (الاحد 7 سبتمبر 1800 م) . ودفن بترتبه المعروفة .

[35 - رجب بن عياد]

رجب بن قاسم بن عياد .

نشأ هذا الرجل في بيت خدمة ووجاهة ، ورفاهية ونباهة ، محبباً لمخدومه ، ناجح المساعي . واستكفى به مخدومه حمودة باشا في بناء بوغاز حلق الوادي ، وتقلب في الولاية النبيلة . وله فضل وكمال ، واثر يذكر .

ولما شرع في بناء داره المعروفة به ، احتاج لدار استولى عليها الخراب ، وهي حبس ، فأذن القاضي بمعاوضتها ، وهو يومئذ ابو عبد الله محمد بن محمد بيرم ، وبعد تمام المعاوضة ،

حجر عليه التصرف ، حتى يجعل مال المعاوضة تحت يد امين القاضي ، فقال :
« احسن الله الى الشيخ ، حيث احتاط بجانب الحبس ، لاننا معشر المخازنية لا امان لنا ،
فيقبح ان نكون امناء على ما في ذمتنا ، ونحن غير آمنين في انفسنا » ، واشترى في
اليوم دارا باكثر من ضعف القيمة ، وبعث له برسمها ، وطلب رسم المعاوضة ، وتم مراده .
وله في الكرم اخبار مأثورة . وكان راجح العقل ، حسن اللقاء « لين العريكة ،
ندي الكف ، فصيح اللسان ذا همة عالية .

ولم يزل على وجاهته ووقاره ، الى ان توفي سنة 1215 خمس عشرة ومائتين
والف (1800/01 م) . وترك ابنا مغفلا ، وله عقب .

[36 - مصطفى خوجة]

الوزير الشهير مصطفى خوجة .

سمعت ترجمة هذا الفاضل من والدي ، ومن شيخنا وشيخ شيوخنا القاضي
اسماعيل التميمي ، وغير واحد .

اصله من بلاد القرج ، جاء صغيرا الى الباشا علي بن محمد ، وشمس دولته مصفرا
من وجّل غروبها ، ولما انقرضت دولته ، وتفرق جمعه ايدي سبا ، سكن هذا الفاضل
بالمدرسة الباشية ، قرب الجامع الاعظم ، وقرأ شيئا من مبادئ العلوم ، سادّا رمقه بصناعة
تفسير الكتب ، ثم اصطفاه الباشا علي باي بن حسين ، واستخدمه ، ورأى منه النجابة
والامانة والوقار ، فقرّبه نجيا ، واولاه خطة خزانة دار ، وزوجه بنته ، فماتت في عصمته ،
ثم زوجه بأختها وهو شيخ ، فمات عندها .

ونشأ الباي حمودة باشا في كفالة تربيته ، وهو حارس شبابه من جهة أبيه ، وكان
يوقره ويرمقه بعين المهابة والاحترام . ولاهل هذا البيت محبة فيه واجلال ، يقفون عند رأيه
ولا يقطعون امرا دونه ، تيمنا برأيه ، وتعقبهم الندامة ان خالفوه ، لانه يشير عليهم بنظر
العقل ، لا بنظر الهوى .

ثم طلب من سيده ان يسرحه لاداء فريضة الحج ، فسرحه بعد لاّي ، وجهاز له
مركبا ، تبليغه وتبقى بالاسكندرية ، ليرجع فيها . ولما قضى فريضته رجع ، وفي مدة سفر
رجوعه توفي الباشا علي باي ، وقام ابنه مقامه ، فبلغ حلق الوادي بُعَيْدَ موته ، وبه سمع

الخبر ، وقال : « لو بلغني نعيه ، وانا بالاسكندرية ، ما قدمت حتى انظر الحال » ، والحال ان المتولي ابن تربيته ، ومنزلته في هذا البيت منزلة الاب البر الشفيق ، فانظر حال الوزراء في الملك المطلق ، الذي لا ينبغي الا لله الواحد الخالق ، كما تقدم في العقد الاول من المقدمة .

ولما نزل البر تيمن ابن تربيته لقدمه ، واستكفى به في عظام الامور ، واقامه مقامه لما سافر ، وفتح الآذان الواعية لنصائحه وان خالفت هواه ، واستكفى به في حرب طرابلس على مرضه وكبر سنه ، كما تقدم في الباب الاول من هذا الكتاب .

وكان خيرا عفيفا ، متأنيا في موضع التأني ، قوي الفكر ، سليم الصدر ، مأمون الغيبة ، منصف من نفسه ، متواضعا وفي العهد ، مقتصدا بعيدا عن السرف ، وكان ضيق النفس ، بعيدا عن المداهنة ، لا يكاد يتجاوز ، ولا يعقب لذلك حقد ، واهل عصره يتجاوزون له ذلك ، ويحتملونه احتمال الابناء من الآباء ، سريرة طيبة ألبسه الله رداءها ، قليل الفصاحة في الخطاب ، وان كان المقصود منه الفعال ، لا تزيين المقال .

وعاش قرير العين مرفع الشأن ، محببا الى عباد الله ، وحب الله موصول بحب عباده ، الى ان توفاه الله بعد فسيح من العمر ، عصر يوم الجمعة الثاني والعشرين (1) من جمادى الاولى من سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والـف (10 اكتوبر 1800 م) ، ودفن في تربته المعروفة بتونس ، وساء الناس فقده ، ولم يعقب ولدا ، ويقال انه طلب من زوجه بنت الباشا علي باي ، التي توفى عندها ، أن لا تتزوج بعده لتكون زوجته في الدار الدائمة . وله حبس على مواليه ، عاشوا فيه ، هم وابناؤهم ، لهذا العصر ، رحمه الله تعالى .

[37 - محمد طاطار]

ابو عبد الله محمد طاطار .

هذا الرجل من أحفاد الداوي طاطار المتقدم ذكره .

نشأ في وجاهة ، وتقدم للخطط العرفية ، كوكالة السور والابراج ، ونحو ذلك في الحاضرة ، وباشر اعماله بصلافة وشدة ، وله مكانة عند امير عصره ، تقتضي الوثوق به .

(I) هو 21 حسب التقويم .

وكان وجيها حازما ، صادعا بالحق ، ذا وقار .
ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والـف (1800/01 م).
ودفن بتربيته من الجلاز .

[38 - محمد البارودي]

الشيخ المفتي ابو عبد الله محمد ابن الشيخ المفتي ابي عبد الله حسين البارودي .
ترجم له شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثاني في شرح نظمه للمفتين من
الحنفية ، بما لفظه : « فكان فقيها جليلا ، بارعا نبيلًا ، محققا فروعا ، حسن المشاركة
أصولا ، آية كبرى في فصاحة اللسان ، في تلاوة القرآن ، يلين لها وليخطبته كل جلمود ،
اذ قد أوتيت مزمارا من مزامير داود .
أخذ العلم عن جماعة كوالده ، والشيخ حمودة بن محمود ، والشيخ علي شندري ،
وخاتمة المحققين الشيخ صالح الكواش ، والعلامة المفتي ابي عبد الله محمد الدرنباوي ،
وامام النحو في عصره ابي العباس احمد السويسي . واتقن التجويد عن والده ومؤدبه الذي
انتهت اليه الامامة في هذا الفن الشيخ حمودة ادريس .
ودرس بالشماعية نيابة عن والده في حياته ، واستقلالا بها بعد وفاته . أقرأ بها « صدر
الشرعية » ، حضرت له يوم ختمه اياه ، وقد كتب على آخره كتابة جيدة ، ألقاها يومئذ .
وشرع بعده في اراء « الدرر » ولم يكمله . والـف رسالة في مسائل الحيطان ، قرظتها له .
وما زال يفتي مع والدي ، الى ان توفي ، وأقامت مفتيا مع الشيخ محمد البارودي الى
ان توفي الى رحمة الله تعالى ، ضحى يوم الثلاثاء سادس عشر (1) اشرف الربيعين من
عام 1216 ستة عشر ومائتين والـف (28 جويلية 1801 م) .
وكتب على ضريحه من انشاء الشيخ ابي حفص عمر المحجوب « . انتهى بلفظه .
قلت : وله عقب تسنموا ذرى المنابر ، وبعضهم تقدم للفتوى . وصاهاه الباى
ابو محمد حمودة باشا على بنته ، وأولدها ولدا مات في حياته ، وتوفيت بعد زوجها ، ودفنت
بتربة آله .

[39 - أحمد الابن]

ابو العباس احمد الابن الحنفى

نشأ في عفاف ، وحصل ملكة علمية ، وتصدر لصناعة التوثيق ، وتولى شهادة اوقاف الحرمين ، وهي من الخطط النبيلة في الحاضرة .

وكان نزيه النفس ، نقى العرض ، معدودا في الاعيان ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1216 ست عشرة ومائتين والى (سبتمبر - اكتوبر 1801 م) .

[40 - محمد بن عبيد الغريانى]

ابو عبد الله محمد بن محمد ابن الشيخ عبيد الصغير الغريانى القيروانى .

هذا الفاضل من بيت رفيع عماده ، كثير أمجاده . وله في مدينة الصحابة مجد شامخ ، وذكر راسخ . وزاويتهم في القيروان مشهورة ، واخبارها مذكورة .

اقبل هذا الماجد على العلم فاخذ عن جده العلامة الخطيب الشيخ عبيد الصغير ، وغيره من اعلام بلده . ثم ارتحل الى تونس ، فأخذ عن اعيان كالشيخ قاسم بن عاشور وغيره . ثم ارتحل لاداء فريضة الحج ، فأخذ عن الشيخ الامير بمصر ، ثم رجع لوطنه .

وكان عالما محدثا ، فقيها خيرا ، وجيها ماجدا ، مستغنيا عن الخطط بزايته ، وعن اسباب الاحترام بوجاهته وسمعته .

ولم يزل على حاله ، سالكا نهج آله ، يرفل في حلل كماله ، الى ان توفي سلخ رجب الفرد الاصب من سنة 1216 ست عشرة ومائتين والى (اوائل ديسمبر 1801 م) . ودفن بزايته في القيروان .

[41 - عمر أبو حديبة]

ابو حفص عمر ابو حديبة الترغوتى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، واخذ العلم عن علماء القيروان . ثم ارتحل الى الحاضرة فاخذ عن علمائها ، ثم آب لوطنه ، يبت العلم . وتقدم لخطبة القضاء ببلده ، فقام بحققها ، وأوصل الحقوق لمستحقها .

وكان عالماً عفيفاً ، وجيهاً نقسي العرض ، محمود الاثر ، الى ان توفي في ربيع الثاني من سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (اوت 1802 م) .

[42 - محمد الطويبي]

ابو عبد الله الشيخ محمد الطويبي ، قاضي الحاضرة

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وأقبل عليه استفادة ثم افادة .

ودرس بالجامع الاعظم ، فانتفع الناس به . وتقدم لخطبة القضاء مع امامة الجامع الاعظم ، لما توفي الشيخ محمد سويسسي ، فجلّى في مضمار الخطتين ، واخذ فيهما الراية باليمين ، ولازم الجامع بيت بدوئيرته لصلاة الصبح والعشاء ، فصيح الخطبة ، جهوري الصوت ، يستميل الاسماع والقلوب ، ويؤثر وعظه الهدى المطلوب .

وكان هذا الفاضل عالماً فقيهاً ، منصفاً صادقاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، حافظاً لنساموس الخطبة ، وقور المجلس قليل الخلطة ، شديداً بغير عنف ، هيناً بغير ضعف ، أعطى الخطبة واجبها .

سمعت ترجمته بابلغ من هذا ، من شيخنا الراوية القاضي اسماعيل التميمي .

ولم يزل على هذه الاوصاف الزكية ، الى ان لبي داعي المنية ، في تاسع شوال من سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (الاربعاء 2 فيفري 1803 م) .

وترك اولادا على قدمه ، أحدهما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى ، في هذا الموضوع ، والآخر قائم بخطبة القضاء بجبل المنار .

[43 - حمزة الجباس]

الشيخ ابو يعلى حمزة بن محمد الجباس .

نشأ هذا الذكي بالحاضرة ، واخذ عن أعلامها كالشيخ الشحمي والشيخ صالح الكواش وغيرهما .

وتصدر للتدريس ، فافاد واجاد ، وعد من الجهابذة النقاد ، لا سيما في النحو . سمعت ترجمته من تلميذه شيخنا امام الاعلام ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي .

وكان نزيه النفس ، ألمعيّ الفكر ، فصيح اللسان ، عذب البيان .
ولم يزل في وقار التدريس ، ينثر الدر النفيس ، محمود السجية ، والخلال
المرضية ، الى ان رفعته وهو في سن الكهولة يد المنية سنة 1217 سبع عشرة ومائتين
والف (1802/03 م.) ، رحمه الله .

[44 - محمد الكيلاني]

الشيخ ابو عبد الله محمد الكيلاني .

اصله من طرابلس ، وقدم الى الحاضرة في طلب العلم ، فاستفاد وافاد .
وتصدر لخطه الوثيق ، فكان من رجالها ، وفرسان مجالها . سمعنا ترجمته من
شيخ الشيوخ ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي .
وكان فقيها موثقاً عفيفاً ، حسن الاخلاق ، عربي السجية ، بعيداً عن التصنع ،
وفي العهد ، الى ان توفي في سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (1802/03 م.) ، وترك
ابنا جلي في مضمار العلم والادب ، رحمه الله تعالى .

[45 - حسونة مارية]

ابو محمد حسونة مارية .

ولد هذا الرجل بتونس ، وهو من ابناء عسكر الترك بها ، وخدم في الدولة ، وترقى في
منصات الخدمة ، الى ان صار باش آغة الوجق التونسي .
وكان وجيهاً خيراً ، نقيّ العرض ، لم يذكّر بسوء .
توفي في الثامن عشر من جمادى الاولى سنة 1218 (الاثنين 5 سبتمبر 1803 م.)
ثمانى عشرة ومائتين والف .

[46 - علي فارج]

الشيخ ابو الحسن علي فارج .

نشأ هذا الرجل في بيت خير وعفة ، وهو من حفاظ القرعان ، المتعبدين بتلاوته في
غالب أوقاتهم ، وصار شيخ القراء بالجامع الاعظم .

وكان خيرًا عفيفًا ، وجيها جديًا ، سالكا سبل الخير ، وأعظم بمنقبة تلاوة القرآن ، فأهله أهل الله .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في شعبان سنة 1218 ثمانى عشرة ومائتين وalf (نوفمبر - ديسمبر 1803 م) ، رحمه الله تعالى .

[47 - صالح الكواش]

ابو الفلاج الشيخ صالح بن حسن الكواش .

سمعنا ترجمة هذا العلم ممن لا ينقطع بهم عمله ، وهم تلاميذه الذين أدركناهم ، كبركة العصر ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والعالم الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، وغيرهما من تلاميذه .

ومحصلها ان هذا الشيخ أصله من الكاف ، وسبب هذا اللقب ، أن والده كان يحترف بكوشة قرب سيدي المشرّف بتونس ، فولد ابنه هذا ، على ما قال ابنه ، في ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين ومائة وalf (نوفمبر - ديسمبر 1724 م) ، وحفظ القرآن ، واخذ العلم عن اعلام ذلك العصر كأبي عبد الله محمد الغرياني ، وأبي الحسن سيدي عبد الكبير ، والقاضي أبي محمد حمودة الريكلي الاندلسي ، وأبي العباس احمد اللعلا ، وأبي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وغيرهم .

وانتفع به الناس انتفاعا بقي أثره ، وشاع خبره ، في العلوم المعقولة والمنقولة ، وصار مناخ رحال الطالبين ، ووجهة السائلين ، فتوجهت تلقاء مدينة الاطماع ، وامتألت باحاديثه الاسماع ، وما على الصبح غطاء ، ولا على الشمس قناع .

ثم خرج بالحاضرة تحت جناح الاختفاء ، من زاوية الولي سيدي منصور بن جردان ، فرارا من سطوة الباي علي باشا بن محمد ، المتقدم خبره ، لانه توسم فيه الميل لبني عمه ، وهم اذ ذاك بالجزائر ، فتوجه لطرابلس ، ومنها لازمير ، ومنها لاسلامبول ، ونال بها الحظوة والشهرة في تلك المدينة ، ونزل في قلب شيخ الاسلام وداره بالمكانة المكيّة ، وجرت بينهما مباحثات يطول ذكرها ، وطلب منه ان يشرح الصلاة المشيشية ، فشرحها شرحا أعجب به اهل القسطنطينية . ورام الاقامة بها لما لاقى من الثروة والاقبال والتعظيم ، كما هي عادة تلك الحاضرة ، عمرها الله ، مع اهل العلم ، ثم كاتبه ابو عبد الله محمد باي

ابن حسين ، وطلب منه القدوم لتونس ، واكد عليه ، وحب الوطن من الايمان ، فقدم ، فقبله احسن قبول ، بما يجب لمقامه العلمي .

ثم ان الشيخ اتهم بمقال سوء في جانب الباشا علي باي الحسيني ، فنفاه الى منزل تميم ، وبقي بها شهرا ، ثم سرحه ، وأمر أن يؤتى به اليه ، قبل الوصول لداره ، فجيء به اليه معظما مكرما ، فقام له ، وأجلسه حذوه ، وخلع عليه ، وحياه .

وبات عنده ، وواكله وباسطه ، الى أن قال له : « أيها الشيخ نطلب منك ان تسامحني » ، فقال له الشيخ : « لا افعل ، والموقف بين يدي الله » ، فاعتذر الباي بان أناسا بلغوا اليه ما غيرّه ، وحرك غضبه ، فقال له الشيخ : « العذر اقبح من الذنب ، لان الله ولاك امرنا ، فتسمع فينا الاقاويل ، وتعاقبنا قبل سماع جوابنا ، والله يقول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (1) » ، ولم يزل الباي يلاطفه ويعتذر اليه ، الى ان سامحه في تلك الليلة ، ومن عفا واصلح فأجره على الله .

وكان هذا الشيخ نادرة الدهر في الحفظ وثقوب الفكر ، والفصاحة والاجوبة المسكتة ، وثبات الجأش في تغيير المنكر ، لا يخشى في الله لومة لائم .

يحكى ان اهل المجلس الشرعي يتقون شدته ، الى غير ذلك من اوصافه المشكورة ، وحسناته المذكورة ، واحاديثه المنشورة .

وكانت بيده المدرسة المنتصرية ، ومن أوقافها دار بقربها لسكنى شيخها ، فتداعت ، وتعسر اصلاحها من الوقف لضيقه ، فأتى الباي حمودة باشا ، فأعظم مقدمه ، وقام لتلقيه ، واجلسه حذوه ، فقال له : « ان والدك علي باي أولاني المدرسة المنتصرية ، وانا ساكن بدار وقفها ، فتداعت وتعذرت السكنى بها ، وأحبس لا يفي ، ولي حق في بيت مال المسلمين » ، فقال له الباي : « نبني لك من الغد دارا على ما تريد ، ونشتري لك ما ترضاه من الدور ، وتكون ملكا لك ولابنائك ، وهذه الدار تبنى من الوقف » ، فقال له الشيخ : « ليس هذا من محاسن الاخلاق ، دار سكنّاها حتى سقطت ، لا نتركها لفائدة تخصني ، ليس هذا من الوفاء » ، فراجع الباي ، فاصر على مطلبه ، فأمر ببناؤها في الحين ، وخرج الشيخ بأهله واثاته ، وسكن بدار تلميذه الكاتب الوجيه ابي عبد الله

محمد المسعودي ، وأتاه تلميذه باهله وصبيته يخدمونه ، وسكن بدويرة صغيرة في سقيفة الدار ، وتكفل الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع بذلك ، فكان كثيرا ما يأتي بنفسه لينظر حال العملة ، عناية بالشيخ ، الى ان تم البناء في نحو شهرين ، ورجع الشيخ الى داره ، الى ان انتقل منها الى دار البقا ، والدار الآخرة خير وأبقى ، عشية يوم الاثنين ، ودفن صبيحة يوم الاربعاء التاسع عشر من شوال سنة 1218 ثمانى عشرة ومائتين والى (1 فيفري 1804 م) ، وقبره معروف ، قرب الامام ابن عرفة .

وانطلقت ألسن الادباء في مراثيه ، وكتب عليه من شعر تلميذه ابي العباس احمد زروق الكافي ، وبيت التاريخ :

وقال الورى قد مات علامة الورى فأرخ : يموت العلم ان مات صالح

[48 - محمد الطوير]

ابو عبد الله محمد بن عبد اللطيف الطوير القيروانى .

نشأ بين يدي أبيه المتقدم الذكر ، واخذ عنه العلوم ، وعن غيره من اعيان القيروان . وتقدم لخطبة الفتوى ، وكان وجيها فاضلا اديبا فقيها ، ما شئت من مكارم أخلاق ، على طيب أعراق .

ولم يزل على حاله المعهود ، الى آخر أنفاس الاجل المعداد ، في رجب من سنة 1219 تسع عشرة ومائتين والى (اكتوبر 1804 م) .

[49 - محمود الوزير]

الحاج محمود بن احمد الوزير الاندلسى .

نشأ هذا الوجيه في بيت نباهة من أعيان الاندلس ، يحفظ القرآن كغالب اهل بيته ، مقبلا على شأنه وتجارته ، بعيدا عن التصنع وشكركه .

وكان خيرا عفيفا ، معروف القدر ، محمود السيرة ، ذا وقار وهمة عالية ، حسن الوجهة مع الله تعالى ، الى ان توفي في رجب من سنة 1219 تسع عشرة ومائتين والى (اكتوبر 1804 م) ، وترك عقبا محمود السيرة .

[50 - مصطفى البارودي]

الشيخ المفتي مصطفى ابن الشيخ المفتي محمد البارودي .

ترجم له شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم بما نصه : « كان فصيحاً جيد القريحة ، أخذ عن والده ، وجمع سواه ، منهم العبد الفقير ، قرأ عليّ رُبْعَ « الدرر » الا ان المرض عرض له في حال صغره ، فعاق هلاكه عن الكمال . توفي أبوه وهو مريض ، فولّسي جميع وظائفه ، بعد ان كان ولّسي في حياته خطبة الجامع الباشي ، عوضاً عن اخيه المرحوم الذكي الزكي ابي عبد الله محمد .

ولم يزل به مرضه ، الى ان نقله غُصْنُ شباب ، الى التراب ، فتوفي الى عفو الله تعالى ليلة الثلاثاء سابع عشر (1) شعبان من عام 1219 تسعة عشر ومائتين والـف (20 نوفمبر 1804 م.) واعقب ابناً من نجباء الابناء ، يأتي خبره ان شاء الله تعالى .

[51 - عمر المرباط]

الحاج عمر المرباط القيرواني .

هذا الرجل من أمائل القيروان ، كان سرّاجاً ، وتعلق بخدمة اولاد الباي حسين بن علي ، وغرّبَ معهما ، وكان في الجزائر يخدم السروج ، ويأتي بربح عمله الى مخدومه محمد باي ، ما دام بالجزائر ، وقدم معهما لتونس ، ونال الخطوة ، وتولي بسوسة ، ثم نقل الى ولاية القيروان .

وسافر بركب الحجاج من القيروان في حدود سنة 1180 ثمانين ومائة والـف (1766/67 م.) ، وحصل بذلك شهرة وعناية ، اقتضت ان الباي حمودة باشا ، قدم ابنه لولاية القيروان ، في حياة ابيه ، وهو صغير .

ولما اراد توديع الباي ، قابله في اصطبل مراكيبه ، فقال له : « اختر فرساً من هذه الخيل » ، فاختر ما استحسنه ، ولما ناوله الطابع ختم عليه ، وقال له : « بلغه لابييك على هذه الحالة ، وافعل ما يأمر بك به » ، وهذا يدل على سنّه اذ ذاك .

وكان والده راجح العقل ، خيرا وجيها ، متأنيا متثبتا في الامور ، حنكته التجارب ،
خاطبا مودة اهل القيروان ، والتجيب اليهم بتعظيم اعيانهم ، وعيادة مرضاهم ، وتشجيع
جنائزهم ، وحضور ولائهم ، الى غير ذلك مما سمعته من ابنه ومن أبي .
وطعن في السن ، وقيدته الهرم ، ولم يزل على حاله الى ان توفي اواخر العشرة الثانية
من القرن الثالث عشر (اوائل سنة 1806 م) ، وله عقب بالقيروان ، تقلبوا في الخدمة ،
لو ساعدتهم الجدة .

[52 - حسونة بوكراع]

الفقيه حسونة بن محمد بوكراع .

هذا الفقيه من بيت نبيه في الحاضرة ، له مشاركة علمية ، لا سيما الفرائض .
تصدر للتوثيق ، وتقدم لشهادة الديوان ، وكانت من أنبه الخطط في تونس ،
ولصاحبها نوع امتياز في زيّه .
وكان وجيها خيرا ، فقيها فاضلا ، حسن الاخلاق .
ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في جمادى الثانية من سنة 1220 عشرين ومائتين
والف (اوت - سبتمبر 1805 م) .

[53 - أحمد بن الامين]

الشيخ احمد ويدعى حمادة بن الامين .

هذا الشيخ من أنبه بيوت الحاضرة . نشأ في عفة ولوع بالقرآن العظيم ورواياته ،
وتقدم في هذا العلم ، وحاز قصب السبق في مضماره ، مع مشاركة في غيره ، اذا زَيَّنَ صوته
ببلاغة آي القرآن ، خرّ السامعون الى الاذقان ، وخشعت القلوب ، وانفتحت الآذان .
وانكر عليه الشيخ صالح الكواش كيفية اعادة الكلمة من الآية ، لاختلاف
الرواية ، وهي طريقة يلجئ اليها طلب الاختصار في التعليم ، وبالغ بالانكار عليه ،
ووقف رافعا صوته بذلك في الجامع ، فلم يكثرث بانكاره ، واستمر في درسه على طريقته
وطريقة امثاله ، من علماء التجويد ، هذا ، والجامع غاص بالمصلين وقت الظهر .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها طلق المحيا ، حسن الاخلاق ، ذا سكينه ووقار ، واقتفاء
لنهج الاخيار .

ولم ينزل على حاله ، الى آن منيته وانتقاله ، في ذي القعدة من سنة 1220
عشرين ومائتين والـف (جانفي - فيفري 1806 م) .

[54 - حمودة باكير]

الشيخ الامام حمودة باكير .

هذا الفاضل من مشايخ الباى أبى محمد حمودة باشا ، وإمامه وإمام أبيه .
أخذ عن أعلام ، ودرس بالجامع الأعظم ، وله في العلوم اليد الطولى . وعاق الناس عن
الانتفاع بعلومه سكناه بباردو للقيام بخطة إمامة الخمس ، ورواية صحيح البخاري ، في كل يوم .
وكان فاضلا عفيفا ، عالي الهمة ، مرموقا بعين الاجلال والتعظيم ، بعيدا عن التصنع .
سمعت من ابنه الشيخ الفقيه ابى الثناء محمود ان فقهاء الحنفية يأتون اليه في موسم العيد ،
فاذا رأى احدا منهم غير مكترث بشارات زيّه ، يسأل ابنه عنه ، وعن درسه ، ولا يسأل
عن المتصنعين في اللباس ، فقلت له : « لِمَ تسأل عن اولئك ، ولا تسأل عن هؤلاء ؟ » ،
فقال : « هؤلاء ذلك مبلغهم من العلم ، واولئك يرجى خيرهم ، لان هممهم مصروفة الى
التقدم بالمعارف ، لا باللباس والزّي ، فالمرء لا يعرف ببرده ، كالسيف لا يعرف بغمده » .
ولم يزل على اخلاقه الزكية ، ورتبته العلية ، الى ان لبى داعي المنية ، في الخامس
والعشرين من ذي الحجة سنة 1220 عشرين ومائتين والـف (الاحد 16 مارس 1806 م) .
وشهد الباى وآل بيته جنازته ، وحملوا نعشه الى قبره ، شأن التلميذ البارّ مع الشيخ المربيّ
الناصح . وحزن الباى وبكى لفراقه مثل والده .

[55 - محمد العيوني]

الشيخ الامام الحاج محمد العيوني .

هو من رجال السعادة ، بحلّتي العباداة والافادة . وكان يجلس للتدريس ، مثل
جلوسه للتشّهّد ، أدبا مع العلم . غلب عليه طريق القوم في التصوف ، وانفتحت له
ابواب التعرّف ، وكاد ان لا يرى في الوجود ، غير الواحد الموجود ، واطبقت الكافة على
التبرك به ، وطلب الدعاء منه .

تقدم اماماً ثالثاً بالجامع الاعظم ، بعد وفاة الشيخ الطويبي ، ولم يخطب الا خطبة واحدة ، أنابه فيها الشيخ عمر المحجوب الامام الثاني ، وبعدها تغيب مدة ، ثم ظهر ، وتعظم به الجذب ، وقاده الى الانفراد تارة ، والى السياحة اخرى ، حتى لحق بالرفيق الاعلى وذلك في سنة 1220 عشرين ومائتين والـ (1805/06 م). رحمه الله .

[56 - أحمد النفاتي]

الشيخ ابو العباس احمد المدعو بالحاج حميدة النفاتي .

اصل هذا الشيخ من بيت علم وفضل وجاهة ، وتقلب بنوه في الخطط العلمية من القضاء والفتوى والامامة والتوثيق .

ونشأ صاحب الترجمة على سنن سلفه ، وله في العلم بضاعة كافية . وتقدم للامامة بجامع التبتانيين المعروف بجامع الخطبة وجامع النفاقة ، لكثرة من وليه في بيتهم .

وكان خيراً ، تقياً عفيفاً ، فقيهاً فاضلاً ، معتقداً ، تحفظ عنه الكرامات . سمعت من أبي انه زار هذا الشيخ ، فقال له : « ان اهلك حامل ، وستلد ولداً اسمه احمد » ، فظهر بوالدتي الحمل ، وسماني باسمه تبركا ، والاعمال بالنية ، والله المبلغ للأمنية .

ولم يزل هذا الشيخ في أطوار إسعاده ، الى ان دعت المنية لمعاده ، ثالث محرم فاتح سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والـ (الاحد 23 مارس 1806 م) ، رحمه الله تعالى .

[57 - عبد اللطيف القصار]

الشيخ عبد اللطيف القصار .

هذا البيت من اعيان بيوت الحاضرة الذين لهم ذكر في التواريخ والتأليف العلمية ، كبيت الرضاع ، وبيت القلشاني ، وبيت العصفوري ، وبيت الغماد ، وامثالهم .

وتداول بنو هذا البيت الخطط بالجامع الاعظم ، بعد ان تداول سلفهم الخطط العلمية ، ووصل صاحب الترجمة الى رتبة المزاو اي المباشر لازالة ما يقع بالجامع الاعظم ، مما لا ينبغي ، وهي من الخطط النبيلة في الحاضرة ، وصاحبها محتسب الجامع على القراء والمؤذنين ، وسدنة البيت ووكلاء احباسهم ، يتزياً بزري الائمة ، وهو الذي يخرج أمام الامام يوم الجمعة ، ويناوله الرمح ، ويبقى واقفا الى ان يجلس الامام على المنبر ، وهو

الذي يقيم الصلاة في اليوم . واهل هذه الحاضرة ، عمرها الله تعالى ، يتشرفون بخطوط هذا الجامع على اختلافها ، من غير نظر لفائدة دنيوية ، ويتنافسون في وراثتها تنافسهم في ارث الحُطام الدنيوي ، من الآباء والجدود .

وكان صاحب الترجمة فاضلا تقيا ، خيرا وحيها ، معدودا في الاعيان ، له مشاركة علمية ، ووقوف في أحوال الجامع ، ذا وقار ، الى ان توفي في محرم من سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والـ (مارس - افريل 1806 م) ، فقام ابنه ابو الثناء محمود مقامه ، وجرى على سنن ابيه ، وكان غرّا كـ يما ، والمؤمن غر كريم ، بعيدا عن التصنع . رأيت بزيّ الأيمة يوم الختم ويوم العيد .

ولما توفي قام اخوه ابو عبد الله محمد الطاهر مقامه ، على صغر سنه ، وسلمت له هذه الرئاسة ، وهو الآن من أعيانها ، وفرسان ميدانها ، وألزمه امير العصر ، وكالة الجامع ، فامتنع كل الامتناع ، وقال : « لا نسلم في خطتي بالجامع » ، ثم ألزمه الامير ان يقبل التوكيل ، ويبقى على خطته الاولى ، وهو الآن بها ، كثر الله من امثاله .

[58 - محمد الاصرم]

ابو عبد الله محمد الاصرم .

اصل هذا البيت من القيروان ، ونسبهم في قبائل الفتح من اليمانية . وخرج صاحب الترجمة هو واخوه مع اولاد الباي حسين بن علي الى الجزائر ، ورجعا معهم ، وتقلبوا في الخطط العالية .

فأما أخوه وهو ابو العباس احمد الاصرم ، المشهور الذكر في الفضل والادب ، و« التاريخ الباشي » مشحون باشعاره ، فتقدم لرئاسة قلم الانشاء ، وألقاب الوزارة . ولما اقبلت عليه الايام ، جاءه داعي الحمام ، وهو على حالة العز والاحترام .

وصاحب الترجمة تقلب في الخطط النبيلة ، كولاية صفاقس ، وله فيها اثر تقدم خبره ، وارسى امره الى ان صار خوجة عسكر زاوة ، وهي من الخطط المشار الى صاحبها ، اذ هو المتصرف في احوال زاوة .

وكان خيرا فاضلا ، وحيها نصوحا ، انفق جاهه في ابواب الخير ، حنكته التجارب ، لا يستغنى مخدمه عن رأيه . وكان الباي حمودة باشا يعرف له فضل التقدم مع ابيه .

ولم يزل على حاله وجلالته المعلوم ، الى ان اتاه الاجل المحتوم ، في الخامس والعشرين من صفر سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والـف (الاربعاء 14 ماي 1806 م) . وله ابناء احيوا ذكره ، يأتي خبرهم في موضعه ، ان شاء الله تعالى .

[59 - أحمد البكاي]

ابو العباس الشيخ احمد البكاي .

كان فقيها ، خيرا عفيفا ، له ملكة في العلوم . وتصدر للتدريس والامامة بجامع سيدي البلاغ بالحلفاوين ، يقرىء به مبادئ العلوم ، وانتفع بدروسه اعيان منهم شيخنا أبو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وكان يقصد نفع العامة والمبتدئين بدروسه . ولم يزل على حاله متزودا لمآله ، الى حين انتقاله ، في شعبان من سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والـف (اكتوبر - نوفمبر 1806 م) .

[60 - عمر المحجوب]

العلامة القاضي ابو حفص عمر ابن العلامة قاسم المحجوب الشريف .

نبغ هذا الذكي من بيت علم وشرف ، واخذ عن والده امام العصر ومرجع الفقه المالكي ابي الفضل قاسم المحجوب وغيره .

يحكى انه بحث مع والده بحثا متجها ، فرد عليه اخوه ، وكان أسنّ منه ، فقال ابوهما : « إرتاح يا سيدي محمد ، والله انه على صغر سنه ، اذكى منّي ومنك » ، وصارت مثلا يضرب لكل من يزاحم من فوقه .

وبرع في المعقول والمنقول ، والادب ، وتصدر للتدريس ، والقي النفيس ، وانتفع به اعلام كشيخنا العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وكان يطيل الثناء عليه ، آية الله في علم التوثيق والادب .

تقدم اماما ثالثا بالجامع الاعظم مع الشيخ الطويبي ، ثم تقدم لخطبة القضاء ، ومع ذلك يكتب للباي ما يحتاجه في مهمات الانشاء ، وخطاب الملوك ، اذ لم يكن يومئذ كاتب بارع سواه .

ولما توجه شيخنا سيدي ابراهيم للسلطنة الشريفة بالمغرب سفيرا عن الباي ابي محمد حمودة باشا في طلب الميرة ، طلب منه الباي ان يكتب على لسان الحال لصاحبه الشيخ ابن شقرون من اعيان تلك الدولة ، بما نص المقصود منه ، بعد صدر بليغ : « ونهني اليكم ، وصل الله حفظكم واسعادكم ، ووفر من كراماته امدادكم ، واطال فيما يزلفكم لديه آمادكم ، وجعل في ذات الله محبتكم واعتقادكم ، أننا لم نظعن عن معاهد المودة ، ولم نبرح عن الثناء على مقامكم من تلك المدة ، ونسائل عنكم الركبان القادمين الينا ، ونبحث عن انبائكم السفر المجتازين علينا ، رعا لا واشج العلم والادب ، ومبرة للسلسلة التي هي اصح من سلسلة النسب ، فنتشني من اخباركم بما ينشط القلوب والالباب ، ويستخلص من الحمد والشكر خالص اللباب ، وانتم بحمد الله على الحالة التي يرتضيها كمالكم ، وتبتسم بالاعجاب بها آمالنا وآمالكم ، تحت (1) الايالة التي ندعو الله تعالى ان لا يقلص عن المسلمين ظلالها ، وان يسوغكم زلالها . والى هذا نعرفكم ، عرفكم الله عوارفه ، واسبغ عليكم من الفضل مطارفه ، ان حضرة افريقية حاطها الله بعنايته الكافية ، واسبغ على اهلها رداء العفو والعافية ، قد أعوزها الخصب في الاعوام المنفصلة ، وتوالى عليهم الجذب في سنين متصلة ، لا سيما هذه السنة الشهباء ، فانها تلونت لاهاليها تلون الحربا ، وما كشفت النقاب عن عوارها ، ولا اوضحت لهم مكنون إعسارها ، لكون الزرع قد استغلظ واستوى على سوقه ، ولاحت لهم من المخصب واضحات بروقه ، فما راع القوم الا لإخلاف انوائها ، وتجهم اشد من الصحو لسمائها (2) ، قضاء من الله مقدر ، وحكما سابقا في أم الكتاب مدبرا ، ولم يجد القوم ملاذا من هذا الامر ، ولا مفزعا الى ان يكشف الله سبحانه عنهم هذا الضر ، الا ان اوفدوا الانفار المذكورين اعلاه للمشور الافخم ، والنادي الاعظم ، حضرة مولانا السلطان الشريف ، ذي القدر المنيف ، أعز الله تعالى سلطانه ، وحرس بعين العناية أرجاءه واركانه ، وهولاء القوم ، وان كان بأيديهم مكتوب من اميرنا الباشا ، ايده الله تعالى ، في طلب ابتياع الميرة ، من ممالك مولانا السلطان ، نصره الله تعالى ، الا انهم في الحقيقة وفد هذا الرعيل من جمهور المسلمين ، أوفدوهم على حضرة مولانا السلطان ، ممتارين قائلين : « مَسَّنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، ولا جرم انهم أصابوا المرمى

(1) كذا في خ و ع و ق .

واستبصروا ، حين فزعوا لحضرة مولانا السلطان وانتصروا ، وبهمته العالية على القحط استنصروا ، وارسلوا الانصار المذكورين ، وفودا لطلب الميرة وانتظروا ، ونعرفكم بان الاول منهم ، وهو الفقيه المتفزن البارح ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي من نجباء الطلبة الذين اخذوا عنا ، وميزه تحصيله بمزيد الوصية عليه منا ، ولعلكم ، ان شاء الله ، اذا بلوتم نجابته ، واستنفضتم كنفاته ، تحمدون في العلوم ذكائه ، وترضون توغله في معارجها وارتقاءه ، لكنه ربما يتعسر عليه ، فيما هو بصدد سفارته ، الانتاج ، ويجهل في علله الادواء والعلاج ، فالمطلوب من مقامكم ، ووافر عزكم واحترامكم ، ان تكون لهؤلاء الوفد معيناً ، وان تقر لنا ولهم بمعونتك عينا ، وتهديهم للظفر بالمقصود سواء السبيل ، وتوضح لهم كيفية الانتاج في هذا الامر على التفصيل ، حتى تترتب لهم الاقيسة المنتجة ، وتفتح لهم الابواب المرتجعة ، ولكم مزيد الدعاء بألسنة الخصوص والعموم ، والثناء بدلالة المنطوق والمفهوم ، والثواب الجزيل في اصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف .

والله سبحانه وتعالى يبيقيكم ، ومن طوارق الزمان يقيكم ، ولا زال ظل مولانا السلطان ممدودا ، وإرفاده محمودا ، وقطره مقصودا ، وبره معمودا مصمودا ، بمنه وكرمه . انتهى .

وكان فارس المنبر ، وجلى في الخطب من انشائه ، بما يقتضيه حال الوقت . وكان امير العصر معجبا بخطبه في فصاحتها وبلاغتها ، وحسن إلقائها المؤثر في القلوب ، وكاد ان لا يصلي الجمعة الا خلفه .

وبين صاحب الترجمة والوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع مودة وثيقة ، يشاكيه بما يلاقه من العزبة ، فاقتضى نظر الشيخ انشاء خطبة بليغة ، ذكر فيها وعيد العضل ، وغير ذلك مما ينادي بلسان الحال على الباي حمودة باشا بسوء ما ارتكبه من منع بطانته من التزوج ، اثارا لمصلحة خدمته على مصلحتهم ، وعلى المصلحة العامة ، ومباهاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأتمته يوم القيامة ، فحرك ذلك غضب الباي ، وكاد ان يقوم قبل الصلاة ، لولا أناة فيه ، قيدت طبيعة غضبه ، فأسرّها في نفسه ، وتوالت على الشيخ الامراض ، وقيدته عن الاغراض ، ومنها خطة القضاء ، فاختر لها شيخنا ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وفر منها كما سيأتي ان شاء الله تعالى ، وذلك في صفر سنة 1221 (افريل - ماي 1806 م.) ، قبيل وفاة الشيخ .

وكان هذا الامام علما في سائر الفنون ، عزيز المنازع ، عظيم الادراك ، ماضي القلم . ورسالته المتقدمة في الرد على الوهابي (1) ناطقة بذلك ، عالي الهمة ، صحيح البديهة ، حسن الاخلاق ، وفيها طامحا لقنن المعالي .

ولم يزل في شرف نفسه وذاته ، الى آخر نفس من حياته ، وذلك موفى محرم من سنة 1222 اثنتين وعشرين ومائتين والـف (الخميس 9 أفريل 1807 م) ، بجبل المنار ، وجيء به لتربة آله بالجلالز .

وترك ابنا له ذكر حسن . وكتب على قبره من إنشاء الشيخ ابي زيد عبد الرحمان الكامل ، نظم عزيز ، مطلعته :

قف واعتبر فهنا ترى الانبياء جاءت به عن صخرها الخساء
وسمعت ترجمة هذا الشيخ من العلامة الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، ومن والدي ، رحمهما الله ، وغيرهما .

[61 - رجب بونمرة]

نشأ هذا الرجل في الخدمة الملكية ، وترقى في سلمها الى ان صار كاهية الوجيه التونسي ، وقاد الجنود ، وخفقت عليه البنود ، واستكفى به الباي حمودة باشا في المهمات لشجاعته ، وثقوب فكره .

وكان من رجال نأديه في المشورة ، وهو الذي عارضه حين أراد السفر بنفسه لقسنطينة ، كما تقدم . وأصابه فالج في آخر عمره ، منعه النطق ، ومع ذلك لم يستغن الباي عن مشورته ، ويعجبه بالكتابة .

ولما أقعده العجز ، ولزم كسر البيت ، استشاره الباي فيمن يوليه عوضه ، اذ لا بد للخطبة من مباشر ، فإشار عليه بولاية ابي عبد الله محمد الخداسي من خاصته في الشواش ، فأولاه . وكان كريما وجيها ، عربي السجايا ، بارع الفطنة ، عارفا بمواضع الشدة واللين في السياسة ، ذا همة .

ولم يزل في فراش مرضه ، مؤفَى الجراية طبق غرضه ، الى ان توفي في جمادى الثانية من سنة 1222 اثنتين وعشرين (اوت - سبتمبر 1807 م) .

(I) انظر ص 64 من الجزء الثالث .

[62 - سليمان كاهية الاول]

ابو الربيع سليمان كاهية الاول .

أصل هذا الرجل من أرض القرج ، وهو من خواص ممالك الباشا علي باي بن حسين ، وخدم ابنه ، وترقى الى ان صار كاهية المحال ، وباشر في أسفاره رحلة الشتاء والصيف ، وتمرن في ذلك الى أن سافر بالمحلة لقسنطينة ، وانما تقدم لسنه فقط ، والا فهو غير مضطلع بما يلزم من التدرع للعظام . ولما قدم منهزما ، كما تقدم ، أكبره الباي عن العقوبة ، ثم جعله كاهية بدار الباشا ، ليعيش بمرتبها .

وكان خيرا عفيفا ، مراقبا لله ، ذا غفلة ، يثق بكل احد ، بطيء الفهم ، مقيّد اللسان بالعُجْمَة ، وعلى كل حال فهو من اهل الخير ، والمؤمن غر كريم .

توفي بعد أشهر من رجوعه ، في الحادي والعشرين من رجب سنة 1222 اثنتين وعشرين ومائتين والـف (الخميس 21 سبتمبر 1807 م) .

[63 - أحمد بو عبده]

الشيخ الفقيه ابو العباس احمد بو عبده الحنفي

أصل هذا الشيخ من أبناء الجند ، وكان مطبوعا على حب العلم من صغره ، أخبرني تلميذه ابو الفضل قاسم بن عاشور ، أن والده يمنعه من القراءة ، ويحُضّه على التكسب ، وأعمته الحيلة في ذلك ، فحمّله معه الى نوبة العسة بجزيرة ، ولما وصلها هرب الى دروسه بتونس ، وكتبه الآغة بشهادة ابيه في جريدة الهاربين ، وكان ذلك ايام الباشا علي باي بن محمد ، وكان شديدا في ذلك ، فبعث له غاصبا أقامه من الدرس ، ولما حضر لديه ، رآه صغير السن ، فقال له : « لِمَ تهرب من الخدمة ؟ » ، فقال له : « يا سيدي أتيت الى دروسي ، وانا بين يديك » ، فالتقى عليه مسائل في النحو والفقه ، فأحسن الجواب ، واعجب به ، ووصله بدراهم يشتري بها كتباً ، وأمره بالانصراف لدرسه ، وسرحه من الخدمة ، وقال له : « اقدم اليّ ان احتجت لشيء » ، فثابر على القراءة ، ووصل الى درجة التحصيل ، وتصدر للتدريس ، فانتفع به اعيان ، وتقلب في الخطط العلمية ، كالامامة والتدريس .

وكان خيرا عفيفا ، متواضعا حريصا على نفع الناس ، بتدريس مبادئ العلوم .
ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في العشرين من ذي القعدة سنة 1222 اثنتين
وعشرين ومائتين والف (الثلاثاء 19 جانفي 1808 م) ، رحمه الله .

[64 - محمد السقا]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن علي بن محمد
ابن عبد السلام السقا .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وعفاف ، وصيانة وديانة وامانة ، فآخذ العلم عن اعلام
الحاضرة كالشيخ صالح الكواش ، والشيخ الشحمي ، والشيخ محمد بن قاسم المحجوب ،
والشيخ محمد الهدية ، وغيرهم . وحصل المعقول والمنقول ، وعد من الفحول ، وزان الخطط
العلمية ، وتقدم اخطه القضاء بسوسة ، فلاحت المعدلة وبانت ، وظهرت الحقوق الشرعية لاهلها
حيث كانت ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، حتى انه حكم على والده بالسجن في حق للغير .
واستأذن لاداء فريضة الحج ، ولما رجع استقال من الخطه ، فلم يقبل منه لتعينها
عليه شرعا ، فتدرع جنة الصبر .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا ورعا ، عالما فقيها ، محققا حافظا ، قوي العارضة صحيح
الاستنباط ، ذا همة عالية واعراض عن الدنيا ، محببا الى الناس ، وهم شهداء الله في خلقه ،
عظيم الهيبة ، مقصودا للدعاء .

ولم يزل في معارج الارتقاء ، الى ان رحل الى دار البقاء ، في التاسع عشر من محرم 1223
ثلاث وعشرين ومائتين والف (الخميس 17 مارس 1808 م) ، وخلف عقبا نسج على منواله ،
وتابعه في حميد خلالة ، رحمه الله تعالى .

[65 - قاسم الرصاع]

الشيخ ابو الفضل قاسم الرصاع .

نشأ هذا الفقيه في بيته المشهور ، ونسبه في الانصار ، ولآله عراق في الحاضرة التونسية ،
من لدن الدولة الحفصية ، وتسنى ذرى الخطط العلمية ، من فتوى وقضاء وامامة وعدالة ،
ومنهم مؤلفون ، ولهم ذكر في كتب التاريخ .

وجرى هذا الفاضل على سنن سلفه ، وله في الفقه والفرائض معرفة جيدة ، وتولى قضاء الفريضة ، وهي الشهادة على بيت المال .

ولم يزل في ظل نسبه وحسبه ، مع ما ينقل من حسن أخلاقه وأدبه ، الى ان توفي في السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة 1223 ثلاث وعشرين ومائتين والـف (الخميس 21 جويلية 1808 م) ، عليه رحمة الله .

[66 - محمد برتقيز]

ابو عبد الله محمد بن حمودة
ابن يوسف بن محمد بن سليمان بن عبد الله برتقيز .

جده الاعلى عبد الله هو الذي هاجر الى الدين الاسلامي ، وجده يوسف ، ويدعى بالامام الزغواني ، وبرتقيز ، هو الذي رحل في طلب العلم ، فاستفاد وافاد ، وهو الذي اصطفاه الباى ابو عبد الله حسين بن علي لامامته ، وقدمه للخطط العلمية كالفتوى والخطبة ، واقبل عليه ، وقربه نجياً .

وله من التأليف شرح « القدوري » في الفقه الحنفي .

ولما آلت الدولة اعلى باشا بن محمد قتله خنقا ، لما يعلم من مكانته عند عمه ، ذكر ذلك شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثاني ، في شرح نظمه للمفتين من الحنفية . ونشأ صاحب الترجمة في بيت مجده ، فقرأ العلم واستفاد . وكان فقيها خيرا ، معدودا من الاعيان ، توفي سنة 1224 اربع وعشرين ومائتين والـف (1809/10 م) ، على ما اخبرني به بعض آله ، وله عقب الى الآن ، معدودون من النجباء ، رحمه الله تعالى .

[67 - علي بوزغاية]

ابو الحسن علي بوزغاية .

أصل هذا الرجل من أرض القرچ ، ونشأ في الخدمة الملكية مع اخيه اسماعيل كاهية الشهير الذكر ، المتقدم خبره . وترقى في مدارج الخدمة الى ان صار باش آغه ، وناب في خطة دار الباشا ، بعد وفاة سليمان كاهية الاول .

وكان خيرا صادقا ، امينا عفيفا ثقة ، الى ان توفي في جمادى الاولى من سنة 1224 اربع وعشرين ومائتين والـف (جوان - جويلية 1809 م) ، رحمه الله تعالى .

[68 - علي الآجري]

ابو الحسن الشيخ علي بن تاج القفصي الآجري .

نشأ هذا الفاضل بقفصة ، وكانت في القديم دار علم ، وحفظَ بها القرآن ، وحصل ملكة ، ثم ارتحل في طلب العلم ، فحصل ملكة قوية في العلوم الشرعية ، وتولى رئاسة المفتين ببلاده .

وجرت له محنة سببها ثروته . أغرمه الباي حمودة باشا خمسين الف ريال ، وأمر القايد بخلاصها منه ، فتفنن في تعذيبه ، وربطته بنخلة واقفا ، ومنعه الماء ، ولما كاد ان يموت ، أجمع اهل بلده على كفالته ، واعانوه في دفعها . ثم جاء الى تونس يتكفف ، فأسكنه الباي في مدرسة باردو ، واجرى له ما عاش به ، وأمره ان ينسخ له تاريخ ولي الدين ابن خلدون ، وجمع له نسخا جميعها محرفة ، وهو الذي اصلح تحريفه ، ثم رجعه الباي الى بلاده وخطته . وكانت عادة وفود الجريد في كل عام ان الباي يدخل أولا أهل المجلس الشرعي ، ويسألهم عن حال العامة ، وسيرة العمال فيهم ، فيجيبونه ، ثم يأذن لاعيان العامة بالدخول ، من لدن بني ابي حفص ، فكان هذا الشيخ اذا سأله الباي عن العامل ، يقول له : « والله اني أبغضه ، ولا أكلمه الا بين يديك ، ولي معه موقف بين يدي الله تعالى ، ومع ذلك هو أحسن للرعية من غيره » .

وكان هذا الشيخ فقيها متبحرا ، حافظا قوي العارضة ، صادعا بالحق ، لا يفتر عن تلاوة القرآن من حفظه . رأيت وأنا في سن الاثغار ، لانه كان صاحب لابي لما كان بقفصة .

ولم يزل على حاله ، في أردية خلاله ، الى ان توفي سنة 1225 خمس وعشرين ومائتين والـف بقفصة (1810/11 م.) رحمه الله تعالى .

[69 - محمد ماضور]

الشيخ ابو عبد الله محمد ماضور الاندلسي .

أصل هذا الفاضل من أفاضل الاندلس ، الفارّين بدينهم ، وولد بسليمان ، من بلدان الاندلس ، وكانت تسمى وقتئذ بنت تونس . وقرأ بها القرآن العظيم ، وهاجر لطلب العلم بالحاضرة ، فأخذ عن اعلام من أئمة الاسلام ، وتصدر للتدريس بها ، ثم حن لمسقط راسه ، ومعهد إيناسه ، وتقدم اماما بجامع سليمان ، و [الى] خطة القضاء .

وكان عالما فقيها أدبيا ، ذا فهم سديد وفكر ثاقب ، خيرا عفيفا ، تقيا عالي الهمة .
ولشعره ديوان معروف .

ولم يزل معظما مكروما ، نبيه الشأن ، الى ان لبى داعي الرحمان ، في ذي الحجة من
سنة 1226 ست وعشرين ومائتين والف (ديسمبر 1811 - جانفي 1812 م.) عليه رحمة الله تعالى .

[70 - محمد المختار المنكبى]

ابو عبد الله محمد المختار المنكبى .

أصل هذا الفقيه من أشرف باجة وبيوتها .

ونشأ صاحب الترجمة في الحاضرة ، وقرأ على اعيانها ، وانتظم في ثقات عدولها ،
وتقدم لخطبة القضاء بباردو ، وسلم فيها ، وكان فاضلا فقيها ، عفيفا نزيها ، مرموقا بعين
الاجلال محببا الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، في أواخر ذي الحجة من سنة
ست وعشرين ومائتين والف 1226 (اواسط جانفي 1812 م.) رحمه الله تعالى .

[71 - علي البكري]

ابو الحسن الشيخ علي بن بلغيث البكري .

نسب هذا البيت في صميم قریش ، من بني أمية ، وقبر جدهم الاعلى معروف في
المنيهلة من غابة تونس . وتداولوا امامة الجامع الاعظم ، مائة ونيفا وتسعين سنة ، منهم من
تقدم باستحقاق ، كأولهم تاج العارفين ، وامثاله ، ومنهم من تقدم بمجرد النسب البكري ،
كهذا الشيخ ، وسمعة دارهم في هذه الحاضرة ، لا تكاد تخفى ، وكان لزاويتهم من
الثروة ما اعانهم على المروءة ، ونعم العون على المروءة الجدة . ولهم صدقات جارية ، وكرم
مبدول ، واهل الحاضرة يومئذ يعظمونهم ، ويتغافلون عن مساوئهم . وكانت لزاويتهم
عروش كالمواطيس والحسنة وزباد ، يستقلون برئاستها وزكواتها . يحكى ان يونس باي
لما مر في طريق خروجه عن ابيه الى القصبة بدارهم ، ورأى امامها الخيل المسومة ، وآثار
النعمة ، ونضارة العيش ، وجمال اقبال الدنيا ، تمنى أنه من ابناء الزاوية البكرية ، فقيل
له في ذلك ، فقال : « شاركونا في لذة العيش ، واستأثروا عنا بلذة الامن » .

ولم يزل هذا البيت في تراجع ونقصان ، شأن عادة الزمان ، وهذا الشيخ هو نفاضة
جراب البيت ، وكان مغفلا ، محجورا عليه ، ادركته وانا طفل ، لان دارنا يومئذ في

جوارهم ، يخشى حاجره ابا العباس احمد النوي ، لانه يمنعه من الخروج ، ستر حالته ، اذ كان لا يحسن الخطاب ، فضلا عن الكتابة والقراءة ، يحضر رواية الحديث بالجامع ، ولا يفوه ببنت شفة ، والاعلام بين يديه ينوبونه في القراءة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في بستانه بمرناق ، وأتي به لتونس في الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والـف (الثلاثاء 2 جوان 1812 م.) ، ودفن بزاويتهم ، وخرجت امامة الجامع من يومئذ من آل البكري ، الى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسبحان من لا يحول .

وبعد كتبني لهذه الترجمة ، أطلعني صاحبنا العلامة النحرير المفتي الماجد الشريف ابو عبد الله محمد الطاهر بن عاشور على تقييد بخط شيخ شيوخنا العلامة الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، ذكر فيه ما علم من أئمة الجامع عمره الله ، من لدن ابن عرفة الى هذا الشيخ ، رأيت إلحاق مضمونه بهذه الترجمة باختصار ، ولا يخلو من فائدة ، قال في فاتحته :

**

هذا برنامج المقدمين للامامة والخطابة بالجامع الاعظم من تونس ، أمنها الله تعالى ، من لدن الشيخ الامام ابن عرفة فمن بعده ، على ترتيب في الوجود ، مع بيان تاريخ وفاة من اتصل بنا علم تاريخه .

I — ابن عرفة

الشيخ الامام شيخ الاسلام ، علامة الدنيا
وحائز قصب السبق في الفنون بلا ثنيا العابد الصوم القوام
مجد المائة الثامنة ابو عبد الله محمد ابن الشيخ
العالم الصالح المتبرك به ، جار الله سيدي محمد ايضا شهر
ابن عرفة الورغمي التونسي

ولي الامامة بعد وفاة الشيخ ابي اسحاق ابراهيم البسيلي ، واستخلف في ايام سفره في الامامة والفتوى تلميذه القاضي الغبريني ، وفي الخطابة الفقيه ابا عبد الله محمد البطري ، واستمرت الامامة والخطابة الى وفاته ، رضى الله عنه ، في الرابع والعشرين من جمادى سنة 803 ثلاث وثمانمائة (1400 م.) وعمره سبع وثمانون سنة واشهر ، وله التصانيف المفيدة ، في فنون عديدة . رحمه الله تعالى .

II — الغبريني

تلميذه شيخ الاسلام ، علم الاعلام ، قاضى الجماعة ، وحافظ المذهب الصالح ، احد قضاة العلم والعدل ، الجامع بين العلم والعمل ، شيخ الشيوخ ابو مهدي سيدى عيسى الغبريني ، المتقدم ذكره .
ولى الامامة والخطابة بعد وفاة شيخه الامام ابن عرفة ، الى ان توفى فى 27 ربيع الثانى سنة 815 خمس عشرة وثمانمائة (1412 م) ، على الاصح .

III — البرزلى

تلميذه ايضا ، شيخ الشيوخ ، واستاذ ذوى الفضل والرسوخ ، احد ائمة المذهب ، سيدى ابو القاسم بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن المعتل البرزلى البلوى القيروانى ثم التونسى ، صاحب النوازل المشهورة احد كبراء تلامذة الامام ابن عرفة .
ولى الامامة والخطابة عوضا عن الغبريني المذكور ، واستمر الى وفاته فى 15 ذى القعدة سنة 843 ثلاث واربعين وثمانمائة (1439 م) ، وقيل اربع واربعين ، وعمره مائة وثلاث سنين ، ودفن بالجلاز ، عليه رحمة الله تعالى .

IV — أبو القاسم القسنطيني

الامام العلامة فريد دهره ، وحجة عصره ، قاضى الجماعة ، شيخ الشيوخ ، الحجة جامع شتات العلوم ، القاضى ابو القاسم القسنطيني ، احد تلامذة الغبريني .
ولى عوضا عن البرزلى الى ان توفى قتيلا فى 17 صفر سنة 846 ست واربعين وثمانمائة (1442 م) ، ضرب بمغروس عند سلامه من صلاة الصبح ، وهو على سجادة عند باب البهور ، فقتل ضاربه فى الحين ، تحت صومعة الجامع ، والقى خارج المسجد ، فكتب الشيخ وصية ، ومات بعد قتل قاتله . يقال ان ذلك ناله بسبب حكمه ، رحمه الله تعالى .

V — القلشاني

الشيخ الامام العلامة المحقق ، النظار الحجة ، تحفة الوقت وفريدة العصر ، قاضى الجماعة ابو حفص عمر ابن الشيخ الامام الصالح القدوة القاضى ايضا ابى عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابى محمد القلشاني الباجي ، من باجة تونس ، صاحب شرح « الطوالع » ، و « مختصر ابن الحاجب » .

ولى عوضا عن ابي القاسم القسنطيني المتقدم ، خطيبا فقط ، وولى معه
الامامة الشيخ الفاضل محمد المسراتي القيرواني ، الى ان توفي بالطاعون في
24 رمضان سنة 847 سبع واربعين (1444 م.) وقيل ثمان واربعين وثمانمائة ،
رحمه الله تعالى .

VI — المسراتي

الشيخ الفقيه المدرس ، العلامة الفاضل ، محمد المسراتي ، امام الصلاة
المتقدم ، رجعت لامامته الخطابة بموت القاضي القلشاني ، توفي في 18 شوال
سنة 850 خمسين وثمانمائة (1447 م) ، رحمه الله تعالى .

VII — ابن عقاب

شيخ الاسلام العلامة الحجة ، المحصل المحقق ، العارف الناقد النظار ،
صاحب الاجوبة المفيدة ، والتحقيقات البديعة ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن
ابراهيم بن عقاب الجذامي التونسي ، قاضيها وامامها وخطيب الجامع الاعظم بها ،
وشيوخ المدرسة المنتصرية بحدثان بنائها ، من اذكيا اصحاب الامام ابن عرفة .
ولى امامة الجامع وخطبته عوضا عن المسراتي المتقدم ، الى ان توفي في
17 جمادى الاولى سنة 851 احدى وخمسين وثمانمائة (1447 م.) ، رحمه الله .

VIII — الونشريسي

الشيخ الامام الزاهد الورع ، العابد الصالح المحقق ، ابو عبد الله سيدي
محمد بن ابي بكر الونشريسي المغربي ، عدله الشيخ ابو مهدي الغبريني ،
وجمع بين خطبة الجامع وامامته ، بعد ابن عقاب .
وكان من الصالحين المحبين للخمول ، توفي رحمه الله تعالى ونفعنا به
عصر يوم الاربعاء خامس ربيع الثاني سنة 853 ثلاث وخمسين وثمانمائة
(1449 م.) ، رحمه الله ورضي عنه .

IX — البحيري

الشيخ الامام نخبة الزمان ، العلامة الراوية الرحلة ، ابو محمد عبد الله
ابن سليمان البحيري ، قاضي الانكحة بتونس .
ولى الخطابة فقط ، بعد الذي قبله ، وقدم معه للامامة الفقيه ابو الحسن
الليحاني .
توفي البحيري في 5 ذي القعدة الحرام سنة 858 ثمان وخمسين
وثمانمائة (1454 م.) .

X — سيدى احمد القلشاني

الشيخ الامام حافظ المذهب ، وامام المغرب ، المؤلف التحرير ، صاحب الصيت الشهير ، ابو العباس سيدى احمد القلشاني ، اخو سيدى عمر المتقدم . كان من العلم والتحقيق بالمكان الذى لا يجهل ، شرح « المدونة » و « الرسالة » و « ابن الحاجب » ، وولى فى حياة ابيه قضاء قسنطينة ، ثم قضاة الجماعة بتونس ، ثم سلم فيه لحفيده الشيخ محمد ، واقتصر على الفتيا ، وخطابة الجامع ، وولى معه الامامة الفقيه الفاضل احمد المسراتى .
توفى رحمه الله تعالى يوم الاحد عند المغرب فى 8 شعبان سنة 863 ثلاث وستين وثمانمائة (1459 م) ، وحضر جنازته السلطان فمن دونه .

XI — سيدى احمد المسراتى

الشيخ الامام حافظ المذهب ، القدوة المتفق على فضله ودينه ، ابو العباس سيدى احمد المسراتى ، امام الصلاة المذكور ، جمعت له الخطبة بعد الشيخ القلشاني .
وفى عهده توفى ولى الله تعالى الشيخ الصالح المتصوف ابو الصراير سيدى احمد بن عروس ، نفعا الله به ، وذلك فى 8 صفر 868 (1463 م) ، وتقدم الشيخ المسراتى للصلاة عليه ، وكان يومه مشهودا ، واستمر الشيخ المسراتى (1) على امامته وخطابته الى وفاته ، ولم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حيا فى عام 882 اثنين وثمانين وثمانمائة (1477 م) .

XII — الحفيد القلشاني

الشيخ الامام العلامة ، العارف بالنوازل ، قاضى الجماعة ، ابو عبد الله محمد ابن القاضى عمر القلشاني المتقدم .
ولى القضاء بعد عمه ، كما تقدم ، ومكث سبع عشرة سنة ، ثم رحل الى القاهرة ، وراج فيها امره ، ثم عاد لتونس ، فولى خطابة الجامع والفتيا ، ثم صرف ، وتوفى سنة 890 تسعين وثمانمائة (1485 م) .

XIII — الرصاع

الشيخ العلامة ، المتفنن المدرس المحقق المثقن ، الولى الصالح البركة ، الجامع بين القضاء والفتيا ، صاحب الاجوبة المحررة ، والتأليف المشتهرة ، ابو عبد الله سيدى محمد بن قاسم الانصارى نسبيا ، التلمساني مولدا ،

(I) الزيادة عن ق .

التونسي تربية ومنزلا وقراءة ، يعرف بالرصاع ، لان جده الرابع من والده كان نجارا يرصع المنابر ، ويزين السقوف ، وهو الذي صنع منبر جامع الشيخ ابي مدين الغوث رضى الله عنه ، واخذ اجرة عن ذلك محل قبر بحذاء الشيخ ، فدفن به .

قال بعض ذريته : « من لدن صنع الجد المنبر ، لا زالت ذريته في ارغد عيش » .

ارتحل هذا الشيخ لتونس في عام 831 (1427 م) ، ومعه والدته ، واما والده فسبقه بعامين ، فربى فيها واستوطنها ، وترك بها عقبه الى الآن .

وتولى قضاء المحلة ، ثم قضاء الانكحة ، ثم قضاء الجماعة ، ثم سلم واقتصر على الفتيا وامامة الجامع وخطبته .

توفي عام 864 اربعة وستين وثمانمائة (1459 م) . وله تأليف مشهورة ، غالبها موجود .

XIV — ابن عصفور

الشيخ الفقيه المدرس ، الامام العلامة ، ابو البركات محمد بن محمد ابن عصفور .

كان مدرسا بمدرسة ابن تافراجين بحوانيت عاشور ، وليها بعد وفاة البرزلي ، كما في الزركشي . وذكر ابن ابي دينار انه ولي امامة الجامع الاعظم ، وان ولي الله تعالى الصالح صاحب الكرامات سيدي منصور بن جردان ، توفي في حجر هذا الامام ، بمقصورة الجامع الشرقية ، وحمله الامام لموضع سكناه ، بدرب ابن عبد السلام ، فجهزه واخرج جنازته من داره ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بزاويته بحوانيت الفار ، برض باب الجزيرة ، سنة 904 (1498 م) . وقبله بعامين توفي الشيخ الولي (1) سيدي قاسم الجليزي .

وها هنا انقطع الخبر ، وعمى الاثر ، وطوى بساط تفاصيل اخبار العلماء ، لما دهم الحضرة في المائة العاشرة من الفتن ، بتقلص ظل الدولة الحفصية عنها ، وبلوغها سن الهرم ، فتجاسرت عليها الثوار من كل جانب ، وتنقصت من اطرافها ، واجلبت الاعراب عليها ، وامتدت ايدي العدو الكافر اليها ، سنة الله التي قد خلت من قبل .

وقد كان في الحضرة في هاتيك الايام ، علماء اعلام ، كالقاضي ابي حفص القلشاني الحفيد ، والشيخ احمد سليطن ، والامام الصوفي محمد الحويجب ، وامام المعقولات وبحر المنقولات الشيخ محمد مغوش . ولم نقف على تفصيل احوالهم .

(I) كذا في ق ، وفي خ : « المالدی » وفي ع : « المالوی » .

وما زالت الحضرة في مكابدة الاهوال ، الى ان اظلتها الدولة العثمانية
ابقاها الله للاسلام ، فاذهبت عنها الباس ، وطهرتها من الارجاس والادناس ،
سنة 981 (1573 م.)
وكان امام الجامع في اول هذه الدولة الشيخ محمد الاندلسي ، ولنذكر من
الايمة فيها من علمناه منهم .

XV — الاندلسي

الشيخ الامام ، احد الاعلام ، الورع الصالح الزاهد ، ابو عبد الله
محمد الاندلسي .
قال في بشائر اهل الايمان : « اخذ عن الشيخ مغوش ، واخذ عنه الشيخ
ابو يحيى الرصاع » ، قال : « ونفى لطرابلس ، فلحقه الشيخ ابو يحيى ،
وقرا عليه هناك » ، ذكر هذا في ترجمة ابي يحيى .
وقال بعض فضلاء المغاربة من ذرية الشيخ الصالح سيدي عبد العزيز
القسنطيني ، في رحلة له ، انه قدم لتونس في عام 982 ، وهو العام الثاني
للدولة التركية ، وانه زار الجامع ، وذكر حسنه ورونقه ، قال : « وفيه اذ ذاك
امام خطيب ، يقال له سيدي محمد الاندلسي ، رجل خير فقيه ، عليه سمت
اهل الخير ، ووقار اهل العلم ، وليس في البلد من تقبل عليه النفس ويرتضيه
العقل غيره ، مشارك في العلوم ، يتعاطى دراسة فنون من تفسير وفقه ونحو
وبيان وغير ذلك ، وله صيانة ونزاهة ومعاشرة مليحة » . الى هنا كلامه ،
ولم نقف على ازيد من هذا .

XVI — أبو يحيى الرصاع

شيخ الاسلام ، علم الاعلام ، الفقيه المدرس ، المفسر المحقق ، ابو يحيى
ابن المرحوم الوزير المعظم قاسم الرصاع ، من آل الشيخ الرصاع المتقدم .
كان فقيها اصوليا ، اقرا التفسير بالجامع ، وكانت فيه دعاية ،
يداعب كل احد .
وولي الامامة والخطابة بالجامع سنة 1017 (1608 م.) في دولة المرحوم
عثمان داي ، واستمر عليهما سبع عشرة سنة ، او ثمانى عشرة سنة ،
وولي الفتيا ، فسلم فيها لاجل الجامع .
وكان والده وزيرا للامير حميدة الحفصى .
وتوفى الشيخ ابو يحيى سنة 1034 اربع وثلاثين (1624 م.) او خمس
وثلاثين والف . ودفن بزاوية الشيخ القرطبي ، المعروف بابي مقطع بالجلاز ،
رحمه الله تعالى .

البكريون

اولهم الشيخ الفاضل ، العالم العامل ، المحقق المدرس ، ابو الحسن .

XVII — على تاج العارفين

كان من اهل الفضل والدين ، ومن بيت صلاح ، معظم عند اهل افريقية غاية ، وتزوج الشيخ تاج العارفين ابنة الشيخ الصالح الناسك ، ابى الغيث القشاش ، ومنه انجر اليهم غالب الاملاك التى بايديهم . ونسبهم فى بنى امية مشهور ، ولفظ البكرى ، نسبة لجدهم الشيخ ابى بكر الاكبر .

ولى الشيخ تاج العارفين امامة الجامع وخطبته ، باشارة من الشيخ ابى يحيى الرصاع ، قال فى بشائر اهل الايمان : « لما مرض الشيخ ابو يحيى مرض الموت ، استشير فيمن يصلح للامامة ، وقيل له هل يصلح ابنك ، فقال لا ، فقيل له فالشيخ براو ، فقال يصلح ، الا ان اهل المدينة تائف منه ، لكونه ليس منهم ، فقيل له فالشيخ الغماد ، فقال جوهره عليها الران ، فقيل فالشيخ تاج العارفين ، فقال جوهره ما مستها يدان ، فتولى الجامع بعده ، وكفاه هذه الشهادة ، من الشيخ ابى يحيى » ، وتوليته على هذا فى سنة 1034 اربع وثلاثين والى (1624 م) او خمس وثلاثين والى ، فى دولة المعظم يوسف داي ، وهو اول الائمة من بيته ، ولم اقف له على تاريخ وفاة .

XVIII — ابنه الشيخ العلامة المدرس المحقق ابو بكر

جلس للتدريس ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وحضره علماء وقته ، وسلموا له مرتبته .
تولى الامامة والخطابة . ولم اقف على تاريخ وفاته .

XIX — ابنه الشيخ العالم المقرئ ابو الحسن على

قال فى بشائر اهل الايمان : « حفظ القرآن ، واثقته غاية ، وكان حسن الاداء ، خطيبا مؤثرا ، جهورى الصوت ، حسن الاخلاق ، ذا سخاء وعطاء وافر ، وهمة عالية ، ونسب رفيع ، وهو آخر الخطباء البكرين . توفى سنة 1123 ثلاث وعشرين ومائة والى (1711 م) ، ورثاه الوزير السراج وارخه ، وبيت التاريخ : فارخ تمام الخطب » اه .

ولقد نعاهم بهذا التاريخ ، اذ لم يات بعد هذا منهم خطيب ذو اهلية ، ونالهم ما نال امثالهم من بيوت الشرف ، من الحضارة والترف ، فاخذ بيتهم فى الانحطاط .

XX — الشيخ أبو الغيث

هو ابن الشيخ المتقدم فيما احسب ، ولى الامامة والخطابة ، الا انه لم يكن متاهلا ، وتوفى فى عهد الامير على باشا ، وترك ولديه الشيخ عثمان ، والحاج حمودة ، صغيرين ، فقدم الامير للامامة الشيخ الامام العالم الصالح المدرس الناصح ابا محمد

XXI — حمودة الريكى الاندلسى (1)

فاخذ الشيخ عثمان فى اكتساب الفضائل ، واسباب الولاية ، واشتغل بالقراءة ، واخذ العلم عن الشيخ ابي عبد الله محمد سعادة ، وجرى ذكره بخير عند الامير ، وقتلوا له فى الذروة والغارب ، الى ان عزل الشيخ الريكى ، واولاه خطة آبائه .

XXII — الشيخ عثمان

كان نبيه القدر ، صاحب جاه ووجاهة ، مثلا فى حسن الذات والشارة ، وكاد يجدد طريقة سلفه ، وكان يباشر الامامة والخطابة ، ويركب على الخيل المسومة ، بالسرج المحلاة ، التى لا تناسب الا الملوك ، فوشى به الى الامير على باشا ، فعزله بعد ثورة ابنه يونس ، وقدم الشيخ الفقيه ابا الندا غيث غلاب ، اماما مستقلا ، وكان خليفة عنه ، ثم اعاده بعد اشهر .

ولما اتى الله بهاته الدولة الحسينية ، وكان صاحبها اذ ذاك مولانا المعظم الصدر الشهير سيدي محمد له ميل لاجراء الامور على عوائدها ايام والده رحمه الله ، قيل : « ان من عوائد البكرين ، ايام سيدنا الوالد ، ان امر الجامع اليهم ، يولون فيه من شاؤوا من الخلفاء » ، ففوض اليهم ذلك ، فعزل الشيخ عثمان الفقيه غيثا من الخلافة ، لما يجده فى نفسه عليه ، بتوليته مكانه . واستمر مدة معزولا ، الى ان رجع الى الخلافة على يد ابن غلال ، واستمر الشيخ عثمان على خطته الى وفاته سنة 1176 ست وسبعين ومائة والف (1762 م) .

XXIII — اخوه الشيخ الحاج حمودة

ولى بعده ، ولم تكن فيه قابلية . قيل انه صعد المنبر ، فلم يقدر ان يفوه بكلمة ، فبقى مدة ، فاستنزل المزوال ، بهياة ازدراء كما ينزل الصبيان . وتوفى فولى بعده ابنه الشيخ ابو الغيث ، وكان مثل ابيه ، فاشرك معه قريبه الشيخ تاج ، الى ان صرف بعد وفاة ابي الغيث ، وولى مكانه الشيخ على بن ابي الغيث ، وهو آخرهم ، وكان ابن ابيه وجده ، معدوم القابلية ، الى ان

توفي عاشر جمادى الاولى سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والى (الجمعة 22 ماى 1812 م) .

وقد جرت عادة الله الاغلبية فى الدول ، ان تختتم بما بدأت به ، فكانت دولة البكرين فى الجامع جارية على هذا ، بدؤوا بعلى تاج العافين، وختموا بعلى . والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . انتهى باختصار .

**

ولم يذكر الشيخ فى ذلك التقييد ، من ولى بعده ، ولا بأس بذكرهم ، فى هذا النسق ، تكملة لهذا الغرض ، وان كان مخالفا لما شرطناه ، من تقديم من تقدم للدار الآخرة ، لتكون هاته الوريقات برنامجا لخطباء الجامع ، من لدن ابن عرفة . فأقول : لما توفي هذا الامام صاحب النسب الاموي ، والفخر الدينوي والاخروي ، طلع النور من مطلعته ، والعذب من منبعه ، بفارس المنبر والمحراب ، الجامع بين شرفي النسب والاكتساب ، شيخ الشيوخ وعمدة الراسخين ، فى سائر الميادين .

[72 - حسن الشريف]

ابو محمد سيدي حسن ابن الامام العلم
ابى الحسن سيدي عبد الكبير الشريف ،
ابن السادة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

نشأ هذا السيد فى بيت شرفه ، ناسجا على منوال سلفه ، فأخذ عن أبيه ، وعن الشيخ الشحمي ، والشيخ الغرياني ، والشيخ عبد الله السويسي ، وغيرهم من اعلام ذلك العصر ، ومفاخر هذا المصر . واخذ راية التحصيل ، وقصدر للتدريس ، وله فى صناعة الانشاء يد طولى .

واستكتبه امير العصر ابو محمد حمودة باشا ، وقربه نجيباً ، وكانت صناعة الانشاء يومئذ مقصورة على الوزير الكاتب ابي محمد حمودة بن عبد العزيز ، وكان يُدَلُّ بذلك ، فضايق ذرعه بمزاحمة مثله فى الصناعة ، يقال انه تحيل ، واخبر الباي بسر كان أودعه عند الشيخ الشريف ، وادعى أنه سمعه من حاشية الشيخ .

ولما اراد الله نفع المسلمين بالعلم ، قال الشيخ هذا مما يחדش وجه الامانة ، فنبذ الخطة ظهريا ، وتركها نسيا منسيا . يقال انه رأى فى منامه ، قبيل التسليم ، انه سقط فى خندق ، فاستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه ، واخرجه ، سمعت ذلك من

غالب مشائخنا تلاميذه رحمهم الله ، وظهر مصداق الرؤية ، وهو ان الشيخ اصبح ييث العلم في صدور الرجال ، وجمال من معارك الانظار في كل مجال ، وانتقلت الى رياضه المتطلبون ، وتراكموا على دروسه من كل حذب ينسبون ، وانتفع به أعلام واعيان ، كشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وشيخنا ابي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن الخوجة ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، والشيخ ابي الحسن علي الدرويش ، والشيخ ابي عبد الله محمد العذاري ، والشيخ ابي محمد فرج التميمي ، والشيخ ابي عبد الله محمد السقاط ، والشيخ حسن الخيري المفتي بالمنستير ، والشيخ ابي النخبة مصطفى بيرم المفتي الحنفي ، والشيخ ابي عبد الله محمد الطويبي ابن الشيخ القاضي ، والشيخ الصوفي ابي المحاسن يوسف بن ذا النون الزوابي الباجي ، والشيخ ابي العباس احمد الزهاني ، والشيخ يونس الدباغ ، والشيخ ابي عبد الله محمد الخضار المفتي بالحاضرة ، والشيخ ابي عبد الله محمد بن عيسى ، والشيخ ابي عبد الله محمد القسبي ، الى غيرهم مما لا يأخذه نطاق العمد ، رأيت وأنا طفل مع أبي يقرأ في الجامع « صحيح مسلم » بشرح الأبي ، وسائر مدرسي الجامع أمامه .

اخبرني شيخنا البحري بن عبد الستار انه كان يفاكه تلاميذه في الدرس ، خشية سآمتهم ، واذا بحث أحدهم بحثا ، يُحسن الاصغاء اليه ، ويعيده للطلبة باوضح عبارة ، ويقول لهم : « هل ظهر لاحدكم جوابه ؟ » ، واذا أجاب أحد يصغي اليه ، ويعيده ايضا ، تدريبا لتلاميذه على المباحثة ، وتلذذا بنجاتهم ، فاذا خرج أحدهم عن أدب البحث ، يقطع المباحثة ، ويجيب التلميذ ، ويقبل على درسه .

لامه بعض أصحابه على هذه الحالة بأنها لا تناسب مناصب الشيوخ ، فقال له : « انت ترقاح بالمعاركة بين الديوك ، وانا ارتاح بمقارعة الرجال بسيوف العقول » .

وكان على تلك الجلالة والرفعة ، يحتمل لتلاميذه ما تحتمله الآباء من الابناء . جلس يوما لدرس « المغنّي » فقال له ابو عبد الله محمد الاخضر القسنطيني : « يا سيدي ، مفتاح بيتي ضاع ، وكتابي بها ، فلا تقرأ الدرس اليوم » ، فأجابه الشيخ متبسما بقوله : « العبرة بكتابي لا بكتابك » ، فقال له الاخضر : « اذا غلطت من ينبهك لغلطك » ، فضحك الشيخ والحاضرون ، فقال لهم الشيخ : « كثر الله فيكم من يرد غلطي » ، وترك الدرس في ذلك اليوم . الى غير ذلك مما يسمع من تلاميذه ، في حرصه على نفعهم .

ولما توفي الشيخ البكري المتقدم ذكره ، وابنه صغير ، جالت العقول فيمن يسلي الخطبة ، لان امامة هذا الجامع ، عمره الله ، من المناصب العالية في الحاضرة ، والعادة فيها ان تكون من بيت فضل ونباهة ، كبيت البكرين ، فما راعهم الا مجيء النسب الحسيني العلوي الهاشمي ، مع العلم والفضل المسلميين ، فاهتز المنبر به سرورا ، وتألق نورا ، وكاد ان يندرس ولم يكن شيئا مذكورا . فخطب الشيخ من إنشائه البديع ، بما يزري بالبديع ، وقرع بالوعظ المسامع ، فأجرى المدامع ، ثم تقدم للفتوى في رجب من سنة ثلاثين ومائتين والـ (جوان - جويلية 1815 م.) ، بعد امتناع ، فجلى في ميدانها ، وحاز قصب السبق في مضمار أعيانها .

وكان من بحار العلم الزاخرة ، ورجال الدنيا والآخرة ، حلما واسع الصدر ، الا اذا انتهكت حرمة من حرمت الله ، تراه اشد ما يكون . أتى يوما من داره الى الجامع وقت الظهرين ، فتعلقت بثيابه امرأة ، يجرها تركي من الجند الى بيته ، في فندق العطارين كَرَّها ، فمسك الجندي ، ورغب منه ان يتركها ، ولا يهتك ستر حجابها ، فتساكر الجندي ، وأبى ، فخلع برنسه ، وافتكها منه قهرا ، وحمله بنفسه الى الداي ، واعيان العطارين من خلفه ، يريدون القبض على الجندي ، خوفا على الشيخ ، وهو ينتهرهم ، ولما قارب درية الداي ، تعرضت له الحوانب ، وأرادوا أخذه من يده ، فأبى الا أن يدفعه بنفسه للداي ، وخرج الداي ، وقال له : « هذا المحارب يبقى في محبسك ، الى ان يبلغ خبره الى الامير » ، ورجع للجامع ، وفي الحين بعث الداي ترجمانه الى الامير يخبره ، وهو يومئذ حمودة باشا ، فكان من سياسة الامير أن أمر بقتله خنقا في الحين ، ولم يجد وقتئذ كاتبا حاضرا ، فكتب الباي امر القتل بخطه ، ورجع الترجمان ، وبعد صلاة العصر خنق الجندي ، وألقي ببطحاء القصة ، وأتى الترجمان الى الشيخ مخبرا ، وتقيدت بهذه السياسة في التقرير السَّن .

وكان رحمه الله عالي الهمة ، عفيف النفس ، رقيق القلب .

يحكى ان أمة من رقيق السودان هربت من سيدها ، واعترضته في الطريق ، ولاذت به في الشفاعة لسيدها ، بان يبيعها ، فقال لها : « اين محل سيدك ؟ » ، فقالت : « بربرض باب سويقة ، قرب سيدي علي العلوي » ، فقال لها : « تقدمي » ، وهو وراءها ، من زاوية سيدي احمد بن عروس ، الى طرف الربرض ، في حرّ قائلة . ولما وصل الدار أوقفها ، ودق الباب بنفسه ، فخرج سيدها ، فلما رأى الشيخ ارتاع ، واكب يقبل أقدامه ،

ويقول له : « يا سيدي ، لو بعثت اليّ أنيتك » ، والشيخ يقول له : « اما تُحِب ان ازورك » ، ثم قال له : « ان هذه الامة استشفعت بي اليك ، لتبيعها » ، ولما رآها ارتاع ، وقال له على البديهة : « يا سيدي ، أيسوغ لي ملكها ، حتى ابيعها ، وهي أتت معك ؟ هي حرة لوجه الله ووجهك ، واشهد علي بذلك » ، ونَجَزَ عِتْقَهَا ، وخرج مشيعاً للشيخ ، متدماً من انه تسبب في تعبه . وأخبرني شيخنا البحري باسم هذا الرجل ، وضلّ عن حفظي ، وهو من عامة الناس ، غير معروف بكرم ولا غنى ، لكن الغنى غنى القلب . الى غير ذلك من حكايات ماثورة عنه ، ينقلها الخلف عن السلف ، في التواضع والفضل ، وحسن الخلق وحلاوة المحادثة ، وتعظيم الناس له ومحبتهم فيه .

ولم يزل على حاله ، رافلاً في حلل جماله وكماله ، بالغاً ما شاء من آماله ، الى ان كانت التلبية لداعي الله خاتمة أعماله ، وفجعت به تونس ليلة السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والـ (18 سبتمبر 1819 م) ، في الطاعون الجارف ، ودفن بالجلّاز ، في تربة آله صلوات الله عليهم .

وحضر امير العصر ، وهو يومئذ ابو عبد الله حسين باي وآل بيته ، وتبركوا بحمل نعشه . وزاحموا الناس عليه ، ونزل الباي بنفسه الى لَحْدِهِ في القبر رحمه الله .

وترك حاشية على « القطر » ، طبعت في المطبعة التونسية ، وحاشية على شرح الشيخ « مياره اللامية الزرقاق » ، وشرع في تأليف سمّاه « معين المفتي » ، كان شيخنا البحري ينقل منه ، وعاقه عن إتمامه الاجل المعداد .

وانطلقت ألسن الشعراء بمراثيه ، ونشر ما اودع الله فيه .

ومن الغد قدم الباي اخا الشيخ للخطبة ، وسائر خططه ، عدا الفتوى ، وهو :

[73 - محمد الشريف]

ابو عبد الله سيدي محمد ابن ابي الحسن
سيدي عبد الكبير الشريف .

نشأ كأخيه في طلب العلم ، وأخذ في صغره عن والده ، ثم أخذ عن اعلام عصره ، كالشيخ الشحمي ، والشيخ الغرياني ، وابي عبد الله محمد بن ابي الفضل قاسم المحجوب ، وغيرهم . ودرّس بالجامع ، سمعته يقرئ درس « التحفة » للثاودي ، وأنا

يومئذ في المبادئ ، وهو اذ ذاك شاهد الديوان ، وهي من الخطط النبيلة وقتئذ ، واشتغاله بها منعه من كثرة التدريس .

وتقلب في الخطط العلمية ، ثم تقدم لخطبة الجامع الاعظم بعد وفاة أخيه ، فتلقى راية الخطبة بيمينه ، واستحقها بشرفه وفضله وعلمه ودينه ، فحرك بمواعظه المجامع ، وشنف المسامع ، وارسل المدامع .

آية الله في العفة والنزاهة ، وحسن الخلق ، والفصاحة في الخطبة ، جانحا لاخلاق الصالحين ، من الزهد وعدم التكلف ، والتواضع ورحمة المسكين ، حسن السجية سَمَحَ اللقاء ، عالي الهمة ، ذا نفس بمعادها مهتمة ، متبركا به .

وان الباشا المشير ابا العباس احمد باي ، لما بنى قصره بباردو ، طلب من الشيخ ان يكون أول من يدخله ، فأجابه لذلك .

ولم يزل على حاله ، محببا الى الناس ، على اختلاف الاجناس ، زيادة على ما يجب لبيتهم المطهر من الارجاس والادناس ، وحب الناس موصول بحب الله ، الى ان ارتحل الى دار البقاء ، وما عند الله خير وابقى ، في السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والف (الخميس 8 أوت 1839 م) ، وشهد جنازته امير العصر المتقدم ذكره ، وحمل نعشه ، ولم يتخلف عنها احد من الحاضرة ، الا العاجز ، ودفن في تربة آله صلوات الله عليهم .

ومن الغد تقدم لهذه الخطة العلية شيخ التقوى ، وركن العلم الاقوى ، وصدر الفتوى ، الذي جمع من العلوم على اختلافها ما تقصر عنه الاطماع ، وحكّم في نشرها اللسان واليراع ، وما على الصبح غطاء ، ولا على الشمس قناع ، الشائع ذكره في النواحي :

[74 - ابراهيم الرياحي]

شيخنا وشيخ شيوخنا ابو اسحاق
سيدى ابراهيم بن عبد القادر الرياحي .

ولد هذا الفاضل بتستور ، من بلدان الاندلس ، بهذا القطر التونسي ، وحفظ بها القرآن العظيم ، وهاجر الى الحاضرة في طلب العلم ، فسكن بمدرسة حوانيت عاشور ،

ثم بمدرسة بئر الحجار ، وتفرغ للعلم من جميع اعماله ، وقصر نفسه على ابتغاء كماله ، فأخذ عن أعلام كالشيخ أبي الفلاح صالح الكواش ، والشيخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، وأخذ النحو عن امامه الشيخ أبي يعلى حمزة الجباس ، وأخذ الاصول عن امامه أبي الفداء الشيخ سيدي اسماعيل التميمي ، وأخذ البيان والمنطق عن الشيخ أبي حفص عمر المحجوب ، وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وكان يميزه من بين أقرانه ، بإبطال الدرس اذا غاب ، وكلمته بعض الطلبة في ذلك ، فقال : « هذا الرجل ننتفع به اكثر مما ينتفع بنا » ، وغيرهم من أعلام عصره .

ولما اتسع في العلوم مجاله ، وشهدت له شيوخه ورجاله ، تصدر للتدريس ، ونثر الدر النفيس ، فازدحمت الافواج على دروسه ، واستعدوا لما يثمر من غروسه ، وكيفية إلقائه انه ينقل الدرس ، ويمليه من حفظه ، ثم يقرر ما يظهر له ، ثم يسرد كلام المصنف ، على كيفية تبعث النشاط في النفس ، هو اول من اخترعها ، واتخذها فحول العلماء من بعده ، كشيخنا أبي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وشيخنا أبي عبد الله محمد ابن الخوجة شيخي الاسلام ، وغيرهما .

وبعد نيف وعشرين سنة من قدومه ، سئم ضيق العيش ، والوحدة بالمدرسة ، حتى عزم على الخروج من الوطن ، ورأى المقيم به من ضيق العطن ، وبلغ ذلك للوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فتسبب له في خطة التوثيق ، وكانت يومئذ شيئاً مذكوراً ، ولما جاء رسول الوزير بأمر الولاية ، وهو والد العبد الفقير ، قال له : « نترجى عشرين سنة مستقبلة ، حتى أجمع من أجر الوثائق ، ما اتخذ به بيتاً وزوجة ؟ » ، وصمم على السفر ، وعظم على الوزير لمحبهته في الوطن خروج هذا العالم من المملكة ، والحالة هذه ، وانه سبباً ومعرفة ، فاشترى له داراً بما يلزمها من الضروريات ، والتزم له بنفقة الزوج ، فتزوج ، وكان ذلك في اسرع وقت ، ووالى عليه وابل كرمه ، فاطمأنت به الدار ، وقر له القرار ، وتدرج لاجل المعالي ، وشاع ذكره .

واختاره الباي ابو محمد حمودة باشا ، سفيرا للسلطنة الشريفة بالمغرب ، على عهد أبي الربيع مولانا سليمان ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا اسماعيل ، في غرض جلب الميرة لهذه الايالة ، في مسغبة ، وذلك في سنة 1218 ، وتقدم في ترجمة شيخه أبي حفص عمر المحجوب ، المكتوب الذي أصبح به اياه ، فجلى في ميدان السفارة ، وقابله السلطان باحتفال ، ومزيد إجلال ، وانشده قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

ان عز من خير الانام مزار
أوليس نور المصطفى بجبينه
فاشف الغليل بقربه ، فلطالما
واحفظ جفونك من سناه فانه
واذا أنامله اللطاف لثمتها
وانفذ بعجز ابن الخطيب فانما
ومنها :

هذا الخليفة وابن أكرم مرسل
وخلاصة الاشراف والخلفاء من
واعز سلطان واشرف مالك (3)
واحق من تحت السماء بأن يُرى
ولذا [غدت] كل القلوب تحبه
هذا سليمان الرضى ابن محمد
هذا الذي رد الخلافة غضة
ومنها :

وهو الذي يرجى لكل ملمة
وهو الذي يسعى اليه اذا دجى
كمجئنا نسعى اليه وقد سطا
علما بأننا ان رأينا وجهه
مولى رأى الدنيا بمقلة زاهد
فرمى بها متنزها وكذلك من
وتخير الاخرى بهمة عارف

ضاقبت بحمل ضيلها الاقطار
ليل الخطوب وساءت الافكار
جذب وعم جميعنا لإضرار
زال العنا وتزحزح الاعسار
ودرى بأن جمالها غرر
كانت كرام أصوله أطهار (4)
لم يرُضها دون الجنان قرار

(I) فى « تعطير النواحي » :

وانبذ بفخر ابن الخطيب فانما

(2) فى « تعطير النواحي » : الاعصار .

(3) فى « تعطير النواحي » : واجل سلطان واكرم وارث .

(4) فى « تعطير النواحي » : الأطهار .

لابن الخطيب بفخرها المعشار

ومنها :

تهوى المشارق ان تكون مغاربا ليعمها في الملتجئين جوار
وتنال من عز الشريف كما رأت أن كان فيها للخلافة دار
رُد الزمان لصدره فكأنما الفاروق بين ظهورنا أمّار
العدل يبسط والنفوس سوامح والدين يظهر والعدوم تدار
والناس في رغد الحياة بجنة تجري لهم من تحتها الانهار
فليشكروا النعم التي عمتهم الله يعلم انه من غزار
وكل هذه القصيدة عيون .

ثم بلغه وهو بحاضرة فاس ، عمرها الله ، ان السلطان وقف درسه في « التفسير » عند
قوله تعالى : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَالَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ » (1) ، فجاءه البشير بان سفينة
من سفنه الحربية ، غنمت من سفن أهل حربه غنيمة ، وحسن موقع هذا الاتفاق ، فهناً
السلطان بقصيدته الشهيرة ، التي مطلعها :

دلائل فضل الله فينا تترجم وان غفلت عنها طوائف نُوم
ومن أكرم النعم ولاية من له علينا وفيها حكمة وتحكم
تلطف في إخفائها متسترا ومن كملت فيه الولاية يكتم
ولما اراد الله إظهار سره جرى الامر في الاظهار من حيث يعلم
الم تغتنم وقت المساء وغدوة بدا الوقف في التفسير آية « واعملوا »
ليدري صحيح الذوق ان مليكنا له في طريق الكشف نهج مقوم
وأن لنا فيما قضاه مغانمنا فجعل ذي ، بدءاً لما هو أعظم (2)
فلا زالت الايام تخدم سعده ولا زال مثلي في حلاه (3) ينظم

ورجع الشيخ من سفارته قرير العين ، مقضي الحاجة ، مشكور المسعى ، وخلف
طيب الشاء ، آخذاً بمجامع قلب السلطان .

(1) س 41 7/8 .

(2) في خ و ع و ق : يجعل ذي بدر الخ ... وفي « تعطير النواحي » : فجعل ذي براء الخ ...

(3) في « تعطير النواحي » : في علاه .

وهنا لما رجع ابنه من فريضة حجه بقصيدة مطلعها :

هذا المنى فانعم بطيب وصال فلطالما أضناك طول مطال
ماذا وكم أوليتني يا مخبري بقسوده من منّة ونسوال
بشرتني بابن الرسول ، لو أنّما روحي ملكت بذلتها في الحال
بشرتني بسلالة الخلفاء من أمداهم تتلى بكل مقال
من حبههم فرض الكتاب كما ترى « الا المودة » حين يتلو التالي
من ضمهم شمل العباد واذهبوا رجسا ، فيالك من مقام عالي
لولا هم كان الورى في ظلمة مدت غياها بك كل ظلال

وهي طويلة وكلها فرائد ، واجازه السلطان عنها بمال ، وأجابه بمكتوب وقصيدة
على رويّتها من انشاء بعض كتابه ، مطلعها :

حيّت فأحيت قلب صب صال كي ما تبشره بطيب وصال
هيفاء ترفل في ثياب سندس من نسج تونس لا تسام بممال
منها :

يا أهل تونس حزتم شرفا بما ابديتمو من صالح الاعمال
يكفيكم أن فيكم هذا الذي حلت بلاغته محل كمال

وقرئت هذه القصيدة على الباي في ديوان المحكمة ، وذلك أنها أتت في ظرف مكاتيب
الوكيل بجبل طارق ، ولما قرأ الباي عنوان المكتوب ، قال لوزيره ابي المحاسن يوسف
صاحب الطابع : « هذا مكتوب من مولاي سليمان للشيخ ابراهيم » ، فقال له الوزير :
« اقرأه وحدك » ، فأبى ، فألح عليه ، ففتح ، فوجد المكتوب ومعه القصيدة ، فقال له
الوزير : « ان صاحب القصيدة انما قصده بشعره الشهرة » ، فأمر الكاتب الاديب ابا عبد الله
محمد قلالة بقراءتها ، فقرأها قائما في ديوان المحكمة ، وبعث بها وبالمكتوب للشيخ .
وبهذا التقرير تعلم حال السلطنة المغربية الشريفة وقتئذ ، من السداجة الاسلامية ،
والتخلق باخلاق الخلفاء والصالحين ، من إقراء التفسير ، والتمدح باخلاق الصالحين ، كما
تقدم في العقد الاول من المقدمة .

وفي اواخر صفر من سنة 1221 (اواسط ماي 1806 م.) ، بعد انفصال الشيخ ابي حفص عمر المحجوب من خطة القضاء ، بعث الباي الى الشيخ ليوليه خطة القضاء ، فامتنع وتعلل بانه لا يسوغ له ان يتقدم على شيخه ابي الفداء اسماعيل التميمي ، وأبي العباس احمد بوخريص ، وأنهما أصلح للخطة منه لمباشرتهما التوثيق ، وهو الاس في فقه القضاء ، الى غير ذلك من المعاذير ، فألزمه الباي قبول الولاية فقبلها ظاهرا . ولما رجع لتونس أتاه شيخنا العلامة ابو العباس احمد بن الخوجة القاضي الحنفي مهنثا ، ومما قال له : « اي الكتب تعتمدها في مباشرة الخطة ؟ » ، فقال له الشيخ : « اعددت كتاب ابن رجال » ، فانكر الشيخ في نفسه الجواب ، اذ لم يعرف كتابا لابن رجال في الاحكام ، وعند الغروب توجه الشيخ بزواية تلميذه العالم الصالح شيخنا ابي عبد الله محمد بن ملوكة وناجاه بما عزم عليه من الهروب ، فوافقه وأحضر له مركوبا ، وشيعه بنفسه راجلا ، ووجه معه بعض الطلبة ، فاصبح بمقام الولي العارف بالله سيدي علي عزّوز بزغوان ، وقال القاضي الحنفي : « قد اخبرني الشيخ بانه اعد للامتناع الرّحُول » .

ولما قدم الباي الشيخ اسماعيل للخطة ، رجع الشيخ ابراهيم الى ما ألفه واعتاده ، من التدريس والافادة ، ينفق من سعة ، ويكره الدّعة ، والملوك تتسابق الى تعظيم قدره ، واظهار فخره .

وقدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي لرئاسة اهل الشورى من المفتين ، بعد ان قال له الحاضرون : « قد تعين الامر عليك شرعا ، بعد وفاة الشيخ اسماعيل » ، فقال للباي : « اقبلت شهادتهم ؟ » ، فقال : « نعم » ، فقبل الولاية كما تقدم في الباب الرابع من هذا الموضوع ، فزان الخطة ، وصدع بالحق .

وأنا به الباشا أبو النخبة مصطفى باي للحج عنه ، وكتب معه مکتوبا للحضرة النبوية ، وامره بالقاء في الروضة العلية ، والأعمال بالنية ، كما تقدم في الباب الخامس .

ثم قدمه المشير الباشا ابو العباس احمد باي للخطة بالجامع الاعظم ، بعد وفاة من تقدمه لرحمة الله ، فعلا ذروة المنبر وحرك بمواعظه الرواسي ، وليّن القلب القاسي ، ونبه الغافل والناسي ، جهوري الصوت يقرع المسامع ، من صحن الجامع ، وهو اول من قرأ يوم المولد النبوي كتاب فضائله ، كما تقدم .

وبعثه المشير المتقدم للدولة العلية العثمانية ، مستشفعا به في بعض الاغراض السياسية ، كما مر ذكره في الباب السادس ، ونجحت سفارته ، وربحت تجارته ، وأكرمه السلطان محمود وهاداه ، وعند لقائه قرأ قوله تعالى : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ » (1) الى آخر الآية ، ثم أنشده قصيدته التي مطلعها :

العز بالله للسلطان محمود ابن السلاطين محمود فمحمود
خليفة الله ما أعلاه من شبهه بالصالحين وبالنبىء داوود

وهي معروفة في ديوان شعره ، وتقدمت مع غيرها في الباب السادس .

وخلف في القسطنطينية أخبارا تتلى ، واستجازه عالم الملة الحنيفية شيخ الاسلام ابو العباس أحمد عارف باي ، فاجازه نظما رأيته عنده بخطه .

وله دعاء مجاب ، وخاطر ليس بينه وبين الحق حجاب .

وامتحن بموت ابنه الامام العالم ابي عبد الله محمد الطيب ، قبيل وفاته ، وخطب بعد ابنه خطبة نعى فيها نفسه ، كالمودع ، نذكرها تبركا ، وهي :

« الحمد لله الذي هدانا بسيدنا محمد غيبة وحضورا ، وجعل حضوره رحمة للخلق وسرورا ، واطلع في مغيبه شمس كتابه وبدر سنته نورا ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة اجدها ان شاء الله كنزا مذكورا ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي لا يزال مدحه في الكتب المنزلة مسطورا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من كان سعيه مشكورا .

ايها الناس ، أوصيكم وإيتاي بالوصية التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انتقاله ، وكانت آخر خطبه كما صرح بذلك في مقاله : « أيها الناس انه قد كبر سني ، ورق عظمي ، ونعيت الي نفسي ، واقترب اجلي ، واشتقت الى ربي عز وجل ، فاذا مت فالله خليف عليكم ، والسلام عليكم » ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ايها الناس ، من لقي الله وهو يشهد أن لا اله الا الله مخلصا ، لا يخلط معها غيرها ، دخل

الجنة ، ومن أعان الظلمة نزل به ملك الموت يبشره بلعنة الله والنار ، ومن عظم صاحب دنيا طمعا في دنياه سخط الله عليه ، ومن خان جاره شبرا من ارض طوقه الله الى سبع ارضين ، ومن تعلم القرآن ثم نسيه تعمدا لقي الله مجذوما ، وسلط الله عليه بكل آية حية تنهشه في النار ، ومن لم يعمل به كان في درجة اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ومن تسخط رزقه لم ترفع له الى الله حسنة ، ومن رجع عن شهادة أو كتمها اطعمه الله لحمه علي رؤوس الخلائق ، ومن له زوجتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة مائلا شقته ثم يدخل النار ، ومن آذى جاره حرم الله عليه ربح الجنة ، ومن اكرم فقيرا مسلما لقي الله وهو يضحك اليه ، ومن غش في بيع أو شراء حشر مع اليهود ، ألا إن من غشنا فليس منا ، ومن كظم غيظه عن أخيه المسلم أعطاه الله اجر شهيد ، ومن مشى بالانميمة سلط الله عليه في قبره نارا ، ومن شرب الخمر سقاه الله من سم الاساود ، وهي العقارب ، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها سواء ، ومن أكل الربا ملأ الله بطنه نارا ، ومن خان أمانة لقي الله وهو عليه غضبان ، ومن شهد شهادة زور علّق بلسانه يوم القيامة ، ومن سمع فاحشة فأفشأها فهو كمن اتساها ، ومن تحلم كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين ، ولن يعقدهما ، ومن قاد ضريرا في حاجة كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة ، ومن سعى لمريض في حاجة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، ومن أذن فقال اشهد ان لا اله الا الله اكتتفه سبعون الف ملك يستغفرون له ، ومن مشى الى مسجد فله بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ، ويمحى عنه عشر سيئات ، ويرفع له عشر درجات ، ومن حافظ على الجماعة حيث كان ومع من كان مراً على الصراط كالبرق اللامع ، ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة عين في الجنة ، على حافتها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن عاد مريضا فله بكل خطوة حتى يرجع الى منزله سبعون الف حسنة ، ومن تبع جنازة فله بكل خطوة مائة الف حسنة ، ومحيت عنه مائة الف سيئة ، ورفع الله له مائة الف درجة ، ومن صلى عليها وكّل الله به سبعين الف ملك يستغفرون له حتى يرجع ، فان شهد دفنها استغفروا له حتى يبعث من قبره ، ومن تعلم العلم وعلمه يريد بذلك ما عند الله لم يكن في الجنة افضل منه ، ألا وان العلم افضل العباد ، وملاك الدين الورع ، ألا وان الله عز وجل سائلكم عن اعمالكم ، وما من شيء نهى عنه الا بيّنة ، ليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيى من حيّى عن بيّنة ، وهو بالمرصاد ، وليجزى

الذين أساءوا بما عملوا ويعجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » . فلما أراد ان ينزل من المنبر قام له رهط من الانصار ، وقالوا له : « يا رسول الله ، كيف العيش بعد هذا اليوم ؟ » ، فقال لهم : « ناجيت ربي عز وجل في أمتي ، فقال لي باب التوبة مفتوح ، حتى ينفخ في الصور ، من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ، ثم قال سنة كثير ، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ، ثم قال شهر كثير ، من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ، ثم قال جمعة كثير ، من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ، ثم قال يوم كثير ، من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ، ثم قال من تاب قبل ان يغرغر بالموت تاب الله عليه » ، ثم نزل صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

جعلني الله وإياكم ممن سمع فامتثل ، ووفقني وإياكم لصالح القول والعمل ، الا ان انفع ما يسر به القلب الكئيب ، ويستغنى به عن المعالج والطبيب ، كلام مولانا القريب المجيب ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ » (1) اهـ .

وعدت هذه الخطبة من مكاشفات كراماته ، فاقترب الوعد الحق بمماته .

وكان رحمه الله عالي الهمة ، أبيّ الضميم ، وقور المجلس ، منصفاً من نفسه ، آية الله في إنكار المنكر من غير مبالاة ، وله في الباب السادس اخبار ، مترنما بتلاوة القرآن ، متخلقا بالسنة ، سالكا طريق القوم ، مراقبا لربه ، متنشقا روح الله من مهبته ، كريم النفس ، فصيح اللسان ، عذب البيان ، يميل الى الانفراد ، والتعلل بقليل المتاع ، ولم تزل رتبته في ارتفاع ، وبدائعه نور على يَفْخَاع ، والعطاش تنضلع من أنهاره الزاخرة ، حتى لبي الى تلك الدار الآخرة ، في الثامن والعشرين من رمضان سنة 1266 ست وستين ومائتين والـ (الاربعاء 7 أوت 1850 م) ، بالمرض الوبائي المعروف بالكوليرة . ودفن بتربته المعروفة باسمه . وأفل بوفاته للعلم كوكب ثاقب ، ووُوريت بمواراته العلوم والمناقب ، وانقطع عن البلاد مُزْنُهُ ، فعمها حُزْنُهُ ، ولله در تلميذه الكاتب البارع ابي عبد الله محمد الباجي المسعودي حيث قال :

(I) س 17 1/4

ارى جيش الردى يرمى نصالا ويصلي غالب الاكباد جمرا
فلما استعظموه اغتال فردا يعم مصابه ، ومضى ومرّا (1)
أليس مصاب ابراهيم خطبا يَرُوع جميع أهل الارض طرا
سقى الرحمان تربته سحابا من الرُحمى ، ورضوانا وبرّا

وله حاشيته على « الفاكي » ، أشرف فيها على التمام ، وحاشية على شرح
« الخزرجية » في العروض ، وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم ، وديوان خطب ،
وديوان شعر ، جمعهما ابنه الاديب الفقيه ابو الحسن علي ، وأجوبة عن مسائل شتّى
تسع مجلدا كبيرا او جمعت .

وجبر الله صدع المنبر من هذا الجامع ، بفريدة من آل البيت ، وهو الامام العالم
التزيه ، التقى النقي ، الفاضل صدر الافاضل ، تلميذ ابن عمه الحسن الشريف ، الغني
عن التعريف ، تدرج في سلم الامامة بهذا الجامع ، من سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين
والف ، وعلا هذا المنبر بالمواظب البديعة ، ولَبَّتْهَا القلوب سامعة مطيعة ، وهو ابو الثناء
سيدي محمود ابن الامام ابي الحسن سيدي علي ابن سيدي احمد ابن سيدي محمد ابن
سيدي محسن ابن الشيخ سيدي احمد الشريف الشهير بامام جامع دار الباشا .

ولما توفي ابن عمه سيدي محمد ، كان هو اماما ثانيا بالجامع ، وهو المترشح بحسب
العادة للخطبة . ولما أوى الباى سيدي ابراهيم الرياحي ، لم يأنف من ذلك ، بل سلّم له ،
واعترف بفضيلته ، على عادة انصافه ، وما يعد من جميل أوصافه ، وعرف كل منهما ما
لصاحبه من المزية ، والاخلاق الزكية ، حتى ان الشيخ أوصاه على صغار بنيه ، ليمّا رأى
فيه من الانصاف وحسن الوفا والعفة وعلو الهمة والتقوى . وسمعت ثناء كل واحد منهما
على صاحبه ، وانما يعرف الفضل ذووه ، وهو الآن أطال الله بقاءه للمسلمين ببركة
الجامع وفارس منبره ونور محرابه ، ولقاء الله أعزّ آراه ، فسح الله في اجله ، وزاد بذلك
في عمله .

ولنرجع الى ما كنا بصدده من اخبار الاعيان على النسق المتقدم ، ولكل زمان
أعيانه ، ولكل فارس ميدانه .

(1) يشير الى ان وباء الكوليرة انتهى امره بموت الشيخ الرياحي ، كما يروى .

[75 - عبد السلام الشرفى]

الشيخ ابو محمد الحاج عبد السلام الشرفى الصفاقسى

هذا البيت من أمجاد البيوت بصفاقس ، معدود في بيوت العلم والفضل ، ونشأ صاحب الترجمة في ظل شرفه ، فأخذ العلم عن والده ابى العباس احمد ، وعن عمه ابى محمد حسن ، والشيخ الطيب الشرفى .

وتقدم لخطبة الفتوى على عهد أبيه ، وكان ناسجا على منوال آله في العلم ، وحسن السيرة ، توفي سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والى (1812/13 م) .

[76 - على الشفى]

ابو الحسن الحاج على الشفى .

من أعيان الحاضرة ، المشار اليهم ، يرتزق من التجارة في الطيب وغيره ، وله حانوت بالعطارين .

وكان وجيها فاضلا ، خيرا صلبا في الحق ، انتخبه الباي ابو محمد حمودة باشا لبناء قشلة العطارين ، وثوقا بامانته ، ووفى بما يجب لديانته .

ولم يزل على وجاهته ، الى ان توفي أوائل ذى الحجة سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والى (أوائل ديسمبر 1812 م) ، وخلف ابنا مثله ، تقدم لامانة العطارين ، وتوفي على وجاهته وأمانته ، وخلف ابنا قام مقام ابيه للامانة .

[77 - محمد بوثور]

ابو عبد الله الحاج محمد بوثور .

من اعيان الحاضرة ، ووجه تجارها ، قدمه الباي لكفايته وامانته ، لبناء قشلة البشامقية بالحاضرة ، فاحسن القيام ، ووفى المرام .

وامتحن في أواخر عمره ، بذهاب بصره ، ولم اقف على تاريخ وفاته ، وغالب الظن انه في هذه العشرة من هذا القرن .

[78 - مصطفى الارنوط]

ابو النخبة مصطفى الارنوط .

نشأ في الخدمة الملكية ، من اعيان حوانب الترك ، ثم ترقى عند الباي أبي محمد حمودة باشا ، فوكله على خزائن حبوب الطعام ، واستخلاص الاعشار ، ووجهه سفيرا الى الدولة العلية العثمانية ، وسفر عنه ايضا لبعض الدول باروبا ، في اغراض عديدة ، فاحسن السفارة ، وتمم اغراض مخدمه .

وكان وجيها فصيحاً ، حسن الاخلاق ، حلو الشائل ، نبه الفكر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، موثوقاً به ، مقرباً عند مخدمه .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في اوائل رمضان من سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين والف (أواخر أوت 1813 م) .

[79 - حسين برناز]

الشيخ المفتي ابو محمد حسين
بن مصطفى برناز

ترجم له شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثاني ، في شرح نظمه للمفتين ، بما نصه : « كانت له ملكة حسنة في الفقه والنحو ، وهي في الفقه احسن ، وكان رجلاً خيراً ، حسن الظن في الناس ، مقبلاً على شأنه ، معرضاً عما لا يعنيه ، طارحاً للتكلف ، قائماً بحقوق الصحبة . صحبته ما يقرب من خمسين سنة فما تغيرت من جانبه بشيء » ، جزاه الله خيراً ، ولد سنة 1140 ، وقرأ على غالب الشيوخ الذين أخذت عنهم ، وانفرد عني بثلاثة الشيخ أبي الظفر مراد موسيكه قاضي الحنفية كان ، قرأ عليه « الدرر » بتمامه ، والشيخ الامام ابي محمد حمودة باكير ، والشيخ أبي محمد حمودة البرادعي ، قرأ على كل منهما « صدر الشريعة » . وأقرأ في النحو صغار كتبه ، وفي الفقه « صدر الشريعة » . وكان شرع في مزجه ، ولم يتممه ، كما أقرأ « الجوهرة على القدوري » ، وأظنه لم يختمها .

ولي اولا الفتوى بالمنستير ، وامامة جامعها الحنفي وخطبته .

وكانت عادته أن يأتي لتونس كل عام للزيارة مرة ، فتخلف في بعض السنين ، فكتبت له في ذلك ، فلم يأتني منه جواب ، فكتبت اليه معاتبا ومداعبا :

على اي شيء لا يرد جوابي وينبذ ظهريا لديك كتابي ؟

ثم طلب رفع يده عن وظائف المنستير ، والعود لبلاده ، فأجيب ، وانتصب هنا للشهادة ، ثم ولي خطبة جامع القصر ، بعد موت ابي عبد الله محمد برتقيز ، ثم امامة الجامع اليوسفي وروايته ، ورواية الجامع الباشي بعد موت الفقيه ابي عبد الله محمد الملائ ، ثم القضاء لما نقلت منه الى الفتوى ، ثم عزل عنه لتغفله . ولما كان عزله لا ليريبة ، وهو رجل قد طعن في السن ، جبره الامير ، جبره الله تعالى بين يديه ، بزيادته مفتيا ثالثا ، فبقى على ذلك ، الى أن توفي الى عفو الله تعالى ، في ذي القعدة الحرام سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين والـ (اكتوبر - نوفمبر 1813 م). فيكون قد بلغ من العمر ثمانية وثمانين سنة ، ولم يبلغ هذا السن من مات من جميع المذكورين ، وكتب على ضريحه من انشاء الشيخ ابي اسحاق الرياحي :

كل الوري هدف لسهم حمام . حكم جرى حتى على الحكم الخ ... » اهـ .

واقول ، خلف هذا الشيخ ابنا من أعيان الفقهاء المدرسين ، خطب على منبر الجامع اليوسفي ، وهو الآن على منبر جامع القصر ، ناسجا على منوال ابيه ، كثر الله من أمثاله .

[80 - محمود مقديش]

الشيخ ابو الشناء الحاج محمود مقديش الصفاقسي .

هذا البيت من أنه بيوت صفاقس ، ونشأ صاحب الترجمة في طلب العلم ، فأخذ عن علماء صفاقس ، ثم ارتحل في طلبه الى زاوية الجُمَني بجزيرة ، ثم ارتحل الى تونس ومصر ، فأخذ عن أعلام جامع الزيتونة ، والجامع الأزهر . ولما تضرع بالعلوم رجع الى بلاده صفاقس ، فأفاد واجاد ، ونفع العباد ، وتزاحمت على منهله الوراد ، وافنى عمره في هذا المراد ، وأتى فيه بما يستجد ، وتلاميذه بصفاقس أعلام ، وإيمة في الاسلام .

وكان متخلقا بالانصاف مع ما فيه من محمود الاوصاف ، والـ حاشية على تفسير « ابي السعود » سماها « مطالع سعد السعود ، على تفسير ابي السعود » ، وشرح نظم

ابن عاشر في العبادات المسمى « بالمرشد المعين » ، وشرح « القلصادي » ، وكتب تاريخه المعروف ، ولم نر تآليفه لأنها لم تصل الى حاضرة تونس .

وسافر من بلده في غرض الزيارة الى القيروان ، فوافاه الاجل المحتوم ، وسبحان الحي القيوم ، وحمله ابنه الشيخ محمود ، وكان معه ، الى تربة آله بصفاقس ، وحب الوطن من الايمان ، وذلك سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين والـف (1813 م) .

[81 - أحمد بن الكاتب]

ابو العباس احمد بن الكاتب .

من أعيان بيوت الحاضرة ، وجدّه كان كاتباً للبasha علي بن محمد بالقلم التركي ، صاهره علي بنت ابنه محمد ، وصاحب الترجمة من ذريتها .

وكان وجيهاً فاضلاً كريماً ، مظهراً للنعمة ، طامح النفس الى قنن المعالي ، متشبهاً بابناء الملوك ، وله امتزاج بالبساي ابي عمرو عثمان قبل الولاية امتزاج أكفاء ، وافنى في ذلك الطارف والتالد من تراث سلفه ، ثم تراجع حاله ، فقعد ملوماً محسوراً ، والله الآخذ بيد الكريم ، توفاه مستورا ، في رجب سنة 1229 تسع وعشرين ومائتين والـف (جوان — جويلية 1814 م) ، قبيل ولاية صاحبه ، ودفن بتربة آله ، رحمه الله تعالى .

[82 - أحمد البارودي]

الشيخ المفتي ابو العباس احمد بن حسين البارودي

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بيرم الثاني ، في ترجمته ، من شرح نظمته للمفتين من الحنفية ، ما نصه : « الشيخ الاجل ، والدراكة الاكمل ، ذو الفكر الغواص ، الذي يعجز عن غوصه كثير من الخواص ، فارس المنبر والمحراب ، الآتي فيهما من الفصاحة وحلاوة النغمة بالعجب العجائب . وزاد على اخيه وأبيه بالشعر الرائق ، والنظم الفائق ، شارك اخاه في شيوخه السابق ذكرهم ، وانفرد عنه بالآخذ عن والدي ، قرأ عليه قطعة كبيرة من « الاشموني » في النحو ، و « ملتي الابحر » في الفقه ، وآخذ عن شيخنا العلامة امام المعقولات ابي عبد الله محمد الشحمي « الخبيصي على التهذيب » في المنطق . خطب في صغره بباردو نيابة عن والده ، ثم آخذ بعده الجامع الجديد ، بجميع

علائقه ، ثم تدريس الدرس الحنفى الذى بمدرسة الامير المقدس المولى ابي الحسن علي باي ، بعد موت الشيخ حمودة بن محمود ، المرتب فيه اولاً ، ثم تدريس المدرسة العنقية ، بعد موت الفقيه ابي العباس احمد الطراز ، ثم الفتوى وخطبة باردو . ودرس التجويد ، ودرس الجامع الباشي ، بعد موت ابن اخيه ابي النخبة مصطفى . وسبب تأخر ولايته الفتوى [عنه] امتناعه منها اولاً ، فان الامير رحمه الله تعالى قد رام بعد موت اخيه صرفها اليه ، وان يزيد ابن اخيه ثالثاً ، رعاية لابيه ، فابى الشيخ احمد عليه . ولقد قال لي في ذلك الامير حين اجتماعنا بمجلسه : « تكلم مع فلان فاني خاطبته في الولاية فابى » ، فعالجته في ذلك ، فما زادته معالجتي الا إباء ، فاقصر اذ ذاك على ولاية حفيده مصطفى المذكور ، حتى اذا توفي ولم يمكنه الامتناع بعد اعادة الطلب عليه أجاب .

... « وتوفي الشيخ احمد هذا الى عفو الله تعالى ، ليلة الجمعة الثانية والعشرين من شوال من عام 1229 تسعة وعشرين ومائتين والى الف (7 اكتوبر 1814 م) ، ودفن بجبانة المرسى ، جوار الشيخ سيدي عبد العزيز المهدي بوصية منه ، وكتب على ضريحه من انشاء العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وهو :

عش ما تشاء لذاذةً وجوراً ان القصور ستستحيل قبوراً »

الى هنا ترجمة شيخ الاسلام الثاني ، واقول : اني رايت هذا الشيخ وانا طفل صغير ، يوم اقيمت صلاة الفريضة بجامع الوزير ابي المحاسن سيدي يوسف صاحب الطابع ، حملني اليه ابي ، وهو قرب المنبر ، فغاية ما أتذكر اني قبلت يده ، وقرأ على رأسي ، وجعل في اصبعي خاتماً صغيراً ، تحتمله اصبعي ، به ثلاث حجرات ديكاً مننت ، وفرحي بالخاتم أذهلني عن تحقق وجه الشيخ ، وأكبر والذي هذه العناية منه ، وكان من أعز أصدقائه الممتزجين به ، تصاحباً في السفر لاداء فريضة الحج ، واتصلت الصحبة ، وكان يستدعي والذي للمبيت عنده ، اذا طال تخلفه عليه ، والرسول يقول له : « اني متعين لك من الشيخ » ، ويطلب الخدمة ، شأن الألفة ، السالمة من متاعب الكلفة . وكان والذي وغالب من نعرفه من اشياخي يطيلون الثناء عليه ، بانه من رجال العلم والسياسة ، واخلاق الرئاسة ، من الكرم وعلو الهمة ووقار المجلس وحسن اللقاء ، وفصاحة اللسان والوفاء بالعهد وحسن الخلق وآداب المعاشرة ، ويحب اظهار نعمة الله عليه بفاخر الثياب ، وركوب الخيل المسومة بالسروج المحلاة ، الى غير ذلك .

وكان من رجال دولة الباى ابي محمد حمودة باشا .

اتفق ان الشيخ توجه لحمام قربص للتداوي ، وبعده توجه والدي للتداوي ايضا ،
ومعه الكاتب ابو البقاء خالد الزهاني ، ولما وصلا أتيا الشيخ للسلام عليه ، فقال لهما :
« ما هذه الاحمال التي سبقتموها ؟ » ، فقال له أبي : « ضرورياتنا » ، فقال له
الشيخ : « اما اذ عزمت على النزول بمحل يخلصك فلا اغصبك على صحبتي ، وانت
مريض ، فأبقي لك الفراش والغطاء والثياب » ، ووقف بنفسه ، فتصدق بسائر الزاد على
فقراء المرضى ، وقال له : « يشين وجه المروعة من الجانبين ، ان تقدم لمحل وأنا به ، وتأتي
بالزاد ، ونحن بهذه اللفة » .

ومن سياسته ان شيخنا العلامة ابا عبد الله محمد بيرم الثالث لما تقدم لخطبة الجامع
الذي بناه الوزير بالحلفاوين ، أتى الشيخ الى والده ، وقال له : « أنا نرافق ابنك الى
الجامع » ، فقال له الشيخ : « احمله الى دارك ، وافعل به ما شئت » ، فحمله الى داره ،
وقد هيا له شعار الخطباء ، وقرأ الخطبة عليه ، وترافقا الى الجامع ، ورجع معه بعد صلاة
العصر الى أبيه .

وكان صلبا في الحق ، غيورا على المنصب الشرعي . بلغه ان رجلا عين له السداي
غاصبا ، فمرّ به على دار القاضي ، فمسك حلققتها ملتجئا ، فغلبه الغاصب وفك يده
من الحلقة ، فبعث الى الداي في الحين ، وقال له : « ما بال الحوانب لا يخرجون من
الزوايا احتراما لها ، وهذه دار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » ، وعزم على رفع الامر
لامير العصر ، والتسليم في الخطة ، فاستشفع اليه الداي بشيخ الاسلام ابي عبد الله محمد
بيرم الثاني ، فبعث له وثبطه عن عزمه .

وكان واقفا عند أمره ، لا يهاب غيره . بعث له الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب
الطابع ، وهو بحمام قربص ، الف محبوب ، فردها وقال للرسول : « قل لسيدك لو بعث
لي فرسا او شيئا مما يؤكل قبلت ، وشكرته عن الهدية ، ولا اقبل المسكوك ، وقد اغنانني
الله عن الصدقة ، والشكر لله ، فادفعها لمن هو احوج مني » ، فقال له والدي ، وكان
معه : « يكون ردها على يدي » ، فقال له : « اما هذا فنعم » . ولما رجع أبي ، حمل
له المال ، فوجده متغيرا (1) ، فقال له : « ان الرجل يراك حبيبا من أكفائه ، حتى انه لا

(I) متغيرا : مستاء (عامية تونسية) .

يَشْقُلُ عليه ان يكشف اليك قناع حاجته ، فاذا انت تبعث له دراهم مع قاسم البواب ،
بغير مكتوب » ، الى غير ذلك ، ولم يزل والدي بالشيخ ، الى أن ألزمه ان يكتب
هذا الوزير في بعض حاجاته ، شأن الاكفاء المتحابين .

وتقدم ثباته ليلة وفاة الباي ابي محمد حمودة باشا ، في الباب الثاني من هذا الموضوع .
ولم يزل هذا الشيخ حزينا على فراق ذلك الامير الشهير الاجل ، الى ان وافاه بعد
موته داعي الاجل ، ودفن في عزيز جوار ، والدار الآخرة هي الدار .

[83 - أحمد الشرفي]

ابو العباس الشيخ احمد الشرفي الصفاقسي

نشأ في شرف بيته النبیه ، وأخذ عن اعيان اهل بيته وذويه ، وغيرهم من اهل بلاده .
وارتحل في طلب المزيد من العلم الى تونس ، ومنهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ،
فأخذ عن الشيخ الغرياني ، والشيخ قاسم المحجوب وغيرهما ، ورجع لبلده مملوء الوطاب ،
حاملا ما زكا من المعارف وطاب ، فأفاض على الطالبين السجال ، وبث العلم في صدور
الرجال ، وتقدم لخطبة الفتوى فجلى في ذلك الميدان ، بالقلم واللسان .

وكان في الحق جسورا ، وعلى الاذى صبورا ، عالما خيرا وجيها .

ولم يزل ينفع الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، ووفاته في سنة تسع
وعشرين ومائتين والـ (1813/14 م) رحمه الله .

[84 - يوسف صاحب الطابع]

الوزير الشهير ابو المحاسن يوسف خوجة صاحب الطابع .

هذا السيد من أفاضل الموالي ، ومن السابقين الى المعالي ، [اصله] كما أبان عن
نفسه لاصحابه وذويه ، ومنهم أبي ، من البغدان . أتى صغيرا دون البلوغ لاسلامبول ،
فاشتهراه احد تجارها في بَنِّ القهوة ، وكان القائد بَكَار الجلوي ، لما علم ترشح الباي
حمودة باشا للملك والسفر بالمحال ، بعث الى القسطنطينية ، يرتاد مماليك ليهديهم اليه ،
فساق القدر رسوله الى هذا المملوك ، فاشتراه . ولما اراد السفر به منعه حارس المرسى ،
لصدور فرمان سلطاني بمنع خروج المماليك لمصر ، فقال هذا المملوك : « انا رجل حر

أعتقني سيدي ، ولي اخ بتونس هو صاحب الطابع بها ، أريد السفر اليه » ، فخلى الحارس سبيله ، فتعجب رسول الجلولي من فطنته ، وقال له : « من لقنك هذا ؟ » ، فقال : « لم أقله عن روية » .

ولما وصل لصفاقس ، أقام بين يدي القائد بكار ريثما يتعلم اللغة واخلاق البلاد . ولما اتى للحاضرة بوفد البيعة استصحبه معه ، وكساه بزى امثاله ، وقال له : « اذا دخلت ورائي الى حضرة الباي ، فقبل يده ، وتأخر ، وقِفْ آخر الممالك القائمين بين يديه ، ولا تتبعني ، لانك مملوكه » ، ففعل ، وانخرط في زمرة الممالك . وعادتهم ان السابق في الخدمة يتقدم على من جاء بعده .

ولهذا الرجل نفس عصامية ، ولما حان سفر المحلة ، طلب من سيده ان يحمل الزغاية بين يديه ، فسكت عنه ، فارتمض لذلك وصبر ، ولما خرجت المحلة ، خرج وراء سيده ، كآحاد الممالك ، وأتى العلامة الاكتب ابو محمد حمودة بن عبد العزيز بمكاتيب للامضاء بالختم ، في الوطق على العادة ، فنظر الباي لهذا المملوك يوسف ، وقال له : « هل تحسن الطبع ؟ » ، فقال له : « نعم » ، فأجلسه ، ورمى له بطابعه ، وقال له : « مهما اتت المكاتب ، تقدم لتطبعها » ، فصار يطبع من يومئذ ، وبه صار لهذه الخدمة شأن . وقال له العلامة الكاتب : « عيّن احدا لخلاص عوائد الطابع » ، فقال له : « خلاصك يخلص لي ، فخذ ما شئت ، وأعطني ما شئت » ، فكان يبعث اليه بذلك ليلة الوصول للحاضرة ، ولم يعين احدا لخلاص عوائده الا بعد وفاة الشيخ الكاتب ، فاستقل بدخله ، وعيّن لخلاصه تابعه الحاج صالح بوغدير ، ثم قاسم البواب .

ولما ترقى صاحب الطابع الى هذه الخدمة ، انفتح بينه وبين سيده باب التخاطب ، وبدا هلال نجابته ، فتدرج في مراقبي العز والرفعة ، واسباب الشهرة والسمعة ، وتقرب لسيده ، وكان عيَّبة سرّه ، يرى الدنيا بعينه ، ويستطيب به لذة الملك ، فجلى في ميادين السفارة للدولة العلية ، وبسياسته كفى الله المؤمنين القتال ، وقاد الجنود ، وخففت عليه رايات البنود ، واتيسح له النصر ، ولهج بالثناء عليه لسان العصر ، بسا لا تأخذه يد الحصر ، واسس جميل المآثر في هذا المصر ، فهو مصداق قول القائل :

آثاره تنبيك عن اخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله ابدا ، ولا يحمي الثغور حماه

فمنها جامع الحافل البديع الشكل بالحلفاوين ، والزاوية لتعلم القرآن ، والمدرسة للعلم ، والاسواق حوله ، والوكالة والمخازن والحمام .

وكان ابتداء البناء فيه يوم الأحد غرة محرم الحرام سنة 1223 ثلاث وعشرين (20 فيفري 1808 م.) ، واقامة الصلاة به يوم الجمعة الثاني عشر من أشرف الربيعين سنة 1229 تسع وعشرين (4 مارس 1814 م.) ، كما تقدم في الباب الاول .

واول خطيب به شيخ الاسلام العلامة المحقق ابو عبد الله محمد بيرم الثالث ، واول امام فيه للخمس شيخنا العلامة الحجة ابو العباس احمد الأبي ، واول المدرسين به شيخ الشيوخ المحقق ابو عبد الله محمد الفاسي ، ابتداء به « التفسير » للقاضي البيضاوي ، وشرح السعد « للعقائد النسفية » ، وعالم العصر وبركة المصر شيخنا أبو اسحاق سيدني ابراهيم الرياحي ، ابتداء به شرح « القسطلاني لصحيح البخاري » ، و« المختصر » في الفقه المالكي ، ودرس في النحو ، وهو شيخ المدرسة ، والشيخ الفقيه ابو العباس احمد العوادي درس الفقه ، وشيخنا العلامة ابو عبد الله محمد بن الخوجة درس « تذكرة القرطبي » في الحديث .

وجعل به اربع خزائن مملوءة بالكتب العلمية ، مكتوبا عليها التحسيس ، اثنتان لنظر الامام ، واثنتان لشيخ المدرسة .

واقف على الجامع اوقافا نافعة جارية ، حتى انتفع بفاضلها غيره من جوامع الحنفية ، في اقامة ابنيتهم .

ولما اقيمت الصلاة بهذا الجامع أحصى رحمه الله ما يلزمه من المصروف في عام ، من مرتب الايمة والخوجات والمؤذنين والوقادة ومشائخ الدروس والطلبة بالزاوية والمدرسة ، والخبز لهم ، والزيت للتنوير ، واحياء ليالي المواسم ، وغير ذلك من المصروف اللازم ، وما يمكن ان يطرأ ، ودفع ذلك للوكيل ناضجا ، فكان دخل العام الاول من الوقف فاضلا للجامع ، وأبقى في خزنته من الرخام والآجر والجير وآلات الرّم ما يبنى جامعا ، وعاشت في ذلك الايدي بعد موته .

وجعل دفترًا لاحصاء أوقافه ، واشترط في حبسه ان يحضر في كل عام امام الجمعة ، وامام الخمس ، وشيخ المدرسة لمحاسبة الوكيل على يد شاهد الوقف ، واول وكيل به

الشيخ الذاكر ابو الحسن علي الباز . واول شاهد به شيخنا العلامة الاكسب ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعي . وبنى لصق الجامع مكتبا لتجويد القرآن ، أول مدرس به الشيخ المجود الحافظ ابو الفلاح الحاج صالح السنان . وقدّر أن يبني قرب الجامع تكية للفقراء ، فعاقه الاجل ، وله اجر من هم بحسنة ، وجعل في مدخل صحن الجامع من الباب الجوفي تربته ، واول من دفن بها الولي المجذوب صاحب الكرامات سيدي عثمان بن كرم ، دفن بها غرة رجب من سنة 1225 خمس وعشرين ومائتين والـف .

والذي باشر بناء الجامع ، هو الوجيه المهندس الحاج ساسي بن فريجة ، وطلب من صاحبه ان يدفن في سقيفته ، فدفن بقبة سيدي مصطفى الجزيري داخل بابه الجوفي ، وتقدم بعض ذلك في الباب الاول عند مناسبة ذكره .

ولما تم بناء هذا الجامع ، واقيمت الصلاة فيه ، انهل ودق الادباء بتواريخه وتهنئة صاحبه ، نذكر بعضها ، لانه لم يرسم فيه شيء منها ، فقال شيخنا العلامة ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي :

ذكر جميل يوسف قد جـدده	وذخيرة في الصالحات مخلـده
ذا الجامع الحسن الذي هو جنة	لولا رسوم الدين فيه مسـرده
لا تمتلي منه العيون بقـرة	الا وقد اخذت منهاها الافـدة
بيت على التقوى تأسس والرضى	فابو المحاسن بالرضى ما اسـعده
واكم اتى فيما بنى بمحاسن	جـمـل ، ولكن ذي محاسن مفـرده
مدد من الباشا العظيم جرى له	فأتت به منه الامور مسـدده
لا بل هو الباني ولكن حبه	فضل الخفي في الخير قد اخـفى يده
حمودة باشا وما ادراك ما	ملك به نـعم الاله مجـدده
نامت به الخضراء في ظل الهنا	وغدت لاجفان العـداة مسـهـده
واكم له من صالحات رصعت	تاجا على راس الزمان منـضده
صنع به ابتهجت ملائكة السما	وغدت به شيع الالباس مكـدده
يهني الورى وخصوصا العلماء	والصلحاء انوار له متوقـدة
ما شئت من علم قبست ومن هدى	يهدي به لله من قد أيـدده
ما شئت من آي الكتاب وسنة	هذي سلسلة وتلك مجـوده

يهدي المفسر والمحدث منهما لين الفؤاد وادمعا متبذده
فالله يجزيه الرضى وينيله غرف الجنان وثم يزلف مقعده
فاشكر له واسأل وقل متعجبا ومؤرخا : لله ما قد شيدده

وقال شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثاني يهنىء الامير ويعتذر عن تخلفه
يوم شهود الجمعة في الجامع :

أهني بهذا الجامع الشامخ القدر جمال العُلَى حمودة النافذ الامر
أميرا اذا عد الملوك رأيتهم نجوما وكان البدر في وسط الشهر
ولا عجب اذ فاقهم وهو منهم فان الليالي بعضها ليلة القدر
له المآثرات الغر والهمة التي غدت في التعالي دونها رفعة النشر
وقد انبأت آثاره عن علوها ومن تلك هذا المعبد الواضح الفخر
تعلقت الآمال منه بوضعه فباشره من رام تنفيذ ذا الامر
وما كان يعزى في الامور لتابع فذلك للمتبع حقا بلا نكر
فحق هنا المولى بمكرمة أتى بها مجده تبقى الى آخر الدهر
وحق عليها منه لما توضححت جلالتها قسط عظيم من الشكر
اطال اله العرش في العز عمره ووقفه للخير في السر والجهر
وما غاب عني ان سعيي واجب لهذا الهنا لكنني بين العذر

وقال ايضا مهنشا للوزير :

هنيئا لادراك المنى والرغائب ونيل الذي املته من مطالب
باتمام هذا الجامع المفرد الذي بدا كسماء زينت بالكواكب
تبعث انواع المحاسن كلها فافرغها التدبير في خير قالب
فجاء على ما قدر الفكر هيكلها عظيما يرى اعجوبة في العجائب
فاصبحت الخضراء تزهو واصبحت تفاخر ارض الشرق ارض المغرب
فقيد بشكر الله نعمته التي تفصيلها لا تستطيع الحاسب
ومن شكره شكر الامير فانه لتسيير ذي الخيرات اعظم جانب
ملك له الاملاك اصبحت حواسدا على ما حواه من عظيم المناقب

فلا زال في حصن منيع وعسره عليك رواقا من جميع الجوانب
بحرمة خير المرسلين محمد شفيع الوري المرجو لحسن العواقب
عليه صلاة الله ما لاح ببارق وقهقهه رعد من بكاء السحاب

ولو تتبعنا سائر ما قيل من الاشعار ، طال بنا الحال .

وجميع ما صرف على هذا الجامع من الغنائم ، وفوائد التجارة ، في دفتر مخصوص
بخط أبي .

ومن مآثر هذا الوزير انه اعاد بناء الجامع المعروف بجامع العبيدي ، بمحج الزاوية
البكرية ، وحدث به مئذنة ، وحبس عليه ، وعلى قيام الليل بالمئذنة حبسا نافعا . واول
امام به الشيخ محمد العذاري .

وأحيا سائر ما اندرس او تداعى من المكاتيب القرائية بالحاضرة .

وله قنطرة على واد بطريق ماطر ، أرخها الشيخ المفتي ابو العباس احمد ابن الشيخ
المفتي حسين البارودي .

وله البرج المعروف باسمه بباب الخضراء ، بناه وعمره بالمداغ من ماله ، وذلك انه اشار
بوضعه ، فعارضه الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بعدم لزومه ، فقال له : « اشرع
في بنائه ، وسائر ما يصرف عليه اقْبضْهُ مني ، ولا تُدْخِلْهُ في حساب الدولة » ، ففعل .

وله عناية باجراء الماء في الحاضرة وغيرها ، فبنى سقايته داخل باب عليوة ، وأوقف
عليها من العقار بقربها ما بقيت به لعصرنا ، وسقاية داخل باب سيدي عبد السلام ،
وسقاية الحلفاوين التي عليها بعض علوه ، ومبانٍ بحمام قربص من حمامات وغيرها ،
وسهل طريق الوصول اليه تسهيلا يَسَّرَ وصول المرضى اليه ، وله البئر الجديدة قرب مقام
الشيخ العارف بالله سيدي ابي سعيد الباجي ، وهو ماء مَكِين ذلك الجبل ، وعليه الى
الآن امة من الناس يسقون ، وحبس عليه اوقافا نافعة ، وله البئر المعروفة ببئر مسيس قرب
جبل المنار ، الى غير ذلك مما لا ينقطع به العمل بعد الموت .

وله حبس جليل على المارستان للمرضى بصفاقس ، وكان يحبها محبة الوطن ، ويقول
هي اول ارض مس جلدي ترابها .

وله حبس على ثلاثين قارئاً يقرؤون تمام القرآن العظيم بجامع الزيتونة كل يوم في ثلاثين سِفرًا ، تحببها بخط العلامة ابي حفص عمر المحجوب .

ومرّ يوما في طريقه للمحمدية بحومة السبخاء فنادى المؤذن لصلاة العصر ، فنزل ودخل الجامع ، وصلى مع الجماعة ، ولما خرج تلقته اهل الحومة ، وقالوا له : « ان جامعنا تداعى للخراب ، وليس له وقف يفي باصلاحه ، نطلب منك اصلاحه » ، فشكرهم على عنايتهم بمعبدهم ، وعلى كونهم رأوه اهلا لمطلبهم ، ووجه العملة ، وأعادهم احسن مما كان في اسرع وقت ، ووشح بابه بالرخام ، وبني قربه مكتبا ، وجعل به صومعة لم تكن ، وحبس عليه .

ولا اهل هذه الحومة اعتناء بجامعهم هذا ، لبُعد غيره عنهم ، فمن الاتفاق ان ميسناته سقطت ، فتعرضوا للوزير ابي النخبة مصطفى خزنة دار ، ايام المشير ابي العباس احمد باي ، حين مروره للمحمدية ، وقالوا له : « ان المرحوم يوسف صاحب الطابع ، بنى لنا جامعنا هذا ، ونطلب منك ان تصلح لنا ميسناته » ، فلبى طلبهم ، وقال لهم : « لكم الفضل في ذلك » ، فرمّها في اسرع وقت ، على يد ابي عمرو عثمان باش بواب .

قال لي بعض العلماء : « ان الوزير ابا المحاسن مما يصدق عليه قوله تعالى : « الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (1) » ، وكان يرسل لسائر مكاتيب الحاضرة ، وأكثرها من بناء آتية ، في كل عام ، بمال مع ابي الحسن علي الباز ، يدفع لشيخ المكتب خمسة ريالات ، ولكل واحد من الاولاد نصف ريال ، من ضرب السنة ، ويطلب الرسول من المعلم تسريح الاولاد يوم اخذ العطية ، فيقرؤون الفاتحة ، وينصرفون مسرورين بالامرين ، شاكرين داعين بلسان لم يعص الله .

وكان يبعث زكاة امواله سرا للعلماء ، واعظم صدقاته ما كان سببا في بقاء شيخنا سيدي ابراهيم الرياحي بهذه الحاضرة ، وانتفاع الناس بعلومه ، كما تقدم في خبره ، عند ذكر خطباء الجامع الاعظم ، وكان يؤثر بصدقاته السرية من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ويكثرها في رمضان ، ومواسم الاعياد وعاشوراء ، وله عناية بفك ديون الغارمين ، اذا اقعدهم الحال عن ادائها ، الى غير ذلك مما يجده بفضل الله ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحَضَّرًا .

ومذاهب هذا الرجل في الكرم حاتمية . سمعت من الاجل الرئيس ابي محمد حسن بن يوسف المورالي ، وكان من رؤساء شقوفه ، أنه خصه بنقل الرخام لجامعه من القرنة ، فكان يوم سفره يبعث لداره القمح والزيت والدراهم للنفقة ، ويوم قدومه يبعث له كسوة متمومة ، والـف ريال ، دون أجر البحرية . وهكذا في كل سفرة . ولما تم نقل الرخام ، ملكه الشقف بجميع آلاته ومدافعه ، وكانت اربعة ، وقال له : « تمعش به » ، فاتخذة سبب رزقه ، الى أن أخذه الجزيريون ، كما يأتي في خبره ، ذلك من حكاياته الماثورة في الخير والكرم .

والسبب في ثروة هذا الوزير هو التجارة خارج الايالة ، والغزو في البحر . وله سفن كثيرة يستعملها في الغزو ، ويحمل فيها متاجره للبلدان ، وكان تسريح الحبوب والزيت للخروج غير منضبط ، في ذلك العصر ، واهل المملكة لا يدفعون سراحا على ما يخرجونه منها ، وانما يدفع السراح غير اهل المملكة من التجار ، حتى ان المقرب من رجال الدولة يطلب من الباى تسريح مقدار من الحبوب أو الزيت فيعطيه تذكرة الاذن لبيع ذلك التسريح لغير اهل المملكة من التجار ، لما يقتضيه ذلك الحال من الثمن .

وهذا الوزير لا يدفع شيئا على اخراج ذلك مع كثرته ، حتى كاد ان ينحصر فيه المتجر خارج الايالة ، لا سيما صوف الشاشية النافقة يومئذ ، وذلك سبب ثروة خدامه كالحاج يونس بن يونس الجربي ، ومحمد اللوز الصفاقسي ، مع ما رزقه الله من السعادة في التجارة ، والغزو في البحر . وكاد ان يرجع له شقف بغير غنيمة ، وغالب اهل المملكة لا عناية لهم بالمتجر خارج بلدانهم ، وهمهم يومئذ الزراعة ، وشغل الارض ، واستخراج ما اودع الله فيها من الكنوز الطبيعية ، وكانوا يحصلون من ذلك اضعاف ما يلزم البلاد ، فتشترى وكلاؤه منهم ما يلزمهم بيعه ، وتجار الافرنج يومئذ قليلون ، وغالب تجارتهم وقتئذ صوف الشاشية ، والحريز ، والقرمز ، والملف ، والحديد ، واخشاب البناء ، وغير ذلك ، مما تحتاجه البلاد ، وهي يومئذ لم تصل الى درجة الترف والسرف ، كما تقدم في اخبار مخدومه .

وله عند الكثير من اعيان المملكة والحاضرة اموال لها بال على وجه القراض ، يتجرون بها معتمدين جاهه ، حتى ان الفقير القادر على عمل التجارة اذا استقرضه راس

مال يهش لذلك ، ولا يتوقف ، ولا يأخذ الا ثلث الفائدة من أموال قيرآضه ، ترغيبا للناس في العمل ، وفي الاخذ من عنده ، ويقول : « القليل في الكثير كثير » .

واذا اعتبرت هذه الاسباب المتقدمة ، علمت سبب ثروته ، وانها توازي جباية الدولة يومئذ .

وشيوخ الحاضرة يعلمون ذلك ، ويرون ثروته كيف تعود بالنفع للبلاد . ومن اطلع على دفاتره التي بخط والدي ، يرى مصداق ذلك ، واكثر منه ، ولا تظن ان ثروته من مال الجباية او الرشوة وأسبابها ، فانها يومئذ قليلة ، وهي على نسبة الاتفاق مع العمال ، ثم ان الرجل له همة عليّة ، يكره بها الرشوة طبعاً ، ويقول : « انها مذلة ، وصاحبها اجير » .

وبهذه الآثار ، اشتهر ذكره في الاقطار ، اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وزبك يخلق ما يشاء ويختار .

وهاداه سلطان المغرب الشريف مولانا سليمان بحصان كان راكبا عليه يوم المشور ، لما بلغه من بعض رؤساء شقوفه ، حين قدم عليه من سفره ، بأنه مر على تونس ، وأن وزيرها يوسف صاحب الطابع أكرمه وهاداه ، وهادى طائفة الشقف اعظاما لمولانا السلطان ، فقال لوزيره : « ارسل هذا الحصان اكراما ليوسف صاحب الطابع » . ولما وصل استعظم موقعه ، وكان يركبه في آخر امره ، وهو اشقر اللون ، بديع الشكل اعجوبة .

وبالجملة فاخبار هذا الرجل تملأ الصحف ، ومكانته عند مخدمه مكينة ، وله فيه المحبة الصافية والخلة الوافية ، وهو عيّبة سره وسمير نجوته ، وموضع شكواه وحصن امانته ، لا يستطيع العيش بدونه ، وهذا سبب منعه من الزواج ، لان سيده يبيت في صراية الرجال وهو معه . واستأذن سيده في التسري ، فأذن له ، وبعد ذلك أشاع أنه سيزوجه من أخته التي مات عنها الوزير مصطفى خوجة . ولما بلغه ذلك انكف عن التسري وانتظر .

حال هذا الوزير

كان حسنة من حسنات الدهر ، وبابا من ابواب الخير ، ماضي العزم قوي الحزم ، خيرا تقيّا ، عفيفا محافظا على النوافل والاذكار ، ثاقب الفكر ، ثابت القدم في المواقف الحربية ، ذا سياسة ، وأخلاق لا تصلح الا للرئاسة ، عالي الهمة ، أبي النفس ، كريم الطبع ، يحب العلماء والصالحين ، وقور المجلس ، حافظا ما يلزم الخطة بما لا يشوبه

كبير ولا عجب ، ممزوج الدم بحب الوطن ، كَلِيفَ البال بما ينفعه ، محببا الى الناس ،
وحبهم موصول بحب الله ، غيورا على خدمة سيده ، مجاهرا بعداوة من يقدم مصالحة نفسه
على مصالحة الوطن ، يعيب المتصف بذلك ، ولا يراه أهلا لشيء من الخطط ، ولو كان
محبوبا عند سيده ، آية الله في صدق النصيحة ، وكان يخاشن سيده في ذلك بما لا يسوغه
لا فرط المحبة الصافية ، فكان يقول له : « يا يوسف ، لا يتحملك غيري ، ولا تعيش
أربعة أشهر بعدي » ، وكانت كالجفر .

وذلك أنه بعد مصابه بسيده ، طرقتة الاوهام والظنون ، فصار أسيف القلب ،
حليف الحزن .

وفي الثامن عشر من مصابه بسيده ، قدمه الباى ابو عمرو عثمان لولاية خطة خزنه
دار ، وألبسه شعارها ، من القفطان ، والكُرْك ، والزماله ، والطيلسان ، على الشكل المعتاد
أيام أبيه . وكان لبس المخازنية يومئذ يقارب لبس الجند ، أقرب الى أهبة الحرب ، فتولى
اسم الخطة ، واشتمل على الباى غيره ، وأنف من المزاحمة ، وأنساه فقْدُ مخدومه طعم
الدنيا ، فبقي منحجرا في علُوِّه المعروف بعلو مصطفى خوجة ، يأتي لملاقاة الباى كل
يوم ، مشتملا على حزن وصمت وتغافل ، كأنه ضيف ، ويرجع لمحلته ، وأبي معه ،
لم يفارقه ليلا ونهارا ، حتى انه هم بالهروب ، لولا أن والدي يثبطه ، بل لولا القدر ، الى
أن قتل عثمان باى ، واقتعد سرير الملك ابو الثناء محمود باى ، فقال له نصحاؤه ساعة
جلوسه : « لا يتم لك امر الا باصطناع الوزير يوسف صاحب الطابع ، لانه زعيم الدولة ،
العارف بسياستها ، ودقائق احوالها » ، فبعث اليه بالامان ، مع الوزير الشريف ابى عبد
الله محمد العربي زروق ، فأتى مبايعا ، وعظم مقدمه ، وقال له في ذلك الديوان : « قد
زوجتك بنت عمي أخت سيدي حمودة » ، وأعطاه قيَادَ الامر ، وفتح أذنه لتدبيره ،
وانفرد بالرئاسة ، فنافسه أهلها ، وحسدته رجال الدولة ، وكل ذي نعمة محسود ، ورضى
الناس غاية لا تدرك .

وقال للباى : « ان هؤلاء الدين اعانوك على الثورة ، يجب إبعادهم ، حتى لا يجترؤا
على المنصب احد » ، وسمع بذلك الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق ، فعلم انه
المقصود بذلك ، فنظر لئلا ينجاة نفسه ، ودبر مع ابني الباى في الفتك به ، وكان ما كان من قتله ،

وعبث السفهاء بجسده المكرم ، وجرّه مثل جيف البهائم ، وبقاء هذا الشين في جمال هذه الحاضرة ، عمرها الله . وتقدم تفصيل ذلك في الباب الثاني والثالث من هذا الكتاب . وكان ذلك ليلة الاثنين الحادية عشرة من صفر سنة 1230 ثلاثين ومائتين والدف (23 جانفي 1815 م) .

وهذا شأن الوزراء لملوك الاطلاق ، كما تقدم في العقد الاول من مقدمة هذا الكتاب . وكتب على قبر هذا الوزير من نظم شيخنا العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، بعد اختصار منه ، لضيق محل الكتابة ، وكان شيخنا يمليه علينا بتمامه ، ونصه :

لله قد وجب السـدوام	وسواه نهـب للحمـام
حكم جرى تعميمـه	حتمـا على كل الانـام
سيان في تنغيصـه	عال ومنخـفض المقـام
اين الملوك واين من	كانت لهم ترعى الذمـام
لم يحمهم مال ولا	لمح الصوارم والسهمـام
وجميع عزهم انطوى	كالبرق في طي الغمـام
لم يظفروا بسوى الذي	عملوه من خير مُـدام
وجدوه نورا عندما	يسعى المقصر في الظلام
وجدوه سعـدا مؤنسـا	يهدي الى دار السلام
وجدوه ملكا جل ان	يسعى لعزته انصرام
وهو الذي قد رامـه	بصنيعه هذا الهمـام
فأتى بكل عظيمـة	عن مثلها صغر العظام
أولم يُسـل عين النـدا	حتى تضاعـل كل طام (1)
او لم يشد للدين ما	انواره ذات ابتسـام
من جامع جمعت له	كل المحاسن بالتمـام
ومكاتب اضحى بها	در المفـاخر في انتظـام
وموارد بزلالها	ابرى الانام من الأوام

(I) في الاصل : حتى تضاعـم كل ضام ، وكذلك في « تعطير النواحي » .

هذا ، وكم لبتنه في
والدهر كسم لحظته من
جر العساكر خلفه
واطاعه في حربيه
ثم انقضى فكأنه
ومن الذي دامت له
تبكي عليه عوائد
الله يرحم يوسف
لا غرو ان أرخته :

ايامه زمر المرام
اجلاله عين احترام
وبرأيه صلى الامام
نصر عزيز لا يرام
طيف تعرض في منام
والدهر مسلول الحسام
غر بأدمعها انسجام
ختم الكرام بلا كلام
بمئاته يتم الكرام

ولسان هذا النظم من الشيخ ، ينادي بالانكار على قتله . وكان بعد ذلك يأتي
بنفسه لقراءة حزب المدرسة كل غروب ، ويزور قبره كل جمعة ، الى أن أضعفه الكبر .
دخلت يوما الى الجامع فرأيت الشيخ عند الباب المقابل للمحراب ، ينظر صب مطر ،
فهرولت عند رؤيته ، ولما وصلته قال لي : « بش ما صنعت من الجفاء ، أتمر على قبر
صاحب ابيك ، ولا تقف مترحما ، داعيا ، ولو رآك ابوك ساءه ذلك ، أما تذكر حنانه
عليك ، ومحبه فيك ، واحسانه لمعلمك وانت صبي ؟ لا اقبلك حتى ترجع ، وتقرأ سورة
الاخلاص ثلاثا والفاتحة ، وتدعو له بالرحمة والمغفرة » ، ففعلت ، ولما رجعت له قال لي :
« السبب في بقائي بين أظهركم حتى هرولت للقائي ، هو صاحب ذلك القبر » ، واخذ
يحدثني عن فضله وكماله ، وصغر الدنيا وتراثها في عينه ، وانه يطلب ملك الآخرة ، لا
ما اهتموه به ، وهو ما اشرت له في المكتوب على قبره . وهذا الشيخ ممن وفي له بعد الموت .
كما تقدم في الباب الثالث .

اللهم اغفر له وارحمه ، واجعله مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين
والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، سبحانه لا تضيع أجر من أحسن عملا .

[85 - حسن خزن دار]

الحاج حسن خزنه دار .

هو من مماليك الوزير ابي النخبة مصطفى خوجة المتقدم ذكره ، وكان خازن
داره ، ولذلك غلب عليه هذا اللقب .

وترقى في الخدمة الى ان صار باش آغة الصبايحية بوجق تونس ، وخدم خطة دار الباشا نائبا ، لاقامة رسوم دار الخطة . وولّي خزنة دار اياما ، وكاهية بدار الباشا .

كان وجيها ، لم يحفظ عنه خير يذكر ، وهو من الوالغين في دم الوزير ابي المحاسن سيدي يوسف صاحب الطابع ، كما تقدم في الباب الثالث من هذا الكتاب ، وأول من عوقب في الدنيا منهم ، ولسان حال الوزير يقول : « تقدم الطالب ، ولحق المطلوب ، والحكم عدل لا يظلم مثقال ذرة » .

توفي في ذي الحجة سنة ثلاثين ومائتين والـف ، ودفن بتربة سيده (نوفمبر 1815 م).

[86 - محمد الخضراوي]

الشيخ ابو عبد الله محمد الخضراوي الانصاري القيرواني

هو من أفراد القيروان .

أخذ عن الشيخ العالم ابي محمد عبد اللطيف الطوير ، وغيره من علماء القيروان وتقدم لخطة الفتوى .

وكان فقيها خيرا وجيها نقى العرض ، توفي سنة 1230 ثلاثين ومائتين والـف (1815 م).

[87 - محمد النفاتي]

الشيخ ابو عبد الله محمد النفاتي .

من بيوت العلم في الحاضرة ، نسج على منوال آله . وعنده ملكة علمية في الفقه والتوثيق ، وتقدم اماما خطيبا بجامع التّبانين ، المعروف بجامع النفاثة ، عوض أبيه .

وكان الوزير يوسف صاحب الطابع يصلي الجمعة خلفه ، ايام اشتغاله ببناء الجامع ، لان جامعهم يصلي في اول الوقت .

وكان خيرا عفيفا ، غرا كريما ، بعيدا عن التصنع معتقدا .

وكان جليسه في التوثيق شيخنا العالم ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعي .

ولم يزل على حاله ، الى ان رحلته فرس ، فتوفي بسبب ذلك في الحين سنة 1231 احدى وثلاثين ومائتين والـف (1815/16 م) .

88 - محمد شاوش

ابو عبد الله محمد بن علي شاوش .

اصله من ابناء جند الترك ، ولسلفه خدمة في دولة الباشا علي باي بن حسين ، فنشأ صاحب الترجمة في بيت وجاهة ، وساعدته السعادة في المتجر .
وكان وجيها خيرا ، معدودا في الاعيان ، ذا مروءة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في منتصف محرم سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والـف (الخميس 5 ديسمبر 1816 م) .

89 - محمد الفاسي

ابو عبد الله الشيخ محمد الفاسي .

هذا الفاضل من أفراد بيت الفاسي ، الطائر الصيت ، المعروف بالعلم والفضل ، بحاضرة فاس ، عمرها الله ، ساقته المقادير ومنّ الله به على هذه الحاضرة ، فاغبط به الشيخ المفتي ابو عبد الله محمد بن حسين البارودي ، وأنزله بداره على بساط اجلال وتعظيم ، وضمه ضم الكميّ لسيفه ، وضم اليه أبنائه ، يفيدهم العلم ، ويستفيد الشيخ بمسامرته .

ودرس بالجامع الاعظم ، فأخذ راية التقدم باليمين ، ونفع الطالبين ، وصقل الافكار ودرب الانظار ، وقويت اللحمة بينه وبين دار الشيخ البارودي ، وتزوج امرأة من أقاربهم ، وأولدها ابنا مات في حياته ، الى ان استخلصه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع فأفاض عليه سجال كرمه ، وقابله بما يجب لمقامه من التعظيم ، وتصدر بجامعه لاقراء « تفسير القاضي البيضاوي » ، وشرح « سعد الدين للعقائد » ، فظهر العذب من منبعه ، والنور من مطلقه ، والفضل من موضعه ، ورأى الناس من هذا البحر الزاخر ، مصداق « كم ترك الاول للآخر » ، اذ كان على درجة عليا في تحقيق العلوم الشرعية والادبية والعقلية ، كالمساحة والهندسة والفلك وغيرها ، مستكمل المحاسن خلقا وخلقا ، سرّياً تقياً نقياً ، عالي الهمة ، آية الله في العفاف والصبر والحلم ، وقور المجلس ، مهيباً على تواضعه ، منصفاً فصيح اللسان ، حسن التجميل ، بديع المحاضرة ، حدث عن البحر ولا حرج .

زاره أبني في مرض موته ، وحملني معه بنية التبرك ، وقال له : « يا سيدي ان ابني هذا نريد ان نطعمه البلاذر » ، (نبات بالمغرب يستعملونه للحفظ ، فسأله عن كيفية الاستعمال) فقال له : « لا تفعل ، لما فيه من الخطر » ، ثم التفت الي وقال لي : « يا ابني ، اياك ان تفعل ذلك ، فان ابن عرفة سئل عن البلاذر ، فقال هو الاجتهاد والتناظر » ، ثم أخرج كيسا تحت وسادته ، فيه سكة من الذهب ، وقال لوالدي : « هذا ما بقي عندي من إحسان المرحوم يوسف صاحب الطابع ، ارجو الله ان أتبكتغ بها الى انقضاء الاجل ، وان لا يجعل لغيره منة علي » ، ثم وضع يده على رأسي ، ودعا لي ، بما ارجو من الله قبوله . ولم يزل في فراش ذلك المرض ، ولقاء الله احب اليه من كل غرض ، الى ان فجعت العلوم والمعارف بوفاته ، عصر يوم الثلاثاء الثاني (1) من ربيع الثاني سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والـ (18 فيفري 1817 م) ، ونقله من دار سكناه ، تلميذه الشيخ الامام ابو العباس احمد ابن الشيخ محمد البارودي الى داره ، وخرج نعشه منها ، ودفنه بتربة آله ، ووجد عليه ما يجد الابن البار على الاب الشفيق .

وانثالت الادباء على مراثيه ، كشيخنا العالم العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والشيخ ابي عبد الله محمد الخضار ، رحم الله جميعهم .

[90 - حميدة بن عياد]

ابو العباس حميدة بن قاسم بن عياد .

ولد هذا الوجيه بجربة ، ونشأ في بيته النبیه ، ثم تقلب في الخطط النبیه ، كولاية الاعراض وجربة وغيرهما . وقاد الجنود ، وخفقت عليه الرايات ، وكان محببا عند مخدميه الباي ابي محمد حمودة باشا ، يجالسه ويستعين برأيه ، ويؤثره على أقرانه ، وتقدم ذكره في الباب الاول . وكان كريما وجيها ، سليم الصدر ظاهر الثروة ، يغلب عليه الخير في أحواله .

ولم يزل على رتبته المكينة ، الى ان توفي في منتصف شعبان 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والـ (الاثنين 30 جوان 1817 م) ، ودفن بتربة آله خارج باب القرجاني . وخلف اولادا معدودين من النجباء ، [في كيفية جمع الاموال ، على اوجه لا تخطر ببال ، وتقدم بعضهم في خدمة الدولة] (2) .

(1) هو I حسب التقويم .

(2) الزيادة عن ق .

[91 - أحمد سويسى]

الشيخ ابو العباس احمد ابن العلامة ابى الحسن على سويسى .

نشأ هذا الفاضل في بيت فضل وعلم وتقوى ، واخذ عن والده وأعلام عصره ، وتقدم لخطبة الفتوى أوسط رجب من سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (أواخر ماي 1785 م) . وكان فاضلاً عفيفاً ، فقيهاً متواضعاً ، يحب الخمول ، ليس الجانب ، مثبته في الفتوى ، محباً الى الناس ، محمود السيرة ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (سبتمبر - اكتوبر 1817 م) ، وعمره ينيف على الثمانين ، وتقدم اخوه الفقير لخطبة القضاء بالحاضرة ، وتقدم ذكره .

[92 - على خليف]

الفقيه الشيخ على خليف الصفاقسى

هذا الفاضل من علماء صفاقس ، وكان عالماً عاملاً ، مشهوراً بالصلاح ، منكباً على افادة العلم ، يغلب عليه التصوف وطريق القوم . وله نظم في تحريم الدخان . ولم يزل بين عبادة وافادة ، الى ان لبى الى دار السعادة سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (1816/17 م) .

[93 - محمد بن عمر]

ابو عبد الله محمد بن على بن عمر .

اصله من قبيلة اولاد عون ، يرتزق بفرسه ورمحه ، يُعَطِّل الطرقات ، فجده الباي ابو محمد حمودة باشا في طلبه ، وأذكى عليه العيون . ولما بلغه ذلك أتاه بالمحكمة ، وقال له : « انا محمد بن عمر الذى أمرت بالقبض على ، واهدرت دمي ، فها أنا بين يديك » ، فالتفت الباي الى رئيس الكتبة ، وقال له : « سمعا وطاعة لامر الله ، اذ يقول : « إِنْ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (1) فعفا عنه ، وأثبتته صبايحي بديوان المخازنية ، وبعد ثلاثة ايام أثبته شاوشا ، وقفا مع العادة

يومئذ ، وخيره في الاوجاق ، فاختر ان يكون لوجق القيروان ، وترقى في الخدمة الى ان صار كاهية ذلك الوجق ، وعامل قبيلته .

وله في محلة سراط الشجاعة المشهورة والثبات ، ودافع عنه الاجل ، وبه جراحات ، ومات ابنه بتلك المحلة قتيلا ، فما حزن لموته ، وقال : « يحزنني لو هرب ، أكثر مما أجده لموته » .

وكان فارسا شجاعا كريما ، وجيها عربيا السجية ، الى ان زارته المنية سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (1816/17 م) . واعقب ابنا فرسانا ، مات اكبرهم إثر أبيه ، سألحه الله .

[94 - محمد الكواش]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن العلامة الشيخ ابي الفلاح صالح الكواش

نشأ في حجر أبيه ، وأخذ عنه ، واستفاد منه ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم فأفاد وأجاد ، ورام كسب بعض أبناء الافاضل ، ان يكون من اول وهلة معظما كأبيه ، وحال الزمان لا يقتضيه ، فما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء .

وكان الوزير ابو المحاسن يجله ويواسيه ، ويعلم رتبة ابيه ، وانقطع ذلك عنه بموته ، وفات بفوته ، فلاقى الشدة والبؤس ، وقابله الزمان بالوجه العبوس ، وكان فصيح اللسان ، عذب البيان ، حلو الفكاهة .

وتوفي بالطاعون سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (1816/17 م) ، رحمه الله تعالى وغفر له .

[95 - محمد بن نصر]

الشيخ محمد بن نصر القابسي .

نشأ هذا الفاضل في عفاف وصيانة ، وخير وديانة ، وطلب العلم فحصله ، وبلغ فيه أمله ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، وأصابه مرض أقعده ، فكان يقرئ بسقيفة داره ، في زقاق الاندلس ، بمدينة تونس ، والطلبة يتزاحمون على درسه ، لحرصه على النفع ، وله اقتدار على ايصال الطالب للمراد ، وتفضلت من منهله الوراد .

وكان متقدما في المعقول والمنقول ، اديبا شاعرا ، واسع الصدر حسن الاخلاق ، ذا عفة وتقوى ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل في عبادة ، الى ان ألقى الى يد المنية مقاده ، في الثامن عشر من أشرف الربيعين سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والـ (الاثنين 26 جانفي 1818 م) .

[96 - محمد الحرزي]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن قاسم الحرزي .

نسج على منوال اخيه وابيه وجده ، وكان خيرا عفيفا ، عدلا وحيها ، نقي العرض . وليبيتهم في هذه الحاضرة سُمعة وجميل ذكر ، يتداولون مشيخة زاويتهم ، كابرا عن كابر ، على عادة جارية عندهم .

وتوفي في ربيع الثاني من سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والـ (فيفري - مارس 1818 م) ، وبعده توفي شقيقه ، وهو :

[97 - أحمد الحرزي]

ابو العباس احمد بن قاسم الحرزي .

نشأ هذا الوجيه في بيت فضل وبركة ، ونسبهم في بني تميم من صميم قریش ، لان جدهم الولي الصالح العارف بالله سيدي محرز يتصل نسبه بشيخ الخلفاء سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

وكان عدلا فقيها عفيفا ، خيرا فاضلا ، عليه نور جده ، مرموقا بعين اجلال واحترام ، الى ان توفي في جمادى الاولى من سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والـ (مارس - افريل 1818 م) ، عليه رحمة الله .

[98 - أحمد الحداد]

الوجيه ابو العباس احمد بن حسونة الحداد .

هو من اعيان بيوت الاندلس بهذه الحاضرة ، ونشأ بين يدي أبيه في جلباب وجاهة ، ومروءة وعفة ، وقرأ بالجامع ، وحصل ما تميز به عن العامة ، مما يلزمه لدينه ، ثم أقبل على التجارة ، وساعده البخت فيها .

وكان خيرا فاضلا ، عفيفا ثاقب الفكر ، عزيز النفس ، متواضعا على رفعة ، يباشر أحواله بنفسه ، يكره التظاهر للخطط ، ويميل الى الانفراد .
وامتحن بموت ابن له ، وقد وُسم بالنجاة في العلوم ، لولا عائق الاجل المحتوم .
ولم يزل على حالاته المرضية ، الى ان وافاه داعي المنية سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والـف (1817/18 م) ، واعقب ابناء نسجوا على منوال ابيهم ، ومنهم الآن من أكره على الخطط ، فزهد فيها ، وهي رغبة فيه ، كثر الله تعالى من امثاله .

[99 - محمد الوزير]

ابو عبد الله محمد ، ويدعى عزيزي بن الحاج محمود الوزير

نشأ هذا الذكي ، في بيته الاندلسي الاصيل ، ودأب في طلب العلم على درجة التحصيل ، ونبذ الاوطار والمال ، وتشوف الى درجات الكمال ، فقرأ على الشيخ الطاهر ابن مسعود ، وكان يباهي به ، وعلى شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والشيخ الأُبِّي ، وغيرهم ، بفكرٍ سديد ، وباع في الامعية مديد ، وأخبار فطنته في الجامع تسلي ، وعرائس أبحاثه تُجلى .

وكان خيرا عفيفا ، حافظا للقرآن العظيم ، نزيه النفس ، مشغلا بدروسه ، حتى عن مصالح نفسه ، أدركته ، وانا صغير .

ولما حان من بده أوان التَّمام ، عاجله الحمام ، واغتالته المنية من بين أترابه ، على نصارة من غصن شبابه ، في محرم سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والـف (نوفمبر 1818 م) ، رحمه الله تعالى .

[100 - محمد الحبيب الاصرم]

ابو عبد الله محمد الحبيب

ابن الوزير الكاتب الاديب ابي العباس احمد الاصرم .

ولد هذا الاديب بالجزائر ، ايام غربة ابيه فيها ، مع اولاد الباي حسين بن علي ، واتي الحاضرة صبيا ، فقرأ القرآن ، واجتهد في تحصيل العلوم ، فحصل الملكة العلمية .

وله في التاريخ والادب باع ، واشعاره لم تزل تشنف الاسماع ، وتقدم لخطه
الكتابة ، وسلم فيها أنفة من تقديم ابن عمه عليه ، وهو دونه في أدوات الصناعة .
وكان ادبياً شاعراً ، فقيهاً مليحاً المحاضرة ، فصيحاً القلم واللسان ، قويّ العارضة ،
حسن اللقاء ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، نقىّ العرض ، حسن التجمل بالقناعة .
ولم يزل في لباس كماله ، الى آخر نفس انتقاله في ربيع محرم سنة 1234 اربع
وثلاثين ومائتين والـف (الثلاثاء 3 نوفمبر 1818 م) .

[101 - محمد بن الطاهر بن مسعود]

العلامة الصالح ابو عبد الله محمد الطاهر بن مسعود .

نشأ هذا الفاضل من دوحة صلاح وفضل ، في عفاف جزل ، ورفض العلائق ، وتوجه
الى طلب العلم ، فاخذ عن أعلام كالشيخ صالح الكواش ، وغيره من اعلام ذلك العصر ،
وفي اقرب وقت رقى من درجة مجده الاصيل ، الى درجة التخصيل ، وحاز من الفنون
العلمية اوفر نصيب ، ورمى الشوارد بسهم مصيب ، وتصدر للتدريس بالمدرسة السليمانية ،
وجامع الزيتونة ، وبث فيهما من العلم فنونه ، كالتفسير والحديث والفقه ، والنحو والبيان ،
والمنطق والاصول ، وعمر أوقاته بنفع المسلمين .

وتقدم اماماً بالجامع الاعظم عوض العلامة ابي حفص عمر المحجوب ، في صفر
سنة 1221 احدى وعشرين (افريل - ماي 1806 م) ، ولم تثقل عليه الخطة ، لان مقره
في غالب اليوم بالجامع .

وكان رضي الله عنه صالحاً فاضلاً ، عالماً ناسكاً ، تقياً نقياً ، معظماً معتقداً ، مهيباً
صادعاً بالحق ، شديداً فيه ، يميل الى العزلة ، لا يُسَرَّح في غير المطالعة طرّفاً ، ولا
ينتشق لغير المعارف عَرّفاً ، وانفسح مجال دروسه ، واثمرت ادواح غروسه ، وممن لازمه
وانتفع به العلامة الماجد ، صدر الفتوى الآن ابو العباس احمد بن حسين الكافي ، وشيخنا
ابو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وكثير من أمثالهما ، بل لا تكاد تجد عالماً
في عصره لم يأخذ عنه ، فهو شيخ الشيوخ ، وعمدة اهل الرسوخ .

أتيت يومًا ، وأنا صغير ، بغير مشورة أبي ، بعد أن فرغ من درس « الأشمونى » ، وقبلت ركبته ، وجلست أمامه ، فنظر إلى مستفهما ، فقلت له : « نريد أخذ الطريقة عنك » ، فقال لي : « لا طريقة لي إلا هذه » ، اكتب في لوح قراءتك « الأجرومية » ، ثم « الالفية » ، واحفظهما ، مع حفظ لوحتك ، وتعال لأخذ الطريقة ، ولا تشغل فكرك بغير العلم ، فهو أقوم الطرق » ، فقممت من بين يديه ، واخبرت أبي بالخبر ، فقال لي : « قد هداك » ، وفعلت بلوحتي ما أمرني به .

وأخباره مشهورة ، وآثاره مأثورة ، وحسناته مشكورة ، ودرر علومه لم تزل إلى الآن منشورة ، وجاءه أجله ، ولم ينقطع بما بث عمله ، وتوفاه الله شهيدا ، أصيب بالطاعون في صلاة الصبح بمحراب الجامع الأعظم ، وتوفي بعد ثلاثة أيام في السادس والعشرين من صفر سنة 1234 أربع وثلاثين ومائتين والـ (الجمعة 25 ديسمبر 1818 م) ، واهتزت البلاد لفقده ، ولم يتخلف أحد من أهلها عن شهود جنازته . وانطلقت ألسن البلغاء بمراثيه ، والمكتوب على ضريحه ، نظم تلميذه شيخنا العلامة الصالح أبي إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي .

[102 - محمد العذارى]

الشيخ أبو عبد الله محمد العذارى المساكنى .

هاجر هذا الفاضل إلى طلب العلم ، فأخذ عن أعيان ، كالشيخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيخ أبي إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي ، وغيرهم . وبلغ درجة التحصيل ، فتصدر للتدريس بالجامع ، وتولى خطة القضاء بالمحلة مع الباى أبي عبد الله حسين باشا ، فتناول الخطة بيد إنصاف ، وأجرى النوازل على ما يقتضيه العلم والعفاف .

وكان عالما فاضلا ، خيرا ثاقب الفكر ، نزيه النفس ، يميل إلى الخمول ، نقى العرض ، ممدوح السيرة .

ولم يزل على حاله ، إلى أن توفي بالطاعون ثالث صفر من سنة 1234 أربع وثلاثين ومائتين والـ (الأربعاء 2 ديسمبر 1818 م) ، عليه رحمة الله .

[103 - عثمان الرصاع]

الشيخ ابو النور عثمان الرصاع .

نشأ هذا الشيخ في بيت سلفه المشهور ، ومارس العلم وشارك اهله في الملكة ، وله ذكاء وفصاحة ، ومعرفة بالفرائض والتوثيق ، وولي قضاء الفريضة ، والشهادة على بيت المال . وكان ذا همة ووقار ، وعفاف ومجد وموروث ومكتسب ، ووجاهته في الحاضرة معروفة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في صفر من سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والـ (ديسمبر 1818 م) . وله ابناء نسجوا على منوال آلهم ، وزانوا بيتهم بجميل خلالهم . أكبرهم ولي خطة أبيه ، وزهد فيها وما زهدت فيه ، ولم يزد الا الحاح ، الا قوة جماع ، كثر الله من أمثاله في المسلمين ، آمين .

[104 - حمودة الصباغ]

الشيخ ابو محمد حمودة الصباغ الحنفى .

نشأ هذا الشيخ في عفة وصيانة ، على درجة من الديانة ، ضرير البصر سليم البصيرة ، قرأ فاستفاد ودرّس فأفاد .

ودرّس في علم القراءة والتفسير . كان يقرئ تفسير « الخازن » بين العشائين ، بجامعه من ربض باب السويقة .

أخذت عنه تجويد القرآن بروايتي نافع وحفص ، بمقام الولي العارف بالله سيدي محرز بن خلف ، وبعد الدرس نسرده له ما يريد ان يقرئه من تفسير « الخازن » .

واصطفاه الباى حمودة باشا لتجويد القرآن لآله ومماليكه .

وكان وقورا مهيبا ، عزيز النفس أبيّ الضميم ، معدودا من الاخيار .

ولم يزل على فضله واجلاله ، الى آن انتقاله ، بالطاعون في السابع والعشرين من صفر سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والـ (السبت 26 ديسمبر 1818 م) . رحمه الله .

[105 - قاسم بن كرم]

الاديب ابو الفضل قاسم بن كرم .

نشأ هذا الاديب في بيت صلاح ومجد ، وله مشاركة علمية ، وتحصيل في الفنون الادبية ، وشعره معروف بين أدباء الحاضرة . وكان فاضلاً أديباً ذكياً فصيح اللسان بليغ البيان .

ولم يزل على حسن الحال ، يتدرج في سلم الكمال ، إلى أن توفي في صفر من سنة 1234 (ديسمبر 1818 م) ، ودفن بزاوية جدّهم المعروفة .

[106 - قاسم المحجوب]

ابو الفضل قاسم ابن شيخ الفتوى
ابى عبد الله محمد ابن عالم المالكية
ابنى الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الغصن في دوحة علم وشرف ، واقبل ليضيف الى شرفه الموروث شرف الاكتساب . فأخذ عن أبيه وغيره من أعلام الجامع بجدّ واجتهاد ، وفكر يدعو الابي فينقاد . ولما أነع روضه ، وامتأل حوضه ، عاقته يد المنية ، عن بلوغ الامنية . وكان سريراً تقيماً نقيماً . توفي بالطاعون ثالث عشر ربيع الثاني من سنة 1234 ، أربع وثلاثين ومائتين وألف (الاحد 10 جانفي 1819 م) ، رحمه الله .

[107 - أحمد بن سلامة]

الشيخ ابو العباس احمد ابن العالم أبى الحسن
على بن سلامة .

نشأ هذا الشيخ في تربية أبيه ، وأخذ عنه ، وهو من مشايخ الشيخ يبرم كما تقدم . وأخذ عن غيره كالشيخ صالح الكواش . وتصدّر للتدريس بالجامع الاعظم ، وانتفع بعلومه جم غفير من المسلمين . وأكثر تدريسه في الفقه والحديث . وتدرّج في الخطط العلمية ، وولّي القضاء في بنزرت . ثم حنّ لمسقط رأسه ، فاستقال ورجع لحاله من التدريس . وتقدم شيخاً بالمدرسة المنتصرية عوض شيخه . وولّي شهادة الحرمين وامتحن فيها . وخبره معلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وكان فاضلا وجيها ، حسن الاخلاق ، سمح اللقاء ، فقيها موثقا ، ذا وقار وسكينة وتجمّل ، مرموقا بعين إجلال . وتوفي ، رحمه الله ، في شرك محنته بمحبسه ، يوم الجمعة السابع عشر (1) من جمادى الاولى سنة 1234 ، أربع وثلاثين ومائة وألف (12) مارس 1819 م. ، رحمه الله .

وأعقب ذرية ضربوا بسهامهم في النجابة ، من عدالة وقضاء وفتوى وكتابة . كثر الله تعالى من أمثالهم .

[108 - محمد مهنية]

ابو عبد الله محمد ويعرف بولد مهنية .

كان جده من كتّاب الباشا علي باي بن محمد بالقلم التركي ، وتقرب عنده فصاهره على اخته مهنية . وتدرج حفيده في الخطط السياسية . وتقدم ذكره في الباب الاول ، وشكايته من حسن باي ابن يونس . معدود من أهل الوجاهة . توفي سنة 1234 ، اربع وثلاثين ومائتين وألف (1818/19 م.) .

[109 - مصطفى الدنقزلى]

الشيخ أبو النخبة مصطفى دنقزلى .

أصله من أبناء جند الترك ، وبيتهم في الحاضرة ، معدود في الاعيان . وقرأ هذا الشيخ بالجامع على الاعلام ، وحصل ملكة علمية . وتقدم إماما بالجامع اليوسفي ، ولخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، وصرف عنها ، كما صرف الشيخ برناز المتقدم ذكره للتغفل ، لا بجرحه . وبقيت بيده امامة الجامع .

وكان وجيها خيرا ، عفيفا غرا كريما ، لين العريكة ، حسن الاخلاق متواضعا . توفي في شعبان من سنة 1234 ، اربع وثلاثين ومائتين وألف (ماي - جوان 1819 م.) ، رحمه الله .

[110 - محمد بن محمود]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن محمود الحنفي .

هذا الشيخ من بيت وجاهة وعلم وعفاف . قرأ فاستفاد وحصل ملكة علمية في المذهب الحنفي . وتصدر للشهادة ، وبرز في التوثيق والفرائض ، وشارك في غيرهما ، وروى الحديث ، وولّي من الخطط العلمية .

وكان خيرا عفيفا ثقة ، لين الجانب مرموقا بعين إجلال .

ولم يزل على حاله وأسلوبه ، إلى أن توفي إثر وصوله من الحج خارجا من ذنوبه ، في السادس عشر من شعبان ، سنة 1234 ، اربع وثلاثين ومائتين وألف (الخميس 10 جوان 1819 م) .

[111 - سليم خوجة]

ابو النجاة سليم خوجة .

هذا الخير من الموالي ، واصله من القرچ ، نشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، وتقرب لديه ، وكان آية في الوفاء . لما توفي سيده ، عيل صبره ، فكان اذا رأى الباي عثمان في صدر المجلس بموضع سيده ، لا يستطيع امساك دمعته ، حتى استثقل نفسه ، فطلب من الباي الخروج من الصراية ، فسرّحه ، ولامه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فقال له : « استثقلت نفسي ، ورايت ذلك من سوء الادب » ، ونزل عند أبي النخبة مصطفى بن حمزة ، أوضباشي المماليك ، واسف الوزير على فقدده . ولما ولي الباي ابو الثناء محمود باشا بعث اليه ، وقرب منزلته ، واستكفى به في مهماته وسفاراته ، فسافر عنه الى الدولة العلية العثمانية غير مرة ، وسافر الى الجزائر ، كما تقدم في الباب الثالث ، ثم تزوج من مخدرات تونس ، بنت الشيخ علي مهاود ، شيخ الربض ، والمقرب عند الوزير ، واستقر بتونس كساكنيها من رجال الدولة .

وكان خيرا وجيها ، قارئا يكتب بالقلم العربي والتركي ، حسن الاخلاق ، قويّ العارضة ، مصيب البديهة ، ذا وقار ودين ، وهمة عالية ، مع تواضع ، نازعا عن الفضول ، متشبّتا فيما يقول ، مليح الاثر ، طيب الخبر .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى أن توفي يوم الاثنين غرة ذي الحجة (1) سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والـف (20 سبتمبر 1819 م) .

[112 - محمد الحلفاوى]

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ الحاج حمودة
ابن الشيخ على ابن الشيخ محمد الحلفاوى .

نشأ هذا الرجل بزاوية آله ، محافظا على برود كماله ، ناسجا على منوالهم ، مقتديا بطيب اعمالهم .

وكان نقي العرض ، خيرا عفيفا ، فقيها جاريا على سنن المهتدين ، متخلقا باخلاق الصالحين ، مرموقا بالاجلال والاحترام ، الى ان حل به رائد الحمام سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والـف (1818/19 م) ، ودفن بزاويتهم .

[113 - محمد مزالى]

ابو عبد الله الشيخ محمد مزالى المنستيرى .

هذا البيت من اعيان البيوت بالمنستير ، ونشأ هذا الشيخ في ظل مجده الاثير ، وجد في طلب العلوم فاستفاد ، وافاد واجاد ، وتصدر للتدريس فعد من الافراد ، وتقدم لخطبة الفتوى والامامة والخطبة ببلده ، فحسنت آثاره ، وطابت اخباره .

وكان عالما فقيها ، متضلعا بالعلم ، اديبا شاعرا ، جيد الحفظ ، حسن التطبيق ، خيرا عفيفا ، معظما مقصودا للنفع ، حسن اللقاء ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على رفعة مكينة ، منصف من نفسه .

عارضه القاضي ببلده ، وهو يومئذ العالم الفاضل ابو محمد حسن الخيري ، ولجّ معه في البحث ، الى ان قال للقاضي : « عمن أخذت العلم ؟ » ، فاجابه القاضي بقوله تعالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَيَعْلَمُ كُفْرُ اللَّهِ » (2) ، فاستحسن الجواب ، ومدح القاضي .

(1) هو 30 ذو القعدة حسب التقويم .

(2) س 2 / 282 .

وشعره محفوظ ، وبعين الاستحسان ملحوظ .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى ان لبى داعي المنية في سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1818/19 م) ، ودفن بمقام المازري ، رضي الله تعالى عنه وارضاه ، بالمنستير .

[114 - محمد زعفران]

الفقيه ابو عبد الله محمد زعفران المنستيري .

كان عالما فقيها معظما ، خيرا تقيا ورعا ، جاريا على سنن المهتدين ، مجاهرا في العبادة ، حريصا على الافادة ، معدودا في العلماء العاملين ، تدرج في الخطط العلمية ، وولي القضاء ببلده المنستير ، فاقام رسم الحق .

وحكم في نازلة بغير المشهور من مذهب الامام مالك ، ثم رجع ونقض حكمه بعد عامين ، وبين سبب غلطه ، فاشتكى المحكوم عليه للمجلس الشرعي بباردو ، بين يدي الباي ، وتأمل المجلس في الحكم ، فأثنوا على صاحبه بمثانة الدين ، وإيثار الحق عن حظ النفس ، وعظمت منزلته ، ونقل لخطه الفتوى بسوسة ، فهرغ أهل بلده ، واتفقت كلمتهم على عدم التسليم في قاضيهم ، ورفعوا شكايتهم على لسان واحد ، فأسغفهم الباي ، ورجع نوره الى مطلقه ، وعذبه الى منبعه .

ولم يزل مكرما عزيز الجاه ، الى ان انتقل الى ما عند الله ، في خلال سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1819 م) ، عن سن عالية .

[115 - صالح بن عبد الجبار]

الشيخ الفقيه ابو الفلاح صالح بن عبد الجبار الفرشيشي .

هذا الشيخ من قبيلة الفراشيش ، هاجر لحفظ القرآن العظيم والعلم ، ثم ارتحل من تونس الى مصر ، فقرأ بالازهر على أعلامه ، ولازم الشيخ الامير ، وانتفع به ، ثم رجع لتونس ، مملوء الوطاب ، بما زكا وطاب ، من العلم المستطاب ، وأثر المقام بناجته ، والالتحام باخوته ، في ظل خيمته ، عن سكنى المصر والانغماس في نعمته ، وانتفعت القبيلة بعلمه ، وحسن هديه ، حتى صار الراعي منهم يقرأ القرآن ، ويعلم ما لا بد منه ،

في شرع الايمان ، واذا عدله احد عن سكنى البادية ، يقول : « التلذذ بالمقام مع اخوتي ، ونفع قبيلتي ، أشهى الي من كل لذية » ، وينقل ما كان يستدل به العالم العارف بالله سيدي الحسن اليوسي ، لما سكن البادية ، وكاتبه سلطان المغرب مولانا اسماعيل ، منكره عليه .
وللوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع محبة وتعظيم فيه ، ينزل اذا أتى الحاضرة بدارنا ، لصحبة قوية بينه وبين أبي ، وبأي العصر يجعله اجلال علماء الحاضرة ، وللناس فيه اعتقاد .

وكان عالما فاضلا ، تقيا معتقدا ، معظما وجيها ، ملتحقا برداء الصالحين ، متخلقا باخلاق الناسكين .

وكان شيخنا العالم ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي يعظمه ويجله ، ويزوره بدارنا ، ومنه سمعت ترجمته ، اذ كنت صغيرا من اولاد المكتب يومئذ ، وغاية ما أعلم منه ، انه يطلب مني ان نكرر له محفوظي من القرآن ، ويفسر لي ألفاظه ، بقدر ما تحتمله الصبيان .

وجاء من ناجعته مهنثا والدي ، لما فرج الله عليه محنته ، ورجع من الغد .

ولم يزل على حاله ، والقلوب منطوية على تعظيمه وحبه ، الى ان لبى داعي ربه ، في سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1818/19 م) . وكانت وفاته بالكاف ، اناها زائرا ، واوصى بها ان يدفن بتراب بلاده .

وكان الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بها يومئذ ، فجهزه في تابوت ، وبعث به معظما مكرما الى تربته ، رحمه الله تعالى .

[116 - أحمد خوجة]

ابو العباس احمد بن محمد خوجة الحنفى .

نشأ هذا الوجه في بيت مجد وعفة ، واصطحب والدُه مع الوزير مصطفى خوجة في المدرسة صحبة اقتضت وفاء كل منهما لصاحبه ، وذلك بسبب خدمة هذا البيت في الدولة . وتدرج بنوه في خططها النبيلة ، وصاحب الترجمة أقبل في شبابه على العلم ، وحصل مع قريحته الصافية . ولما عد من اعيان اهل العلم جذبته الوزير الى الخطط السياسية ، وتقدم لولاية بنزرت ، فزان الرئاسة ، بحسن السياسة .

وكان عالما فقيها ، ذكيا فصيح اللسان ، عالي الهمة اثيرا في الدولة ، واختاره الباي رسولا الى السلطنة الشريفة المغربية ، ووافاه الاجل المحتوم بفاس ، وبلغ خبر وفاته لتونس في محرم سنة 1235 (اكتوبر - نوفمبر 1819 م) .

[117 - محمد بن محمد بن محمد صدام]

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر صدام القيرواني
نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ عن أبيه ، وعن الشيخ عبد اللطيف الطوير
وغيرهما بالقيروان . وتقدم للخطط العلمية بالقيروان ، كالامامة والقضاء والفتوى .
وكان فقيها ، خيرا وجيها ، جاريا في فضله وعفافه ، على سنن أسلافه .
وتوفي آخر محرم من سنة 1235 خمس وثلاثين (الخميس 18 نوفمبر 1819 م) .

[118 - مصطفیٰ بوخریص]

أبو النخبة مصطفى ابن العلامة أبي العباس أحمد بوخريص .
نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه علامة العصر . وانقطع لشرف العلم انقطاعا جليا ،
ونبذ الدنيا ظهريا ، فأخذ عن والده ، وعن شيخنا صالح العصر أبي عبد الله سيدي محمد
ابن صالح بن ملوكة . وحفظ « المختصر الخليلي » ، وكانت مسأله نصب عيانه ، وأخذ
عن أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وغيرهم . وله خط فائق ، وشعر رائق .
ثم أقبل على الله ، وتأنس بالوحدة والانقطاع ، مع ما له في الفنون من الباع ، قانعا
بقليل المتاع .
وكان خيرا فاضلا ، تقيا سالكا ، يغلب عليه الصمت ، رافضا ما لا يعني ، عزيز
النفس ، مهيبا حتى عند مشائخه ، عالما فقيها فَرَضِيًّا .
ولم يزل متجملا بخلاله ، في برود كماله ، الى آَنِ انتقاله ، في صفر من سنة
1235 خمس وثلاثين ومائتين والـف (نوفمبر — ديسمبر 1819 م) .

[119 - حسن بوخريص]

وفي اليوم الرابع من وفاته ، توفي شقيقه أبو محمد حسن ، وكان يجري خلفه في كسل فن ، وظهرت نجابته قبل استكمال هلاله ، لكن قطعت المنية وصل آماله .

[120 - محمد الطاهر بوخريص]

شقيقهما ابو عبد الله محمد الطاهر
ابن العلامة ابي العباس احمد بوخريص

نشأ هذا الذكي بين يدي أبيه ايضاً ، وقرأ عليه ، وعلى من تقدم من الاعلام ، وحفظ
« المختصر الخليلي » ايضاً ، وأوقف نفسه على طلب العلم ، فأورى زند الذكاء اقتداحاً ،
وأجال في كل فن قداحاً . وله اشعار تحفظ ، وبعين الاجادة تلاحظ ، وله خط تفنن في
أنواعه ، وابدع ما شاء في اختراعه .

وكان فقيهاً متفنناً ، أدبياً فصيح اللسان ، بليغ البيان ، ذا ذكاء يطير شرره ،
وإدراك تنبلج غرره ، حسن اللقاء ، ممتع المحاضرة ، ما شئت من كرم أخلاق ، ومذاكرة
حلوة المذاق ، وبديهة نيرة الاشرار .

أدركته ، وأنا بزاوية الشيخ ابن ملوكة ، وشيخنا يهش اليه ، ويقبل بالاستحسان
عليه .

ولم يزل همه طلب المعالي من كل ثنية ، الى أن وافاه قاصف المنية ، في ربيع
الاول من سنة 1235 (ديسمبر 1819 - جانفي 1820 م) .

[121 - أحمد بوخريص]

أخوهم أبو العباس أحمد ابن العلامة ابي العباس احمد بوخريص .

نشأ هذا الفقيه بين يدي أبيه ايضاً ، واستفاد منه ، واخذ عن الاعلام المتقدم ذكرهم ،
وبرع في الفقه فهمه ، وأضاء في سمائه نجمه ، وله يد طويلة في الفرائض والتوثيق وحسن
الحظ ، وآثارها في الوجود تشهد له .

وكان فقيهاً فرضياً ، عالماً عالي الهمة ، كريم النفس ، حسن المحاضرة ، ذا وقار ،
جميل الاخلاق .

ولم يزل في مراقبي الاعلام ، الى أن حل به رائد الحمام ، في رجب من سنة 1235
خمس وثلاثين ومائتين والفريل (ماي 1820 م) ، رحمهم الله ، فجَعَ الطاعون
بهم حاضرة تونس ، وكانوا أغصاناً في روضها المؤنس .

[122 - أحمد القسنطيني]

ابو العباس الحاج احمد القسنطيني .

كان هذا الوجيه من أعيان الحاضرة وتجارها ، عفيفا وجيها ، عزيز النفس ، ذا صدقات جارية ، نزيه النفس .

تقدم لو كالة الجامع الاعظم ، وهي من الخطط النبیهة في الحاضرة ، وهو الذي وشح رؤوس سواريه بالنقش . ولما شرع في ذلك انكر عليه الامام العالم الشيخ الطاهر بن مسعود ، وامر الطلبة باخراج تلك الاعمدة ، التي يعتلي الصانع عليها ، وبلغه الخبر ، فأثى عَجِلا ، فقال له الشيخ : « تصرف من حبس الجامع في غير مصلحة ومن غير مشورة الائمة » ، فقال له بعنف : « انا غير محجور علي في مالي ، فاذا تبرعت منه لا استشير اماما ولا غيره » ، فسكت الشيخ ، فقال له الوكيل : « قل للطلبة يرجعون ما اخرجوه » ، ففعل . وابطل هذا الوكيل عوائد كانت لو كلاء الجامع من الحبس .

ولم يزل على عفته وامانته ، الى أن خرج متطوعا بالحج ، فتوفي هناك ، ووصل خبر موته في سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والـ (1819/20 م) . وقام ابنه مقامه في الوكالة على الجامع ، الا أنه لم يسلك نهج أبيه ، غفر الله للجميع .

[123 - محمد البرانسي]

ابو عبد الله الشيخ محمد

ابن العالم المفتي العباس احمد البرانسي الثعالبي .

نشأ هذا الشيخ في بيت عفاف وشرف ودين ، وتوجه لطلب العلم فاستفاد ، وتصدر للتوثيق ، وتقدم لشهادة الغابة بتونس ، وهي من الخطط النبیهة في الحاضرة .

وكان فاضلا ماجدا ، وجيها خيرا ، عفيفا عالي الهمة ، شديدا في الحق ، لان صاحب هذه الخطة يومئذ ، هو المحتسب على العشار في تطفيف الكيل ، وعلى الفلاحة في زيتون الاحباس .

ولم يزل على حاله نقي العرض ، مكرما بحسبه ونسبه ، الى ان توفاه الله سنة 1235 (1819/20 م) .

[124 - على الباهي]

الشيخ ابو الحسن على ابن الشيخ العالم ابي الفداء اسماعيل ابن الشيخ العالم
الولي ابي العباس احمد الباهي ، صاحب الكرامات نفعا الله به

هذا الفاضل هو حفيد صاحب الزاوية الشهيرة بتونس ، بناها جده ابو العباس سيدي
احمد الباهي من ماله . ويرجع نسبه لوائل بن حجر الصحابي .

وكان عالما صالحا معتقدا ، ذا كرامات . ولما شرع في بناء هذه الزاوية المؤسسة على
التقوى ، راوده الباشا علي بن محمد علي ان يُعينه بمال فأبى ، ثم راوده ان يحبس عليها
هنشيرين فأبى ايضا . وقبره بها يتبرك به الى الآن .

وفي هذه الزاوية امداح من فحول الشعراء بتونس ، وفيها المقامة البهية للورغي ، ومن
ادباء مصر ، مجموع ذلك بديوان معروف .

وابنه ابو الفداء اسماعيل اخذ العلم عن أعلام ، وبعثه ابوه الى الولي العارف بالله
سيدي ابراهيم الجمني ، فأقام في زاويته بجزيرة تسع سنين ، وأخذ عنه ، ثم قدم الى
الحاضرة متضلعا بالعلم والنور ، وتصدر للتدريس في زاوية أبيه .

وهذه الزاوية مأوى المتغربين لحفظ القرآن العظيم ، وسرها مشهور في ذلك ، ومن
حفظ بها القرآن والد العبد الفقير ، في قليل من الزمان ، وأخذ عن صاحبها مباشرة ، وكان
يخدمه . ويحكى عنه من الاسرار والكرامات ، الامور الغريبة . ولله في خلقه أسرار .

ونشأ صاحب الترجمة بين يدي ابيه ، وأخذ عنه ما لا بد منه ، ثم رحل الى اداء
فريضة الحج ، واجتمع بأعلام أخذ عنهم ، واغترف منهم ، ثم حج متطوعا ، وزار الشام ،
وتطيب بقبور الانبياء صلوات الله عليهم ، واجتمع بالامير الشهير الذكر احمد باشا
الجزار ، فأكرمه وبالع في إجلاله ، وعرف منزلته .

وتقدم شيخا بزاوية جده ، بعد وفاة ابيه ، على مقتضى نص حبسها ، وله رتبة عالية ،
وامتزاج قوي مع الباي ابي محمد حمودة باشا ، يقوم للسلام عليه ، ويجلسه في مجلس
التكريم ، ويركب معه في شَرِيُولِه الى منوبة ، اذا جمعهما الطريق ، رغبة في محادثته ،
وتلذذا بمجالسته ، التي لا تمل .

وكان الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، يأتي لزيارته بداره في تونس ، ويقبل يده ، ويأتيه الى داره التي بناها بجبل المنار ، وهو يأتي الى الوزير في بساينه ، ويقول : « نستحي من المبيت عند هذا الرجل ، لما نشاهد من أذكاره ونوافل صلواته ، مما لا اقدر على ربّعه ، وأنا ابن عالم ، وهو ابن جاهل ، وفضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

ومن مكانة هذا الشيخ عند صاحبه أمير العصر انه ربما يفتات عليه في بعض الامور . اتفق انه جاء من داره بجبل سيدي ابي سعيد الى حلق الوادي ، فوصلت سفينة في اليوم من الاسكندرية ، وفيها سلطان المغرب المخلوع ، مولانا سلامة ابن مولانا محمد ، فتوقف الكاهية ابو عبد الله محمد خوجة في تنزيله للبر ، على الاذن من الباى ، وشرع يكتب في الاستئذان ، فقال له الشيخ : « انا رسول الباى اليك ، يأمر بك بانزال هذا الشريف ، ليقم عندك بحلق الوادي ، مكرما معظما ، حتى يتهيا له المحل بتونس ، وان شئت نكتب لك رسالتي » ، فصدقه الكاهية . وركب من فوره الى باردو ، فوجد الباى بمنوبة ، فلحقه وقال له : « اني نقلت عنك إذنا لم تقله لي » ، وقص عليه الخبر ، « خشية ان يتغير خاطر الشريف ، بسبب التأخر ، فاشكر الله الذي جعل حاضرتك مأوى لاهل الشأن » ، فشكره الباى على هذا الافتيات ، وقال له : « الآن تحقق عندي اني احب الناس اليك ، ونطقت بما في نفسي » ، وامر في الحين باحضار الدار للشريف ، واكرم نزله ، واجرى له ما يناسب مقامه . واستقر بتونس الى ان توفي بها .

وتزوج هذا الشيخ كريمة من الترك بالمؤرّة ، واتى بها ، أولدّها بعض بنيه .

وكان هذا الفاضل خيرا عفيفا ، كريما ذا همة عالية ، ونفس زكية ، ما شئت من سلامة صدر ، وتواضع على رفعة قدر ، وباع في التاريخ طويل ، ومحاضرة واسعة ، لا يمل جلّيسه .

ولم يزل رفيع المقدار ، تساعد الاقدار ، الى ان لبّى الى تلك الدار ، في شوال من سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والّف (جويلية - اوت 1820 م) ، فقام مقامه في الزاوية أخوه لايه ابي عبد الله محمد بن اسماعيل .

[125 - عبد السلام الفراتي]

الشيخ ابو محمد عبد السلام الفراتي الصفاقسي

هذا الشيخ من أعز بيوت صفاقس ، وأعيانها . نشأ في طلب العلم ، فحصل واستفاد ، وتقدم للتدريس فافاد ، وعلا ذروة المنبر خطيبا ، وضمّته طيبا .

وتقدم لخطبة القضاء ببلاده ، وكان خيرا عفيفا ، صبوراً نقى العرض ، الى ان توفي عن سن عالية سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (1819/20 م) .

[126 - أحمد بن شعبان]

ابو العباس احمد بن شعبان .

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان كالشيخ الطاهر ، وشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والشيخ بن ملوكة . وامتطى صهوة التحصيل في المعقول والمنقول . وتقدم قاضيا براس الجبل ، فاعطى الخطبة حقها من الدين والتثبيت ، وعد من قضاة اللجنة . وكان عالما فقيها ، ثقة خيرا وجيها ، نقى العرض اديبا شاعرا ، وجواهر شعره محفوظة ، وبعيون الاستحسان ملحوظة .

وكان شيخنا الرياحي يشيد بذكوره ، ويستجيد غرر شعره .

ولم يزل يمزج حلو الزمان بمره ، الى يوم قبره ، في سنة 1235 خمس وثلاثين (1819/20 م) .

[127 - أحمد بيرم]

الشيخ ابو العباس احمد

ويدعى حميدة ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

نشأ في بيت شرفه ، وقرأ مبادئ العلوم ، وعاقه عن الغرض ، ملازمة المرض .

وكان ماجدا عفيفا ، عالي الهمة محمود السيرة ، وجيها ملازما داره ، الى ان توفي سادس ربيع الثاني من سنة 1236 ست وثلاثين (الخميس 11 جانفي 1821 م) ، ودفن بتربة أبيه قرب دارهم .

[128 - حسن شلبي]

ابو محمد حسن شلبي

جدهم شلبي ، المملوك الذي انذر الباي حسين بن علي ، وحذره من فتك الداي الاصفر ، فاصطفاه لما نجاه الله ، وقربه ، وصاهره على بنته ، فأولدها ولدا توفي ، وهذا من اولاده .

وله في الحاضرة وجاهة بهذا السبب .

وكان خيِّرا ، ملازما لصلاة الظهرين بالجامع الاعظم ، ويتشبه بباي العصر في غالب زِيَّته . وله تَجَلَّةٌ عند اولاد حسين بن علي ، لهذه القرابة ، الى أن توفي في شوال من سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والـف (جويلية 1821 م) ، عليه رحمة الله تعالى .

[129 - حسن بن اسطامراد]

ابو محمد حسن بن اسطامراد .

هذا الرجل من أحفاد الداي اسطامراد ، كان وجيها مترفعا ، طاوي النفس الى المعالي بغير آلة لذلك ، سوى ثروة في المال ، من حطام آله واحباسهم ، ما درى كيف يصرفها . وكان ظاهر النعمة ، حسن الزي ، يلبس الفاخر ، توفي يوم الخميس الثامن عشر (1) من ذي القعدة سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والـف (16 اوت 1821 م) ، ودفن بتربة جده المعروفة .

[130 - أبوبكر صدام]

الشيخ ابو بكر بن محمد بن محمد

ابن الحاج محمد بن ابي بكر بن ابي الطيب صدام اليمنى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه المتقدم الذكر ، واخذ العلم عن والده ، وغيره من علماء القيروان ، كالشيخ عبيد الغرياني وغيرهما . ثم رحل الى تونس فأخذ عن أعلامها ، كالشيخ الشحمي ، والشيخ قاسم المحجوب ، والشيخ عبد الله السوسي ، وغيرهم .

(I) هو 17 حسب التقويم .

ولما اُضيف رتبة التحصيل ، الى مجده الاصيل ، تصدر للتدريس بجامع الزيتونة ، ونشر در العلم وعيونه ، ثم رجع لبلاده ، فتقدم لخطبة الفتوى ورئاستها . وكان عالما فقيها ، متبحرا فاضلا وجيها ، سالكا سبل المهتدين ، مشهورا بالورع في الدين .

ولم يزل رفيع المقام ، يرأس الاعلام ، والقيروان به في ابتسام ، الى ان عيبت حين نعاها الحمام ، يوم الجمعة الحادي عشر (1) من رجب سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والـ (13 افريل 1821 م) ، رحمه الله تعالى .

[131 - محمد غريضو]

ابو عبد الله محمد غريضو الاندلسي .

هو من اعيان الاندلس (2) ، وساعده البخت في التجارة ، وتقدم لخطبة باطيان الشواشي ، وهو من اعضاء مجلس التجارة . وكان كريما وجيها ، عزيز النفس عالي الهمة ، يحب ان تظهر نعمة الله عليه . توفي ، ولم يعقب ذكرا ، في سنة 1236 (1819/20 م) .

[132 - محمد المستيري]

ابو عبد الله محمد المستيري .

هذا الرجل من أمائل البلاد ، كان يحترف بصناعة الشواشي ، وهو ربيب الباشا ابي الثناء محمود باي ، واخو زوجة ابنه من جهة الام ، ثم تقلب في الخطط النبيهة والاعمال ، ولبته الآمال ، ومع ذلك لم يَحِدْ عن الاستقامة ولا مال ، لما في طبعه من خلال الكمال ، يُدِلُّ بالنجابة ، ولا يلتفت الى القرابة ، والانسان ابن نفسه ، يقدم من تقدمه في الخدمة ، ويستشير في أعماله شيوخ الدولة ، بأدب في الاسترشاد .

(1) هو IO حسب التقويم .

(2) غريضو : بكسر الغين وتشديد الراء المكسورة وضم الضاد .

قال له يوما ابو الربيع سليمان بن الحاج : « افعل ما يصلح بك ولا تتوقف على مشورة ، فلست مثلنا » ، فقال له : « والله ان جميع من تقدمني في الخدمة خير مني ، وما اشرت اليه من القرب لا اعتمده ولا أراه عمدة للعاقل » .

وكان وجيها عاقلا ، لبيبا يغلب عليه الحياء ، ليث العريكة ، حسن اللقاء ، متواضعا ، حسن السيرة .

ولم يستكمل الامل ، حتى صبحه محتوم الاجل ، في رابع صفر من سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والـ (الاربعاء 31 اكتوبر 1821 م) ودفن بمقام الشاذلي ، رضي الله عنه .

[133 - محمد الحشايشي]

ابو عبد الله الحاج محمد الحشايشي .

نشأ هذا الشيخ في بيت نبيه شرفه ، وله معرفة تامة بعلم الفرائض والفقه ، وملكة في غيرهما . وتنقل في الخطط العلمية ، وولي قضاء الفريضة ببيت المال ، وانفصل عنها .

وكان وجيها ، حسن المذاكرة ، مرموقا بعين الاجلال ، الى ان توفي في السابع والعشرين من اشرف الربيعين سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والـ (السبت 22 ديسمبر 1821 م) ، واعقب اولادا ، يُحْيُونَ اسمه ، ويحفظون رسمه .

[134 - أحمد بن سلمان]

الوالى العارف بالله ابو العباس أحمد بن سلمان .

اصل هذا الفاضل من زاوية الصقالبة ، بدخلة المعاوين ، واستوطن منزل تميم ، لما تمم حفظ القرآن رحل لطلب العلم الى الحاضرة ، فأخذ عن أعلامها ، كالشيخ الغرياني ، والشيخ ابي محمد عبد الله السوسي ، والشيخ ابي الفلاح صالح الكواش ، ولازمه وسكن مدرسته المنتصرية ، واستعان بالطاعة ، فحصل من نور العلم اوفر بضاعة ، ثم أعرض عن متاع الغرور ، وزخرف دار المرور ، ورجع الى منزل تميم ، ونبذ العلائق والحاجات ، وذاق لذة المناجاة ، وقسم أوقاته بين عبادة وافادة ، وحث على اسباب السعادة .

ومن قرأ عليه شيخ شيوخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي ، وكان يلهج بجميل ذكره ، وطيب آثاره ، في محاضراته واسماره ، وانتفع به اهل بلده عموما وخصوصا ، وكانوا في محبته بنينا مرصوصا ، واشتهر اشتها الصباح ، بالعلم والصلاح ، ونقلت عنه الكرامات ، وهي بالنسبة لمثله من اقل المقامات .

وكان إذا أتى تونس ينزل بالمدرسة المتتصرية ، في قرى شيخه الشيخ صالح الكواش ، وكان يسلم له الولاية .

اتفق ان بعض أحباب الشيخ نائبة ، وتلميذه هذا عنده ، وكان ضعيف البنية ، يشتكي ألما برأسه ، يشتد بالبرد ، فأتاه شيخه ، وقال له : « يا سيدي احمد ، انت تعرف ان ابا الافادة ، كأبي الولادة ، ولي عليك حق ، وبمقتضاه نطلب منك ان تدعو لحبيبي فلان ، بتفريج نائبة ، وتبقي رأسك مكشوفاً الى ان يفرج الله كربه » ، فبكى ، وقال له : « اذاً اموت يا سيدي ، حملني مشقة غير هذه » ، فقال له الشيخ : « لا قدرة على غضبك ، ولا يرضيني منك الا كشف الرأس » ، فامتل باكيا ، وقبل مضى اليوم ، فرج الله على المكروب ، وعلى التلميذ : « يا سيدي ، ثم قال الشيخ لتلاميذه : « نعلم ان الرجل من المحبوبين ، وان ملاقة البرد لرأسه اشد الاشياء عليه ، فلا جرم أن الله يغار عليه » ، وهذا من غريب منازع الشيخ صالح . سمعت ذلك من الشيخ اسماعيل في مجالسه مرارا ، ولله في خلقه اسرار .

وكان والدي يعتقدده ، سمعت منه انه حملني اليه ولي من العمر نحو العام ، فوضعني في حجره ، ودعا لي بما ارجو من الله قبوله .

وله في حديث الكرامات ، واجابة الدعوات ، آثار مأثورة ، واخبار مذكورة .

وكان رحمه الله عالما عاملا ، من ورثة الانبياء ، علم الشريعة تحققا وتخلقا ، تقيا نقيا ، عابدا صواما قواما ، زاهدا في الدنيا ، معرضا عن زخارفها .

وكان الوزير يوسف صاحب الطابع ، يبعث له كل عام هدية من دنانير وثياب وطيب مع والدي ، ويبيت عنده ليلة ، فيوزع جميع ذلك على فقراء البلد ، ولا يدخل لداره شيئا من ذلك ، ولو قليلا ، كأنه أمين على توزيعها . ولما كلمه والدي في ذلك ، قال له : « حسبك تبليغ الامانة لمن ارسلت اليه ، وانا نعلم ما نحتاج اليه » .

وكان في بلاده آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، بلسانه ، يحب الخير لعباد الله ، ويدعو لهم بالهداية ، واسع الصدر ، يعفو ويصفح عن ظلمه ، محبا معتقدا عند العامة والخاصة ، وهم شهداء الله في خلقه ، وثناؤهم من موجبات الجنة ، ما شئت من العلم والدين ، وترفع الزاهدين ، واخلاق المهتدين ، وسيماء المتجهدين ، وانوار العابدين .

ولم يزل متعلق القلب بحب لقاء الله ، حتى احب الله لقاءه ، عشية يوم الثلاثاء من اوائل رجب سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والـ (3 رجب - 26 مارس 1822 م.) عليه رحمة الله تعالى ، ونفعنا ببركاته ، آمين .

[135 - محمد قلالة]

الكاتب ابو عبد الله الحاج محمد قلالة .

نشأ هذا الاديب بالقيروان ، وأخذ عن أعلامها ، وأتى الجامع الاعظم ، وحصل ملكة في الفنون ، وقرض الشعر ، وحاك الادب ، ثم رجع للقيروان ، واقام بها على صناعة التوثيق والتدريس .

ولما احتيج في قلم الانشاء الى كاتب اذ لم يكن في الكتبة يومئذ من يستكفي به ، استقدمه الباى حمودة باشا من القيروان ، وقدمه للكتابة ، فقام بانشائها ، وعد من نبهائها ، فقربه واستخلصه ، وغص به رئيس الكتاب يومئذ ، اذ كان يقصر عن مداه ، ولا تصل اليه خطاه .

وكان عالما ادبيا ، كاتباً شاعرا ، وشعره محفوظ ، وبعين البلاغة للمحوظ . وله قصيدة نظم فيها مآثر مخدومه الباى حمودة باشا ، وقصيدة أجاب فيها شيخنا العلامة ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وغير ذلك مما جلى في ميدان الاجادة . وهو على درجة من الفضل وعزة النفس ، واباءة الضيم ، وفي طبعه حدة احتملت ، وغطتها صناعته .

ولم يزل على جلالته المحسودة ، الى ان استكمل أنفاسه المعدودة ، ليلة الاربعاء الخامس والعشرين من رجب سنة 1237 سبع وثلاثين (17 افريل 1822 م.) .

[136 - محرز النفاتي]

الشيخ ابو محفوظ محرز بن رمضان النفاتي .

نشأ هذا الشيخ في بيت مجدهم الاصيل ، وقرأ العلم واستفاد جريا على سَنَنِ اسلافه ، وتحبَّب الى الناس باخلاقه وأوصافه . وله براعة في صناعة التوثيق والفسرائض . وتقدم خطيبا بجامع التبائين .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا ليثا الجانب ، سمح اللقاء ، مقتفيا سنن المهتدين ، ذا سَكينة ووقار .

ولم يزل معظما مكسوما ، الى ان توفي في شعبان من سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والـ (افريل - ماي 1822 م) ، ودفن بتربة آله ، وأعقب ابنا يحيي ذكر أبيه ، وبيتهم النبیه .

[137 - اسلام راييس]

هذا الرجل من أعيان الجند ، وترقى الى الرئاسة البحرية ، وسافر بالاسطول ، وغزا في البحر، وتنقل الى أن صار قبطان البر ، وهو رئيس الرؤساء البحرية ، مُعَافًى من عناء الاسفار .

وكان وجيها مهيبا ، ذا عفة ونزاهة وكرم نفس ، شجاعا مقداما ، وله يومئذ الرتبة النبیه ، مرضي السيرة في البلاد ، شديد المحافظة على عرضه ، توفي اوائل ذي الحجة سنة 1237 (أواخر أوت 1822 م) ، وتقدم عوضه محمد عزيز راييس .

[138 - أبو الغيث البكري الاصغر]

الشيخ ابو الغيث ابن الشيخ علي ابن الشيخ ابي الغيث
ابن الشيخ عثمان ابن الشيخ ابي الغيث ابن الشيخ علي البكري
المتقدم ذكرهم في الايمنة

نشأ هذا الشيخ في أطلال بيتهم ، يرى أجداث مَيِّتِهِمْ ، ثم طمحت نفسه بعد وفاة ابيه ، لعدم من يوقظه ويربيه ، الى الخطط المخزنية ، فالتزم العلفة والغابة ، ونابه فيهما ما نابه ، وكان لجلده من جهة الأم اجباس على الذرية ، اشترط في تحبيسها ان المستحق

من الذرية على مقتضى النص ، اذا احتاج ، له ان يبيع الحبس ، وهو مصدق في دعوى الاحتياج ، من غير يمين ولا بينة . وكأنها كرامة للمحبس ، اذ هو سيدي ابو الغيث القشاش (1) وانحصر الاستحقاق فيه يومئذ ، فباع تلك الاحباس ، فيما لزمه من الخسارة ، وامتدت ايدي الفناء لاموال هذه الزاوية واملاكها ، وكانت الوزراء يقومون للسلام على مشائخ الزوايا اجلالا لهم ، لا سيما الزاوية البكرية ، فلما تولى هذا الشيخ الخطبة المخزنية ، ودخل على الوزير ابي عبد الله محمد العربي زروق ، لم يقم له ، وقال له : « بالامس كنا نقوم لتلقيك اجلالا لسلفكم ، وحيث لم ترض بسيرتهم وآثرت عنها الولاية المخزنية ، فلا بد ان تكون كرجالها ، تفعل ما يفعلون ، من غير فرق » .

ولم يزل في هذه الحالات ، الى ان تداركه الله بالوفاة ، ليلة السبت الثامن عشر (2) من جمادى الثانية سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والـ (1 فيفري 1823 م) ، بمرض الجدري ، واخذت الزاوية في التراجع ، ولم يبق الا الاسم والخبر ، وسبحان من لا يحول ولا يزول .

[139 -] الداي فيضي

هذا الرجل من أعيان الجند وخيارهم ، نشأ باسلامبول ، واتى متطوعا للخدمة في الجند ، وتدرج في الخطط النبيهة والولايات ، وله امتزاج باهل البلاد ، وتودد لهم ، ومعرفة باعيانهم واقدارهم .

تقدم للخطبة بعد ابي العباس احمد الباوندي في رابع محرم سنة 1237 سبع وثلاثين (1 اكتوبر 1821 م) ، ، وهرع الناس لتهنئته ، واستبشروا بولايته ، لما يعلمون من سيرته ، الدالة على حسن سريره .

طلع اليه يوما أحد أولاد الشيخ الحشايشي شاكيا ، فقال له باش حانبه : « هذا ولد الشيخ الحشايشي » ، فقال له : « أتعرّفني باولاد البلاد ، وقد حضرت يوم عقد ابني على امه ؟ » ، وسأله عن إخوته .

(1) من متصوفى تونس (959 - 1031 هـ) .

(2) هو 19 حسب التقويم .

وكان خيرا عفيفا ، عالي الهمة ، كريم النفس ، حسن اللقاء ، ذا سكينه ووقار ،
متشبها في فهم النوازل ، حسن الادراك ، المعني البديهة ، حازما ذا تجلد على كبر سنه .
ولم يزل حميد الحال ، مشكور الخلال ، الى ان عبت البلاد بوفاته اثر ابتسامها ،
وكان ذلك ليلة النصف من شعبان سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والـ (السبت 26 افريل
1823 م.) ، ودفن بتربة ابراهيم داي ، جوار الشيخ ابن زياد رضي الله عنه ، واعقب
ابنا جرى في ميدان النجاة ، منتظما في سلك صناعة الكتابة ، كثر الله من أمثاله
في الوجود .

[140 - رشيد خوجة]

ابو محمد رشيد خوجة .

هذا الرجل من الموالي ، واصله من بلاد القرج ، نشأ في الخدمة وتمرن فيها ، واثمته
الباي ابو محمد حمودة باشا على نفائس مخبآته ، في المحل المعروف بالغرفة في قصر باردو ،
وله احترام واجلال ، وصفات كمال . واغتبط به من بعده من الامراء .
وكان ثقة امينا ، خيرا تقيا ، لين العريكة ، بعيدا عن الشر ، حسن الكتابة بالقلم
التركي ، نقى العرض .

ولم يزل حميد الاوصاف ، رافلا في حلة عفاف ، الى ان توفي في الثامن عشر من
ذي الحجة سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والـ (الثلاثاء 26 أوت 1823 م.) ، ودفن بتربة
الوزير ابي المحاسن يوسف خوجة ، وكان يحبه .

[141 - محمد العربي زروق]

الوزير الشهير ابو عبد الله محمد العربي زروق .

نشأ هذا السيد في بيت شرف اصيل ، ومجد اثيل ، اصله من أشرف باجة تونس ،
وتقدم والده للخدمة وكيلا على أبنية دار الامارة بباردو ، وسكن به .
ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه ، وتعلق بخدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ،
وبينه وبين أخته زوج الباي محمود باشا نسب الرضاع ، وقربه الباي واصطفاه لمجالسته ،

واستكفى به في المهمات ، كاصلاح قلعة الكاف وتحصينها ، وبناء الابراج ، والصور ، وغير ذلك ، حتى زاحم الوزير ابا المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ووجد كل منهما على صاحبه .

ولما مات سيدهما ، انحجر الوزير يوسف صاحب الطابع في محله ، نافض اليد من الخدمة ، وان تبدل زيّه وعلا اسم رتبته ، لكن العبرة بآثار خدمته ، والوزير العربي زروق انحاز الى اخته من الرضاع ، وزوجها وبنيتها ، وقام لهم باعباء الثورة على الباى أبى عمرو عثمان ، وسهّل عليه الامر ، لان الوزير ابا المحاسن مقصور اليد ، خامل الشأن ، فكان يأتيه زائرا ، وربما يومئ اليه ، فيجيبه بتجاهل العارف ، الى ان كان ما كان ، وجلس ابو الثناء محمود باي على دست الامارة ، وصفا له الجو ، بقتل ابن عمه وابنيه ، وقرب الوزير ابا المحاسن باشارة الوزير العربي زروق ، فأول ما اشار به اقضاء رجال الثورة ، وعلم العربي زروق انه هو المعني بهذه الاشارة ، فسعى في منجاة نفسه ، واوغر صدور اولاد الباى وغيرهم ، بالحجر والعجز ، ونفوسهم بحدة الشباب طامحة للتصرف بالهوى ، واعانه ما في نفوس الاكفاء من الحسد ، ولا يخلو منه جسد ، حتى جاءت الداهية ، بقتل يوسف صاحب الطابع بتلك الاسباب الواهية ، واستبد الوزير العربي زروق بمنصب الوزارة ، ونسي ما كان يقرره في معاني الامارة المطلقة ، والقدر يحول بين المرء وقلبه ، ومد يده في الخدمة ناظرا في اشاراته الى المصلحة ، وان خالفت الهوى ، ومضى له ذلك مدة استمتع الباى واولاده بمخلف المرحوم سيدي يوسف صاحب الطابع واصحابه ، حتى اذا نفذ ذلك ، التفتوا الى من تسبب لهم في الملك ، ومنهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا ، وثروة البلاد لا تفي بما تاقوا اليه نفوسهم من السرف في الترف ، والوزير يصدّهم عن ذلك ، الا انه ربما يسيء ، مدلا بالقراية ، والمخاطرة بنفسه في الثورة ، لاخذ الملك لهم ، فاتخذوا الوزير ابا عبد الله حسين خوجه ، زبونا عليه ، واعانوا شراعه بالنسب ، مع ما في قلبه من الاخذ بثار سيده ابي المحاسن ، واعانه ايضا ما في نفوس الاكفاء ، من داء الحسد ، والحسود مغتاز على من لا ذنب له ، واعانه ايضا ما جرت به عادة ملوك الاطلاق في الغالب ، من استئفال من يتسبب لهم في الملك . وانظر ذلك من ابي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية ، وطاهر بن الحسين قاتل الامين لرضى المأمون ، وأبي عبد الله الشيعي صاحب الدعوة العبيدية ، الى ان يصل بك العد فيمن دون هؤلاء الى هذا الوزير .

ولما حان القدر، وقع في الحباله التي نصبت له أولاً، فردّها على صاحبها، ثم رُدّت عليه .

وجرت عادة الله أن لا يقع في البئر إلا من حفر، ووقع له ما وقع لصاحبه من القتل، واخذ المال والاتباع، والتنكيل عليهم بتلك الأسباب التي هي كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

وكان ذلك ليلة الثلاثاء الثالث عشر (1) من صفر، شهر صاحبه، سنة 1238 (29 أكتوبر 1822 م)، كما تقدم في خبر مقتلهم من الباب الثالث (2)، وحمل شلوه إلى الجلاز، فغسل به، ودفن بتربته، خشية أن تعبث الأراذل، بجسده الشريف، كما وقع بمن تقدمه، فيقوى الشين في وجه البلاد .

ولما خرج والدي من سجن محنته خاطبه هذا الوزير في الرجوع للخدمة معه، بيت خزنة دار، فأبى عليه، وقال له: « لا ننكر أنني صنيعتك من القتل، ومع ذلك لا أنسى عهد صاحبي »، فتجاوز له، وبعث له من الغد ألف ريال، وقفيزين قمحاً، وكسوة له ولبقية أهل بيته، رحمه الله .

وسمعت أخبار هذين الوزيرين من الشيخ أبي الفداء اسماعيل التميمي، ومن والدي رحمهما الله، وما رأي كمن سمع . نسأل الله أن يغفر لهما، وهو الغفور الرحيم .

وكان هذا الوزير فاضلاً حازماً، نبهها ثاقب الفكر، أبيّ الضيم، عالي الهمة، عزيز النفس، صعب المقادة، شجاعاً كريماً، وقوراً المجلس، فصيح اللسان، له مشاركة علمية، قويت بمخالطة العلماء، وله امتزاج قوي بشيخنا أبي الفداء اسماعيل التميمي، يُربي على أخوة النسب، وكان يحب الامتزاج بأعيان البلاد، كالعشرة الكبار حكّام المتجر، والعشرة الكبار من الشواشية وأمثالهم . وكان يبعث لهم من دار الباي إذا أتى للحاضرة، ويجلبهم ويعاتبهم على التخلف عنه، ما شئت من نفس هاشمية، وإخلاص على حديثها زكية، ورائحة نبوية، وسياسة كسبح بها الدولة ورجالها، وطمح بها إلى الغايات فنالها، ولم يزل القدر يساعده، ويقوى به ساعده، إلى أن فارقه في الدنيا

(1) هو I2 حسب التقويم .

(2) انظر ص 106 وص 138 من ج 3 .

اسعاده ، وكبا به جواده ، ورثاه العالم الاديب المفتي ابو عبد الله محمد الخضار ، بما هو مرسوم على قبره ، رحمه الله تعالى ، وهو :

الدهر يعثر بالجياذ الضمير	ويطيش بالسهم السديد المنبري
والموت يهدم كل عز شامخ	ويسروع بالحدثان كل معمر
بين العزيز على الاسرة ناعما	حتى تراه على البساط الاغبر
هذا ضريح ضم نسمة من اذا	عد الكرام فعدّه بالخنصر
غربت به شمس الوزارة فهني في	اصدافيه مخبوءة كالجوهر
اكرم به أن ضم شخص محمد العربي	في زروق شريف العنصر
قد كان حزما يستضاء برأيه	في ورد كل عظمة او مصدر
كم سد فيض نواله من خلة	كرما ، وحلل كربة عن معسر
حتى سقاه من الحمام لاله	كأسا يضوع نسيمه كالعنبر
فلذاك بادر للترحيل مسرعا	واجاب داعي الحق غير مقصر
ومضى تلاحظه العيون ، كما مضى	وشئ الربيع بكل يوم أزهر
وغدا يجبر ثيابه من سندس ،	وسط الجنان ، وعقري اخضر
حييت مهما قيل فيك مؤرخا :	روى صدك نزيه ماء الكوثر

ورثاه غيره من أدباء العصر ، وجلّى من قال في بيت تاريخه :

فارحمه يا أهل المراحم ، فهو في تاريخه : وافى علاك شهيدا

واعقب ابنا يأتي خبره ، ان شاء الله تعالى ، أصيب مع أبيه في درك المحنة ، ثم تداركه لطف الله ، ونجا بنفسه ، وشيء من تراث أبيه ، ونال حظوة ، بعد تلك الكبوة.

[142 —] أبو عبد الله الملقب بالفرطوط

هو من الموالي (1) ، ونشأ صغيرا في الجزائر ، وجاء الى تونس ، وخدم الباي ابا محمد حمودة باشا ، وهو صغير ، وآل امره أن اصطفاه ابو النخبة مصطفى باي ، وترقى عنده ،

(1) الفرطوط : بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الطاء الاولى وتشديد الثانية مضمومة .

وسافر معه بالمحال ، بخرطة خزنه دار . هو من النجباء الاعيان ، معدود من اهل الشأن ، كريم النفس ، نقى العرض ، حسن الاخلاق . ولم يزل على حاله ، الى ان توفي سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والـف (1822/23 م).

[143 - أحمد سيالة]

ابو العباس احمد سيالة .

هذا البيت بصفاقس من أكابر البيوت ، المشار اليهم خلفا عن سلف ، وصاحب الترجمة وان كان تونسي المولد ، فهو من بينها .

نشأ في عفاف وضمير ، وعلق مهجته بالعلم ، فأخذ عن أعلام كالشيخ أبي محمد حسن الشريف ، والشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيخ أبي العباس أحمد الأبي الحنفي ، والشيخ أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي . واجتمعت معه في بعض الدروس ، وكان ذكيا فصيحاً حسن الاخلاق ، وعاقته المنية ، عن اتمام الامنية ، في محرم غرة شهور سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والـف (سبتمبر - اكتوبر 1823 م) ، واعقب ابنا صار شيخ المدينة ، ومن رجال المجلس الاكبر ، نحا منحى والده ، في الذكاء والسياسة والفصاحة ، رحمه الله تعالى .

[144 - محمد القلشاني]

ابو عبد الله محمد بن تاج بن عبد اللطيف
ابن القاضي احمد بن عبد اللطيف القلشاني .

هذا الفاضل من بيت علم وفضل في القديم والحديث ، كما تقدم في تراجم أئمة الجامع ، وامتنى بنوه صهوات المراتب العلمية ، من تأليف وتدريس وامامة وفتوى وقضاء وتوثيق ، من لدن الدولة الحفصية الى هذا العهد . وكتب التاريخ مشحونة بفضائل الاعيان من هذا البيت .

ونشأ صاحب الترجمة ، محافظاً على شرفه ، سالكاً ما استطاع سبيل سلفه ، فطلب العلم ، وحصل المالكية ، وتقدم للتوثيق ، وتولى من المناصب الشهادة على اوقاف الجامع ، وقضاء الفريضة ، وشهادة بيت المال .

وكان فقيها ، خيرا عفيفا وجيها ، نزيه النفس ، حسن الاخلاق ، جميل المحاضرة ، متواضعا ، مرموقا في البلاد بعين اجلال .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي يوم المولد النبوي من سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والـف (الاحد 16 نوفمبر 1823 م) ، وترك اولادا اعيانا ، نسخة منه ، رحمه الله تعالى .

[145 - سليمان ململى]

ابو الربيع سليمان ململى (1) .

نشأ هذا الرجل في ظل الخدمة ، من حوالب الترك ، وترقى الى ان صار رئيس الحوالب ، وقربه مخدمه الباى ابو محمد حمودة باشا ، وسفر عنه الى رومة ، والى امريكا ، وانقلتيرة ، وحسنت وجهته ، وهو من خواص الوزير ابى المحاسن سيدى يوسف صاحب الطابع ، وامتنحن بعد موته بالعزل والسجن فقط . سمعت من أبى انه لما نقل من بيت الحوالب الى السجن بالزندالة ، صادف ذلك اليوم تسريح صاحب الترجمة منها ، فترك له فراشه وغطاءه . ولم يزل أبى يذكر ذلك له .

وكان وجيها خيرا ، جديا ذا وقار وهمة وكرم نفس ، وفي آخره صار محتسبا . ولم يزل مرموقا بعين اجلال ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والـف (جانفي 1824 م) ولم يعقب ذكرا .

[146 - على مهاود]

ابو الحسن على مهاود

هذا الرجل من أعيان بلدية الررض . كان يحترف بالتجارة في غلال الزيتون ، وثمر الاشجار . وتقدم امينا على غابة تونس ، ثم تولى شيخا في الررض ، فقام بواجب الخطة ، وظهرت فيها نجابته وكفايته ، وهو من اشيع الوزير سيدى يوسف صاحب الطابع ، واصابته النكبة بعد موته بالسجن واخذ المال . ثم خرج من السجن صفر اليدين ، وردت له داره ، وبقي خاملا الى ان كانت ثورة الترك ، فأعيد للخدمة لحاجة الخطة اليه ، كما تقدم في الباب الثالث .

وكان وجيها ثابت الجنان ، حازما عالي النفس ، ثقة امينا ، صلبا في الحق .
ولم يزل مرضي السيرة الى ان توفي في ذي الحجة من سنة 1239 تسع وثلاثين
ومائتين والـف (جويلية - اوت 1824 م) ، عليه رحمة الله تعالى .

[147 - بلقاسم العفيفي]

الشيخ بلقاسم بن احمد العفيفي التبرسقي .

نشأ هذا الفاضل في بلد تبرسق ، وأخذ العلم عن الشيخ سيدي صالح الكواش ،
والشيخ سيدي حسن الشريف ، وغيرهما من اعلام الحاضرة ، وتصدر للتدريس فافاد . وكان
اكثر دروسه في الفقه ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .

وكان تقيا خيرا ، عالما له الى الله وجهة ، ذا سكينه ووقار وتواضع ، عزيز النفس ،
قانعا بالكفاف ، محببا الى الناس ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل على حاله بين عبادة وإفادة ، الى ان حل اجله ، ولم ينقطع عمله ، وذلك
اواخر ذي حجة من سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والـف (أواخر اوت 1824 م) .
واعقب أبناء سلكوا في العفة مسلك أبيهم ، واصغرهم هو الآن زينة مجالس العلم ،
ومنابر الوعظ والفتوى ، وزان علمه بالعمل والتقوى ، كثر الله من أمثاله .

[148 - محمد حمزة]

الشيخ المفتي ابو عبد الله محمد حمزة .

هذا الشيخ من اعيان صفاقس ، أخذ عن الشيخ الطيب الشرفي ، وغيره من علماء
بلده . وكان عالما متفنا قوي الحافظة ، وتقدم لخطبة الفتوى ثم توفي سنة 1239 تسع
وثلاثين (1823/24 م) .

[149 - حميدة الغماد]

ابو العباس الحاج حميدة الغماد .

هذا الرجل من بيت علم ووجاهة ، تقلب بنوه في الخطط العلمية ، ونشأ صاحب
الترجمة في ظل بيته فحفظ القرآن وضايقه الزمن في التوجه للعلم ، فأقبل على معاشه ، وتقدم
شيخا بالمدينة ، وهي من الخطط النبيلة ، يقال لصاحبها أمين الامناء ، وله دخل في سائر

صناعات البلاد ، وما يرجع لعموم مصلحتها ، فأخذ الراية باليمين ، وقام بالخطبة قياما لم يسمع مثله عمن تقدمه ، وقصر عنه من جاء بعده ، وأغنى وأقنى في ثورة الترك الاولى والثانية ، كما تقدم خبر ذلك .

وكانت المدينة ايام ولايته محروسة مأنوسة ، يدور أرققتها ، ويجوس خلال دورها ليلا ، يتوخى بقاء الستر ما استطاع ، ونبت حبه في قلوب اهلها النبات الحسن ، يعود مرضاهم مشفقا ، ويحضر جنازتهم حزينا ، وأفراحهم مسرورا .

استشاره والدي في الزوج ، فإشار عليه بوالدتي ، وقام باعباء ذلك وليا من الطرفين . وكان رحمه الله يقول لي : « أنت ابني » ، ومهما رأني يمتحن حافظتي ، بقراءة ما يقترحه علي من القرآن . وهكذا مع أولاد أصحابه . وأخباره في الحاضرة ، تحسن بها المحاضرة .

وكان محببا لعقل مخدومه ، مكين المكانة عنده ، يستكفي به في المهمات ، ويرمي به في نحور المعضلات ، ثابت الفكر ، قوي القلب ، حسن المحاضرة ، وقور المجلس ، عالما بمنازل الناس ، معظما للعلماء والاشراف ، مثابرا على قراءة القرآن من حفظه ، يجلس مع القراء شيخا في المآتم التي يحضرها . وتجرات عليه بالسؤال عن ذلك ، فقال لي : « اني من مناصب القراء بحزب السبع ، وبها افتخر ، لا بمشيخ المدينة ، وما ضرني أن أكون مع اخواني ممتزجا بهم حتى لا يظنوا بسي الترفع عنهم ؛ والجلوس في عبادة التلاوة ، خير من الجلوس في وسط الدار » .

ولم يزل معظما وجيها ، معتبر الرأي ، الى ان توفاه الله في ربيع الاول من سنة 1240 اربعين ومائتين والـ (اكتوبر - نوفمبر 1824 م) ، بعد أن أقام شيخا نيفا وثلاثين سنة . وله ابن نسج على منوال أبيه ، جاريا على قدمه . وتقدم شيخا بربرض باب الجزيرة . رحمه الله تعالى .

[150 - محمد الخماسي]

ابو عبد الله محمد الخماسي .

هذا الرجل من قبيلة الخمامسة ، من عروش ونيفة ، ونزل في فرسان المخازنية ، وجلى في مضمار الخدمة ، وتقلب في وظائفها ، الى ان تقدم كاهية وجق التوانسة ، بإشارة

رجب بونمرة المتقدم ، واستكفى به مخدمه في المهمات ، وهو الذي أنكى في مقتلة
الثائرين من جند الترك بوادي الطين ، ثم انفصل عن هذه الخطة ، وتقلد غيرها من الاعمال .
وكان شجاعا مقداما ، صبوراً ثابت الجأش ، ذا همة ونفس أبية ، ووقار وصمت .
وتوفي في ربيع الثاني من سنة 1240 اربعين ومائتين والـ (نوفمبر - ديسمبر 1824 م) .
وله ابن اقتدى بأبيه ، وهو الآن من أعيان المخازنية .

[151 - أحمد بوخريص]

الشيخ العلامة ابو العباس احمد بوخريص .

اصل هذا الفاضل من جبل وسلات ، وساقته السعادة الى الحاضرة مع اهله ، في
جالية الجبل ، لما أخلاه الباشا علي باي الحسيني ، فحفظ القرآن ، وأقبل بقلبه وقالبه على
العلم ، فأخذ عن الاعلام والافاضل كالشيخ الشحمي ، والشيخ سيدي صالح الكواش ،
والشيخ محمود الغنجاتي وغيرهم . وبرع في الفقه والاصلين والفرائض والتوثيق . وله قدم
راسخ في غيرها من العلوم .

وتصدر للتدريس في الجامع الاعظم ، فروى الظمآن من نهري الفياض ، وملاً
الحياض ، وتدريب به أعيان ، من فرسان هذا الميدان ، وصاروا به من ذوي الشأن ، يشار
اليهم بالبنان ، كشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا العالم الصالح
ابي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن سليمان المناعي ،
وشيخ الفتوى ابي النخبة مصطفى ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ،
وغيرهم من صدور وأعيان ، تحلى بهم جيد الزمان ، ويقتصر عن إحصائهم الحساب .

وكان آية الله في الحفظ وسعة الاطلاع ، مع ثقوب الفكر .

ولازم الدرس بالمحرزية بين العشائين ، فانتفع به جم غفير من عامة ربه . وكان
يقول : « هذا الدرس أرجو به من الله ، ما لا أرجوه من غالب دروسي » . وله حرص على
افادة تلاميذه .

وتقلب في الخطط العلمية ، وزان المنبر والمحراب ، وألزم لخطة القضاء ، فما وسعه
الا ان اجاب ، وذلك في تاسع ربيع الثاني سنة ثلاثين (الاحد 19 فيفري 1815 م) ،

وقام لله بما يجب في حقوق عباده ، بتقواه وجدده واجتهاده ، ولم يقبل خصما في دار سكناه ، ثم انعكس نور عيني رأسه الى عين قلبه ، فلزمه التسليم واسط رجب من السنة ، وأقبل على ما ألفه من افادة العلوم ، وأراحه الله من اساءة الخصوم .

وامتحن بموت أبنائه الاعيان المتقدم ذكرهم . سمعت من أكبرهم صاحبنا العالم الكاتب ابي عبد الله محمد قال : « لما قبض الاول منهم أتيته لبيته ، وقلت له : يا سيدي البركة فيك ، فقال لي : توفي اخوك ؟ ، فقلت : البركة فيك فقال : الله ، انا الله وانا اليه راجعون ، ثم سكنت ، وخرجت لتجهيز دفنه ، وهكذا في بقيتهم ، لم أسمع منه غير هذا » ، وذلك يدل على ما له في مقام الصبر من رسوخ القدم ، لا يغره وجود ولا يروعه عدم .

وكان رحمه الله نزيها عفيفا ، عالي الهمة عزيز النفس ، أبا الضيم ، مقداما على قول الحق ، حاضر الجواب ، مائلا لاخلاق الصالحين ، بعيدا عن المداهنة والتصنع ، متبلا بالكفاف ، متجملا بمعالي الاوصاف ، مهيبا عند الملوك .

ولم يزل فارس هذا المجال ، يملأ السجّال ، ويث العلم في صدور الرجال ، الى أن حل اجله ، ولم ينقطع بعد الموت عمله ، وذلك خامس ربيع الاول من سنة 1240 اربعين ومائتين والـ (الخميس 28 اكتوبر 1824 م) .

ورثاه تلميذه شيخنا المحقق ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، بما هو مكتوب على قبره ، خارج باب القُـرْجاني .

وأعقب أولادا تسنّموا ذرى الخطط العلمية والقلمية .

[152 - محمد الفراتي]

الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد الفراتي الصفاقسي ويعرف بالشافعي .

نشأ هذا الشيخ في صيانة بيتهم المعروف بصفاقس ، وأخذ مبادئ العلوم عن علماء بلده ، ثم ارتحل لتونس ، فأخذ عن أعيان ، منهم العلامة ابو الفداء اسماعيل التميمي وغيره . ورجع لبلده ، فتقدم لخطبة الفتوى بها .

وكان جميل السيرة ، حسن الاخلاق ، فقيها مدرسا ، نقى العرض ، محبا الى الناس .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1240 اربعين ومائتين والـ (1824/25 م) .

[153 - نصر الكافي]

الشيخ ابو الفلاح نصر الكافي .

أصل هذا الشيخ من الكاف ، وهاجر لطلب العلم بتونس ، فأخذ عن أعلامها ، واختص بالشيخ صالح الكواش فانتفع به ، وتصدر للتدريس بالجامع ، وانتفع به جسم غفير ، لا سيما في الفقه المالكي .

وكان فقيها حافظا ، عالما خيرا تقيا ، على قدم شيخه ، نزيه النفس ، عالي الهمة ، بعيدا عن التصنع ، غرا في امور ديناه ، والمؤمن غر كريم .

وسافر لاداء الفريضة ، وحاضر أعلام الأزهر ، ورجع لتونس .

ولم يزل على حاله ، مستورا بتجمله متجملا بخلاله ، الى ان توفي سنة 1240 اربعين ومائتين والـ (1824/25 م) ، فيما اظن ، أو بعدها ، ولم اقف على تحقيق وفاته ، رحمه الله ، أدركته ، والناس يعظمونه .

[154 - شاكير المملوك]

هذا الرجل من ممالك الباي أبي محمد حمودة باشا ، وانتقل لتونس بعد وفاة سيده ، ثم رجع للخدمة في دولة الباشا أبي الثناء محمود باي ، وتزوج من عقائل تونس بنت علي مهاود شيخ الربض ، وساكنه ، وتقدم للخطط والاعمال ، وأساء واحسن ، وعلى بعض الاساءات عزل ، وبقي مطروحا .

وكان حاذقا لبيبا ، له معرفة بعلم الحساب وبراهينه ، وبرع فيها ، توفي في محرم سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والـ (اوت - سبتمبر 1825 م) ، ودفن بتربة الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع .

[155 - محمد شرف الدين]

الكاتب ابو عبد الله محمد شرف الدين .

أصله من نبهاء البيوت بنابل ، ونشأ في عفة وصيانة عرض ، وله مشاركة علمية . قدمه الباي ابو محمد حمودة باشا للكتابة ، في قلم الانشاء وخف على قلبه ، وتأنس بمحادثته ، على قصوره في صناعته . وكان يركب معه في شربوله ، لإظهاراً لمحبتة .

وكان ظريفا حسن الاخلاق ، حلو الفكاهة ، متجملا في حالاته . أقعده مريض النقرس عن الخدمة ، فبقي بداره ، موفى الجراية المعتادة ، مرموقا بعين احترام ، مجاب المسألة ، الى ان توفي في محرم من سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والـف (اوت - سبتمبر 1825 م) ، ودفن بالجلالز .

[156 - محمود بن محمود]

ابو الشناء الشيخ محمود بن محمود الحنفى .

نشأ هذا الرجل في بيته النبیه ، واخذ عن الاعلام ، وتفقّه وحصل الملكة العلمية ، ومنعه عن ملازمة التدريس تكسبه بصناعة التوثيق والفرائض ، وله فيهما اليد الطولى ، وتولى في المراتب العلمية ، وسافر اماما بمحال الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع . وكان ذا همّة ووقار ، وعفة وتجمال ، عالما خيرا وجيها ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والـف (ديسمبر 1825 - جانفي 1826 م) .

[157 - محمد الاصرم]

الكاتب ابو عبد الله الحاج محمد
ابن الوزير الكاتب ابي العباس احمد الاصرم .

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، وأخذ عنه ، ثم قرأ في الجامع ، وحصل ملكة علمية ، وبضاعة في التاريخ ، وقدمه الباى ابو محمد حمودة باشا للكتابة ، في قلم الانشاء ثم تقدّمه لرئاستها ابن عمه وصهره ابو عبد الله محمد الاصرم ، فأنف لذلك ، وسلّم ، وألزمه الباى ، فرجع كاهية ابن عمه على كره ، ثم اصيب بمرض النقرس ، ولازم لاجله قربص ، وبنى به فسقية للماء ، وحمامات ودارا .

وكان وجيها مشاركا ، ذكيا ألمعي الفطنة ، أقرب من غيره لصناعة الانشاء ، عزيز النفس ، عالي الهمّة ، حسن اللقاء ، كريم الخلق .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي بحمام قربص ، ودفن به ، في جمادى الاولى سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والـف (ديسمبر 1825 - جانفي 1826 م) . وأعقب ابنا تقدم للكتابة .

[158 - أحمد الوصيف]

ابو العباس الشيخ احمد الوصيف

نشأ هذا الشيخ في عفة وصيانة ، وديانة وامانة ، وحصل ملكة علمية ، وله يد في فن التجويد ، ودرّس بالجامع ، يحترف بصناعة التوثيق ، وعد من أعيانها .

وكان عفيفا خيرا ، ذا سكينه ووقار ، حسن المحاضرة ، كريم النفس ، نقي العرض ، محببا الى الناس .

ولم يزل على حاله ، الى أن توفي في اواخر جمادى الثانية من سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والـ (اوائل فيفري 1826 م) .

[159 - احمد بن الخوجة]

الشيخ العلامة شيخنا ابو العباس احمد

ويدعى حميدة بن الخوجة الحنفي .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، واخذ عن أعلام ، كأبي عبد الله محمد بيرم الثاني ، وأبي عبد الله محمد بن سعيد المتقدم الذكر ، المدعو بنجم الدين ، وغيرهما . واستولى على درجة التحصيل ، وتضلّع بالعلوم ، فتصدر للتدريس ، فشر الدر النفيس ، وملاً بزلاله الحياض ، وغرس من فنونه الرياض ، فزكت ثمارها ، وسطعت انوارها .

وتدرّج في الولايات العلمية ، كجامع محمد الباي المرادي ، إماما مدرسا خطيبا ، والمدرسة الشماعية ، وهو اول من سن الاختام في رمضان على الكيفية الموجودة الآن من فحول العلماء . وكان الباي حمودة باشا لا يفارق ختمه ، وتقع فيه المباحثة من أربابها ، على مقتضى آدابها .

وتقدم لخطبة القضاء بالمذهب الحنفي ، لما صار الشيخ برناز مفتيا ، فتدرّج للخطبة بعفاف ودين ، وشدة ولين ، فكان من قضاة الجنة ، والنفس به مطمئنة . ثم انتقل لخطبة الفتوى ، فزاد في شأنها ، وعد من اعيانها .

وكان نادرة الدهر في العلوم العقلية والنقلية ، وهو المؤسس لبيتهم العلمي ، جيد الحفظ ، ثابت الفكر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، جميل الصبر ، قانعا بثوب التجمل ،

رافلا في حبل الكمال النفساني ، متقدما في الفضل ، حسن الاخلاق ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على تلك المرتبة المسكينة ، بعيدا عن التصنع ، جديا في احوال الدنيا ، محفوظا بدرع التقوى من ألسنة السوء .

ولم يزل معظما محفوظا ، وبعين العناية ملحوظا ، الى أن فجعت الحاضرة بوفاته ، ليلة الثلاثاء السادس والعشرين (1) من شعبان سنة 1241 إحدى وأربعين ومائتين والـ (4) افريل 1826 م. ، ودفن بزاوية سيدي عطية قرب داره ، واعقب اولادا تسابقوا في ميادين الكمال والخطط العلمية ، أكبرهم أنسى ذكر أبيه ، كما تراه ان شاء الله تعالى ، وما غاب عني ان الفضل للمتقدم .

[160 - بكار الجلولي]

ابو محمد بكار بن محمد بن محمود بن بكار الجلولي الصفاقسي .

بيت الجلولي في صفاقس من البيوت المشهورة ، وآثارهم مأثورة ، ورسوخ قدمهم في الخدمة من لدن بني ابي حفص ، ونشأ هذا الغصن في دوحة مجده ، واقتنى من تربية جده ، وتسبب له في تحصيل ما لا بد منه من العلم ، وحصلت له درجة المشاركة ، وتقلد على صغر سنه الخطط ، واستقر حاله بعمل صفاقس ، وساسها بعقله ونبله . مهّد له جده فيها مهادا سياسيا ، وذلك انه كتب لمشيختها ، واعيان جماعتها ، بان « هذا الشاب ابن اخيكم ، وانتم أعمامه ، فافعلوا معه فعل العم الشقيق » ، فرمق مشيختها بعين الاجلال ، وشاورهم في الامر ، فحسنت آثاره ، وطابت اخباره ، مع ما فيه من المشاركة التي انخرط بها في سلك الطلبة .

وكان وجيها خيرا ، فاضلا ألعيا ، متأنيا متثبتا ، متضلعا بما يلزمه من السياسة ، مطبوعا على اخلاق الرئاسة ، فصيح اللسان ، مفكرا في العواقب ، ينحو منحى جده ، واقفا عند أمره وحده .

ولم تزل ضاحكة ايامه ، الى ان أتاها حمامه ، وفجع به الاب والجد ، وللحياة اجل واحد ، وذلك في ذي القعدة سنة 1241 إحدى وأربعين ومائتين والـ (جوان - جويلية 1826 م.) .

(1) هي 25 حسب التقويم .

[161 - محمد الباهي]

الشيخ ابو عبد الله محمد

ابن الشيخ ابي الفداء اسماعيل ابن الولي سيدي احمد الباهي .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده ، وأكمل أخوه تربيته ، وحثه على طلب العلم ، فأخذ عن أفاضل ، كالشيخ احمد البسكائي ، والشيخ احمد بوعبدة ، ثم أخذ عن أعلام الجامع ، كالشيخ الطاهر ، والشيخ ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، والشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف . وحصل ملكة حسنة في البيان والنحو ، وحظا وافرا في التفسير والفقه والاصول . وتصدر للتدريس بزاوية جده ، وانتفع به اهل الربض .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا سالكا نهج الاخيار ، جيد القريحة ، مصيب البداهة ، عالي الهمة ، سميح اللقاء ، متواضعا .

تقدم شيخا بزاوية جده ، بعد وفاة اخيه ، فأحسن القيام بشؤونها ولازمها .

ولم يزل موسوما بالعفة والتقوى ، الى ان ارتحل الى دار البقاء ، والآخرة خير وأبقى ، في سنة 1241 إحدى وأربعين ومائتين والفر (1825/26 م) .

[162 - شلبي بن شلبي]

ابو محمد شلبي بن شلبي ، ترجمان الداي .

كان وجيها وقورا ثقة معدودا في الاعيان ، يحسن اللغة التركية .

وصاحب هذه الخطة يومئذ هو السفير بين الباي والداي ، وهو عين الباي على الداي . وربما ينوب الداي في النوازل الخفيفة ، التي لا تتوقف على الاستثمار ، شأن تلك العادات الماضية .

وتوفي في ذي الحجة من سنة 1241 ، إحدى وأربعين (جويلية - اوت 1826 م) . وأعقب ابنا قام برmq هذه الخطة زمنا ، إلى أن انقرضت بانقراض اسم الداي .

[163 - الحاج صالح بوغدير]

هذا الرجل من اعيان المخازنية المقربين في خدمة الباي ابي محمد حمودة باشا ، لا يتخلف على ركابه ، ويجيء يوم عرض المخازنية مع الحوائب على أهبة حرب ، ولما نجم

الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ولزمته الاتباع ، قال له سيده : « لمكانتك عندي نرخص للحاج صالح بوغدير في خدمتك » ، فاستعمله في خلاص عوائد الطابع ، ثم ترقى في الاعمال والولايات ، وهو مع ذلك يعرض حاله في كل سنة مع الخوانب . وهو وان ولد في البادية ، مطبوع على الحضارة ، بنى المباني ، وقدم الصدقات ، التي منها حزب رتبته بجامع ابي محمد الحفصي ، قرب داره .

وكان شجاعا كريما ، وجيها ذا وقار ، يميل الى الخير ، توفي في العشرين من جمادى الثانية سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (الجمعة 19 جانفي 1827 م) .

[164 - أحمد الوزير]

ابو العباس الحاج احمد ابن الحاج محمود الوزير .

نشأ هذا الرجل في بيت مجده ، على نسق أبيه وجده ، وحفظ القرآن كآل بيته ، وشرع في قراءة علم النحو على الفاضل العالم ابي العباس احمد الكيلاني ، وجذبته داعي التجارة ، عن إعراب العبارة ، وتقدم ذكر اخيه في الفطنة ، وقعت وحشة بينه وبين الامين ابي عبد الله محمد العروسي الاندلسي ، سببها تحاسد الاكفاء ، فارق بسببها الاوكار ، ورفض الاوطار ، وتقلب في الاسفار ، وانتهى الى صحراء افريقية من ارض السودان . وكان وجيها فاضلا ، جريئا نير الفكر ، عزيز النفس ، صعب المقاد ، طامحا الى قنن المعالي ، يقول القول ولا يبالي .

ولم يزل يتقلب في الاسفار ، الى أن أصاب سفينته قاصف ريح ، فأغرقها ، ونظمه البحر مع جواهره ، وجاء نعيه لتونس في شوال سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (افريل - ماي 1827 م) .

[165 - محمد الباشير]

الولي العارف بالله ابو عبد الله سيدي محمد الباشير .

أصل هذا الشريف من جبل زواوة ، وشرف بيته مشهور اشتهار الصبح ، غني عن الشرح ، أتى الحاضرة بعد وفاة عمه سيدي الوئيس المشهور مقامه بالجلال ، ودرس في الحديث وفي الفقه ، وبطريق القوم فاز ، واستصحب عصي التيسار ، ونجا من العقبات

وجاز ، وحاز من ثمار السلوك ما حاز ، وامتاز من بين أصحابه أي امتياز ، فخفقت عليه أنوار الولاية ، ارثا واكتسابا ، جزاء من ربك عطاء حسابا ، ثم انعكس شعاع بصره الى نور قلبه فانقطع الى الله بخالص لبه ، كأمثاله من أهل الله وحزبه ، ولازم خلوته متجردا لعبادة ربه ، متنسما بنسيم العرفان من مَهَبِهِ ، وظهرت عليه انوار الكرامات ، بعد ان تدرج في المقامات ، فانجذبت اليه ارباب السلوك ، وعظم في قلوب العامة والخاصة والملوك ، يسلمون له الولاية والصلاح ، ويعتقدون زيارته من اسباب النجاح ، وهم شهداء الله في خلقه ، بنص السنة « ومن اثبتتم عليه بخير ، وجبت له الجنة » .

وقرأت بين يديه تفسير ابن الفرس من اوله الى آخره ، وانا في مبادئ القراءة ، وتارة يأمرني باعادة بعض عبارات ، ريثما يتأمل .

وكان قبل الانقطاع يقرئ طلبه العلم بجامع القصر . والباي ابو الثناء محمود باشا حجر لسره أولاده (1) ، فكانا يأتيان لزيارته ، ويتيمينون (كذا) بشارته ، لاسيما عند سفرهما بالمحال ، أو اذا طرقهم حال . وأكبرهم هو الذي بنى له الزاوية المعروفة به في الحاضرة ، وله زاوية في غيرها مؤسسة على التقوى ، هي لابناء السبيل وطلبة القرآن مأوى .

وهو أول من احتفل لقراءة فضائل المولد وأخباره ، بمسجد قرب داره ، وأطعم فيه جيد الطعام ، ثلاثة ايام . ولما لزم داره ، اناب في قراءته شيخنا ابا اسحاق ابراهيم الرياحي ، يأتي من داره الى ذلك المسجد ، ويجلس على كرسي ، لرواية فضائل المولد .

وكنت ممن يحملني والدي الى زيارته ، ولما دخلت الجامع لقراءة المولد ، حملني اليه ، ومعني عمامة ادارها على رأسي بيده المباركة ، بطلب من أبي ، ودعا لي بما ارجو قبوله ، بفضل الله .

وكان رضي الله عنه عالما ، عابدا قانتا ، أوّابا ، معروفا باجابة الدعوة ، محبا الى الناس ، على اختلاف الاجناس ، لاسيما زاوية ، فانه قطب مدارهم ، يتبركون بشيابه وبسبحته الى يومنا هذا ، والاعمال بالنيات .

(1) يظهر ان الحجر لسائر اولاد محمود باشا ، والمتحدث عنهما بعد بصفة التثنية هما اللذان توليا الملك بعده : حسين ومصطفى .

ولم يزل سالكا طريقته المشلى ، وفضائله بلسان اهل الحاضرة تُتلى ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، يوم السبت السادس عشر (1) من شوال سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والـ (12 ماي 1827 م.) ودفن بزاويته المشهورة ، وتبرك المسلمون بشهود جنازته ، وحمل نعشه على عواتقهم ، ومنهم ابو عبد الله حسين باشا ، وسائر اهل بيته ، وسالت مدامهم لفراقه ، رحمه الله ، ونفعنا ببركته .

وقام ابن اخيه مقامه ، فعمد الدار ، وحافظ على الآثار ، وعد من الاخيار ، كيف ؟ وهو من آل البيت الاطهار .

[166 - حسن الوزير]

ابو محمد حسن بن ابي العباس احمد الوزير .

هذا الرجل من اعيان بيوت الاندلس بالحاضرة ، وخيار التجار ، حفظ القرآن ، وربما صلى به التراويح في رمضان ، بالجامع القريب من دارهم المعروفة ، ملازما للتلاوة ، خيرا عفيفا ، ابي الضيم ، عزيز النفس ، مقبلا على شؤونه .

وكان الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق يلومه في التخلّف عنه ، وهو غير مبال بذلك ، مع انه من اعضاء مجلس التجارة ، ذا تواضع لغير اهل الدنيا ، مرموقا في الحاضرة بعين اجلال وتكريم .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1242 اثنتين واربعين (ماي - جوان 1827 م.) ، واعقب ابنا حفظ القرآن ، وتعلم نصيبه من العلم ، معدودا من اهل العفاف ، راضيا بما قدر له من الكفاف ، كثر الله في المسلمين من أمثاله ، لم ينقطع بدعائه عمل أبيه .

[167 - محمد الشرفي]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ ابي محمد حسين الشرفي الصفاقسي

نشأ في وجاهة بيته ، وظل صيته ، وأخذ العلم عن آله ، وغيرهم من علماء صفاقس ، ثم ارتحل الى تونس ، ورجع لصفاقس .

وتقدم لخطبة الفتوى بها ، ثم عزل عنها ، وهو الذي أجازته الشيخ ابن سعيد
بإجازته المنظومة ، مطلعها :

حمدا لمن جعل أصل الشرف في روضة العلم الزكي الأنف
وجعل الذين يحملونه عزهم عز الملوك دونه
وقال في فضلهم مينا هل يستوي الذين يعلمونا

وكانت وفاته سنة 1242 اثنتين وأربعين ومائتين والـ (27/1826 م) .

[168 - أحمد السنان]

الشيخ أبو العباس أحمد بن حمودة السنان .

نشأ هذا الشيخ في عفاف وصيانة ، ومروءة وأمانة ، وقرأ العلم ، وحصل ملكة ، وله
في علم القرآن تضيع وباع ، وتلاوة تبعث الخشوع الى القلوب من الاسماع . واصطفاه
الباي أبو محمد حمودة باشا لتعليم القرآن لآله ، الذين منهم المشير الاول أبو العباس أحمد
باي ، وكان يحسن الثناء عليه ، وعلم مما يليكه ، وكلهم يثنون عليه ، ويذكرونه
باجابة الدعاء .

تقدم اماما بجامع المهراس ، وناب الشيخ المفتي ابا العباس أحمد سويس في
الخطبة بجامع ابي محمد الحفصي ، فأقام به الجمعة مدة حياته ، جهوري الصوت على
المنبر ، حسن التلاوة في المحراب .

وكان فاضلا عفيفا ، خيرا تقيا نقيا ، متواضعا معظما ، يُلتمس منه الدعاء ، تلوح
عليه أنوار السعادة ، الى ان توفي في منتصف صفر من سنة 1243 ثلاث وأربعين ومائتين
والـ (الجمعة 7 سبتمبر 1827 م) .

[169 - عمر البدای]

الشيخ الكاتب أبو حفص عمر البدای .

طلب العلم وحصل ملكة تصدر بها للتوثيق ، وله فيه يد ، مع حسن الخط ، ومعرفة
في الفرائض . واستكتبه الباي أبو الثناء محمود باشا في قلم الانشاء ، فقام بواجب ما يلزمه ،
واستعان بما علمه من التوثيق .

وكان وجيها خيرا ، ذا عفة ، نازعا عن الفضول ، مقبلا على خويصة نفسه ، نقى
العرض ، سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ربيع الاول سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين
والف (سبتمبر — اكتوبر 1827 م) .

[170 — على بلهوان]

ابو الحسن على بلهوان التركي .

سبب قدوم هذا الرجل من بلده الى هذه الحاضرة ، ليصارع بلهوانا كان في الحاضرة ،
فقال له الباى ابو محمد حمودة باشا ، لا نأذن له في مصارعتك ، الا اذا أثبت اسمك في
ديوان جندنا ، فأبى وقال له : « تركت بقري وفيلاحتي في بلادى » . ولم يزل يتمنع ،
فاضطر الى النزول ، خشية ان يعير بالخوف وصارع هذا البلهوان ، فغلبه ، واولاه الباى
عوضه ، وجعله في حوانب الترك ، وترقى الى ان صار رئيس الحوانب .

وكان شهما شجاعا ، أيذا قوي البدن ، غرا كريما ، ذا عفة وديانة ، ومحافظة على
الصلوات في اوقات الجماعة ، وربما ناب الامام في صلاة المغرب والعشاء والصبح ، بجامع
القصر ، لقربه من داره ، صليت المغرب خلفه مرارا مع الشيخ الكاتب ابى عبد الله
محمد المناعي . وعزل من رئاسة الحوانب ، مع من عزل من اعيان محلة قسنطينة ، كما
تقدم في الباب الاول ، وبقي معزولا ، ثم ان الباى وكّله على زاوية الولي سيدي علي
الخطاب ، فركب اليها ، وسأل عن دخل الوكيل ، فقيل له : « هو ما ترى من الصدقات
وفضول الذبائح والنذور » ، فرجع الى الباى ، ورد أمر الولاية ، وقال له : « انا رجل
عسكري ، لا اعيش من فضول الذبائح ، وزيت القناديل » ، الى غير ذلك مما يدل
على عزة النفس ، وعلو الهمة ، فجعل له مرتبا .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في اشرف الربيعين من سنة 1243 ثلاث واربعين
ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1827 م) ، واعقب اولادا نجباء ، تولى بعضهم عمل
بعض العروش في الخيام ، وحمدت سيرته .

[171 - محمد الاصرم]

الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد الاصرم .

ابوه المتقدم ذكره ، خوجة زواوة ، ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه ، مغدّي بلبان الدولة ، متفيثا ظلالها ، على أساس سلفه . وقرأ العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، واستكتبه الباي ، واختص بالوزير ابي النخبة مصطفى خوجة ، ورئيس الكتاب يومئذ ابو عبد الله محمد الدردناوي ، ولما عُرِل سعى الوزير مصطفى خوجة في تقديمه عوضه ، ولما تقدم غصّ بعض أقاربه من الكتاب ، وسلموا كما تقدم ، واستكفى الباي بنجابته وحذقه ، ومهر في حسابه بما اقتضاه الحال يومئذ ، وقلم الانشاء في الحقيقة بيد غيره ، كالشيخ ابي عبد الله محمد قلالة ، وغيره من جهابذة الكتاب . وله فيه اسم الرئاسة فقط ، وحساب سائر الجبايات على يده ، موثوقا بأمانته ، ويسافر في محلة الجريد مع الكاهية ، مستقلا بقلم حسابه في الجباية .

وكان ثقة أمينا ، نصوحا عزيز النفس ، عالي الهمة ، أباي الضيم ، صحيح الرأي ، المعني الفكر ، أصيل البيت في الخدمة ، مهيب اللقاء ، صعب المعاشرة ، حتى مع أبناء أبيه ، وخاصته وذويه ، أثيرا عند مخدمه ، نبيه الشأن عالي الرتبة ، عميد النجوى .

ولم يزل في خطته ، الى ان توفي في الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والـ (الاثنين 12 نوفمبر 1827 م) ، ودفن في تربته بالجلالز ، وقام في الخطة أخوه ، وابنه صار كاهية لعمه ، سيأتي خبرهما ، ان شاء الله .

[172 - يوسف بابوش]

ابو المحاسن يوسف بن محمد بابوش .

هذا الشيخ من اولاد جند الترك ، نشأ في مروعة وعفة ، وطلب العلم ، فحصل ملكة ، وقدمه الباي ابو محمد حمودة باشا للكتابة بدار الباشا ، وهي من الخطط الرفيعة في الحاضرة ، تولاه اعيان كالشيخ منصور المتزلي وأمثاله ، وصاحبها هو المهيمن على أموال مرتب الجند ، وله عند الباي وجاهة ، ووثوق به .

وكان صاحب الترجمة خيرا فاضلا ، ماجدا عفيفا ، عالي الهمة ، نقسي العرض .
لم يزل على احترامه ، ورفعة مقامه ، الى ان توفي : آخر ربيع الثاني سنة 1243
ثلاث واربعين ومائتين والـف (اواسط نوفمبر 1827) .

[173 - أحمد العوادي]

الشيخ ابو العباس احمد العوادي .

اصل هذا الشيخ من العواودة احد عروش قسنطينة ، وهاجر في طلب العلم الى
تونس ، فأخذ عن اعلامها ، كالشيخ حسن الشريف ، والشيخ صالح الكواش ، وحصل
ملكة حسنة ، خصوصا في الفقه المالكي ، ودرس بالجامع الاعظم ، وانتفع به جم
غفير . وولّي خطة القضاء بماطر ، فاشتد في الحق ، لصلابته في الدين ، ثم سلم واقتل
على التدريس ، والاحتراف بصناعة التوثيق ، راضيا بقليل المتاع .

واجتباه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى التدريس بجامعه ، وأفاض
عليه من سجال كرمه ، فدرس « المختصر الخليلي » بشرح الخرشي ، و « ألفية ابن مالك » .
وكان عالما فقيها ، خيرا عفيفا ، تقيا مستورا بثوب التجمل ، قانعا بالكفاف ، وقور
المجلس ، سالكا نهج الصالحين ، عزيز النفس .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى ان توفي في رجب من سنة 1243 ثلاث
واربعين ومائتين والـف (جانفي - فيفري 1828 م) .

[174 - محمد المحبوب]

العلامة ابو عبد الله محمد ابن العلامة ابي الفضل قاسم المحبوب .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، واخذ عنه الفقه ، وأخذ عن العلامة المفتي ابي
عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وعن العلامة ابي عبد الله محمد الشحومي ، والعالم الصالح
ابي عبد الله محمد الغرياني ، وغيرهم .

وكان آية الله في حفظ المذهب والاطلاع ، وأخباره في الحاضرة نور على يفاع .

وتقدم لخطبة الفتوى صغيراً مع أبيه ، أيام الباشا علي باي بن حسين . وقال له أبوه يوم الولاية : « يا بني ، هذا ما على الآباء للبنين ، أما التقدم فلا سبب له إلا من نفسك ، وسترى أن الشيخ منصور المنزلي قاضي باردو لا يسلم لي وأنا أبوك » ، وعانى مع الشيخ منصور ما يعانيه القرن من قرينه . وكان الأمير الذي قدمه يحب مباحثة أهل المجلس الشرعي بحضرته ، ليستفيد ويشارك على ما ذكره صاحب التاريخ الباشي ، وكان يقول : « أقوى الأسباب في تفقهي الشيخ منصور المنزلي » ، وبذلك تقدم في هذه الميادين ، واخذ راية الفتوى باليمين ، حتى كادت أن تكون مقصورة عليه .

وكان الباي حمودة باشا يعطل المجلس إذا كان لهذا الشيخ عذر يقتضي تخلفه ، وشغل أوقاته بالفتوى هو المانع له من التأليف ، وكثرة التدريس .

وكان هذا العالم آية الله في العلوم الشرعية ، وله قدم راسخ في المعقولات ، فاضلاً خيراً ، ذا سياسة ودهاء ، واعتقاد في الصالحين ، معظماً عند الخاص والعام من أهل المملكة ، واقعه الكبر في آخر أمره . حملني أبي إليه ، وهو بداهه ، وأنا في مبادئ القراءة ، وقال له : « هذا ابني ، أتيت به إليك ليزورك ، ويتبرك بمشاهدتك » ، فسألني عن محفوظي من المتون ، فأجبت ، فدعا لي ، وحثني على الاجتهاد .

ولم يزل طيب الذكر ، زينة لأهل الذكر ، إلى أن جاءه اليقين ، بعد أن تجاوز التسعين ، يوم الاثنين السابع عشر (1) من شعبان سنة 1243 ثلاث وأربعين ومائتين والـ (3 مارس 1828 م) ، ولم يتخلف عن جنازته إلا من حبسه العذر ، وحضر أمير العصر ، وهو يومئذ الباشا أبو عبد الله حسين باي ، ومعه بنوه ، ودفن بترتته في الجلاز ، وأعقب ابناً في المفتين ، وقام مقامه في الرئاسة أبو الفداء اسماعيل التميمي ، فاعطيت القوس لباريها .

[175 - سليمان العروسي]

الشيخ أبو الربيع سليمان العروسي .

هو من ذرية الولي العارف بالله سيدي أحمد بن عروس ، الشهير مقامه بالحاضرة ، نشأ في ظل فضل وصلاح ، وأسرار عبق طيبها وفاح .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، متواضعا على رفعة ، سمح اللقاء ، حسن الاخلاق ،
محبا الى الناس ، معظما عند الملوك .

ولم يزل في احترامه ومجده ، مستمدا من بركة جده ، الى ان وصل أجله الى
حده ، في سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والـف (1827/28 م) ، ودفن بالزاوية ،
واعقب اولادا .

[176 - محمد الطيب بوعتور]

الشيخ الكاتب ابو عبد الله محمد الطيب
ابن محمد بن محمد ابن الولي عبد الكافي بوعتور.

نبه البيت في حسبه ونسبه ، ونسبه في صميم قريش من بني أمية ، وجدهم مشهور
بالولاية ، وزاويتهم بصفاقس . ولها عادة في الدولة من قمح وزيت ودرهم لوقتنا هذا .

وتردد بنو هذا البيت في الخطط العلمية والقلمية ، وابو صاحب الترجمة من جهابذة
الكتاب عند اولاد الباي المرحوم حسين بن علي ، وله شعر محفوظ في التاريخ الباشي
وغيره ، وأحسن تربية ابنه هذا ، وحثه على العلم ، فاخذ في الحاضرة على اعلام ، واستكتبه
الباي ، وزان خطة القلم مع ابيه ، وله يد في صناعة الانشاء ، ومكانة عند مخدمه ،
وضار كاهية الرئيس في دولته ، وزاحمه مدة حياته ، وانتظم العبد الفقير معه في هذا
الخدمة ، مدة قليلة قبل عجزه .

وكان فقيها ادبيا خيرا عفيفا ، فاضلا عالي الهمة ، نزيه النفس محافظا على عرضه ،
لين العريكة ، حسن الاخلاق ، ما شئت من مجد ووقار ، ومحاضرة تسري في النفوس
مسرى العقار .

ولم يزل معظما محبا ، الى ان دعاه الاجل فلبى في سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين
والـف (1827/28 م) ، واعقب ابنا امتطى بعضهم صهوة الكتابة ، وحفيده الآن هو
شمس ضحاها ، وقطب رحاها ، ورثاستها مع الوزارة طوع بنانه ، لو حظي باعانة من
طبع زمانه .

[177 - محمد الطيب التليل]

ابو عبد الله الشيخ محمد التليل .

زاوية هذا الوجيه بفريانة ، قرب قفصة ، وجدهم العالم الصالح سيدي احمد التليلي باني البيت ، له امتزاج باولاد الباي حسين بن علي ، حين كانوا بالجزائر ، ونفعهم بعمله وجاهه ووجاهته ، فوقوا له ولبنيه من بعده ، وكان الباي يكرم وفادتهم ، وينزلهم بدار الضيوف ، ويраهم بعين الاجلال .

ونشأ صاحب الترجمة في زاويتهم المؤسسة على التقوى ، ولطالب العلم والقرآن مأوى ، فقرأ بها وتفقه وبرع ، وكان آية في الاصول والفقه ، مع نفس عصامية ، وفكر ثاقب غير ملتفت الى ما لسلفه من المناقب .

وكان وجيها عالما ، حَيِّياً فصيح اللسان ، سمح اللقاء ، وتصدر للتدريس في زاويتهم ، وانتفع به أهل تلك الجهة .

ولم تزل همته بالمعالي معنية ، الى ان رشقه سهم المنية ، في سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (1827/28 م) ، ودفن بزاويته ، وزان الزاوية بعده ، اخوه الشافعي .

[178 - محمد دحمان]

الشيخ ابو عبد الله محمد دحمان الغساني القيرواني ، من قبائل الفتح .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن الشيخ الخنقي ، والشيخ محمد بن عبيد الغرياني ، والشيخ حمودة الوحيشي ، وغيرهم من اعيان بلده . وحصل ، واعتكف على التدريس بمقام السيد صاحب رضي الله عنه ، وانتشر نفعه في الناس . ودرّس في غيره وحلّق ، وسطع نور علمه وتألّق .

وكان عالما محدثا ، فقيها خيرا ، تقيا عفيفا ، يميل الى الزهد والخمول .

ولم يزل حميد الاوصاف ، متبلا بالكفاف ، ولم تزل نفسه في رياض العلم سائمة ، الى ان ارتحل الى الدار الدائمة ، في اشرف الربيعين من سنة 1244 اربع واربعين ومائتين والف (سبتمبر - اكتوبر 1828 م) .

[179 - على الشاهد]

ابو الحسن الحاج على الشاهد ، من بيت ابن سليمان .

اصل هذا الرجل من بيت نبيه في الحاضرة ، خرج منه أعيان في الخطط القلمية ، واحترف هذا الرجل بالشهادة على قصور في التوثيق ، بل وفي رسم الحروف ، وصار كاتباً للباي ابي عبد الله حسين باشا ، ومعه شيخنا العلامة البارع ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعي ، وتقرب عند الباي ، ونال الحظوة ، ومد يده الى غير الكتابة ، فكان يتوجه الى « المنزل » ، محافظاً لزيتون الباي ، ويباشر ما يباشره القواد ، وتسبب في ضرر فادح لزاوية الجديدي بالوطن ، سامحه الله .

وكان وجيهاً ، حلوا المحادثة .

ولما ساءت اعماله ، تراجع اقباله ، وتوفي رحمه الله في السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة 1244 اربع واربعين ومائتين والـف (الخميس 6 نوفمبر 1828 م) .

[180 - أحمد خوجة]

ابو العباس احمد ابن الوزير ابي عبد الله محمد بن محمد خوجة .

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، وساس تربيته ، حتى نجب ، وتقدم كاهية بغار الملح . وكان وجيهاً نبيهاً ، حسن الاخلاق ، فاضلاً سخياً ، واسع الصدر ، حازماً عالي الهمة . ولم يزل في احترامه ووجاهته ، الى آخر ساعته ، في منتصف جمادى الاولى من سنة 1244 اربع واربعين ومائتين والـف (الاحد 23 نوفمبر 1828 م) ، وبقي والده جياً بعده ، فصبر ، وبشّر الصابرين .

[181 - محمد الشرفي]

ابو عبد الله محمد بن احمد الشرفي الصفاقسي .

اصل هذا الشيخ من بيت الشرفي الشهير بالفضل في صفاقس ، وقرأ بالحاضرة على أعلام ، واستوطن الحاضرة ، ولازم شيخ الفتوى ابا عبد الله محمد بن قاسم المحجوب ، وتبحر في النوازل والتوثيق والفرائض ، وله في غيرها المشاركة الحسنة .

وكان عفيفا خيرا ، ذكيا فصيحاً ، حسن اللقاء ، عزيز النفس ، نقي العرض .
ولم يزل جارياً على سنن بيته ، الى أن توفي في الثامن عشر من صفر سنة 1245
خمس وأربعين ومائتين والـف (الأربعاء 19 أوت 1829 م) .

[182 - عمر بن المؤدب]

الشيخ ابو حفص الحاج عمر بن المؤدب .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، وحصل ودرس بالجامع الاعظم ، وتقدم به اماما
ثالثا ، في جمادى الثانية من سنة عشرين (أوت - سبتمبر 1805 م) ، وذلك لما انجذب
الشيخ محمد العيوني الى طريق التصوف ، وتشوف الى منازل الزهاد أي تشوف ، وأثر تعب
السياحة ، على بساط الراحة .

وكان الشيخ ابو حفص يقدم الشيخ الطاهر ابن مسعود على نفسه ، وانما يعرف
الفضل ذوه . وهذا الفاضل هو شيخ الطريقة الشاذلية ، وامام مقامها ومغارتها ، وسر
بهجتها ونضارتها ، ونور محرابها ، والمتخلق بأسرارها واحزابها .

وكان فقيها وجيها ، فاضلا خيرا ، عفيفا ناسكا ، ذا همة عالية ، وانفاس على التقوى
متوالية ، ملازما للجامع الاعظم ، ليلا ونهارا ، حتى كاد لا يرى الا به .

ولم يزل في جلباب العفة والوقار ، الى أن أجاب الداعي الى تلك الدار ، ليلة الاحد
الثامن عشر من جمادى الاولى سنة 1245 خمس وأربعين ومائتين والـف (15 نوفمبر
1829 م) ، عن سن عالية ، ودفن في جوار المغارة الشاذلية ، وهرعت الناس لجنازته ، وقام
ابنه مقامه في الامانة .

[183 - محمد الصفار]

ابو عبد الله الشيخ محمد الصفار .

نشأ هذا الشيخ في حال صون وعفاف ، فقراً واستفاد ، وله معرفة بعلوم القرآن
ورواياته ، تقدم لامامة التراويح بالجامع الاعظم ومشيخة القراء في صفر من سنة 1221
احدى وعشرين (أفريل - ماي 1806 م) ، فقام بواجب خطته ، بما علم من عفته .
وكان عفيفا خيرا ، ابي الضيم ، وقور المجلس ، شديدا في الحق ، لا تأخذ فيه
مهابة ، نبيه البيت .

ولم يزل على حاله ، الى آن انتقاله ، في تاسع شوال سنة 1245 خمس واربعين ومائتين
والف (السبت 9 افريل 1830 م.) ، بعد ان تجاوز في العمر التسعين .

[184 - علي الستارى]

الشيخ ابو الحسن على الستارى الحنفى

نشأ هذا الشيخ في بيت وجاهة ورفعة ، وجدهم من كتاب الباشا علي باي بن
محمد ، صاهره على بعض أخواته .

قرأ وتفقه في المذهب الحنفى ، وتقدم اماما بجامع يوسف داي ، وخطيبا بجامع
القصر ، وسلم فيهما ، واستقر حاله على منصب التوثيق .

وكان مشاركا خيرا ، تقيا عفيفا ، ذا صمت ووقار ، مرموقا بعين اجلال ، الى
ان توفي في منتصف صفر من سنة 1246 ست واربعين ومائتين والف (الخميس 5 اوت 1830 م.)

[185 - محمد بوعتور]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن محمد بوعتور الصفاقسى .

تقدم خبر هذا البيت ، ونسبه القرشي الاموي . ونشأ صاحب الترجمة في صون
عفافه ، وظل أسلافه ، وقرأ واستفاد ، وتقدم لخطبة القلم على سنن الآباء والاجداد ، وولّى
الشهادة على الغابة ، وهي من الخطط النبيلة في الحاضرة ، فقام بأعبائها من تغيير المنكر
على الملتزمين في التطفيف عند قبول العشر .

وكان وجيها خيرا ، ماجدا عفيفا ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، مرموقا باجلال في
الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، وذلك في العاشر من جمادى الثانية سنة 1246
ست واربعين ومائتين والف (الجمعة 26 نوفمبر 1830 م.) .

[186 - علي الغزاوى]

الشيخ ابو الحسن على الغزاوى

هذا الشيخ مغربي الاصل ، وكان فقيها محصلا ، عفيفا خيرا ، سالكا مقبلا على
شأنه ، مجانبيا للفضول ، نزيه النفس ، حسن المحاضرة .

تقدم شيخا بمدرسة باردو ، وشاهدا على حبسه ، وسكن بباردو ، وله معرفة بعلم الفلك ، وله عند الملوك رتبة مأثورة .

ولم يزل على حالته المشكورة الى ان توفي في رجب عند منتصفه من سنة 1246 ست واربعين ومائتين والـف (الخميس 30 ديسمبر 1830 م.) ، طاعنا في السن .

[187 - أحمد زروق الكافي]

ابو العباس الشيخ احمد زروق الكافي .

أصل هذا الاديب من بلد الكاف ، ونشأ في طلب العلم مع اخيه الشيخ السنوسي ، واختصا بالشيخ صالح الكواش ، وأخذ عن غيره من أعلام عصره ، وحصل وبرع ، ودرس بالجامع الاعظم ، واستدرّ الرزق من رشح قلم الوثيقة ، وشغله التكسب عن رياض العلم الانيقة ، وله في الادب الراية المنصورة ، وغرر القصائد المشهورة ، وقلائد الدر المنشورة .

ثم تقدم لخطبة القضاء بالمحلة ، فزاناها بالعدل ، وعد من قضاة الفضل . وكان عالما فقيها ، فرضيا ادبيا شاعرا كاتبا ، ذا همة ومروءة ، جميل الاخلاق ، حسن المحاضرة ، مشكور الاقوال والاعمال ، معدودا من اهل العلم والكمال ، الى ان توفي سنة 1246 ست واربعين ومائتين والـف (31/1830 م.) .

[188 - محمد بيرم الثاني]

شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد

ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

ترجم هذا الشيخ لنفسه في شرح نظمه للمفتين من الحنفية ، والانسان لا ينزكي نفسه ، ونذكرها تبركا ، ثم نقول ما علم الناس فيه ، ونصها : « كانت ولادة هذا الفقير في السادس عشر من ذي القعدة الحرام من عام 1162 اثنين وستين ومائة والـف (الثلاثاء 28 اكتوبر 1748 م.) ، واخذت العلم عن جماعة : فالتجويد عن الشيخ محمد قرَّبَطاق ، وأبي اسحاق ابراهيم الحميري ، وأبي العباس احمد الوافي ، والفقهاء والحديث عن والدي ،

وباقى العلوم عن الشيخ المحقق صالح الكواش ، والفاضلين البارعين المفتين ابي العباس احمد الشريف الثعالبي الشهير بالبرانسي ، وابي عبد الله محمد الدرناوي ، والفقيه ابي الحسن علي بن سلامة ، والنحوي ابي العباس احمد السوسي ، وقطب دائرة المعقول ابي عبد الله محمد الشحمي ، وأقرأت حسب الطاقة بالمدرسة الباشية ، نيابة عن والدي ، واستقلالاً بها ، وبالجامع الاعظم وغيرهما . ثم خطبت بجامع يوسف داي نيابة عن والدي ، ثم رفعنا ايدينا عنها ، فولّيتها امام الخمس به اذ ذاك الفقيه خليل ، ثم قلدت القضاء بعد عزل شيخنا قربطاق يوم السبت لست بقين من شهر ربيع الاول من عام 1192 اثنتين وتسعين (27 ربيع الاول 1192 - 25 افريل 1778 م.) ، ثم استقلت منه ، فأقلت يوم الاحد الرابع من رجب الاصب من عام 1193 ثلاثة وتسعين (18 جويلية 1779 م.) ، وولّيه الشيخ حسن الترجمان ، ثم عزل منه ، وأكد علي في العودة اليه ، فعدت يوم الاثنين لاربع بقين من ثاني الربيعين من عام 1194 اربعة وتسعين (1 ماي 1780 م.) ، وطلبت الاقالة منه ثانيا ، فلم أجب اليها ، فصبرت ، ثم وليت الإشراف على الأشراف بعد موت الشيخ عبد الكبير الشريف عام 1206 (1791/92) وبقيت كذلك ، الى أن توفي الشيخ الوالد في التاريخ ، فقلدت الفتوى في الخامس عشر من محرم عام 1215 خمسة عشر ومائتين والـ (الاحد 8 جوان 1800 م.) ، وسبب التأخر في هذه المدة ، التروي فيمن يقلد خطة القضاء التي كانت بيدي ، حتى وقع الاختيار على الشيخ حسين برناز ، وانا انتظر خاتمة الخير » اهـ .

قلت قد حقق الله رجاءه ، وذلك أني سمعت من شيخنا ابي الفداء اسماعيل التميمي ، وكان يزوره ، ويطليل الجلوس معه ، ويحدث كل منهما صاحبه في معضلات المسائل ، وكان يطيل الثناء عليه ، قال : « زرت في مرض موته ، ملقي في فراشه ، لا ينطق الا بقوله (لا اله الا الله محمد رسول الله ، اللهم أحْيِنِي عليها ، وأمتني عليها ، يا ارحم الراحمين ، يا رب العالمين) وكلما خاطبته ، أو خاطبه ابنه لا يجيبه بغير ما ذكر » ، قال : « فبكيت وقمت وقلت له : (نفض الله فراشك بالعافية) ، وخرجت ، فأمر ابنه ان يرجعني ، فاستدنانني ، وقال لي : (لا تعد الى الدعاء لي بما دعوت ، فاني اشتقت للقاء ربي ، فاسأل الله لي التسهيل) ، فبكيت ، وخرجت ، وهذا آخر ما سمعته منه ، ومن الغد احب الله لقاءه » .

والعبد الفقير اخذ عنه سند « البخاري » ، وقرأت بين يديه ابوابا منه ، وأجازني ، وكان ذلك بمحضر حفيدة صاحبنا أبي عبد الله محمد ، ليلة عرسه ، فقال للحاضرين تحداً بنعمة الله : « ابني هذا نعمة غير مترقبة ، وذلك أن أولادي وأمهم ماتوا في الطاعون الجارف ، وبقيت وحدي في البيت ، وعزمت على العزبة ، فكتب لي أبي بالتزوج ، فأخبرته بما عزمت عليه ، آيسا من الولد ، فكتب لي : انه لا يئأس من روح الله الا القوم الخاسرون ، فعند ذلك قلت له : امري بيدك ، فزوّجني من بنت الشريف الفلّاري ، فحملت بشيخكم ابني محمد ، ولما ولد ، قلت هل نعيش حتى نراه يقرأ كاخيه الميت ؟ فعشت حتى رأته مدرسا ، ثم عشت حتى رأته مفتيا معي ، ولما ولد له صاحبكم محمد قلت : هل نعيش حتى نراه يقرأ ؟ فعشت حتى رأته ، والشكر لله ، من نجباء الطلبة : هذه ليلة عرسه ، وفضل الله اوسع من هذا .

وكان رحمه الله من قضاة العدل ، متشبها متحريا ، قال لابنه لما تقدم للفتوى : « تثبت ، وارجع الى الحق ، ولا يغرنك ثناء الناس عليك ، وانت تعلم رسالة ابن الخطاب لابني موسى الاشعري رضي الله عنهما ، التي منها : الرجوع الى الحق خير من التماذي على الباطل . هذا خير الدين الرملي صاحب « الفتاوى الخيرية » افتى في نازلة ، وغلط ، فكتب الى مظنة بلوغها من النواحي بخلطه ، ودان الله بما رآه من الحق ، ولا يغرنك من يمسح ظهري بيده ، ويمسح بها وجهه تبركا ، لو أتى ذلك المتبرك الي في نازلة ، وحكمت عليه بصميم الشرع ، مزق جلدي بلسانه ، فاحذر يا بني من الاستبداد بفهمك ، وشاور فيه ، وانت تعلم ما في المشورة من الخير .

وكان يثقل عليه منصب القضاء جدا ، فلذلك استقال اولاً ، وندم الامير يومئذ وهو الباشا ابو الحسن علي باي على إقالته ، ولما استقال في دولة ابنه أبي محمد حمودة ، كتب على لسان خطة القضاء مكتوباً ، من فصوله : « انا خطة القضاء ، مكفولة نظرك السديد ، ورأيتك الصائب الرشيد ، قلدتني لمن عطل أعمالي ، وأوجب إهمالي ، فكلما أتى الخصوم الى بابه ، لفصل خطابه ، قال المنتمون اليه إنه عليل ، وما للوصول اليه من سبيل ، فبعضهم يصبر ويدعوا بالعافية ، وآخر يتأنف (1) ويقول يا ليتها كانت القاضية » ،

(I) لعلها : يتأنف .

وآخرها : « وورائي صبية حمر الحواصل ، يضرعون اليك في إعفاء أبيهم ، وإبقاء من يربيههم ، فاقبل شفاعتهم ، وارحم ضراعتهم ، ولا تفرق جماعتهم » ، فصمم الباى على إلزامه ، وأجابه عن مكتوبه بقلم صاحب الانشاء أبى محمد حمودة بن عبد العزيز ، بما نصه : « اما بعد ، فانه بلغنا مكتوبكم على لسان خطة القضاء ، ولعمري إنها إن اشتكت من ضعف في البدن ، فما اشتكت من ضعف في الدين ، وإن اشتكت من عدم القيام لاجل المرض بحقها ، فما اشتكت من عدم اعطاء الحقوق لمستحقها ، وما كلفك الله ولا الزمنك ، ان تصدر للقيام ايام يتعاهدك السقم ، لا سيما ومعك في البلد قاض يرفع على الشهود ، وجماعة مفتون يتصدرون للشورى على الدوام ، وهاتِ أخبرني بمن تدين الله به أنه من رجالها ، ويقال فيه لم تلك تصلح إلاّ له ولم يك يصلح الا لها ، وإلاّ تعين الامر عليك ، فاصبر لحكم الله ، وعليك ان لا تستعفي ، وعلي ان لا أعفيك ، وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، والسلام .

وامتحن قبل تسليمه الاول بانتخاب عدد معين من الشهود بالحاضرة ، وكتب لكل من انتخبه في طرة أمر ولايته « اذنته في الشهادة » . واستشاط الفقيه الحاج مبارك الدياك غيظا ، لعدم انتخابه ، فسافر للمدينة المنورة شاكيا لقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالقاضي ، ولما بلغ ذلك للبasha أبى الحسن علي باى بن حسين أبقي سائر الشهود على ما كانوا ، وكتب بذلك للقضاة .

ومن تثبته أنه في المعاضات يتوجه بنفسه لنظر العوض ، ويسأل عن القيمة غير الامناء المعينين لذلك ، وهو أول من سن الزيادة على القيمة تحريّا لجانب الحبس ، الى غير ذلك مما هو شائع الى الآن من أخباره ، وحميد آثاره .

وكان هذا الفاضل عزيز الحفظ ، جيد الفكر ، ناظما ناثرا ، آية الله في التقوى ، وقور المجلس ، مهيبا عند العامة والخاصة ، هينا لينا ، رقيق القلب ، واسع الصدر ، محببا الى الناس ، يتبركون به ، متواضعا ، زوارا لمشاهد الصالحين .

وله من التآليف رسالة في بيع الوفاء ، ومنظومة في الهلال ، ورسالة في رجوع الموصي عن صيته ، بعد ان اشترط عدم الرجوع ، نحا فيها منحنى المجتهدين من اهل الترجيح ، وقلد المذهب المالكي ، وقرضها أعيان علماء العصر ، وتلقوها بالقبول ، كشيخ الشيوخ

أبي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، الى غير ذلك من الرسائل ، التي لو جمعت كانت مجلدا ضخما (1) .

ولم تزل بحاره العلمية زاخرة ، وتونس به مفاخرة ، الى ان حنّ الى الدار الآخرة ، في السادس عشر من جمادى الاولى سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والـف (الاحد 23 اكتوبر 1831 م) ، وشهد امير العصر وبنوه جنازته ، وتبركوا بحمل نعشه ، ودفن في تربة آله . وتقدم ابنه شيخنا ابو عبد الله محمد ، للقيام بخطته ، وتقدم حفيده للفتوى ، رحمهم الله تعالى بمنه وكرمه .

[189 - محمد سيالة]

أبو عبد الله محمد سيالة ، ويدعى بالحكيم .

هذا الشيخ من البيت الشهير في صفاقس ، ونشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام وقته ، كالشيخ صالح الكواش ، والشيخ الشحمي ، والشيخ حمودة بن عبد العزيز ، وفقه العصر أبي عبد الله محمد ابن الشيخ قاسم المحجوب ، وهو الذي دعاه بالحكيم ، لِمَا رأى من وُكُوعه بالطب ، والطبيعات .

وامتطى صهوة التحصيل في العلوم ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، ثم سافر مع الوزير أبي عبد الله محمد خوجة الى لندرة وغيرها ، وهذبه السفر ، وحنكته التجربة . وكان يتحدث على بلدان الافرنج ، والعقلاء يعتبرون ، والاغبياء يكذبون .

واستقر حاله على مجالسة الباشا أبي عبد الله حسين باي يسامره ، ويستفيد من مسامرته ومحاضراته . وقدمه شيخا بمدرسة باردو ، وكان يسامر المشير الاول ابا العباس احمد باي ، ويستفيد منه .

كان رحمه الله عالما شاعرا ، خيرا فاضلا ، حلو المحاضرة ، حسن المعاشرة ، نزيه النفس ، بعيدا عن الفضول ، أصيل المروءة ، نقي العرض ، غاضّ الطرف عن عيوب الناس ، جاريا في ميادين الخير ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل على هذا الحال ، حتى دعتة المنية للترحال ، في شعبان من سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والـف (جانفي 1832 م) ، رحمه الله تعالى .

(1) اغفل المؤلف ذكر منظومة الشيخ بيرم في المفتين الحنفيين وشرحها له ، وقد نقل منها فقرات ، وكذلك منظومتيه في سلاطين آل عثمان وفي بايات تونس .

[190 - عمر داي]

ابو حفص عمر الداي

اصله من جند الترك بطرابلس ، وأتى للحاضرة ، ورسم في ديوان جندھا ، وترقى الى ان صار آغة بالقصبة ، ثم دايا .

وكان ذا وقار وصمت ، واقفا عندما حُدّ له ، لين الجانب ، جاريا على سنن اهل الخير .

ولم يزل مرضي الحال ، مرموقا بعين اجلال ، الى ان توفي يوم الجمعة الحادي والعشرين (1) من شوال سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والـ (23 مارس 1832 م) ، ودفن بتربة أعدها لنفسه ، بمدينة تونس ، رحمه الله تعالى .

[191 - أحمد التيمي]

ابو العباس احمد المدعو حميدة التيمي .

نشأ هذا الشيخ في بيت عفاف ووجاهة ، قرأ العلم وحصل ملكة ، وله في علم التوثيق والفرائض يد طولى ، مع جمال الخط ، تمهّر به أعيان من الموثقين ، كحفيدته عميد المذهب المالكي ابي الفداء اسماعيل التيمي ، سمعت ذلك منه ، وتقدم للشهادة على مصروف دار الباى بالقصبة .

وكان فاضلا عفيفا ، وقور المجلس ، محافظا على مروءته ، ذا همة ونزاهة ، معظما عند الناس ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والـ (افريل 1832 م) .

[192 - محمد الطويبي]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ القاضي ابي عبد الله محمد الطويبي .

نشأ في بيت عفة وصيانة ، وأخذ عن أبيه ، ثم أخذ في الجامع عن أعلامه ، كالشيخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ ابراهيم وغيرهم . وحصل درجة

التحصيل ، ودرّس بالجامع ، وتصدر للتوثيق ، غير تارك للتدريس . وتقدم لشهادة الديوان ، وهي يومئذ من أنبه الخطط .

وكان ذا درجة في الفقه ، عالما فاضلا ، خيرا عفيفا ، حسن المحاضرة ، حميد المعاشرة ، ذا همة ونزاهة ، معدودا في المتأهلين لخطه القضاء .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ذي الحجة من سنة 1247 سبعمائة وأربعين ومائتين والـف (ماي 1832 م) .

[193 - شلبي بن شلبي]

ابو محمد شلبي بن شلبي .

تقدم ذكر أخيه ، وأنه من أحفاد المملوك الذي أنذر الباي حسين بن علي من فتك الداي ، وزوجه من بنته ، وهؤلاء من ذريتهما .

وكان نبيا حاذقا ، حسن اللقاء ، عالما بالموسيقى ، وجيها ، ليّن العريكة ، متواضعا على احترامه ، صاهره ابو النخبة مصطفى باي على بنته لابنه ابي العباس احمد باي ، ومات عنها .

ولم يزل صاحب الترجمة في إجلال واحترام ، الى ان جاءه الحمام سنة 1247 سبعمائة وأربعين ومائتين والـف (1831/32 م) .

[194 - محمد المناعي]

شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعي .

نشأ هذا الفاضل في ناجعة قومه ، أولاد منّا من دريد ، ورحل الى طلب العلم بالحاضرة ، فأخذ عن الشيخ صالح الكواش ، والشيخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ احمد بونخريص ، والشيخ اسماعيل التميمي ، والشيخ ابراهيم الرياحي ، ثم رحل في طلب الفقه الى حاضرة فاس ، فأخذ عن الشيخ عبد السلام اليازامي ، والشيخ التاودي ، واجتمع بالشيخ العارف بالله سيدي احمد بن سالم التيجاني رضي الله عنه ، وأخذ عنه مباشرة . سمعت منه رحمه الله أنه كان يأتي زاوية هذا الولي بفاس ، كل يوم جمعة ،

لاجل الطعام ، فيأتيه الشيخ بجيد الطعام ، ويقول له : « كُلْ يا تلميذي » ، فيقول له : « انا تلميذ الكسكسو ، لاجله أتيت » ، فيقول له : « انت تلميذي حقيقة » ، وبعد برهة من الزمان وجد في نفسه ما لا قدرة له على دفعه ، من الجاذب الروحاني الى الطريقة ، فأتى الشيخ في غير يوم جمعة ، ولما رآه قادمًا اليه ، قال له : « ألم أقل لك انك تلميذي حقيقة » ، فأخذ عنه ، ودعا له .

ولما امتلأ بالعلم وقره ، وسبق الى هذه الحاضرة ذكره ، حن الى معهد شبابه ، فأتى الحاضرة ، ودرّس بالجامع الاعظم ، فسبق الاقران ، وأنسى ذكر الاعيان ، وهو على هذه الحالة يرتزق بخطة الشهادة والتوثيق ، وشمله من كرم الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ما داوى العلة ، وزاد على سد الخلة .

وتقدم للشهادة على أحوال الحفصية ، دار عمل المدافع وهي يومئذ من الخطط النبيلة ، تقدمه فيها ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكبير الشريف ، وتولى الشهادة على جامع صاحب الطابع ، ثم قدمه ابو عبد الله حسين باي لخطة الكتابة عنه ، وسافر معه بمحاله ، ونال منه الحظوة والعناية .

كان عالما متبحرا في الفقه وأصوله ، طويل الباع في غيره من الفنون ، ماضي القلم في التوثيق ، حسن المعرفة بصناعة الانشاء ، فاضلا وجيها كريما ، عالي الهمة عزيز النفس ، نازعا الى الاخلاق العربية ، بالنفس الابية .

لما مرّ به شلو الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع تجره الاراذل ، دخل داره ، واخرج سيفه ، يعدو خلفهم ، لافتكاكه او يموت معه ، فردّه جيرانه ، وافتكوا من يده السيف ، وألزموه داره غصبا . طويل اللسان ، ثابت الجنان ، بعيدا عن الملق والخضوع . يعارض الامير والمأمور ، ولا تحركه عظام الامور ، آية في الوفاء ، والاعانة على نوائب الدهر بقدر الطاقة ، غير مكترث بما يعقب ذلك من الفاقة . مات وداره مرهونة في مال نفس به على صاحب له ، يقال له الحاج خضر من قبيلة ورتان ، حسن المحاضرة ، فارس المناظرة ، ما شئت من فكر سديد ، وباع في المعارف مديد ، واخلاق حسان ، تستهوي الانسان .

وله رسالة بديعة في الوفاء ألفها بطلب مخدمه الباشا حسين باي ، ومن طالعتها علم مقداره .

ولم يزل في تعب من دهره ، يمزج حلول الزمان بمُرّه ، ولم يؤثر ذلك في عظمة قدره ، الى ان توفي سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والـف (1831/32 م) ، رحمه الله ، واعقب ابنا من أعيان ديوان الانشاء ، أربى في الصناعة الادبية على والده ، لو ساعده البخت ، رحمهما الله .

[195 - حسن الهدية]

الشيخ ابو محمد حسن بن محمد بن حسين بن عبد الرزاق الهدية .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، في ظل بيتهم النبیه ، ورحل من سوسة الى الحاضرة ، في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام ، كالشيخ صالح الكواش ، وتصدر للتدريس بتونس ، فأفاد وأجاد ، ثم رجع الى بلده ، فتصدر للتدريس والفتوى ، وتدرج في الخطط العلمية ، الى الرئاسة الشرعية ، وقام بخطته وزانها ، وشيد معالمها وأركانها .

وله تأليف في شرح البسمة ، ورسالة في نازلة « عُمَرَى » ، وغيرهما .

وكان عالما فقيها ، طويل الباع ، قوي العارضة ، جيد الحفظ ، بارعا في تحقيق المناط ، وجيها مهيبا ، عالي الهمة ، طائر الصيت ، حاز من العلوم اوفر نصيب ، ورمى الى كل غرض بسهم مصيب ، ما شئت من حسب زاحم الثريا بمناكبه ، وتحقيق خفقت رايات العلم فوق مواكبه .

وكان شيخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي يطيل الثناء عليه .

ولم يزل مركز الدائرة في بلده ، والرئاسة الشرعية طوع يده ، جميل الاثر ، طيب الخبر ، معظما عند الملوك والعامّة ، على اختلاف الاعصار ، يفتخر به مصره على الامصار ، الى ان لبي داعي الله والى رحمته صار ، في الثالث عشر من ربيع الاول سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والـف (الجمعة 10 اوت 1832 م) ، عن سن عالية .

ولم يزل في بيتهم من يزين الرتب ، ولم يقتصر على مجد النسب ، كثر الله تعالى من أمثالهم .

[196 - حسن دای]

ابو محمد حسن دای .

هذا الرجل من جند طرابلس ، وانتظم في جند الحاضرة ، وترقى الى ان صار آغمة باب باردو ، ثم امتحن بالنفسي مع من امتحن من اصحاب الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ثم شمله العفو عند وفاة الباشا ابي الثناء محمود باي ، وتولى كاهية الآغمة بباب القصبة ، ثم ترقى وصار دايا .

وكان وجيها أَلْحَى ، خيرا عفيفا ، نازعا عن الفضول ، عارفا بمنازل الناس ، قريبا الى الخير .

ولم يزل على مقامه واحترامه ، الى ان توفي فجأة ، يوم الاثنين ثامن (1) ربيع الثاني من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والـف (4 سبتمبر 1832 م) .

فهرس الموضوعات

للمجلد السابع من كتاب

«اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»

قسم التراجم

الصفحة	المترجم
13	1 - احمد البرانسي
13	2 - اسماعيل كاهية
14	3 - محمد بن حسن الهدة
15	4 - محمد بن محمد بوراس
16	5 - محمد المحجوب الحنفى
16	6 - على بوراس
17	7 - عبد اللطيف الطوير
17	8 - محمد بن سعيد (النجم)
19	9 - محمد بن حسن الدرناوى
19	10 - محمد بن عبد الله عظوم
20	11 - محمد الحنقى
20	12 - احمد العروسي
21	13 - حسونة القصرى
21	14 - محمد عريف
22	15 - عبد القادر الحلفاوى
22	16 - حمودة بن عبد العزيز
24	17 - محمد الريفى
25	18 - محمد بن محمد بن محمد صدام
25	19 - محمد سويسى
26	20 - على دمدم
26	21 - ابو الطيب صدام

26	حمودة صدام	22
27	احمد السوسى	23
28	على محسن (الاكبر)	24
28	محمد الملا	25
29	محمد بن حسين اندرناوى	26
29	رجب خزندار	27
29	حمودة الحلفاوى	28
30	محمد العوانى	29
30	محمد بيرم الاول	30
35	حمودة الوحيشى	31
36	عبد الله التميمى	32
36	محمد عيسى	33
37	على الجزيرى	34
37	رجب بن عياد	35
38	مصطفى خوجة	36
39	محمد طاطار	37
40	محمد البارودى	38
41	احمد الابى	39
41	محمد بن عبيد الغريانى	40
41	عمر ابو حديبة	41
42	محمد الطويبى	42
42	حمزة الجباس	43
43	محمد الكيلانى	44
43	حسونة مارية	45
43	على فارح	46
44	صالح الكواش	47
46	محمد الطوير	48
46	محمد الوزير	49
47	مصطفى البارودى	50
47	عمر المرابط	51
48	حسونة بوكراع	52

الصفحة

المترجم

48	53	- احمد بن الامين
49	54	- حمودة باكير
49	55	- محمد العيوني
50	56	- احمد النفاتي
50	57	- عبد اللطيف القصار
51	58	- محمد الاصرم
52	59	- احمد البكاي
52	60	- عمر المحجوب
55	61	- رجب بونمرة
56	62	- سليمان كاهية الاول
56	63	- احمد بوعبد
57	64	- محمد السقا
57	65	- قاسم الرصاع
58	66	- محمد برتقيز
58	67	- علي بوزغاية
59	68	- علي الآجري
59	69	- محمد ماضور
60	70	- محمد المختار المنكبي
60	71	- علي البكري

تراجم أئمة جامع الزيتونة للشيخ اسماعيل التميمي :

61	I	- ابن عرفة
62	II	- الفبريني
62	III	- البرزلي
62	IV	- القسنطيني
62	V	- عمر القلشاني
63	VI	- محمد المسراتي
63	VII	- ابن عقاب
63	VIII	- الونشيري
63	IX	- البحيوي
64	X	- احمد القلشاني
64	XI	- احمد المسراتي

الصفحة

المترجم

64	XII — الحفيد القلشاني	
64	XIII — الرصاع	
65	XIV — ابن عصفور	
66	XV — الاندلسي	
66	XVI — ابو يحيى الرصاع	
67	XVII — على تاج العارفين البكري	
67	XVIII — ابنه ابو بكر	
67	XIX — على البكري	
68	XX — ابو الفيث البكري	
68	XXI — حمودة الريكلي	
68	XXII — عثمان البكري	
68	XXIII — حمودة البكري	
69	72 — حسن الشريف	
72	73 — محمد الشريف	
73	74 — ابراهيم الرياحي	
83	75 — عبد السلام الشرفي	
83	76 — على الشفي	
83	77 — محمد بو ثور	
84	78 — مصطفى الارنوط	
84	79 — حسين برناز	
85	80 — محمد مقديش	
86	81 — احمد بن الكاتب	
86	82 — احمد البارودي	
89	83 — احمد الشرفي	
89	84 — يوسف صاحب الطابع	
100	85 — حسن خزندار	
101	86 — محمد الحضراوي	
101	87 — محمد النفاتي	
102	88 — محمد شاوش	
102	89 — محمد الفاسي	
103	90 — حميدة بن عياد	
104	91 — احمد سويسني	

الصفحة	المترجم
104	92 - علي خليف
104	93 - محمد بن عمر
105	94 - محمد الكواش
105	95 - محمد بن نصر
106	96 - محمد المحرزي
106	97 - احمد المحرزي
106	98 - احمد الحداد
107	99 - محمد الوزير
107	100 - محمد الحبيب الاصرم
108	101 - محمد الطاهر بن مسعود
109	102 - محمد العذارى
110	103 - عثمان الرصاع
110	104 - حمودة الصباغ
111	105 - قاسم بن كرم
111	106 - قاسم المحجوب
111	107 - احمد بن سلامة
112	108 - محمد مهنية
112	109 - مصطفى الدنقزلى
113	110 - محمد بن محمود
113	111 - سليم خوجة
114	112 - محمد الحلفاوى
114	113 - محمد مزالى
115	114 - محمد زعفران
115	115 - صالح بن عبد الجبار
116	116 - احمد خوجة
117	117 - محمد بن محمد بن محمد صدام
117	118 - مصطفى بوخريص
117	119 - حسن بوخريص
118	120 - محمد الطاهر بوخريص
118	121 - احمد بوخريص
119	122 - احمد القسنطينى

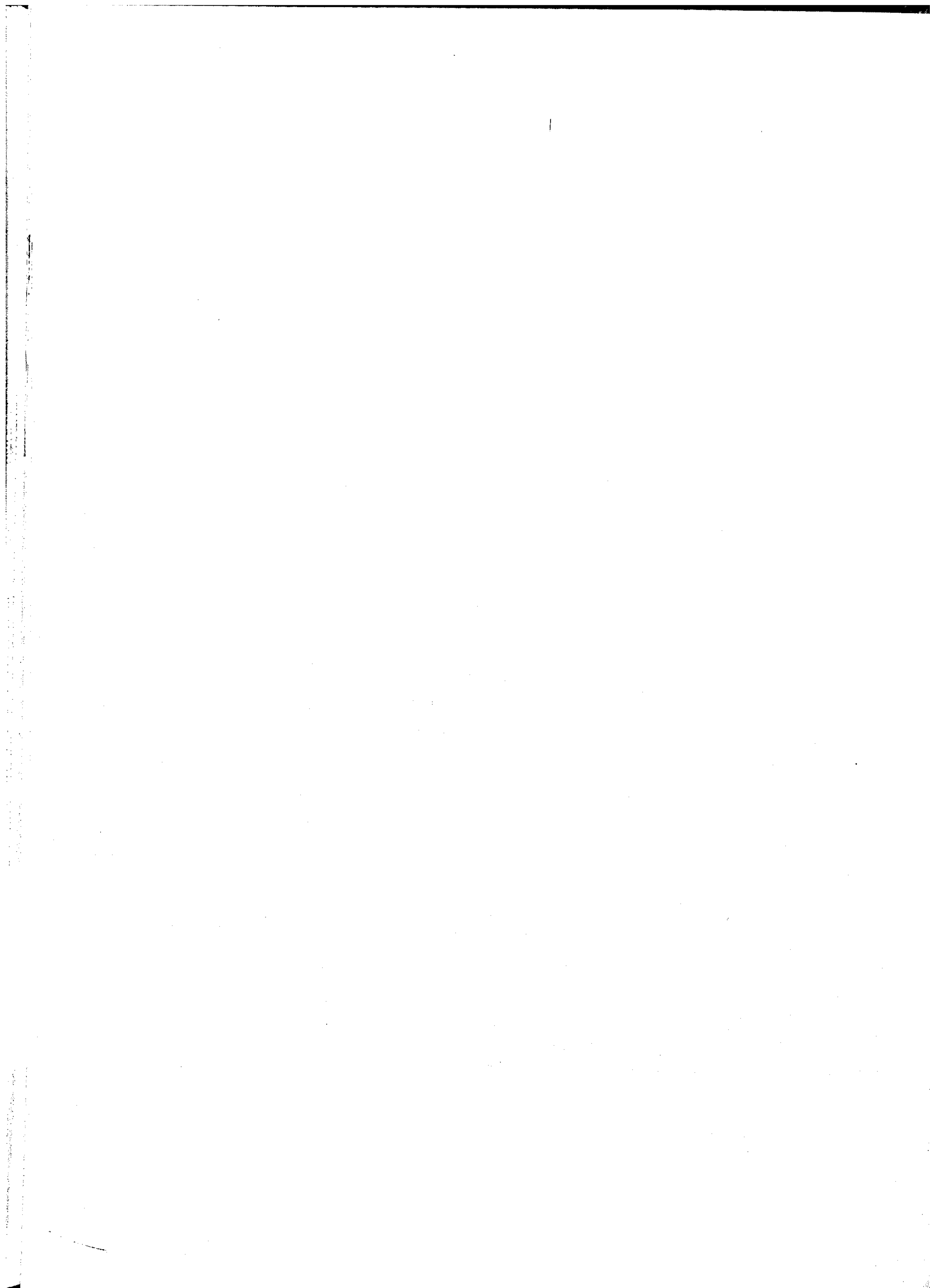
119	123 - محمد البرانسي
120	124 - علي الباهي
122	125 - عبد السلام الفوراتي
122	126 - احمد بن شعبان
122	127 - احمد بيرم
123	128 - حسن شلبي
123	129 - حسن بن اسطا مراد
123	130 - ابو بكر صدام
124	131 - محمد غريضو
124	132 - محمد المستيري
125	133 - محمد الحشايشي
125	134 - احمد بن سلمان
127	135 - محمد قلالة
128	136 - محرز النفاتي
128	137 - اسلام رايس
128	138 - ابو الغيث البكري الاصغر
129	139 - السداي فيضي
130	140 - رشيد خوجة
130	141 - محمد العربي زروق
133	142 - ابو عبد الله الملقب بالفرططو
134	143 - احمد سيالة
134	144 - محمد القلشاني
135	145 - سليمان ململي
135	146 - علي مهاود
136	147 - بلقاسم العفيفي
136	148 - محمد حمزة
136	149 - حميدة الغماد
137	150 - محمد الخماسي
138	151 - احمد بوخريص
139	152 - محمد الفوراتي
140	153 - نصر الكافي

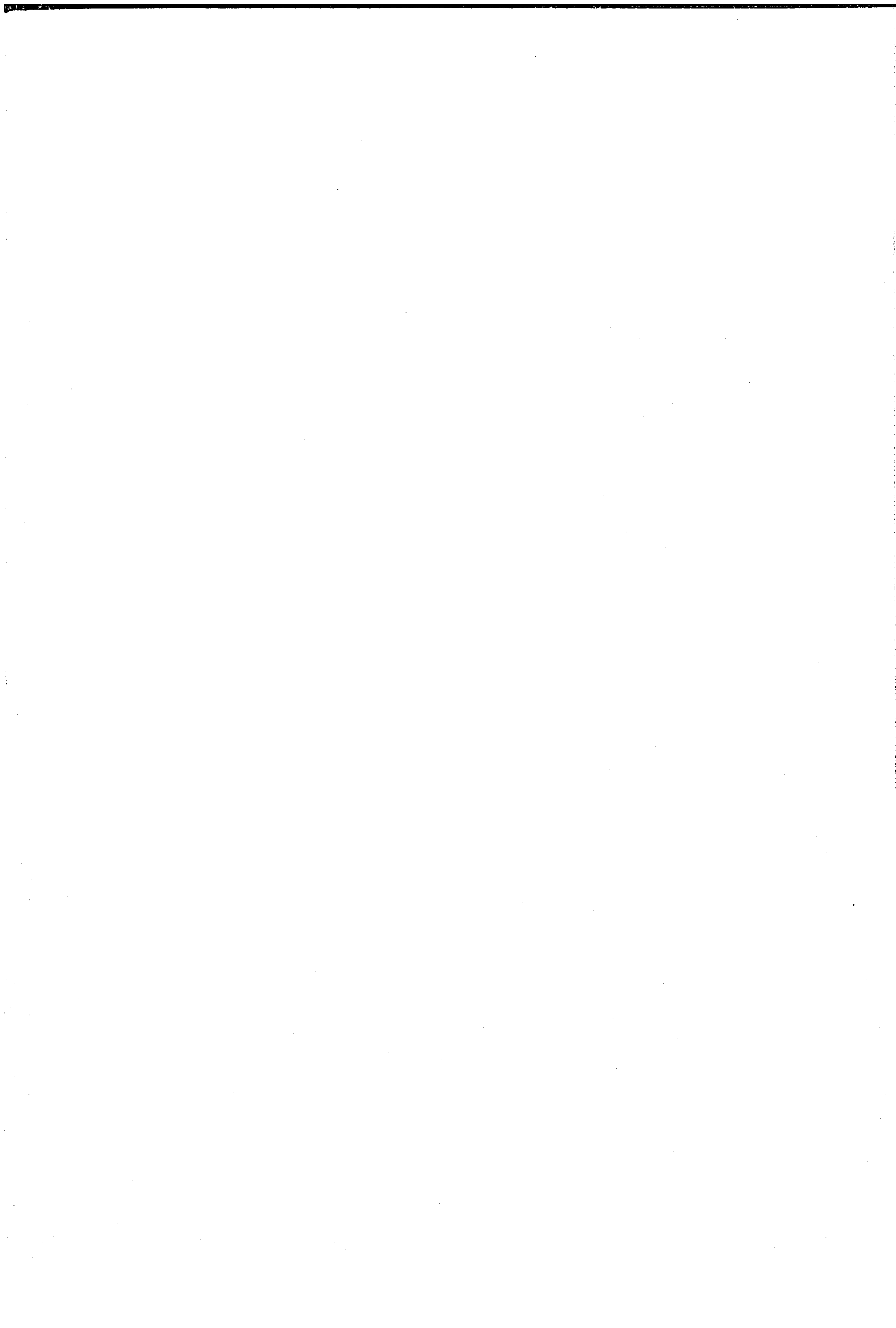
الصفحة	المترجم
140	154 - شاكير المملوك
140	155 - محمد شرف الدين
141	156 - محمود بن محمود
141	157 - محمد الاصرم
142	158 - احمد الوصيف
142	159 - احمد بن الخوجة
143	160 - بكار الجلولي
144	161 - محمد الباهي
144	162 - شلبي بن شلبي (الترجمان)
144	163 - الحاج صالح بوغدير
145	164 - احمد الوزير
145	165 - محمد الباشير
147	166 - حسن الوزير
147	167 - محمد الشرفي
148	168 - احمد السنان
148	169 - عمر البدي
149	170 - علي بلهوان
150	171 - محمد الاصرم
150	172 - يوسف بابوش
151	173 - احمد العوادي
151	174 - محمد المحجوب
152	175 - سليمان العروسي
153	176 - محمد الطيب بوعتور
154	177 - محمد الطيب التليلي
154	178 - محمد دحمان
155	179 - علي انشاهد
155	180 - احمد خوجة
155	181 - محمد الشرفي
156	182 - عمر بن المؤدب
156	183 - محمد الصفار
157	184 - علي الستاري

الصفحة

المترجم

157	محمد بوعتور	185
157	علي الغزاوي	186
158	احمد زروق الكافي	187
158	محمد بيرم الثاني	188
162	محمد سيالة	189
163	عمر داي	190
163	احمد التميمي	191
163	محمد الطويبي	192
164	شلي بن شلي	193
164	محمد المناعي	194
166	حسن الهدة	195
167	حسن داي	196





اتحاد أهل الزمان
بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

المجلد الرابع
الجزء الثامن

وزارة الثقافة

أحمد بن أبي الصِّيف

أحاف أهل الزمان
يا خبار ملوك تونس
وعهد الأمان

تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية

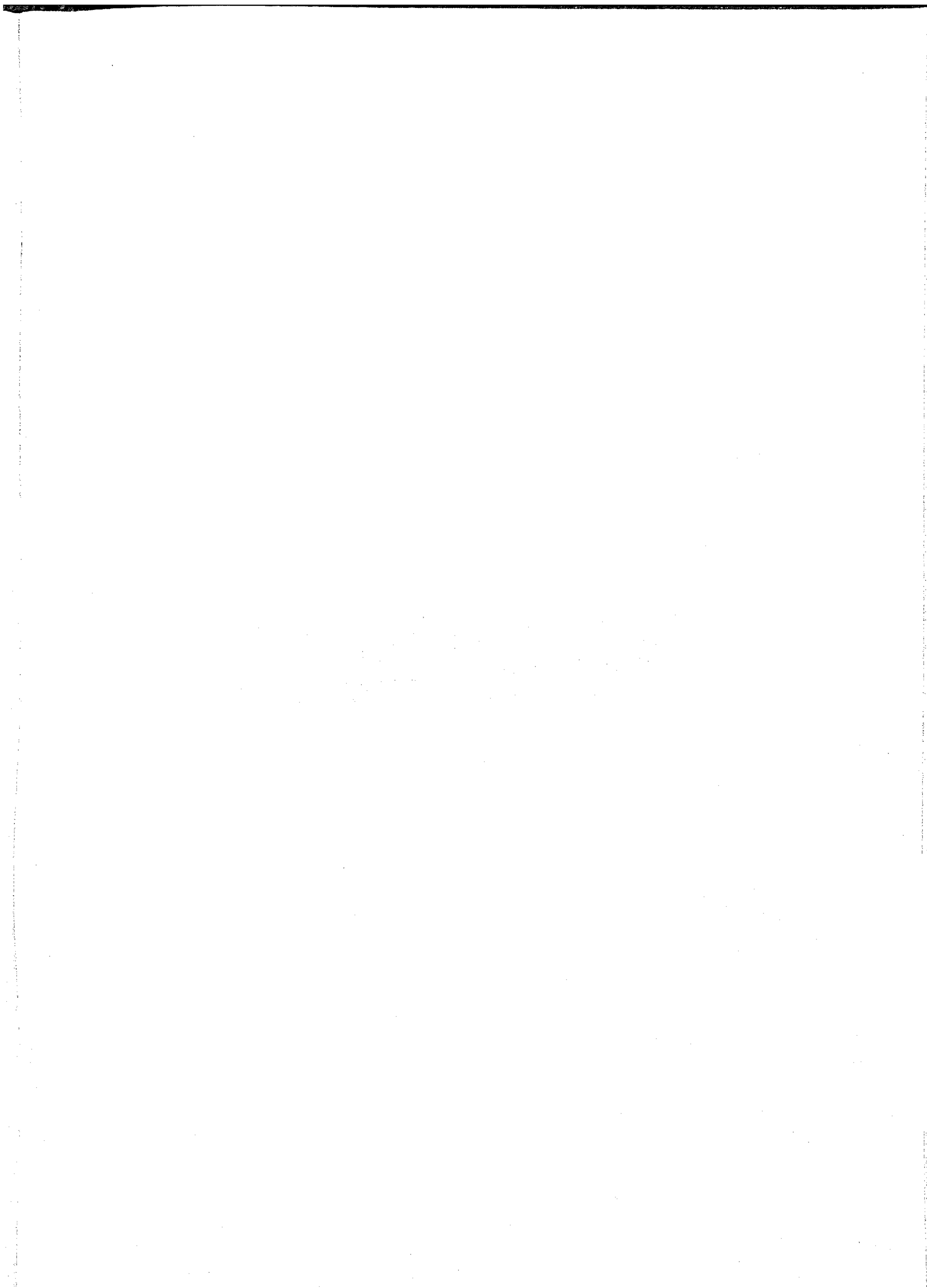
تنفيذ:
الدار العربية للكتاب

Blank page with minor scanning artifacts.

الخاتمة الموعود بها
في ذكر أعيان من العلماء والوزراء وغيرهم
على ما ذكرناه في خطبة الكتاب
من تقديم من تقدم للدار الآخرة
من أي صنف كان



قَدْ رَأَى الْبَيْتَ الْحَرَامَ



[197 - اسماعيل التميمي]

الشيخ ابو الفداء اسماعيل التميمي .

ولد هذا الفاضل بمنزل تميم ، وبيته من أشرافها ، فحفظ القرآن ، وأخذ عن الشيخ الولي العارف بالله أبي العباس احمد بن سلمان . ثم أمره شيخه بالهجرة الى تونس ، فسكن بالمدرسة الحسينية الصغيرة ، وانقطع الى العلم ، واشرفت فيه أنوار شيخه الاول ، فحصل العلوم في اسرع وقت ، حتى كان بعض الفضلاء يقول : « ان علم هذا الشيخ أشبه بالعلم الوهبي » .

وأخذ عن عالم العصر أبي الفلاح صالح الكواش ولازمه ، وعن الشيخ الغنجاتي ، والشيخ الشحمي ، والشيخ أبي حفص عمر المحجوب وغيرهم . ولم يلبث ان تصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فانتفع به أعيان ، وجلس للتوثيق ، وهو الامام في تلك الصناعة .

ويأتي الوزير الكاتب ابو محمد حمودة بن عبد العزيز لمحل توثيقه ، ولوعا بمحاضرتة .

وله الخط الجميل ، والعبارات الفائقة .

ثم قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا للشهادة على بناء داره بالقصبة ، التي وكيلها الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق ، ثم قدمه لخطبة القضاء بالحاضرة في التاسع والعشرين من صفر سنة 1221 احدى وعشرين (السبت 18 ماي 1806 م.) ، فتلقى رايها باليمين ، وجلّ في تلك الميادين ، بثقوب الفكر وسعة الاطلاع ، والشدة في الحق على نهج المتقين .

ثم نقل لخطبة الفتوى في ربيع الثاني سنة 1231 احدى وثلاثين (مارس 1816 م.) ، ثم اعيد لخطبة القضاء في رجب من السنة (جوان 1816 م.) ، لما اصيب الشيخ ابو العباس احمد بوخريص في بصره .

ثم امتحن يوم الاحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة 1235 خمس وثلاثين (20) اوت 1820 م.) بالعزل والنفي لمّا طير ، وسجن بعض أتباعه لنبا فاسق قبل التبين ، بانه يتربّح زوال الدولة ، ويخبر بشرح الجفر ، الى غير ذلك من وساوس الحسدة في الملك المطلق .

وبعد اربعة وثلاثين يوما تسرح من النفي ، ومكث بداره ، فهرعت اليه الشيوخ ، وطلبوا أن يقرئهم « شرح العضد لمختصر ابن الحاجب » الاصيل ، فاقرأهم بداره ، وانجذبت القلوب لمغناطيس علومه ، واقتطفوا من رياض منطقته ومفهوماته ، وقابله العام والخاص باجلال وتعظيم ، لم يعهد ايام الولاية ، فكان كما قال الاول :

ان الامير هو السدي يضحى اميرا بعد عزله
ان زال سلطان الولاية فهو في سلطان فضله

ثم رجع لخطة الفتوى يوم الجمعة السادس والعشرين (1) من رجب سنة 1239 تسع وثلاثين (26 مارس 1824 م.) .

ولما توفي الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ قاسم المحجوب في شعبان من سنة 1243 ثلاث واربعين (فيفري - مارس 1828 م.) صار رئيس الفتوى عوضه .

وكان هذا الفاضل من علماء هذه الامة المحمدية ، آية الله في الحفظ والثبات ، آخذا مأخذ المجتهدين في تحليل المسائل الفقهية ، بمدارك اصولها الشرعية ، ويصرّح بانه من اهل الترجيح ، ولم ينكره احد عليه ، بل يعتمدون ترجيحه عند تسليم الدليل . ويستفتى من حاضرة العلم فاس ، ومن قسنطينة والجزائر وطرابلس ، ويجيب بالكتابة .

وكان يعارض شيخ الفقه ، وكبير اهل الشورى ، أبا عبد الله محمد المحجوب ، فقال له يوما في المجلس ، وقد اختلفا في تشهير قول ، فقال له الشيخ المحجوب انا أفتي في دين الله ستين سنة ، وأعرف المسألة من حين روايتها عن مالك ، وكلّ من تكلم فيها ، فقال له لا غرابة في اتصافك بذلك ، فانك حافظ المذهب ، لكنني أعلم اعتماد كل متكلم في المسألة على أي دليل . وكان الشيخ المحجوب يرجع له .

[وكان] متبحرا في العلوم العقلية والنقلية ، لا يخلو مجلسه عن فائدة علمية ، وإذا سئل عن شيء انهل ودق علمه بالجواب ودليله ، حتى يخيل للسامع انه مستعد للجواب عنها ، وسبحان الذي خص من شاء بما شاء .

وكان عالم الملة وهو ابو عبد الله محمد بيرم الثاني يعلم منزله ، ويشني عليه ، ومهما أتاه يترك شغله ، ويقبل عليه ، ويهش لزيارته ، ويقول له : « لا تحرمنا من زيارتك ، وان كنت تأتي اليّ لتتعبني بالمسائل ، فانا أيضا أستفيد من سؤالك » .

ومن عادة صاحب الترجمة الانصاف ، وكان يزوره شيخنا عالم الحنفية ابو عبد الله محمد ابن شيخنا العالم المفتي أبي العباس حميدة بن الخوجة ، فاذا رآه مقبلا ترك شغله ، وأقبل عليه يحادثه ، وكان لا يأتيه الا سائلا ، ولما ينصرف يتبعه نظره ، ويقول : « ما أعلم هذا الانسان » ، ويكررها ، محدثا بها نفسه . سمعت ذلك منه مرارا .

وقد وقع بينه وبين شيخنا أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار نزاع في نازلة أفضى الى وحشة ، فبعث اليه ، ورجع له ، وأطلعه على سبب رجوعه ، ودعا له ، وكان في مرض موته ، وهو ملقى على صدر الشيخ البحري ، يقول له : « كثر الله من امثالك في علماء المسلمين » . الى غير ذلك مما يدل على سلامة الصدر ، وحب الانصاف .

وكان رحمه الله مهيبا ، حسن الاخلاق ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن المحاضرة . طلب منه الشيخ البحري ان يقرئه كتاب « الموافقات » لابن اسحاق الشاطبي ، فقال له : « انظرها وحدك ، واعرض علي ما تتوقف فيه ، فيكون حديث سمرنا » ، ففعل ، وانتفعنا بذلك .

وله باع طويل في فن التاريخ ، اذا تكلم في دولة ترى كأنه من رجالها .

وله محبة واعتقاد في الصالحين ، وميل الى اخلاق الزهد . والملوك يعظمونه .

ولم تزل درر علومه حاضرة منقودة ، ومفاخره على جيد الزمان منصودة ، والآمال الى طول حياته ممدودة ، الى ان استكمل أنفاسه الممدودة ، في الخامس عشر من جمادى الاولى سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والفرس (الاربعاء 10 اكتوبر 1832 م) . وله من العمر أربع وثمانون سنة .

وصلى عليه الامام ابو عبد الله محمد الشريف أمام باب البهور بالجامع الاعظم ،
وحضر جنازته امير العصر وبنوه ، ورجال دولته ، وحملوا نعشه ، ورثاه تلميذه شيخنا ابو
اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي وغيره من ادباء العصر .

وله تأليف نفيس رد فيه شبهات الوهابي ، ورسائل في الحبس والخلو ، وغير ذلك
مما لو جمع كان جزءاً .
واعقب ابنا غيراً يتمعش بقراءة القرآن ، ولم ينقطع عمله المبرور ، بما بثه في
الصدور .

[198 - محمد المبزع]

ابو عبد الله محمد المبزع .

احد اعيان الحاضرة في عصره ، يحترف بالتجارة في الحرير وغيره .

وتقدم ناظراً على بنيان قشلة للجند .

وكان وجيهاً خيراً ، ذا مروءة وعفة ، يحافظ على الصلوات في الجامع الاعظم ،
وسماع الحديث النبوي .

ولم يزل على حاله ، الى ان حان اجل ترحاله ، اوائل جمادى الثانية سنة 1248 ثمان
واربعين ومائتين والـف (أواخر اكتوبر 1832 م) ، رحمه الله تعالى .

[199 - سليمان بن الحاج]

ابو الربيع سليمان بن الحاج .

ولد هذا الرجل بغار الملح ، وانتمى الى كاهية بنزرت أبي النخبة الحاج مصطفى بن
محمد خوجة . وترقى الى ان التزم رحاب الطعام بالحاضرة .

وكان ابو محمد حمودة باشا ينظره بعين نجابة ، ويتوخى في اعماله الاصابة .

ولم يزل يترقى في مناصب الاعمال ، الى ان صار من اعيان العمال .

وكان حازماً نبيهاً ، ضابطاً لامور خدمته ، شديداً فيها ، متعشفاً في زيه ، خيراً
بالنسبة لامثاله .

ولم يزل على حاله ، الى ان آن انتقاله ، خامس رمضان من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (السبت 26 جانفي 1833 م) ، وأعقب أولادا سيأتي لهم خبر ، ان شاء الله تعالى .

[200 - محمد الشتيوي]

ابو عبد الله الشيخ محمد الشتيوي .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، وحصل ملكة ، ودرس بالجامع الاعظم موطأ الامام مالك ، وغيره من كتب الحديث . وتقلب في الخطط العلمية كالتوثيق ، وتقدم شيخا على القراء بجامع الزيتونة ، والشهادة على اوقافه .

وكان وجيها عفيفا ، خيرا امينا ، ثقة صلبا في دينه ، نقى العرض ضيق الصدر ، ذا مهابة وانقباض وصمت .

ولم يزل على حالته ، في برود مهابته ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (مارس - افريل 1833 م) .

[201 - محمد الجندوبي]

الكاتب ابو عبد الله محمد الجندوبي .

نشأ هذا الرجل في بيوت الخيام من عرش جندوبة ، وقرأ القرآن في بعض زوايا الكاف ، وأتى الحاضرة ، فسكن بمدرسة باردو ، وتعلق بسقيفة ابي الشناء محمود باي في حياة ابن عمه ، وكان يكتب له في ضروريات داره ، ويعلم أتباعه القراءة .

وهو من رجال الثورة على أبي عمرو عثمان باي ، ومن الوالغين في دم الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، بل هو أول من ضربه على عراقيبه ، فطاح ، كمن لذلك عند باب بيت الباشا .

وليس له من أدوات الكتابة سوى رسم الحروف على تحريف ورداءة في الشكل ، وكنا نجتمع به في علو الكتاب ، ونقضي من حديثه العجب العجيب . تحدث يوما متبجحا بضرب الوزير المذكور ، وقال : « ما غاظني الا أنه لما طاح تشهد وقال يا أهل

بدر » ، فقلت له : « ايها الشيخ انت في مقام أبي ، يجب نصحك ، لا تتعُدْ لمثل هذه المقالة ، فربما يلزمك بها الكفر ، واذا كانت الشهادة لله بالوحدانية تغيبك لا يسرك حينئذ الا الشرك » ، فسكت ، ولما سمع بذلك والدي أجازني بسرج محلي طالما كان يمنعني من مثله .

وكان جريثا مقداما ، غير مفكر في عواقب الامور ، اكثر بالادلاء (1) حتى دحض .

وتوفي سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والـف (33 — 1832 م) .

[202 — عبد الرحمان الكامل]

شيخنا ابو زيد عبد الرحمان الكامل .

أصله من اولاد سيدي حمادة ، من زوايا اولاد عون ، وانتقل جده من الخيام الى القيروان ، ونشأ هذا الشيخ بها ، وأخذ عن علمائها . ثم رحل الى الحاضرة فأخذ عن أعلامها كالشيخ الغنجاتي ، والشيخ صالح الكواش .

وتصدر للتدريس فانتفع به جمع . وانتخبه الباي ابو محمد حمودة باشا لقلم الانشاء ، ولم يكن ذا براعة فيه ، وان كان شاعرا مقلقا ، وشعره معروف عند الادباء ، فانتظم في سلك الكتابة مدة قليلة على كره ، ثم استعفى ، وأقبل على ما ألفه من التدريس بالجامع الاعظم ، ثم تقدم شيخا بمدرسة باردو ، وسكن به ، وانتفع به بعض سكانه . واختص به المشير أبو العباس أحمد باي ، وأقرأ مماليكه ، ومنهم ابن تربته أبو النخبة مصطفى خزنه دار .

وكان خيرا عفيفا ، فاضلا سالكا طريق القوم ، حسن المحاضرة فيه . كاد ان يحفظ « الاحياء » ، فقيها أدبيا شاعرا ، ذا وقار وهمة ، ونفس بمعادها مهتمة ، فصيح اللسان ، عذب البيان .

ولم يزل على حاله المرضية ، الى ان لبي داعي المنية ، في السابع عشر من صفر سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والـف (السبت 6 جويلية 1833 م) .

(1) كذا في كافة النسخ ، ويقصد الادلال

[203 - محمد عريف]

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ محمد عريف .

نشأ هذا الخير في بيت نبه ، واقتفى أثر أبيه . وتقدم شيخا لربض باب السويقة ، فخافته الاشرار ، وأمنت بحزمه الاخيار ، وسار في خطته سيرة شكرت وتشكر ، وتحفظ آثارها وتذكر .

وكان خيرا وجيها ، متقنا بعفة وحياء ، نقى العرض ، لين العريكة ، مثابرا على ابقاء السر مما استطاع ، وبهذا الاسلوب ، أحبه القلوب ، وحب الناس موصول بحب الله .

ولم يزل محمود الاثر ، طيب الذكر والخبر ، الى ان توفاه الله في غرة شوال سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والاف (الثلاثاء 11 فيفري 1834 م) ، واعقب ولدا حسنت منه الاعمال ، وانخرط في سلك اهل السكمال .

[204 - محمد امين باش خوجة]

أبو عبد الله محمد أمين باش خوجة .

هذا الرجل من أشياخ الجند ، وترقى في قلم العسكر ، الى أن صار باش خوجة ، وهي يومئذ رتبة توازي خطة الداي . وشعار خطته الفروة مثل الداي ، وباش مفتي الحنفية ، والباشا ، ولا يلبسها غير هؤلاء الاربعة .

وتوجه سفيرا للدولة العلية بالهدية ، وأتى بفرمان الولاية للباشا ابي الشاء محمود .

وكان وجيها خيرا ، ممدوحا عند أهل صناعته بحسن الانشاء وبراعة القلم التركي ، عالي الهمة ، ظاهر النعمة ، نقى العرض مهيبا .

ولم يزل على حاله ، يجر رداء كماله ، الى ان توفي في شوال من سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والاف (فيفري - مارس 1834 م) ، واعقب ابنا معدودين في الاعيان . وقام مقامه في الخطة نور الله خوجة .

[205 - يوسف بن فرحات]

أبوالمحسن يوسف بن فرحات الميموني .

نشأ هذا الرجل كأبيه في خدمة الدولة من فرسان المخازنية ، وترقى في مدارجها الى ان صار باش حانية ، يسافر مع ابي النخبة مصطفى باي ، ولازمه في سائر أسفاره ، واختص بمزية تقريبيه .

وكان وجيها ، فصيح اللسان ، حسن الفهم ، عارفا بعوائد العربان ، محكما بالتجارب ، وقور المجلس ، كريم النفس ، طامحا الى قنن المعالي ، شديد المحافظة على ناموس خطته .

ولم يزل مرموقا بعين احترام ، الى ان وافاه رائد الحمام ، سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والف (34 - 1833 م) .

[206 - محمد بوكاف]

أبو عبد الله محمد بوكاف البوبكري .

هو من ذرية الولي ابي بكر المعروف ضريحه قرب الكريب ، ثبت في جند المخازنية على يد ابن عمه الكاتب ابي عبد الله محمد المسعودي ، وترقى في الخدمة ، وتقدم لولاية الاعمال في القبائل ، ثم اختص به الوزير شاكير صاحب الطابع ، واستعان به في خدمته مع العربان وعمالهم .

وكان وجيها متواضعا ، حسن اللقاء ، كريم النفس ، محافظا على السداجة العربية ، ثابت الجنان .

ولم يزل في خدمته وحرمة ، الى ان توفي في رجب سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والف (نوفمبر - ديسمبر 1833 م) .

[207 - حسن برتقيز]

أبو محمد حسن ابن الفقيه الفاضل أبي عبد الله محمد برتقيز الحنفي .

أصله من بيت علم وفقه ، وقرأ على الاعيان ، وحصل الملكة في الفقه والتوثيق ، وتصدر للشهادة ، وله في فنونها باع .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، عزيز النفس ، نقي العرض ، حافظا لمجد آله ، بحسن خلاله ، الى ان توفي فجأة في الخامس عشر من ربيع الاول سنة 1250 خمسين ومائتين والف (الثلاثاء 22 جويلية 1834 م) .

[208 - محمد المشاط]

الشيخ ابو عبد الله محمد المشاط الاندلسي .

نشأ هذا الفاضل في بيت عفة وديانة ، مكفوف البصر ، حاد البصيرة ، نقي السريرة ، وحصل ملكة العلم ، لا سيما علم القراءات ، ودرس بالجامع الاعظم ، وبجامعه في حومة الاندلس ، الفقه والتفسير وغيرهما .

وكان راسخ القدم في علم التفسير ، وانتفع به جم غفير من الناس .

وكان رحمه الله صوفيا معتقدا ، معظما عند الناس متواضعا ، قانعا بالقليل ، عاكفا على ما يقرب الى الله زلفى ، حتى كادت أنفاسه لا تتردد الا بالتلاوة ، رقيق القلب ، حسن الظن بعبيد الله .

سرق نعله بالجامع الاعظم ، فدعا اللهم الذي يقوده على من سرقه ، فقال له : « استغفر الله ، وما يدريك ان الضرورة ألجأتني الى ما فعل ؟ سامحه الله » .

ولم يزل معظما محببا الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، زوال يوم الجمعة من أواخر ربيع الثاني سنة 1250 خمسين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1834 م) . رضي الله تعالى عنه .

[209 - حسونة الوزير]

أبو عبد الله حسونة بن احمد الوزير الاندلسي .

نشأ هذا الوجيه في بيتهم الشهير بالنباهة ، وكان معدودا من الاعيان التجار ، وتقدم ركنا بمجلس الحكم المتجري ، وكان صحيح الفهم ، ثابت الفكر ، فصيح اللسان ، خيرا وجيها ، لين العريكة ، ذا سياسة ولطف ، سمح اللقاء ، حسن الاخلاق ، الى ان توفي غرة جمادى الثانية سنة 1250 خمسين ومائتين والف (الاحد 5 اكتوبر 1832 م) ، وأعقب أولادا ساروا على نهجه ، بل تقدموه وزانوه .

[210 - محمد بوراس]

أبو عبد الله محمد ابن الحاج احمد بوراس الهذلي القيرواني .

نشأ في طلب العلم ، ناسجا على منوال آله ، في غالب أحواله . وأخذ عن الشيخ أبي بكر صدام ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وأبي عبد الله محمد بن عبيد الغرياني ، وغيرهم من علماء القيروان . وحصل العلم ، وتصدر للتدريس ، واختار ما يبقى بعد الموت من الاعمال ، وهو بث العلم في صدور الرجال .

وكان عالما صالحا ، تقيا فقيها ، محدثا فاضلا وجيها .

وتوفي في رجب من سنة 1250 خمسين ومائتين والـف (نوفمبر 1834 م) .

[211 - محمد عزوز]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمود بن قاسم بن حمودة عزوز .

نشأ هذا الفاضل في ينهم الشهير بالفضل والصلاح ، واطعام الطعام للطلبة ، وابناء السبيل ، مستمدا من عناية جده صاحب الكرامات الماثورة في الاقطار . واقبل بقلبه على العلم الشريف ، فاخذ عن اعلام كالشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما .

وحصل الملكة العلمية ، وتقدم شيخا بزواية جده العارف بالله سيدي علي عزوز المتوفي سنة 1122 ، فاعان على حفظ القرآن ، وأقام الشريعة بزغوان . ولم يزل يتردد بينها وبين الحاضرة .

وكان فقيها أديبا ، كاتباً بليغا ، خيرا فاضلا عفيفا وجيها ، ذا همة عالية ، وكرم في الطبع ، وتواضع على رفعة شأن ، ما شئت من حسن اخلاق ، وخلال نيّة الاشراق . ولم يزل معظما محببا الى الناس ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، في الرابع عشر من رمضان سنة 1250 خمسين ومائتين والـف (الاربعاء 14 جانفي 1835 م) ، ودفن بخلوة جده في زاويته التونسية ، واعقب ابنا سار على قدم أبيه وسما ، ومن يشابه اياه فما.... ، يسميه الشيخ الامام الشريف ابو الثناء سيدي محمود محسن : « تايب الشباب » .

[212 - محمد شيخ روحه]

الشيخ أبو عبد الله محمد شيخ روحه الصفاقسي .

أخذ العلم عن الشيخ مقديش الاول ، وغيره من علماء صفاقس ، وتقدم لخطبة القضاء ببلاده ، فحمدت سيرته ، وظهرت عفته . وكان فقيها نبيها وجيها ، حسن الاخلاق وتقدم خطيبا بالجامع الاعظم ببلاده .

ولم يزل معظما محبا الى ان توفي سنة 1250 خمسين ومائتين والـ (35 - 1834 م) .

[213 - حمودة الاصرم]

أبو محمد حمودة ويدعى عميرة بن أبي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجه في خدمة الدولة ، وسكن مع أبيه بباردو ، ثم انتقل لسكنى تونس ، وولي خوجة زواوة ، عوض أبيه لما توفي ، وهي من الخطط الرفيعة يومئذ ، واستكفى به الباي ابو محمد حمودة باشا في عظام الامور ، وقاد الجنود ، وخففت عليه رايات البندود ، كما تقدم في الباب الاول ، وتوكل — لامانته — على حفظ دخل القصر ، وكان مستشارا لمخدومه ، واثقا بنصحه وأمانته ، معدودا من رجال دولته .

وكان كاتباً فصيح القلم بالنسبة لآخيه رئيس الكتاب ، فاضلا خيرا ثقة ، محافظا على عرضه ، حسن الاخلاق .

ولم يزل على حاله ، متجملا بما يحمد من خلاله ، الى أن انتقله ، في العاشر من شوال سنة 1250 خمسين ومائتين والـ (الاثنان 9 فيفري 1835 م) ، واعقب اولادا معدودين في الاعيان .

[214 - محمد البنا]

الشيخ أبو عبد الله محمد البنا .

أصل هذا العالم من بيت علم وشرف في القديم ، واقتفى ما استطاع سنن آله ، واستعان بعفته وحميد خلاله ، فأخذ العلم عن اعلام كالشيخ صالح الكواش وغيره .

ولما حصل ملكة العلم اضطره الضيق الى التكسب بصناعة التوثيق ، وكان فيها على قدم وثيق ، وتقدم لشهادة الغابة ، فحمد خبره ، وحسن أثره .

وكان فقيها مشاركا ، خيرا عفيفا ، وجيها حسن اللقاء ، نقى العرض .

ولم ينزل على حاله الى ان توفي في رجب سنة احدى وخمسين ومائتين والـ (اكتوبر - نوفمبر 1835 م) ، واعقب ابنا زان الخطط الشرعية .

[215 - يوسف كاهية دار الباشا]

ابو المحاسن يوسف كاهية دار الباشا .

اصله من المماليك القرج ، ونشأ مع أخيه رشيد المتقدم ذكره في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، وترقى لصدقه وأمانته ، الى ان صار رئيس المماليك في الصرايا . وهو من الافراد الذين ألقوا بأنفسهم لافتكاك مخدومهم من فتكة بعض مماليكه ، المتقدم ذكرها في الباب الاول (1) ، وانجرح بسبب ذلك ، ثم صار آغة ، ثم صار كاهية بدار الباشا ، وصاهره الباشا أبو الثناء محمود باي على بنت الوزير اسماعيل كاهية .

وكان مغفلا جيداً غيراً ، قاصر الفكر ، شجاعا ، واقفا عند الامر ، سليم الصدر من الحقد ، صادق اللهجة ، تغلب عليه العجمة ، شديد المحافظة على مقامه الصوري ، لا يتجاوز في ذلك ، ولم يؤثر عنه في ولايته شر .

ولم يزل محافظا على رتبته الى حلول منيته ، ودفن بتربة الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع . رحم الله الجميع .

[216 - نور الله خوجة]

ابو عبد الله محمد نور الله خوجة .

قدم هذا الرجل لتونس ، وخدم في صناعة الانشاء ، عند الباشاوات ، وترقى الى ان صار رئيس الخوجات بالمحكمة في القلم التركي ، ثم صار رئيس خوجات الديوان ، وهو مع ذلك يكتب ما تحتاجه الدولة من الانشاء باللغة التركية ، وله براعة في ذلك ، سمعت الثناء عليه باسلامبول من الوزير نحسرف باشا ، على عهد السلطان محمود .

وكان أديبا ظريفا ، عفيف النفس نقي العرض ، حسن الاخلاق .
سافر مع الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع لما توجه لاسلامبول ، على عهد
الباشا أبي النخبة مصطفى باي ، سنة 1251 احدى وخمسين ، ووقعت بينهما وحشة ،
هذا يدل بقلمه ، والآخر يدل بسعادته ، فترك صحبته وتوجه لمصر ، فتوفي بها على مساقيل .

[217 - عبد الرحمان بن عياد]

ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن حميدة بن قاسم بن عياد .

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة مع أبيه ، وتدرج في الاعمال والمناصب ، كولاية
جربة وسوسة والاعراض ، وسافر بمسحاتها على فخامة لا عهد بمثلها لمثله ، وأركبه
الباشا أبو عبد الله حسين باي على فرسه يوم سفره ، ونشر عليه من أردية التقريب والحرمة
ما أعانه على قضاء أوطاره ، والوزير يومئذ أبو محمد شاكير صاحب الطابع ، فبالغ في إعانته .
وكان جوادا كريم النفس عالي الهمة وجيها ، ينحو منحى عم أبيه رجب بن
عياد ، المتقدم ذكره (1) ، محببا عند الباي ورجال دولته ، لين العريكة ، يقى عرضه
بماله ، ويجنح الى ما يحمد من حاله ، مثابرا على مرضاة أبيه ، لا يرى لنفسه اختيارا معه .
ولم يزل بالغ الامنية ، وآثار السعادة واردة اليه من كل ثنية ، الى ان صدمته
مُغيرات المنية ، في سنة 1251 احدى وخمسين ومائتين والـ (36 - 1835 م) ، في حياة
أبيه ، وأعقب أولادا هم من الاعيان ، واكبرهم فارس هذا الميدان ، وجده جده
لما كبا جواده ، كما تقدم (2) .

[218 - ابراهيم الخراط]

ابو اسحاق ابراهيم الخراط الصفاقسي .

أخذ عن علماء صفاقس كالشيخ الطيب الشرفي ، والشيخ محمد الفوراتي
وغيرهما . وبرع في العلوم الادبية ، وشعره معروف في صفاقس .

(1) انظر ص 37 ج 7

(2) انظر ص 116 ج 4

وكان أديبا ذكيا حسن المحاضرة ، ذا سياسة تروض انصعاب ، وتبلغ الآراب .
ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى ان توفي سنة 1251 احدى وخمسين
ومائتين والـف (36 - 1835 م) ، بعد ان عمر مائة سنة . ويقال له تأليف في الادب
سماه « زهر الربيع » .

[219 - محمود مقديش]

الشيخ أبو الثناء محمود مقديش الصفاقسي .

نشأ بين يدي أبيه المتقدم ذكره الجميل ، وباعه الطويل ، وأخذ العلم عنه ، وكان
من خواص أصحاب الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، يقوم لتلقيه ، على
عادته مع العلماء .

ودرس قليلا بصفاقس ، ثم أقبل على دنياه ومتاجره ، ثم تقدم وكيلا على عشر
الزيت وشرائه للدولة ، ونالته بسبب ذلك المحنة على يد الوزير أبي محمد شاكير صاحب
الطابع ، ففنى المال ، وبقيت الاعمال .

وارتحل الى الحج فتوفي بجدة ، رحمه الله ، في سنة احدى وخمسين ومائتين والـف
1251 (36 - 1835 م) .

[220 - احمد الشريف]

أبو العباس احمد ابن الشيخ الامام محمد ابن الشيخ الامام عبد الكبير الشريف .

نشأ هذا الذكي في شرف بيته الموروث والمكتسب ، وأخذ عن أبيه وعن غيره ،
كالشيخ الطاهر ، وشيخنا أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا أبي عبد الله
محمد بيرم الثالث وغيرهم .

وروى « صحيح البخاري » عن الشيخ بيرم الثاني ، وحصل الملكة العلمية ،
وأقرأ بالمدرسة في حوانيت عاشور ، يحل المشكل فهمه ، ويصيب الغرض سهمه ، غير
بعيد عن درجة الاعلام من علماء الاسلام ، الا انه مآل الى الاذكار ، وسنن الاخيار .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا نقيا ، حسن المعاشرة ، كريم الاخلاق ، أقرب الى الزهد
والجذب ، ما شئت من نفس زكية ، واخلاق هاشمية .

وفي أواخر سن الشباب ، اختطفته يد المنية من بين الاثراب ، وعظم به المصاب ، وذلك في سنة 1251 احدى وخمسين ومائتين والـ (36 — 1835 م.) ، وأعقب ابنا اقتدى بأبيه ، وهو الآن من الائمة بالجامع الاعظم ، كثر الله تعالى من أمثاله في الوجود .

[221 — عبد الله البلش]

ابو محمد عبد الله بن عبد اللطيف البلش الصنهاجي القيرواني .

نشأ في طاب العلم ، وأخذ عن الشيخ ابي الفضل قاسم بو الاجفان ، والشيخ محمد بن عبيد الغرياني ، والشيخ حمودة الوحيشي ، وغيرهم من اعلام القيروان . ودرس وافاد .

وكان عالما فاضلا ، مجودا للقرآن العظيم ، رقيق القلب ، جاري الدمعة ، عفيفا سالكا ، ينحو طريق الزهد .

ويقال له نظم سماه « ايقاظ الغافل في تاريخ الافاضل » ، جمعه من معالم الايمان .

ولم يزل محمود السيرة ، الى ان توفي في ذي الحجة سنة 1252 اثنتين وخمسين ومائتين والـ (مارس — افريل 1837 م.) .

[222 — محمد العروسي]

ابو عبد الله محمد بن احمد العروسي الاندلسي .

نشأ هذا الوجه في جلاب مروءة ووجاهة . وأصله من بيت نبيه في الاندلس ، أتى جده الاعلى الى هذه الحاضرة ، واستوطنها واحترف بالتجارة . ونشأ بنوه فيها ، ومنهم والد صاحب الترجمة ، تقدم أمينا على صناعة الشاشية ، وأعقب ابنه هذا ، فصار على سنن أبيه ، وتقدم للخطط ، فصار امينا على صناعة الشاشية ، ورئيسا في مجلس الاحكام المتجرية ، وشيخ الاندلس ، ولهذه الخطط شأن في هذه الحاضرة .

وكان وجيها مهيبا ، وقور المجلس ، عالي الهمة ، راجح الفكر ، سديد السهم ، نازعا عن الطمع .

وله في الحاضرة وعند الملوك وجاهة ، وله أخبار مأثورة ، ومآثر في خطه مذكورة .
وامتحن ايام الباشا ابي عبد الله حسين باي ، وسجن اياما ، وصودرَ بمال على يد
الوزير ابي محمد شاكير صاحب الطابع ، ثم اعيد لمصبه على يد الوزير المذكور .
وبقي على جلالته وهيبته ، الى آخر ساعته ، في ذي القعدة سنة 1252 اثنتين
وخمسين ومائتين والـ (فيفري — مارس 1837 م) ، وخلف عقبا يجري على سنن اسلافه .

[223 - احمد حافظ خوجة]

ابو العباس احمد حافظ خوجة .

أصله من أزمير ، أتى الحاضرة متطوعا للخدمة في الجند بصناعة القلم ، وسافر في
محلة قسنطينة خوجة ، ورجع فيمن رجع ، وترقى الى ان صار كاهية باش خوجة ، وله
عند جند الترك وجاهة وقول مسموع . يقال ان نسج ثورة الترك بتونس (1) سنة 1231
احدى وثلاثين (1816 م) من غزله ، وإن لم يحضر الا بالرأي ، واغضى له الباي ابو
عبد الله حسين باشا عن ذلك ، كما تقدم في الباب الثالث خبرها .

وكان وجيها خيرا ، حسن الفكر سديد الفهم ، له مشاركة في التاريخ والادب ،
عزيز النفس حسن الزري ، محبا لاهل الحاضرة ، لاسيما الجند ، حسن الاخلاق ، ما شئت
من ظرف وادب ووقار ، يُلمز بالتشيع . لقيته يوما في جنازة ، وانا صغير ، فجرى
ذكر علي رضي الله عنه ، فتكلم بما لا ينكر ، فقلت له : « سبحان الله الناس
ينسبونك الى التشيع » ، فقال : « نعم أحب عليا ، ولا أفضله على من تقدمه » ، ثم
قال لي : « أت حفظ شعر الشافعي » ، فقلت : « لا » ، فأملى علي قوله :

قف بالمحصب والمنازل من منى واهتف بساكن اهلها والناهض
ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

ولم يزل على تعظيمه واجلاله ، متجملا بسكمله ، الى حين انتقاله ، في سنة 1252
اثنتين وخمسين ومائتين والـ (1836/37 م) ، رحمه الله ، بعد عجز اقدمه بداره مدة .

[224 - احمد المنستيري]

أبو العباس احمد المنستيري .

تقدم ذكر أخيه ، وهو ربيب الباي أبي الثناء محمود باشا ، وصهر ابنه .
تولى الخطط على قصور في سياسته ، وساعده البخت ، لا يدلي الا بقراءة المصاهرة ،
وازدري برجال الدولة ، فازدروا به ، وآخر أمره بقي بداره ، ومع ذلك فقد كان سليم
الصدر ، ندي السكف ، حسن اللقاء ، اقرب الى خلال الخير من أمثاله .
ولم يزل على حاله الى ان توفي في التاسع عشر من ربيع الاول سنة 1253 ثلاث
وخمسين ومائتين والـف (الجمعة 23 جوان 1837 م) ، واعقب ابنا معدودا من الاعيان
في النجباء .

[225 - محمود الاصرم]

الوزير أبو الثناء محمود بن محمد الاصرم .

نشأ هذا الخير في بيته النبیه شأنه ، الكثير أعيانه ، وقرأ بالجامع الاعظم على
أبي محمد الشيخ سيدي حسن الشريف وغيره ، وحصل ملكة المشاركة في العلم .
قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا للكتابة في ديوان الانشاء مرؤوسا بأخيه الاكبر ،
وبعد وفاته قدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي لرئاسة الكتاب ، وكان مليح الخط ،
اقرب الى صناعة الانشاء والمشاركة العلمية من أخيه ، أدبيا له معرفة بعلم التاريخ ،
وجيها فصيحاً خيراً منصفاً ، لين العريكة كريم النفس ، حسن الاخلاق حافظاً
للمروءة ، نقي العرض نازعاً عن الفضول ، لم ينقل عنه سوء ، ولم تحفظ له مظلمة ،
متواضعاً جانحاً الى العافية والتسليم ، قانعا بمحبة الباي ، مسالماً للوزير ابي محمد شاكير
صاحب الطابع ، حسن اللقاء ، مليح المحاضرة ، ظريف المجالسة ، محباً الى الناس ،
يعرف الفضل لذويه .

ولم يزل طيب الخبر ، قانعا من الخطة بما بقي من الاثر ، بالغ الامنية ، الى أن
جاءته المنية ، في ربيع الثاني من سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـف (جويلية
1837 م) ، وتقدم لخطته كاهيته وابن اخيه ، وأعقب أولادا أعيانا .

[226 - شاكير صاحب الطابع]

الوزير ابو محمد شاكير صاحب الطابع .

اصل هذا الرجل من الجراكسة ، مولى لابي عبد الله الباشا حسين باي ، تقدم وتقرب بحسن خدمته ، وولي خدمة الطابع ، وبها تميز ، وصاهره سيده على بنته ، وزوجه بها في داره امام بيته .

ولم يزل يترقى الى ان امتطى صهوة الوزارة على حين احتياج له ، لما طلب التجار ثمن الزيت المبيع لهم من الدولة ، أو عينته كما تقدم (1) ، واشترط أن يمضي رأيه فيما يتعلق بالدخل والمخرج ، وان لا يفتات عليه احد في شأن المال ، فقبل سيده شروطه ، وشمر للخدمة عن الساعد ، وساعده القدر المساعد ، واقتصد في سائر المصاريف حتى اوقفها على القدر الضروري ، وأرخى للعمال العنان ، لانه انتفع بعاجلهم في هذا الشأن ، ثم انتبه فضرب على أيديهم وساعدته السعادة ، وملكته المقادة ، فأصلح بنفسه فاسده ، وأرغم حاسده ، واعترف بالغلط ، ومن الذي ما أساء قط ، وأذكى العيون على الاعمال والعمال ، واقتنى للدولة المال ، وحض الناس على الاعمال ، وباشر الامور بنفسه ، وتولى أمر الساحل والاعراض ، وغالب ما في الجهة القبلية من العروش ، واعتنى بالرعية ، يسلفهم من ماله ، ويُنظِر مُعْسِرَهُمْ حتى بدت فيهم ثروة . ومن سعادة الجدد ان الله سبحانه رحمهم بالخصب والزيتون ، حتى ان أهل الساحل يؤرخون بتلك الصابة ، ويسمونها صابة شاكير ، حتى تشكك منه التجار الافرنج ، وظنوا انه يتاجر بمال الدولة ، وينسب ذلك لنفسه ، حتى بأن ان الرجل مقصده ثروة تلك الجهة على صورة التجارة ، بحيث لا يذهب رأس ماله ، ولا تضطر الرعية لدفع الربا الفادح ، وفسخ الديون في الديون ، ولذلك كان يلزم السفر للجهة القبلية ، حتى كادت ان تكون مدة سفره اكثر من مدة اقامته ، ويكتفي في مغيبه بمملوكه وابن تربيته ابي عبد الله محمد ، وبهذه الخدمة تلقب بخزنة دار ، وهو الآن من أعيان الوزراء ، فقام بخدمة الخطة لسيده احسن قيام ، واقفا عند نهيه وأمره ، في سره وجهره ، وقام لسيده بحفظ الغيبة ، وان قوبل منه بالخيبة ، واخذ معه سبيل الحذر والادب ، حتى برع ونجب ،

(1) انظر ص 170 و 171 ج 3

وتقدم بنفسه ، في بني جنسه ، فوقع في قلب الوزير منه شيء ، مع عقارب السعايات من حساده ، وسماصرة الفتن من أضداده ، وخشي أن هذه النجاة ، ربما تقدمه الى الخطط والقراية (1). وذلك ان هذا الوزير ومن عاصره من المماليك يومئذ ، في أدمغتهم خيال بلا دليل ، وهو ان التقدم انما هو للمماليك القرج والجراكسة ، وما والاهما ونسوا نسبة الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ولا يرون للمماليك من الروم أهلية تقتضي شيئا ، مثل ابناء البلاد ، وما دروا ان التقدم انما هو بالنفس ، لا بالنسب والجنس .

وما ينفع النسب الهاشمي اذا كانت النفس في باهلة

فتنكر لمملوكه هذا ، وأخذ في حظه ، وهو يتجاهل ، والوزير يرتاد في المماليك ، وهو يخشى غوائل اهل طبقته من الأكفأ ، وكان والذي يعارضه في هذا العزم ، ويقول له : « ان افسدت على نفسك هذا المملوك لا تجد غيره » ، وان كان رأيه كراي القوم في القرج وما عطف عليهم ، وطالما باحثته في ذلك فتمسك بالعادة .

ثم بدا له أن يكلفه الاعمال الثقيلة حتى يظهر للعيان عجزه ، فأنابه عنه في سفر محلة الاعراض على صغر سنه ، وقدر له مالا معينا يخلصه اكثر مما كان يخلصه بنفسه ، فسافر وخلصه ، وهو غاض الطرف عن إعاقته ، ناظر الى أسباب اهانتة .

ولما قدم بالمحلة أتى المحمدية أولا بأعلامه ، وكنت يومئذ بها ، ولما دخل البيت التفت الوزير ينظر الى الخيل معرضا عنه ، وهو واقف ينتظر التفاته ، والناس خلفه واقفون ، ثم التفت اليه وناولته يده فقبلها ، ثم أمره بالتوجه الى باردو على العادة .

ثم ظهر للوزير انتخاب مملوكه اسماعيل ، وهو من الجراكسة ، وقال انه من قرابته ، وبقي مملوكه محمد موصولا بخدمة سيده في الظاهر ، وهو معرض عنه . ثم تسنى للوزير السفر بمحلة لعصيان وقع بجبل ماطر ، فعزم مملوكه محمد على السفر معه كآحاد الاتباع ، فقلت له : « سيدك أمرك بالسفر معه » ، فقال لي : « نسافر أمرني أو لم يأمرني ، وانا من اتباعه على كل حال » ، فقلت له : « ما كنت فيه من الرتبة لا يقتضي ان تسافر الآن كآحاد الاتباع » ، فأقسم لي أن سفره ليموت ، « وذلك ان ما لقيته من الاهانة ، ربما يلجئني للهروب الى دار القنصل ، وهذه الوصمة أشد علي من

(T) انظر تعليقا خاصا بهذا الموضوع اثبتته الشيخ محمد القروي في نسخته جعلناه ملحقا في آخر الكتاب .

الموت » ، وسافر ، وألقى بنفسه ، فأصيب برصاصة بقيت به اثرها في مشيه ، وجيء به على نعش ، ويقال والله اعلم بحقيقة الحال ، ان محمد شولاق القرجي هو الذي ضربه ، وهو ممن يبغض المماليك من الروم .

وكان فقد الوزير لهذا الرجل من مقدمات نكسبته ، وعلى كل حال فله في الدولة جليل خدمة ، اقتضت ما ناله من التقدم والحرمة ، الا انه كدورها على نفسه بالادلالات والمن ، وتفنن فيه بكل فن ، والقدر يحجب البصيرة ، حتى خيل اليه انه اذا سلم في خطته لا يوجد من يقوم بها ، فكان يتعلق باسباب واهية يبني عليها تغيثه ، ويتوجه الى المحمدية ، فيغضي له سيده ويلطفه ، ويتجاهل له ، لا سيما في آخر دولة سيده .

اتفق انه تسبب بشيء لا اثر له فركب الى سانية القدان ، وبات بها ليالي ، ولم يتحقق الباي سبب تجنبه (1) ، فبعث له مملوكه محمد القائم باعباء خطته في الحضر ، ولما وصل لم يعلمه بانه رسول ، فقال له : « لاي سبب أتيت ؟ » ، فقال له : « لمغيبك عنا » ، فذكر له سبب غضبه ، فقال : « هذا لا يغضبك ، وكلم لا تقدر بأنك اذا تجنب ، يقدمُ سيدك للخطة غيرك ؟ » ، فقال له : « لا يتقدم لذلك أحد » ، فقال له محمد : « أرى نفسي اقرب الناس اليك مثل ابنك ، وأنت الذي أظهرتني للوجود ، فلو يأمرني سيدك بأمر فيك ما توقفت في تنفيذه ، فأحرى غيري » ، فعند ذلك تنبه من سينة غروره ، واخذ في أهبة الرجوع الى باردو ، فبعد ذلك قال له محمد : « اني أتيتك رسولا من سيدنا لتقدم » ، وأخذ في نصحه . ومن الغد اصبح في موضع خدمته .

وكان سيده يلاقي من هذا الحال ما يضيق عنه نطاق التجلد ، وكان والدي وهو من أصدقائه كثيرا ما يعذله عن هذا الخلق ، ويقول له : « انك تسعى الى جلب الضرورة (2) لنفسك بنفسك مع انك تعلم ان رجال الدولة وأعيانها يحسدونك ، وكل يدعي انك أسأت اليه ، حتى باي المحال شقيق سيدك وقريعه في النسب ، فاذا غض سيدك طرفه عنك تفوقت اليك سهام الاعادي ، فرأس مالك والحالة هذه هو سيدك ، فاحتفظ برضاه ، ولا تعتمد البخت وحده ، وفي اقرانك من يرى نفسه مقدما عليك » ، الى غير ذلك من النصيحة ، لو صادفت اذنا واعية ، واذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره ،

(1) في خ و ع : مجيئه .

(2) الضرورة : الضرر (عامية تونسية) .

سلب ذوي العقول عقولهم ، حتى ينفذ فيهم حكمه ، حتى كنا نظن ان سيده اذا أبل من مرضه الذي مات به هو الذي يقتله .

ولما توفي سيده ، رام ان يسير مع اخيه كما كان ، وقد زال المقتضي ووجد المانع ، ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، فنقل أهله للمحمدية وسكنها .

وكان هذا الوزير آية الله في جمع المال ، وطرق حصوله بالاسباب النافقة في ذلك العصر ، من غير اجحاف ولا ضرر بالرعية ، مقتصدا في صرفه ، مقتصرا على الضروري ، يرى ان ذلك هو القطب الذي تدور عليه الوزارة والمملكة ، وصدق فالمال المصون أقوى الحصون ، ومن قل ماله قلت آماله ، وتهانوت يمينه شماله ، وساء معتاد عيشه ، وصغر في عين جيشه ، وفيما بعهدده ، حافظا لكلمته ، سوي الظاهر والباطن ، يرى الرفق بالرعية ، والشدة على العمال ، شاهدت ذلك منه مرارا لما كنت مختصا بكتابة ما يصدر من كتبه في بيت وزارته . أتاه بعض مشائخ نفطة يشكوه عسف العامل وهو يومئذ رستم (1) احد المماليك بالصرايا ، ولما سمع العامل بانه في بيت الوزير ، استشاط غضبا ، ودخل البيت بلا استئذان ، وقال له : « لا تسمع كلام هذا ، واسمع كلامي ، فاني مملوك الباي ، وسيفي من ذهب » ، فقال له برفق : « هوّن على نفسك ، فان فائدة سيدنا في رعيته لا فينا ، وأنت وهذا الذي احتقرته بين يدي سيدنا سواء » ، فخرج مغاضبا ، وهرب لدار القنصل ، ثم خرج وحده .

وكذلك فعل مع أبي عبد الله محمد شولاق في ولايته على عرش الطراباسية ، لم يسعفه في غرض من أغراضه ، فهرب لدار القنصل ، وخرج وحده أيضا .

[وكان] سريع الغضب ، جريء القول ، عبوس اللقاء ، شديد الحزم ، ماضي العزم ، بعيدا عن منازع السياسة ، يراها مداهنة ، لا يبالي حتى مع سيده وبنيه ، وأقاربه وذويه ، والحال أنه وزير في دولة إطلاق ، فارسا راميا ، ثابت الجنان في المخاوف ، متجلدا على الاسفار وركوب الخيل ، صادق اللهجة في أقواله ، مسعودا في أعماله ، الى أن كبا جواده ، وفارقه إسعاده ، فقتل مخنوقا يوم الاثنين الحادي عشر (2) من جمادى الثانية سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـف (11 سبتمبر 1837 م) . كما تقدم في خبر

(1) كذا في خ وفي ع و ق : رستم .

(2) هو 10 حسب التقويم .

مقتله بالبواب الخامس من هذا الموضوع (1) ، قابله الله بعفوه ، وأعقب ابنا صغيرا هو الآن من الاعيان تلوح عليه سيماء النجاة ، غير معتمد على القرابة .

[227 - سليم أمير آلاي]

أبو النجاة سليم أمير آلاي .

هذا الرجل من المماليك ، نشأ في الخدمة بالصرايا ، وترقى الى ان صار امير آلاي عسكر النظام في ابتداء تربيته (2).

وكان خيرا وجيها ، ذا همة ومروعة وحزم ، متوسط الادراك ، معتمدا على جنسيته . وتوفي يوم الاثنين الثامن عشر من جمادى الثانية سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـف (18 سبتمبر 1837 م) ، ودفن بجبل الجلاز ، وحضر جنازته ابو العباس احمد باي .

وقام مقامه في خطته سميـه ابو النجاة سليم ، وهو الآن رئيس الضبطية بالحاضرة .

[228 - سليمان الموسكو]

ابو الربيع سليمان آغة ، ويعرف بالموسكو .

هذا الرجل من ممالك الباي أبي محمد حمودة باشا . نشأ في خدمته الى ان صار باش آغة .

وكان خيرا وجيها ، حازما واقفا عند الإذن ، طلق الوجه ، حسن اللقاء ، شجاعا صبورا . استأذن لاداء فريضة الحج فأذنه المشير أبو العباس أحمد باي ، وجهزه ، وسافر في رابع شعبان من سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـف (الجمعة 3 نوفمبر 1837 م) ، وتوفي في الحجاز بعد أداء الفريضة .

(1) انظر ص 218 ج 3 .

(2) كذا في خ ، وفي ع و ق : تربيته .

[229 - محمد بن حمودة صدام]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن حمودة صدام اليميني القيرواني .

نشأ في بيتهم الشهير بالقيروان ، وأخذ العلم عن ابن عمه الشيخ بكار صدام ، وابنه الشيخ محمد ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وغيرهم من علماء القيروان . وحصل الملكة العلمية ، وتصدر للتوثيق ، وتقدم لخطبة الفتوى .

وكان وجيها فاضلا ، خيرا نقى العرض ، عزيز النفس .

ولم يزل على حاله ، وحميد خلاله ، الى ان توفي في السادس والعشرين من شوال سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـف (الثلاثاء 23 جانفي 1838 م) .

[230 - محمد شولاق]

ابو عبد الله محمد شولاق .

هو من الموالي ، وأصله من بلاد القرج ، ونشأ بالصرايا في خدمة الدولة ، وترقى في خططها الى ان صار آغة . وكان فارسا راميا ، مقداما جريئا ، متوسط الادراك ، بعيدا عن منازع السياسة ، يرى استحقاق الرتب السنية بالنسبة القرجية .

ولا ولي عمل الطرابلسية طلب ان يضم اليهم عرش فرجان ، وقد كانوا خارجين عنهم ، يسوسهم شيخهم ، فلم يوافقهم الوزير ، فهرب الى دار القنصل ، ولا صدر له الجواب بالسفر ندم ، وشمله حلم مخدومه الباشا ابي عبد الله حسين باي ، وأعادته الى الخدمة كما كان ، وصفا الجو بينه وبين الوزير . ثم اتهم بمداخلة الوزير شاكير صاحب الطابع في سبب قتله ، فنفاه الباشا ابو النخبة مصطفى باي ، وتورع عن إراقة دمه ، وخرج بسائر كسبه ، وذلك في سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـف (1837/38 م) ، وتقلب في البلدان ، ثم طلب الرجوع فسنع ، وتوفي فجأة بطرابلس ، وأنف المشير أبو العباس أحمد باي من إرثه بالولاء ، فوهب ذلك لزوجته بطرابلس .

[231 - اسماعيل الباهي]

ابو الفداء اسماعيل ابن الولي ابي العباس سيدي احمد الباهي .
ابن الشيخ اسماعيل ابن الولي ابي العباس سيدي احمد الباهي .

نشأ هذا الماجد بين يدي أبيه في بيت مجدهم ، وقرأ على عمه أبي عبد الله محمد الباهي ، وعلى شيخنا أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، والشيخ الطاهر . وكانت قراءته بغصب من أبيه ، فحصل ملكة المشاركة ، وما كاد ، وتقدم شيخا بز اوية جدهم ، بعد وفاة عمهم ، على مقتضى نص الحبس من أن النظر للاكبر في الذرية ، ولو مع وجود الاصلح .

وكان خيرا عفيفا ، ذا همة ووقار ، يغلب عليه الحياء ، مشغلا بخويصة نفسه ، مرموقا بعين اجلال .

ولم يزل على هذا الحال الى ان توفي سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـ (38 - 1837 م .) رحمه الله تعالى .

[232 - يوسف بن ذا النون]

ابو المحاسن يوسف بن ذا النون الزوابي (1) .

هذا السيد من أشراف باجة ، وبيتهم معروف بها ، وهاجر في طلب العلم الى تونس ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، وأبي عبد الله محمد الطاهر ، وأبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وأبي عبد الله محمد الفاسي وامتطى ذروة التحصيل ، مع مجده الأصيل ، وقصر نفسه على التلاوة والعبادة ، والنظر في كتب القوم ، ملازما درس شيخنا ابي العباس احمد الابسي لرواية « صحيح البخاري » كل يوم ، ويفيد السائلين .

انقطع الى الله في بيت بصحن جامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وكان شيخنا الرياحي يعظمه ، ويعرف له حقه ، ويقول له اذا حضر درسه : « أنت بحمد الله غني عن درسي » ، فيطأطئ رأسه ، ويقول له : « لا غني لمسلم عنك » .

وكان ذا تقوى وعفاف ، قانعا بما دون الكفاف ، عالما ذكيا ، فقيها محدثا ، شاعرا ناثرا ، صوفيا له في طريق القوم ذوق ، وإلى ما عند الله شوق ، ونزاهة لازمة ملازمة الطوق ، مهيبا معظما مقصودا للدعاء .

ولم يزل في عبادته ، وطرق سعادته ، إلى أن مرض في بيته بصحن الجامع ، فحاوله والدي على أن يتحول إلى دارنا فأبى ، وطلب منه عوض ذلك أن يهب له قبره بقبة الولي سيدي مصطفى في سقيفة الجامع ، وإن يصرف على تجهيزه مما يجده من مخلفه ، فأجابته لذلك ، وبقي والدي في معاناته ، وربما استعان بي إلى آخر ساعاته ، فجهره من مخلفه كما أوصى ، ودفنه في قبره ، وما فضل من مخلفه دفعه لورثته .

وكانت وفاته سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـ (38 — 1837 م) ، ثم ندم أبى على هبة قبره ، وببركته تيسر له قبر في القبة المذكورة ، رحمهما الله .

[233 - أحمد بن عمار]

أبو العباس الحاج أحمد بن عمار .

نشأ هذا الرجل في الخدمة بين يدي الباى أبى محمد حمودة باشا ، وله سلف فيها ، وتقدم باش حانية بعد وفاة أخيه أبى الفلاح صالح بن عمار ، إلا أنه زاد على أخيه باللسان التركي واللسان الطلياني .

وكان محببا لمخدومه ، نبيه المنزلة عنده ، فصيح اللسان ، ماهرا في خدمته ، مفرطا في المحافظة على ناموسه ، متوسط الفكر ، وجيها مهيبا .

توفي يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الثاني سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـ (20 جويلية 1837 م) ، وله عقب ، وتولى ابنه الأوسط خطته بين يدي أبى النخبة مصطفى باى ، فسار على سنن أبيه ، وتوفي في دولة المشير أبى العباس أحمد باشا باى .

[234 - محمد البحرى بن عبد الستار]

العلامة شيخنا أبو عبد الله محمد البحرى بن عبد الستار .

نشأ هذا النحرير بين يدي أبيه ، وأخذ عنه ، وعن الشيخ أحمد البكاي مبادئ العلوم .

ولما حصل الملكية دخل الجامع الاعظم ، وأخذ عن أعلامه كالشيخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم ، ولازم شيخ الشيوخ سيدي حسن الشريف .

ولما امتلأ بالعلم حوضه ، وأثمر روضه ، تصدر للتدريس بجامع قرب داره ، لبعدها عن الجامع الاعظم ، وهرعت الى دروسه الطلبة ، فأفاد وأجاد ، واتى بما يستجد ، وتلقى راية العلوم المعقولة والمنقولة باليمين ، وهو على هذه الرتبة لم يفارق درسه على شيخه أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي .

وتقدم لخطبة القضاء بالمحلة ، فظهرت براعته . وتقدم للخطبة بجامع أبي محمد الحفصي . وتقدم لخطبة القضاء بالحاضرة ، فحل المشكلات ، وفصل النوازل الموقوفة ، وصدع بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ويرجع في توقفه لشيخ الفتوى أبي الفداء اسماعيل التميمي ، وربما يعارضه ، فيرجع الشيخ لفهمه ، ويدعوه . وكان أيضا يراجع شيخه ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، ويعارضه معارضة افضت الى وحشة بينهما ، نسأل الله ان يجمعهما في صعيد واحد ، ويغفر لهما ، كما ورد .

وكان رحمه الله متبحرا في العلوم الفقهية وغيرها ، ذكي العقل ، ثابت النقل ، معدودا من حفاظ المذهب ، تقيا عفيفا ، عالي الهمة ، نقى العرض ، معظما عند الملوك والعامّة ، حسن المحاضرة ، يحاضر تلاميذه محاضرة الاكفاء ، ويباحثهم تدريبا لهم ، حضرته يوما بداره ، وقد شكته أمة من سيدها ، بأنه ضربها ضربا مبرحا ، ومثّل بها ، والمثلة بادية ببدنها ، فأحضر سيدها ، فلم ينكر ، وعنفه ، وحكم بعقوبتها عليه ، وأمرني بكتابة الحكم فكتبته بين يديه ، فأفضاه وناوله الأمة ، واحسن اليها ، احسن الله اليه ، وكأنه استحسن كتابة الحكم فدعا لي .

ولم يزل في برود اجلاله ، متجملا بكماله ، وحسن خلاله ، جاريا على الحق في أقواله وأعماله ، الى آن منيته وانتقاله ، ليلة الاربعاء الحادي والعشرين (1) من ربيع الاول سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والف (13 جوان 1838 م) ، ودفن بزاوية سيدي أبي عصيدة ، قرب دار أبيه ، واعقب ابناء هم الآن من الاعيان ، رحمه الله تعالى .

(1) هو 20 حسب التقويم .

[235 - الحاج بالضياف]

الحاج بالضياف بن عمر بن أحمد بن نصر بن محمد ابن المجذوب
سيدي احمد الباهي العوني ، نفعا الله به

هذا الرجل ، هو والد العبد الفقير ، واصله من بيت ينسب الى صلاح في قومه ،
كزوايا العربان ، وجده كان سائحا مجذوبا ، مات في سياحته قرب وادي الزرقاء ، على
طريق باجة ، ودفن حيث مات وبني على قبره الباي حمودة باشا المرادي قبة معروفة به
الى الآن ، لانه كان يعتقده ، وحبس على زاويته بسليانة هنشيرا هو الآن بيد ذريته ، مع
ما بأيديهم من صكوك الامراء المتقدمين المنسوخ معناها ، الباقي لفظها .

وولد صاحب الترجمة في ناجعة قومه ، ومات أبوه في الطاعون الجارف ، فكفله
جده احمد ، واتخذ له معلما في البادية ، ثم أتى به للحاضرة ، فحفظ القرآن بالزاوية
الباهية . وكان يخصصه شيخه الولي العارف بالله سيدي احمد الباهي بشيء من عنايته ،
ثم انتقل في طلب العلم الى مدرسة جوانيت عاشور ، وقرأ بالجامع على الشيخ أبي عبد الله
محمد الغرياني ، والشيخ الغنجاتي ، والشيخ سالم اليعقوبي ، وحصل شيئا يقربه الى جهة
المشاركة مع الطلبة ، ومات جده الذي كان ينفق عليه ، وصعب عليه الرجوع الى البادية ،
بعد نعيم الحاضرة ، فطلب التكسب ، وآثره على العلم ، واستكتبه القائد عثمان المملوك ،
عامل قفصة ، وامتزج به ، وكان ينوبه في عمله ، فأتى بحساب صاحبه الى رئيس الكتبة
يومئذ ابي عبد الله محمد الدناوي ، وتوقف معه في أمر اقتضى نشر النازلة بين يدي الباي ،
وكانه استحسن مناضلته على صاحبه ، فبعث له ليوليه كاتباً في بيت خزنة دار ، فقال
له : « ان مملوكك عثمان خالطته وربحت منه ، ولم أر منه ما يسوءني ، على أنسي في
كل حال على خدمتك ، سواء كانت في بيت خزنة دار ، أو مع القائد » ، فلم يغضبه ،
الى ان توفي القائد عثمان ، فبعث له وأحضره ، وأولاه كاتباً في بيت خزنة دار ، وضمه
لوزيره أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في مبادئ ترقيه ، وقال له : « انما اخترته
لك لوفائه لصاحبه عثمان » ، فامتزج به ، وصار صاحب سره ومشورته ، وترقى الى ان صار
رئيس الكتبة في بيت خزنة دار ، ولصاحب هذه الرئاسة ما لسكشاب المحكمة يومئذ .
استكفى في هذه الرئاسة بصاحبه وكاهيته أبي عبد الله محمد المسعودي ، لشغله بكتابة
الوزير ، ويكتب للباي أسراراً عند مغيب الرئيس ، ويحضر في نادي مشورته .

وسافر مع الوزير الى اسلامبول ، وصاحبته في المحال ، الى ان توفي الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وامتحن أتباعه ، وهو منهم ، ودافع عنه الاجل ، فسجن مثقلا في الحديد ، وهو آخر من تسرح من أصحاب الوزير ، وخرج من ماله الذي آثره على العلم ، كيوم ولدته أمه . ويوم تسريحه بعث له أبو عبد الله حسين باي بمائة محبوب ، زق بها أفراخه ، المنقولين من عشهم الى بيت جدهم للأُم ، وأعانه الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بما سد رمقه من دراهم وقمح وكسوة ، ثم بقي يلاقى البؤس والضنك ، مرتادا لاسباب المعيشة الى ان اجتباه الباي ابو عبد الله حسين باشا ، واستكتبه على يد الوزير ابي عبد الله حسين خوجة ، (احد مماليك الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ورد عليه ما بقي من ربه وعقاره ، بما في رسومه من الثمن ، ثم أسقطه عنه ، وبقي في خدمته مكروما في صحبة الوزير أبي عبد الله حسين خوجة) (1) ثم في صحبة الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع ، الى ان قيده عجز السن ، فبقي في محله على ماعهده من إكرام ، مؤفَى الجراية ، يستحضر في المشاور .

ولم يكن في العلم ذا بضاعة ، سوى أنه حسن الخط ، يحب العمران بطبعه ، مقتصدا في حاله ، يميل الى الخمول والسجية العربية ، يحب الصالحين ، ويعظم العلماء ، ولا يطالب منهم الا الدعاء للعبد الفقير ، ولا أزكيه وأنا ابنه ، ولاهل الحاضرة عسرها الله تعالى محبة فيه ، رأيت أثرها بعد محنته ، وأنا صبي ، ولم نسمع عنه الا ما يقتضي شكر الله ، وأرجو ان أكون من عمله الباقي بالدعاء له ، ولجميع المسلمين .

ولما حضرته الوفاة أحضرني ، وقال لي : « أنا ميت في هذا المرض ، فلا تفارقني ، وذكرني الله ، ورحمته الواسعة ، فما أعددتك الا لهذا الوقت » ، وجعل يوصي كالمسافر ومنها ان يدفن في قبة الولي سيدي مصطفى ، بجامع صاحب الطابع ، ويسر الله ذلك ، ومدة مرضه ثلاثة ايام ، صلى فيها العشاء بالاياء ، ولم يزل يقرأ سورة الاخلاص الى آخر انفاسه المعدودة ، في جمادى الثانية سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والـ (اوت - سبتمبر 1838 م) ، رحمه الله ، ورحم جميع المسلمين .

(I) ما بين القوسين ساقط من خ ، مثبت في ع و ق .

[236 - سالم المحجوب]

أبو النجاة الشيخ سالم المحجوب .

هذا الشيخ من بيت شرف وفضل ، أخذ العلم بالجامع الاعظم ، وأخذ عن ابن عمه شيخ المالكية ورئيس الفتوى ابي عبد الله محمد المحجوب ، وحصل ملكة فقهية وشيئا من غيرها ، وتقدم لخطبة القضاء في بترت ، ثم نقل الى خطبة القضاء بباردو ، ثم الى خطبة القضاء بالحاضرة ، فظهر قصوره ، وكان لا يرجع الى ارشاد المفتين اذا غلط ، فكتب اهل المجلس الشرعي بذلك للباي ، فصرفه عن خطبة القضاء ، في ذي القعدة من سنة 1241 احدى واربعين (جوان - جويلية 1826 م) ، وابقى ما كان بيده من الخطط العلمية .

وكان فقيها يحسن الفرائض وشيئا من التوثيق ، ليس الجانب ، متواضعا ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سابع شعبان من سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والنف (الجمعة 26 اكتوبر 1838 م) ، رحمه الله .

[237 - سليمان كاهية]

الوزير الشهير ابو الربيع سليمان كاهية

اصل هذا الشهم من بلاد القرج ، ونشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، ولازمه ملازمة الظل ، وهو من الناس الذين ألقوا بانفسهم الى افتكائه من فتكة بعض مماليكه ، ووقاه الله من الجرح ، وتدرج في الخدمة الى ان صار آغة وجق بساجة ، واستكفى به في المهمات ، وتطويع العصاة ، ثم قدمه كاهية للسفر بالمحال صيفا وشتاء ، في ذي الحجة من سنة 1221 احدى وعشرين (فيفري - مارس 1807 م) فأمن الطرقات ، وضرب على ايدي اهل الحراية من البغاة ، وحمد في ذلك أثره ، وبقي خبره . وصاهره الباشا ابو الثناء محمود باي على بنته ليلة ولايته ، وبنى بها في دولته .

وله أثر جميل ، في ثورة الترك على هذا الباي ، وذلك أن ابنه كان يتنزه في المراقبة ،

فركب له ليلا في عقد من الفرسان ، وأتى به على طريق المرقية ، خشية أن يتعرض له الترك ، وقد فعلوا ، فقاتهم (1) .

وكان محببا عند العربان ، مطاع الرأي فيهم . ولما عصت قبيلة عمدون من الجبل ، واعصوبوا على شيخهم بوترعة ، أتى الباي وقال له : « أتؤمن هؤلاء الناس ، ويأتيك بوترعة طائعا منقادا تائبا ، وذلك خير من سفك الدماء » ؟ ، فقال له الباي : « هم في أمان ، ولا غرض لي في سفك الدماء » ، فكاتبه ، فأتى طائعا خاضعا نادما ، فكساه الباي ، وبعد زمان رده الى جيله .

وكان معظما مكرما ، محبوبا عند الصغير والكبير ، من البيت الحسيني ، وفيما بالعهد ، يرقب صحبة ساعة . لما توفي أبى ، وهو بسانيته بالمرسى ، بلغني انه يريد القدوم الى بتونس معزيا ، فأكبرته ، وهو شيخ مسن ، وأتيته بسانيته ، ولما رأيته بكى ، وقال : « لا لذة في الحياة بعد موت الاصحاب » .

ومن طبعه الرفق بالرعية ، كان بيده عمل اولاد بوسالم ، ويقع بينهم ما يقع بين العربان من التحاسد والتشاجر ، فكان اعظم زاجر لهم ان يقول لهم : « غداً أسلم في ولايتكم » . أدركت بعض أعيانهم أتوا الى والدي مستشفعين به من تصميمه على التسليم في ولايتهم ، وبذلك استقام حالهم ، وحسن مآلهم ، فأثاروا الارض وعمروها .

وكان رحمه الله خيرا وجيها ، عفيفا نقى العرض ، له الى الله وجهة حسنة ، مؤثرا للخير ، لم تحفظ له مضرة لاحد ، واسع الصدر ، رزين العقل ، عظيم الصبر ، قليل الخوف ، ثابت القدم في الازمات ، شهما شجاعا ، حسن الخلق ، يصفح عن الزلة ، ويتغافل تغافل المؤمن الغر الكريم ، عزيز النفس ، وقور المجلس ، شديد المعارضة في النصيحة ، لا سيما في الرفق بالضعفاء ، شديد النكير على العمال ، محبوبا عند العربان ، معظما في الدولة ، ادركنا عظماءها يعجلونه ويعاملونه معاملة الابناء للآباء .

ولم يزل معظما مكرما ، لا ينعقد اجماع بدونه ، ويستشار في المهمات ، الى ان توفاه الله على أحسن الحالات ، في دولة المشير ابي العباس احمد باي ، ليلة الثلاثاء الخامس عشر (2) من رمضان سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والفس (4 ديسمبر 1838 م) ، ودفن بصحن التربة الحسينية ، رحمه الله تعالى ، وله عقب من الاعيان الآن .

(1) انظر ج 3 ص 116 .

(2) هو 17 حسب التقويم .

[238 - علي النفاتي]

الشيخ أبو الحسن علي النفاتي .

نشأ هذا الشيخ في بيت رفيع العماد ، كثير الافراد ، وقرأ وحصل ملكة العلم ،
وتصدر للشهادة فكان من رجالها المعدودين ، وتولى شهادة الديوان ، وصرف عنها
لخصوصية بينه وبين احد العظماء في الدولة ، في حد هنشير يملكه من أجداده خلفا عن
سلف ، والحوز بيده ، وحمله الجور على الاستطالة بالقول .
وكان وجيها خيرا ، عفيفا نقى العرض ، أبي الضيم .
وفي آخر عمره اعتراه حال يشبه الجذب .

ولم يزل يتضرع الى الله في انصافه ممن مسّ عرضه ، وغضب أرضه ، الى ان توفي
في سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والـ (39 - 1838 م) ، وعند الله تجتمع الخصوم .

[239 - محمد السنوسي الكافي]

الشيخ أبو عبد الله محمد السنوسي الكافي .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وجدّ في تحصيله ، وأخذ عن أعيان كالشيخ
الشحامي ، والشيخ الغرياني ، ولازم الشيخ صالح الكواش ، فانتفع به .
وتقدم للتدريس والخطط العلمية ، وتقدم لخطبة القضاء في بنزرت ، ثم الى الخطبة
بباردو ، وانتقل منها لقضاء الحضرة ، فسار في الخطبة سيرة أهل الفضل ، من قضاة العدل .
وله رجز في الاحكام ، أطول من نظم ابن عاصم .
وكان عالما فقيها ، حافظا ثبّتا ، واسع الاطلاع ، عفيفا تقيا ، شديد المراقبة لربه ،
قريبا من الزهاد ، نقى العرض ، حسن الاخلاق ، جميل الصبر ، جميل المحاضرة ،
أديبا ناظما ، متواضعا محببا الى الناس .

ولم يزل على حالاته المرضية ، وأخلاقه الزكية ، الى ان لبى داعي المنية ، وأواخر
شعبان سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والـ (أوائل نوفمبر 1839 م) .

[240 - محمود الجلولي]

أبو الشاء محمود بن بكار الجلولي .

هذا الرجل من بيت أصيل ، عريق في الخطط السياسية ، خلفا عن سلف ، مع
وجاهة وذكر جميل .

ونشأ صاحب الترجمة على سنن أسلافه ، وتنقل في الخطط والاعمال ، مع حظوة
واختصاص تقرب ، ورتبة نبيلة عند مخدمه الباي ابي محمد حمودة باشا ، وهو من
رجال مشورته ، وله في الخدمة آثار مذكورة .

توجه سفيراً لمالطة سنة خمس وعشرين (11 - 1810 م) ، وبقي بها ما يقرب
من ثلاث سنين لانشاء سفن حربية وآلات حرب ، واحسن السفارة ، وقضى الوطر ،
وجعل ضيافة لحاكم مالطة يومئذ ، فجاءه لمحله ، وتفنن في إكرامه ، وعلا كعبه في
التجارة والغنائم .

وكان وجيهاً فاضلاً ، ماضي الفكر ، بصيراً بالعواقب ، عزيز النفس ، عالي
الهمة ، جميل السيرة في اعماله ، صبوراً حسن الاخلاق ، مع وقار .

وله كتب ينتفع بها طلبة العلم بصفاقس ، وله كتب بداره في الحاضرة لا يمنع
من يريد الانتفاع بها ، وهي التي انتفعت بها في قراءتي ، أجزل الله له ثوابه .

وله في النحو والفقه ملكة المشاركة ، وله معرفة تامة بالتاريخ .

ولما طعن في السن ، شقت عليه مطالعة الكتب ، فاتخذ من يحسن القراءة ، يأتيه
كل يوم لقراءة ما يريد مطالعته .

ولم يزل معظماً مقرباً عند مخدمه ، ومن بعده من الملوك ، الى ان توفي طاعناً في
السن ، ليلة الثاني والعشرين من رمضان سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والـ (الجمعة
29 نوفمبر 1839 م) .

[241 - حسين بن عبد الستار]

أبو عبد الله حسين بن الحاج عبد الستار المانسي .

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه كاتب الوزير الحاج علي بن عبد العزيز ، وحضر
معه الحروب ، وله ذكر جميل في « التاريخ الباشي » ، وكان رئيس الكتاب بيت

خزنه دار ، مقربا عند الباشا ابي الحسن علي باي ، فاعتنى بابنته هذا ، وقصره على استفادة العلم ، فأخذ عن أعلام منهم الشيخ صالح الكواش ، والشيخ الغرياني ، ولازم ذكي العصر أبا عبد الله محمد بن سعيد ، المتقدم ذكره ، وحصل ملكة حسنة ، ودرس بجامعة سيدي أبي عصيدة قرب داره ، وتدريب به ابنه المتقدم ذكره ، ثم اشتغل بخويصة نفسه ، مدبرا المعاشه ، غير غافل عن معاده .

وكان فتيها مشاركا ، ذا عفة ، وقور المجلس ، حسن المحاضرة ، نقى العرض ، يميل الى الانفراد .

وامتحن بسوت اكبر بنيه قاضي العصر شيخنا البحري .

ولم يزل على حاله . الى ان توفي في غرة ذي الحجة سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والـ (الاربعاء 5 فيفري 1840 م) رحمه الله تعالى .

[242 - محمد التومي]

أبو عبد الله محمد التومي .

من أعيان بيوت الاندلس ، نشأ في وجاهة وثروة ، وكان خيرا فاضلا ، كريم النفس حسن الاخلاق ، من اعضاء مجلس المتجر ، يقدم من ماله الزاد ، ليوم المعاد .

وتقدم أمينا على صناعة الشاشية ، فحمدت سيرته .

ولم يزل على حاله ، في جمال كماله ، الى أن توفي في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والـ (السبت 29 فيفري 1840 م) رحمه الله تعالى .

[243 - احمد بن عاشور]

أبو العباس احمد بن محمد الشاذلي

ابن عبد القادر بن محمد بن عاشور .

نشأ هذا الشيخ مع آل بيته في عفة وصيانة ، وهو من بيت شرف أصيل ، وصلاح ائيل بالاندلس ، خرج جدهم منها فارا بدينه الى سلا من بلدان المغرب ، ومنها انتقل لحاضرة تونس ، واستقر بها ، جامعا بين شرفي النسب والاكتساب ، ملازما للعبادة ، زاهدا في الدنيا .

ولهذا البيت خبر طويل ، وذكر جميل ، في تاريخ الوزير ، وتاريخ حسين خوجة
واقبل صاحب الترجمة على العلم ، فأخذ عن أعيان منهم الشيخ العيوني ، والشيخ
المشاط ، والشيخ سيدي حسن الشريف وغيرهم .
وحصل ملكة العلم ، ودرّس في الجامع الأعظم النحو والفقه ، يرتزق بصناعة
التوثيق .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها عزيز النفس ، حسن الاخلاق ، معدودا في الاخيار .
ولم يزل على حاله ، سالكا نهج الفضلاء آله ، الى ساعة انتقاله ، سنة 1255
خمس وخمسين ومائتين والـ (40 - 1839 م) ، ودفن بزاوية جدهم المعروفة باسم
تلميذه سيدي علي الزواوي ، المنسوب اليه الباب (1) .

[244 - عبد الملك العوني]

الشيخ عبد الملك بن أحمد الحمادي العوني .

نشأ هذا الشيخ في بيت صلاح واعتقاد ، وزاوية سيدي حمادة من أشهر زوايا
هذه القبيلة ، وحفظ القرآن ، ورحل من ناجعته لقراءة العلم بالحاضرة ، فسكن المدرسة
الحسينية ، وأخذ عن أعلام منهم الشيخ صالح الكواش ، والشيخ سيدي حسن الشريف ،
والشيخ الطاهر وغيرهم ، مع فكر حديد ، وباع مديد ، فحصل العلم ، وله في الادب
راية خافقة ، وعقود متناسقة .

وضمه الباي أبو محمد حمودة باشا للكتابة في بيت خزنة دار ، فأقام على ذلك نحو
الجمعة (2) ، ثم طار به جناح الجذب الى ناجعته ، وطلق الدنيا ، وخطب المرتبة العليا ،
ووفل في الحلال من حالات الاولياء .

وسافر مع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في محلة سراط ، وجلّى في
ميادين الحروب ، ولما رجعت المحلة منصوره ، طلب له الوزير ارضا من هنشير سليانة ،
فقال له الباي : « لاي سبب ؟ » ، فقال له الوزير : « انه رجل صالح » ، فقال له :

(1) هو الباب المعروف بباب سيدي عبد الله .

(2) نحو الجمعة : نحو اسبوع .

« وأي كرامة له ؟ » ، وكان الوزير سليمان كاهية حاضرا ، فقال له : « لا كرامة له ، ولا ولاية ، يستحق هذه الأرض لثباته وشجاعته ، شاهدته بعيني يهجم على صف الجند ويُنْشِكِي ، غير مكترث بموت » ، فقال له : « نعم » ، وأعطاه الأرض ، وهو غير مكترث بها .

وله كرامات مذكورة لوقتنا هذا .

وكان عالما ذكيا ، أدبيا ناظما ناثرا ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، ثابت الجنان ، حسن المحاضرة .

ولم يزل معتقدا معظما ، مقصودا محببا ، الى ان دعتة المنية فلبى في محرم من سنة 1256 ست وخمسين ومائتين والـف (مارس 1840 م) ، وأعقب أولادا سلكوا هذه المسالك ما بين مجدوب وسالك ، أصغرهم أبو العباس احمد ، سعى في الخير ، ولم تزل مساعيه تحمد .

[245 - دوار الملوكة]

هو من مماليك الباي أبي محمد حمودة باشا ، نشأ في خدمته صغيرا واختص به الباشا أبو عبد الله حسين باي ، وجعله خزنة دار عنده ، ورام ان يصاهره ، وهو غير مكترث بالخدمة ، جارٍ في ميادين الصبا واللهو ، غير مفكر في عاقبة ، وآل امره الى النفسي بجربة ، وكشف بها بصره ، ومات بها في اواسط هذا القرن الثالث عشر ، وكان جريئا ، متجاهرا بما يستحق منه ، بعيدا عن السياسة ، الا انه حسن النغمة بتلاوة القرآن ، قرأ مع الخوجات في المحفل ، يوم اقامة الصلاة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ولم تخرجه صناعة الالحان عن آداب تلاوة القرآن ، وقابلته الاسماع بالاستحسان . وكان راميا فارسا ، رحمه الله تعالى .

[246 - محمد بن عامر]

أبو عبد الله محمد بن عامر العوني .

هو من بيوت قبيلة اولاد عون ، ومن المشائخ الذين يرمقهم أبو محمد حمودة باشا بعين النجابة ، وينتظر منهم الاصابة ، وسئم من عناء الخيام ، فأتى الحاضرة ، وثبت في الشواش ، وانتخبه الوزير شاكير صاحب الطابع للخدمة معه ، ثم صار كاهية بالوجع التونسي ، وتقلب في أعمال القبائل كماجر .

ولما توفي الوزير شاكير صاحب الطابع استقر بالقيروان ، كواحد من أهلها ، متقيًا وارف ظلها ، ينفق من ماله ، على قدر حاله .
وكان وجيها ، كثير الصمت ، ليس فيه من السجايا العربية الا الحياء وركوب الخيل .
ولم يزل على حاله ، مسرورا باعتزاله ، الى ان توفي سنة 1256 ست وخمسين ومائتين ولف (41 -- 1840 م.) بالقيروان .

[247 - على المازغني]

الشيخ أبو الحسن علي المازغني .

أصله من زاوية المازغني الشهيرة بعمل طرابلس ، وقدم أبوه لعمل تونس ، وسكن بيت الخيام تارة عند جلاص ، واخرى عند اولاد عون ، والقبائل يُجِلُّونه احتراماً لجدّه .
وقدم ابنه صاحب الترجمة مع أخيه للحاضرة ، فقرأ القرآن بالزاوية الباهية ، وأخذ عن صاحبها الولي العارف بالله سيدي احمد الباهي مباشرة ، ثم رجع لخيامه . وكان ممتزجا بأبي عبد الله محمد بن السبوعي عماد قبيلة جلاص ، فأنتهى ذكره للوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وجمعه به ، فتعلق به الوزير ، وصار من أهل سمره ، ويبيت عنده ، وتعلق به الباي أبو محمد حمودة باشا ، فصار من أهل نجواه ، فيما يتعلق بأحوال العربان ، وشاع له ذكر .

وكان ينزل بدارنا لصحبة بينه وبين أبي في المكتب ، أيام الصغر ، ونمت بنموهما .
وكان خيرا عفيفا ، حسن الوجهة الى الله ، عليه سيماء الخير ، آية الله في الوفاء .
تسلف من والدي ثلاثة آلاف ريال ، وكتبها والدي في زمامه ، ولما وقعت به المحنة ، وخرج من ماله كسيوم ولدته أمه ، ومن جملة ديونه التي بزمامه ، والتي بالرسوم ، بعث له الوزير يتقاضى الثلاثة آلاف ريال ، فأتى لابي في محبسه ، وقال له : « لِمَ لم تضرب على الثلاثة آلاف ريال ، والحال أني دفعتها لك ؟ » ، فقال له الوالد : « هكذا قدر الله » ، ثم أتى الوزير ابا عبد الله محمد العربي زروق وقال له : « ان الدراهم دفعتها لرب الدين قبيل محنته » ، فصدقه الوزير ، وطلب منه ان يشطب على اسمه في

الزمام ففعل . ولما فرج الله كرب السجن عن أبي ، أتاه بالثلاثة آلاف ريال ذهباً ، فدفع له أبي نصفها ، فأنف لذلك ، وردها على أبي أسوأ رد ، وقال له : « اني وان كنت فقيراً من الدنيا ، فان نفسي بحمد الله غنية ، ولا أرضى لنفسي أن تراني متحيراً لهذا الغرض ، وأنت من أقرب أصدقائي » ، فحجل أبي ، ثم قال له مسلياً : « سنأخذ منك ضعفها اذا أبدل الله العسر باليسر » .

وكان فصيح اللسان ، حسن المحاضرة ، بديهي الجواب . أتى دارنا ، وكان أبي قبيل المغرب مشغولاً بدفع ما لزمه دفعه لاربابه ، فسلم عليه سلام مستعجل ، وأمرني أن أدخله وأكون في خدمته ، وبعد صلاة المغرب ، أتى وقال له : « يا سيدي علي شغلنا الدنيا الفانية عن أصحابنا » ، فقال له : « تعلمها فانية ، وشغلتك ، فكيف لو رأيتها باقية ؟ » ، فضحكا .

وأصيب قبل موته ببصره ، وكان يقول لنا : « ناشدكم الله ، اذا عَمِيَ بصري أن تساعوني من الجدال فاني اصير كالحية ، سمها في لسانها » . وكان مشغولاً بحب الشريف سيدي محمود محسن ، يكرر زيارته مهما أتى لتونس ، فقال لي يوماً : « قَدْ نَسِي الى دار سيدي محمود » ، فقدته قود صحيح ، فقال لي : « ساعدني يا بني ، فاني أعمى جديد » .

وتنقل عنه الكرامات ، ملونة بالمقامات . أراد السفر لبيته فمنعه أبي حتى يحضر لعرس الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فبكى وقال : « رأيت في المنام ، رقى نخلة ومدّ يده لتناول عُرْجون منها ، فسقط فانقطع ظهره » ، وبات تلك الليلة في أسف ، وحزن .

واجتاز سوق العطارين فرآني بحانوت جدي ، وانا صغير ، وأبي في محنة السجن ، فأتاني وقال لي : « بشر أملك فان والدك تسرح » ، وتسرح اثر ذلك بإيام . وكان يدعو الله ان لا يريه مصرع حفيده قظوم ، ولا مصرع خليله محمد بن السبوعي . ولو تتبعنا حديث كراماته ، ولذيذ جواباته ، خرجنا الى التطويل .

ولم يزل مرموقاً بعين اجلال ، متجملاً بما فيه من الخلال ، ومحاضرته جارية مجرى الامثال ، منسوجة على غير مثال ، الى ان لحق برحمة الرب المتعال سنة 1256 ست وخمسين ومائتين والـ (41 — 1840 م) .

[248 - علي العنابي]

أبو الحسن علي العنابي :

من أعيان التجار الاخيار بهذه الحاضرة ، أحد أركان مجلس الحكم المتجري .
وكسان خيرا ، عفيفا وجيها ، ذا صدقات سرية ، لين الجانب ، بعيدا عن
الفضول ، وفي العهد ، معدودا في الاعيان ، ذا وقار وسكينة .
توفي في صفر سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والـف (مارس - افريل 1841 م) .

[249 - محمد القسطلي]

السيد محمد بن محمد القسطلي .

هذا السيد من أشرف الاندلس ، وأعيان بيوتها . نشأ في صيانة ووجاهة ، ولسلفه
في الدولة الحسينية خدمة وقرب ووثوق .
وأبو صاحب الترجمة هو الذي بعثه الباشا علي باي الى الجزائر ليأتي له بعياله
وأمهات أولاده ، فأتى بهم في البحر .
ولهذا البيت ولاية دار السكة ، والامانة على سبك النقدين وعيارهما . وكان هذا
السيد شديد التحري في ذلك ، يعلم مقدار ما على خطته من الثقل ، وله خبرة وبصارة ،
في غير النقدين من الاحجار الثمينة .
وكان وجيها فاضلا ، نقي العرض ، عزز شرف النسب ، بشرف مكتسب ، ذا همة
ووقار ، وشيء من تغفل الاخيار .
وتوفي اوآخر شعبان من سنة 1257 (سبع وخمسين ومائتين والـف (اواسط اكتوبر
1841 م) . واعقب ولدا سميّه ، جرى على قدم سلفه ، وحافظ في الخطة على معالم
شرفه ، وتوفي سنة ست وستين (50 - 1849 م) . فاعقب ابنا صغيرا ، كفله في خدمة
الخطة صاحب أبيه أبو عبد الله محمد بن عاشور ، حتى بلغ الاشد . وكان المشير أبو
العباس أحمد باي يشني على هذا الوفاء ، ويتعجب من هذا الصفاء ، ولا عجب من هذه
الاوصاف ، اذا كانت قائمة بالاشراف .

[250 - محمد السقاط]

الشيخ أبو عبد الله محمد السقاط .

والد هذا الشيخ هو الذي قدم من حاضرة فاس ، واختار المقام بهذه الحاضرة ،
محترفا بالتجارة في العطارين ، ونشأ أولاده في ظل تربيته ، وصون وجاهته ، فأقبل صاحب
الترجمة على العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ
الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم وغيرهم .

وحصل ملكة العلم ، فتصدر للاقراء بجامع الزيتونة ، ونفع الطالبين ، وتقدم
للخطط العلمية ، وجلّى في التوثيق .

وكان عالما فقيها ، محصلا موثقاً ، خيراً عفيفاً وحيها ، زكي النفس ، جميل العرض ،
محافظاً على مروءته .

ولم يزل على حاله ، متجماً بحسن خلاله ، الى ان توفي ليلة الجمعة منتصف (1)
رمضان سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والـ (29 اكتوبر 1841 م) ، وأعقب ابناً
هو الآن قاضي الفريضة ، وشاهد بيت المال ، معدود في الاعيان .

[251 - محمد شلبي]

أبو عبد الله محمد شلبي .

من اعيان بيوت الاندلس الوافدين على الحاضرة .

وكان وحيها خيراً ، ذا وقار ، عزيز النفس ، فاضلاً ، من اركان مجلس الحكم
المتجري .

وتقدم شيخاً على الاندلس ، يرتزق بالتجارة .

ولم يزل على حاله المحمود ، من اقتفاء اثر الآباء والجدود ، الى ان حل به الاجل
المعدود في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والـ
(الخميس 3 فيفري 1842 م) ، وله الآن عقب يحيي ذكره .

(1) هو I3 حسب التقويم .

[252 - محمد بن حمودة الاصرم]

أبو عبد الله محمد بن حمودة بن محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجيه ، بين يدي ابيه ، في خدمة الدولة ، وتقدم كاهية لعسكر زواوة ، وسافر بالمحال لجبل الرقبة ، وسافر مرة بمحلة الاعراض ، فاحسن السياسة ، وزان الرئاسة ، وخلص الجباية ، وأحسن الرعاية . ثم ولي وكالة الحرمين الشريفين . وكان خيرا وجيها ، جاريا على سنن أسلافه ، نقى العرض ، واسع الصدر ، ثقة امينا ، كريم النفس ، ذا همة وعفة .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى إن وافاه رائد المنية سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والـ (42 - 1841 م) ، واعقب ابنا جرى على قدم أبيه .

[253 - محمد الشافعي التليلى]

أبو عبد الله محمد الشافعي التليلى .

نشأ هذا الفقيه في بيت مجده ، وقرأ في زاوية جده ، سيدي احمد التليلى بفريانة المشهورة ، وحصل الملكة العلمية ، وله في الفقه المالكي يد طولى ، وباع في الحفظ ، حتى كاد ان يحفظ كتاب « الجواهر » لابن شاس . وكان شيخنا أبو القداء اسماعيل التميمي يثني على حفظه ويباهينا به ، فكنا نلقي عليه غرائب المسائل ، فيجيب كأنه كان مستعدا للجواب ، وينقل النص بلفظه في الغالب .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، شديد الحياء ، لا يفارق اللثام ، ذا همة عالية ونفس زكية .

أتى الحاضرة في غرض ، فأثاه حمامه بعد مرض ، واعتنى به المشير أبو العباس سيدي احمد باشا باي ، وجهزه ودفنه بزاوية سيدي علي الزيدي ، قرب باردو ، وذلك سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والـ (42 - 1841 م) .

[254 - مصطفى الـداى]

أبو النخبة مصطفى الـداى .

هذا الرجل من جند طرابلس ، وانتظم في ديوان الجند بتونس ، وترقى الى أن صار وكيلا على عقار الدولة بالحاضرة ، ثم صار كاهية لآغة القصبة ، ثم صار دايا . وكان وجيها نبيها ، فصيحاً ذا سياسة .

وفي آخر أمره أبدل لينه بالشدة ، وذلك أن النقيه أبا المحاسن يوسف ابن العالم أبي يعلى حمزة الجباس لزمه السجن لدين على محبسه (كذا) ، ووقع بينه وبين أحد المسجونين تشاجر لا يقتضي تعزيراً ، فأخرجه من السجن ، وضربه ضرب ذوي الجرائم ، فاهتز لذلك المشير أبو العباس سيدي أحمد باشا باي ، وعزله في جمادى الثانية من سنة 1258 ثمان وخمسين (جويلية - اوت 1842 م) ، وبعد عزله بأيام توفي .

[255 - حسن بوكاف]

الكاتب أبو محمد حسن بوكاف من أولاد بوبكر :

هذا الرجل من أولاد الشيخ بوبكر الشهير الزاوية بجهة تبرسق . نشأ في حجر أبيه ، وكان من أعيان المخازنية ، وتقلب في الاعمال ، واختص بخدمة الوزير شاكير صاحب الطابع ، فوجه ابنه تلقاء مدّتين العلم جامع الزيتونة ، وحصل ملكة تحسن بها المشاركة ، ثم انخرط في سلك ديوان الانشاء على قصور في الصناعة ، الا أنه استأنف بالخدمة استفادة ، حتى صار أحسن من المتوسط في كتابة ما يكسر دورانه .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، طيب المعاشرة ، وفيما متواضعا ، ذكيا ذا مرؤة وهمة . وكان المشير ابو العباس احمد باي يستنجه . ولم يزل على حالاته المرضية ، الى أن أجاب داعي المنية ، في أوائل ذي القعدة سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين والـف (اوائل ديسمبر 1842 م) .

[256 - محمد شيخ روحو]

أبو عبد الله الحاج محمد

ابن الشيخ المفتي شيخ روحه الصفاقسي .

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أبيه وغيره من علماء صفاقس ، وحصل ملكة
الفقه ، وتقدم لخطبة القضاء ، بعد وفاة أبيه ، ثم سلم ، ثم تقدم للفتوى .
وكان فقيها خيرا ، نقى العرض ، ذا مروءة ودين . وتوفي سنة 1258 ثمان وخمسين
(43 - 1842 م .) .

[257 - احمد مزيو]

أبو العباس احمد مزيو الصفاقسي .

نشأ هذا الكاتب بصفاقس ، وقرأ بها ، ثم أتى الحاضرة ، فقرأ بالجامع الاعظم ،
واستكتبه أبو عبد الله محمد اللوز الصفاقسي مدير تجارات الوزير أبي المحاسن يوسف
صاحب الطابع . ثم استكتبه الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق في ديوان
الحسبان ، فجلى في ذلك الميدان ، وجرى في صناعته طلق العنان ، الى ان صار رئيس
كتبة البيت . وله في الانشاء قلم يؤدي المراد ، على حسب ما يراد .

وكان خيرا عفيفا ، أدبيا فقيها ، عزيز النفس ، ضيق الصدر ، كتب يوما عن
الوزير المذكور فاعترضه الوزير ، فأجاب عن الاعتراض فقال له الوزير : « اكتب
كما أحب انا ، لانك كاتب لي » ، فقال له : « أكتب كما تحب الا الخطأ الذي
يعاب به الكاتب » ، وقام من المجلس نافضا يده من الخدمة ، وارتزق بالتجارة في سوق
القماش ، بعداً من صناعة القلم ، فبعث له الوزير يسترضيه ، فأبى ، فصلى الوزير العصر
بجامع الزيتونة ، وخرج من باب سوق القماش ، فمرّ بدكانه وجلس عنده ، وقال له :
« اكثرت » ، فقال له : « يا سيدي لا يصلح للخدمة الا واسع الصدر ، وأنا لا
أتحمل » ، وتوسل اليه بآله المطهرين في استعفائه ، فأعفاه ، وآل الامر الى ان رجع
للكتابة مكرما معروف المنزلة ، الى أن توفي سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين والـ
(43 - 1842 م .) .

[258 - مصطفى التركي]

أبو النخبة الحاج مصطفى التركي .

هذا الرجل من أعيان الجند وخيارهم ، انتخبه الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق وصاهره على كريمته ، وأسكنه بداره بتونس ، وتقلب في الخطط النبيهة ، كباش حانبه ، وآغة بيت المال .

وسافر لاسلامبول في الاغراض المهمة مرارا ، وهو الذي أتى بكثير من المماليك الموجودين الآن للبasha أبي عبد الله حسين باي ، وامتنحن بالنفسي بعد قتل صهره الوزير المذكور ، ثم تسرح .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن الادب ، كثير الصمت ، يميل الى الخير .

ولم يزل على صفاته الى آخر حياته في محرم سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين والـ (فيفري 1843 م) .

[259 - محمد بن السبوعي]

أبو عبد الله الحاج محمد بن السبوعي الجلاصي .

هو من أعيان بيوت جلاص ، وأفراد قومه أولاد سنداسن ، معدود في النجباء الذين كان ينتخبهم الباي أبو محمد حمودة باشا ، وله بالوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع مزيد قرب وحظوة ، يستكفي به في بابه .

وكان كريما وفيا ، صادقا شجاعا ، عزيز النفس أبي الضيم ، خيمته مأوى الضيوف ، ومناخ البائس الملهوف ، فصيح عاقلا ، ذا همة .

حج الفريضة في البر على عتاق خيله ، ولما مر بطرابلس في رجوعه ، بعث له أبو المحاسن يوسف باشا قرمانلي ، لانه استحسن فرسا من جياده ، وبذل فيها اضعاف قيمتها ، فقادها اليه هدية ، وحلف أن لا يأخذ شيئا عوضها ، وقال له : « كفاني أنك استحسننت شيئا عندي » ، وعظم موقع ذلك عند الباشا ، وكاتب الباي ابا عبد الله حسين باشا بشكره .

ولم يزل في سجاياه العربية ، ونفسه الزكية ، وعماد بيته مقصود من كل ثنينة ، الى ان زاره رائد المنية ، سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين والفر (44 - 1843 م.) ، ودفن بمقام السيد الصاحب رضي الله تعالى عنه بالقيروان ، وأعقب أولادا زانوه في حياته ، وأحيوا ذكره بعد مماته .

[260 - محمد بيرم الثالث]

شيخنا أبو عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بيرم .

مولد هذا الفاضل في السابع والعشرين من ربيع الاول ، أول سني هذا القرن . وكان من نعم الله على أبيه ، وعلى أهل العلم . وبالغ أبوه في الاعتناء به ، وأكثر قراءته عليه وعلى العلامة شيخ الشيوخ أبي محمد سيدي حسن الشريف . وحصل العلوم واحرز قصب السبق في المعقول والمنقول ، وله في علمي البيان والمنطق اليد الطولى .

وتصدر للتدريس نائباً عن أبيه في المدرسة الباشية ، وفي الجامع الاعظم ، وبالمدرسة العنقية ، وبها أخذنا عنه .

وتقدم للخطبة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في شبابه ، وتقدم بالاستحقاق على أثرابه .

وتقدم للفتيا ، وحاز المرتبة العليا ، وقام مقام والده في رئاسة المجلس الشرعي بعد وفاته ، فزان صدره ، ونشر فخره ، بدين متين ، وعلم واضح مبين ، زكت ثماره ، وسطعت أنواره ، وبقي في صدور الرجال آثاره .

وله ولوع بالتدريس ، وبث النفيس ، ويقول : « اني في حال التدريس أخاطب قوما يفهمون مقاصدي ، وأستفيد من أذكيائهم في البحث ما لا أستفيده من الخصوم » ، وله كيفية في لقاء الدرس ، تسهل ما صعب من المرام ، وتبعث في النفوس الغرام .

وعنايته بآبناء درسه ، أشد من عناية الغارس بغرسه . دخل يوماً للمدرسة العنقية ، فوجدني في بيت ابنه بها ، ومعنا صاحبنا الفقيه البارع أبو عبد الله محمد بن سلامة ،

وبأيدينا « روض الآداب » ، والاصوات عالية في نقد بيت من الشعر ، فسكتنا ، وجلس معنا ، وشاركنا ، ثم أخذ الكتاب من يد ابنه ، وقال لي : « ناولني الدواة » ، فكتب ارتجالا بخطه على ظاهره :

ان الزمان الذي تفنیه في الادب يراه أهل النّهی من جملة اللعب
فاصرفه في شرف ترجی عواقبه تأتیک آثاره تنهل كالسحب
وذا مقالي عن نصيح أفوه به وليس يرجی لنصح المرء غیر أب
ثم وضع الكتاب وقام ، وقال : « الخطاب لكل واحد منكم ، لاني أرى أبناء
الافادة كأبناء الولادة » .

وكان رحمه الله بحر معارف لا يغيض ، وصاحب فنون يأخذ منها ويفيض ، ويرمي
الشوارد بالسهم المصيب ، فيأخذ أوفر نصيب : فاضلا تقيا عزيز النفس ، عالي الهمة
محبا الى الناس ، طلق المحيّا حسن اللقاء ، سليم الصدر مطبوعا على ما يحمد من السياسة
واخلاق الرئاسة ، ما شئت من كرم طباع ، وبداهة تدل على طول باع ، وسبق في
مضمار الانظار ، وبلاغة تزري بالنضار ، ولذيد محاضرة تسبي الاحلام ، وتقود الاعلام .
ولم تزل الدنيا بما آثره تتحلى ، الى أن انتقل الى الرفيق الاعلى .

وتفننت الشعراء في مراثيه ، وتسابقوا في ذكر ما اودع الله فيه ، فكتب ابنه على
قبره ارضاء لجميع الشعراء ما نصه : « بسم الله الرحمان الرحيم . كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، هذا مشهد الفقير الى ربه محمد بيرم الثالث
أفتى على مذهب أبی حنیفة بالقطر الافريقي ثلاثين سنة ثم لحق بربه راجيا غفرانه
ليلة الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الانور من عام 1259 تسعة وخمسين ومائتين
والف فرحم الله امرءا دعا له بالمغفرة ، غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين ، آمين .

[261 - رمضان باش مملوك]

أصل هذا الرجل من الافرنج ، وأسلم صغيرا في دولة أبی محمد حمودة باشا ، ثم
اختص به أبو النخبة مصطفى باشا ، ووثق به في حراسة ابنه في صغره ، ثم صاهره على
بنته .

وكان غرا حسن الاخلاق ، عفيفا خيِّرا ، يميل الى المسالمة والصمت ، بعيدا عن الفضول .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في رمضان من سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين والـف (سبتمبر — اكتوبر 1843 م.) ، ودفن بتربة السيدة بركة .

[262 - مصطفى خوجة]

أبو النخبة الحاج مصطفى خوجة .

نشأ هذا الرجل في الخدمة ، وأبوه صاحب الوزير أبي النخبة مصطفى خوجة ، وتولى كاهية في ثغر بنزرت ، ثم صرف عنها لصلابته وحدته .

وكان وجيها مغفلا ، وتوفي على سن عالية في ذي الحجة من سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين والـف (ديسمبر — جانفي 1844 م.) .

[263 - مصطفى غربال]

أبو النخبة مصطفى غربال .

من ببلدية تونس ، وتكسب كآبيه بصناعة الشاشية ، وله فيها اسم ، وساعده البخت في المتجر . وكان من العشرة أعضاء مجلس الحكم ، مقبلا على شأنه ، جديا نقي العرض ، حسن الاخلاق .

ثم توفي في الرابع والعشرين من شوال سنة 1260 ستين ومائتين والـف (الاربعاء 6 نوفمبر 1844 م.) ، وأعقب أولادا ساروا على قدمه ، لو ساعدهم البخت ، والله مقدر الامور .

[264 - أحمد المحجوب]

أبو العباس أحمد ابن الشيخ المفتي محمد

ابن العالم المفتي محمد صدر المالكية

ابن شيخ المسلمين أبي الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الوجيه في بيت علم وشرف ، واشتغل بقراءة العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، وانتظم في كتابة الانشاء ، وكان متوسطا في الصناعة ، عالي الهمة ، عزيز

النفيس ، خيرا عفيفا ، نقسي العرض ، ينحو منحى آله ، الى ان توفي في منتصف ذي القعدة من سنة 1260 ستين ومائتين والـف (الثلاثاء 26 نوفمبر 1844 م.) ، واعقب ابنا منظوما في سلك الكتابة ، تلوح عليه النجابة .

[265 - علي السقا]

الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ العالم
أبي عبد الله محمد السقا السوسي .

نشأ هذا الفاضل في بيتهم المشهور بالتقوى والعلم ، وأخذ عن أعيان ببلده سوسة ، كوالده ، والعالم أبي محمد حسن الهدية ، والشيخ الغنوشي .
وارتحل الى الحاضرة ، فأخذ عن أعيانها كالشيخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم ، والشيخ بيرم الثالث وغيرهم .
ولما امتلأ حوضه ، وأثمر روضه ، حن الى الاوطان ، وحب الوطن من الايمان ، وقدم لخطبة الفتوى بسوسة ، فقبلها على كسره ، ثم ألزم خطبة القضاء بسوسة في شعبان من سنة 35 خمس وثلاثين (ماي - جوان 1820 م.) ، فصدع بالحق ، واشتد على ما فيه من اللين ، وظهر ما أودع فيه من قوة الدين ، لا تأخذه في الله لومة لائم .
كان رحمه الله خيرا عفيفا ، تقيا نقيا نزيه النفس ، عالي الهمة ، مقبلا على زاده ليوم معاده ، سالكا نهج المهتدين ، معدودا في العلماء العاملين ، والقضاة الصالحين .
ولم يزل معظما محببا ، ذا وقار وجاه ، الى أن أجاب داعي الله في ذي الحجة من سنة 1260 ستين ومائتين والـف (ديسمبر 1844 - جانفي 1845 م.) ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ، آمين .

[266 - سلطان الحسني]

أبو مصطفى سلطان بن محمد الحسني .

اصل هذا البيت من احفاد القايد حسن ، مملوك مراد باي صاحب التربة المعروفة بربرض باب الجزيرة . قدمه مراد باي لولاية دريد ، ونزل بناجعتهم كواحد منهم نازعا عن أخلاق الحضارة الى سذاجة البداوة ، وتزوج من عقيلات الخيام ، وأولدهن

الاولاد ، وكثروا ، والملوك تخصصهم بالاعمال في قبائل الخيام ، واشتهرت في ذلك نجابتهم .

ومن وصايات القايد حسن لاولاده ما معناه : « اننا لسنا في منعة يعصدها النسب مع هؤلاء الناس ، فعلى العاقل منكم ان يجعل بنفسه لنفسه منعة تشبه لحمه النسب ، باصطناع الرجال ومؤاخذتهم ، والتعجب اليهم بالاحسان ، والتغافل عن العيوب ، واقالة العثرة » ، وبحفظهم وصاية ابيهم حسنوا اعمالهم ، وبلغوا من ثمرات الخدمة آمالهم .

ونشأ صاحب الترجمة في الولايات ، وتسمن ذراها ، واوثق عراها ، وكان الباى أبو محمد حمودة باشا يجله ويقربه ، ويسمع رأيه فيما يتعلق بعمود الخيام ، ويحتمل هفوته ، واقتدى به من بعده في ذلك .

فكان يجلس بين يدي الباشا أبي عبد الله حسين باي مع رجال الدولة معظمًا مكرمًا .

وكان من أفراد الرجال ، كريما يقري الضيف ، ويكسب المُعْدِم ، ويعين على نوائب الدهر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، أبي الضيم ، ثابت الجنان ، جريثا في الخطاب ، متعمقا في تيه العرب وخيلائها .

دخل المحكمة يجر احرامه (1) فقال له باش حانبه الحاج احمد بن عمار : « ارفع حُوليك » ، فقال له : « أتراني أجره في بيتك ؟ » ، فضحك حمودة باشا ، وقال للحاضرين : « دعوا سلطانا وعربيته » .

وكان مهيبا ذا صمت ووقار ، ثم تراجع أمره لما شاخ ، وآنس من راحلة عمره المناخ ، فبقي بناجعتة ، محافظا على وقاره وسمعته ، الى ان استنزله الاجل المحتوم من رفعتة ، وأخرجه من خيام منعتة ، رحمه الله ، في خلال سنة 1260 ستين ومائتين والـ (45 - 1844 م) عن سن عالية ، وأعقب ابنا هو صاحب كنيته ، جرى على سنن أبيه ، لو ساعده البخت . وله ابناء يحاولون الجري في مضمار جدهم ، متشوفين الى مجدهم .

(1) الاحرام : رداء طويل يلتحف به اعيان العربان في المغرب ، ويتلفظ به بدون همزة مع ترقيق الراء ، جمعه حرامات ، وانظر دوزي (قاموس اللباس ص 136) .

[267 - محمد بن الامين]

ابو عبد الله الحاج محمد بن الامين .

من بيت نبيه في الحاضرة ، معروف بالوجاهة والمروعة ، وله سلف ومجد .
وكان وجيها ، خيرا عفيفا ، نقي العرض ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .
قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا على بناء قشلة للجند .
يرتق بالتجارة في الشاشية وغيرها ، متحريرا في متجره ، ملازما صلاة الظهرين
بالجامع الاعظم .
ولم يزل على حاله ، متجملا بحميد خلاله ، الى أن توفي في الرابع عشر من شوال
سنة 1261 احدى وستين ومائتين والـ (الخميس 16 اكتوبر 1845 م) ، وأعقب ولدا
اقتدى بأبيه ، معدودا في الاعيان .

[268 - قاسم عظم]

أبو الفضل قاسم ابن الشيخ المفتي ابي عبد الله محمد
ابن العالم المفتي عبد الله بن عبد اللطيف عظم .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده وكماله ، سالكا سنن آله .
اخذ العلم عن اعيان العلماء بالقيروان ، كالشيخ أبي عبد الله محمد الطوير ،
والشيخ حمودة الوحيشي ، والشيخ الحاج محمد الخنقي وغيرهم .
وحصل ملكة علمية ، وتقدم لخطبة القضاء ثم الفتوى بالقيروان ، وباشر الخطبة
بصلافة ، وكان فقيها صعب المقادة ، عزيز النفس ، وقور المجلس ، متبنا في قضائه ،
وربما يعتمد النسب العظمي ، ويشير لذلك ويومي ، وان كان نقي العرض خيرا
يزين نسبه .
ولم يزل على حاله ، الى ان توفي ودفن مع آله في شوال سنة 1261 احدى وستين
ومائتين والـ (اكتوبر 1845 م) . رحمه الله تعالى وعفا عنه .

[269 - محمد خوجة]

الوزير ابو عبد الله محمد بن محمد خوجة .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، وتعلم القرآن وما يلزمه من العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، وله معرفة بعلم التاريخ ، ثم تقدم على صغر سنه كاهية في ثغر بنزرت ، في حياة أبيه ، أيام الباشا علي باي ، ولم يزل يتدرج الى ان صار امين الترسخانة بحلق الوادي ، أيام اعتناء الباي ابي محمد حمودة باشا ببنائه وقوّته ، فجلّى في ميادين الكفاية والحزم والنصح ، وقربه مخدمه فصار من رجال مشورته ، ومشورة من بعده من الملوك ، يعتمدون رأيه .

وتردد في أغراض السفارة للدول كبريطانية وفرنسا وغيرهما ، واستحسنت سفاراته ، ونجحت اشاراته ، وامتحن في ثورة الترك سنة ست وعشرين (سبتمبر 1811 م) ، ونهبوا محله بحلق الوادي ودافع عنه الاجل بالاختفاء .

وكان فاضلا كريما ، بصيرا بالعواقب ، عارفا بالسياسة ، متخلقا بأوصاف الرئاسة ، حنكته التجارب ، في غالب المآرب ، ذا عفة ووقار وهمة عالية ، ما دنّس وجوه خططه بطمع ، ولا حفظ عنه شر ، بادي النعمة ، محافظا على عباداته وأوراده ، متزودا ليوم معاده .

ولم يزل معظما محمود المساعي ، الى ان لبس الداعي في الرابع والعشرين من صفر الخير سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والـف (السبت 21 فيفري 1846 م) ، وحضر جنازته المشير ابو العباس احمد باي رحمه الله تعالى ووزرائه ، ومشى خلف نعشه راجلا ، ودفن بالجلّاز ، وأعقب أولادا زانوا الخطط السياسية .

[270 - محمد بن أبي بكر صدام]

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن محمد ابن الحاج محمد بن ابي بكر بن الطيب صدام اليمني القيرواني .

هذا البيت من اعيان بيوت العلم والفضل في مدينة القيروان ، حاز بنوه قصب السبق في مضممار النجابة ، وتناولوا الخطط العلمية من قضاء وفتوى وخطابة ، وتباروا في ميادين الاصابة .

ونشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه عالم عصره ، وعن عمه ، وعن الشيخ أبي حفص عمر بوحديبة ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وعن خاله أبي عبد الله محمد الطوير ، وغيرهم من علماء القيروان .

ولما اقتعد أريكة التحصيل ، وقوي به مجده الاصيل ، ورمى أغراض العلم البعيدة ، بسهام أفكاره السديدة ، تصدر لبث العلم في صدور الرجال ، وروى الظمان من ذلك الزلال ، ثم تقدم لخطبة الفتوى فكان من رجالها وابن رجالها ، وحاز قصب السبق في مضمار مجالها ، وخطب على منبر الجامع الاعظم ، وصلى في محراب الصحابة ، فأثر الخشوع والدموع والالابة ، وتقدم لرئاسة الفتوى ، فأصبح شمس ضحاها ، وقطب رحاها .

وكان رحمه الله عالماً محدثاً ، فقيهاً نحويًا مفسراً ، اديباً شاعراً ، وشعره معروف ، تقياً عفيفاً خيراً ، من أعلام الدين ، سالكا نهج المهتدين ، متقدماً في الميادين ، لين العريكة ، سليم الصدر ، متواضعاً على رفعة ، محبباً الى الناس ، معظماً عند الملوك ، والخاص والعام ، حسن المحاضرة ، ما شئت من بشر يتألق ، وآداب تتعطر بها النسمات وتتخلق ، وإدراك ماضية نصوله ، عزيزة فروعه وأصوله .

ولم يزل في الدنيا على هذا الصراط السوي ، الى ان لبي داعي الله يوم المولد النبوي ، من سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والـف (الثلاثاء 10 مارس 1846 م) ، رحمه الله . واخوه الآن هو قطب دائرة العلم والتقوى والفتوى بالقيروان .

[271 - حمدان سيضه]

أبو العباس الحاج حمدان سيضه (1) .

من اعيان بيوت الاندلس ، نشأ في مروءة ووجاهة ، يرتزق بالتجارة في الشاشية وغيرها ، وتقدم لرئاسة مجلس الحكم في التجارة .

وكان وجيهاً فاضلاً ، حسن اللقاء ، كريم النفس ، ذكي الفكر ، متجعلاً بحسن الاخلاق . توفي في الرابع والعشرين من رجب سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والـف (السبت 18 جويلية 1846 م) .

(1) لعل اصله سيده ، بإبدال الدال ضادا على طريقة بعض الجهات الاسبانية .

[272 - علي الدرويش الحنفي]

الشيخ ابو الحسن علي بن يوسف الدرويش الحنفي .

نشأ هذا الوجيه في طلب العلم ، بجهد واجتهاد ، فحصل المراد ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، والعلامة المفتي ابي العباس حميدة ابن الخوجة ، والعلامة ابي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وغيرهم من أعلام الحاضرة . وقدمه الباشا أبو الثناء محمود باي إمامه بمسجد بيت الباشا ، ولرواية الحديث به ، ثم تقدم لخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، فباشر الاحكام بتثبيت ودين قوي ، وسار على الصراط السوي ، محتاطا في نوازل المعاوضات للاحباس ، معدودا من قضاة اللجنة ، والنفوس به مطمئنة ، وانتفع بشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، يأتيه كل يوم اثر خروجه من دار الحكم ليستعين بمشورته ، شان قضاة العدل .

وكان عفيفا خيرا ، تقيا نقيا ، فاضلا فقيها ، حافظا لعرضه ، نزيه النفس ، ذا سكينه ووقار ، يتأنس بالانفراد . وانتقل لخطة الفتوى ، فزانها بالعلم والتقوى . ولم يزل رافلا في حلل الديانة ، والعفة والامانة ، الى أن اجاب داعي الله يوم الاحد الخامس من ذي القعدة سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والـ (25 اكتوبر 1846 م) ، وله عقب يقتفى أثره ، رحمه الله تعالى .

[273 - محمد الشاذلي المؤدب]

الشيخ ابو عبد الله محمد الشاذلي ابن الامام ابي حفص الحاج عمر المؤدب .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وقرأ على أبيه ، ثم دخل الجامع ، واخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما ، وحاز درجة التحصيل ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فروى الاكباد ، ونفع العباد ، وكان ممتازا بامام الفقه جاره ابي الفداء اسماعيل التميمي يسامره ، وانتفع من مسامرته بالفقه وأصوله وتخاريجه ، ثم أدى فريضة الحج ، ولقي اعلام الازهر وغيرهم ، واستفاد من محاضرتهم ، ثم أكره على خطة القضا ، فقابل قضاء الله بالرضى ، وبأشرف الخطة بلين ، ودين متين ، وسلك سنن المتقين ، من مشاورته العلماء المفتين ، ويعظ

الخصوم ويحذرهم عقاب الله ، فتنقاد النفوس الزكية الى الاقرار ، وأعانه على ذلك ما في قلوب الناس من محبته وتعظيمه ، لا سيما اهل الطريقة الشاذلية ، وهم كثيرون في الحاضرة ، وهو شيخها وابن شيخها وحفيد شيخها .

ثم انتقل لخطه الفتوى ، وهو امام ثالث بالجامع الاعظم ، وكادت ان تقع وحشة بينه وبين الامام الثاني الشريف ابي الثناء محمود محسن ، سببها الاختلاف في التقدم والتأخر ، وأرسى الامر على تقدم الامام الثاني اعتبارا للعادة ، ولا أثر لخطه الفتوى في ذلك ، وأرسى الحال على انجلاء تلك الوحشة ، شأن الافاضل .

وكان رحمه الله خيرا عفيفا ، تقيا فاضلا ، نقي العرض حسن الاخلاق ، فقيها عالما ، فصيحاً حديد الفكر ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على رفعة مكينة ، ما شئت من محاضرة عزيزة الاسلوب ، تأخذ بمجامع القلوب .

ولم يزل رافلا في حلل الكمال على اختلاف أجناسه ، الى آخر ما قدر من أنفاسه ، أوائل صفر الخير من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والـف (أواسط جانفي 1847 م) ، وحضر جنازته صاحب الدولة المشير ابو العباس احمد باي ، وحمل جثته بنفسه ، ومشى خلف نعشه راجلا باعتبار أنه من أبناء الطريقة الشاذلية ، ودفن قرب المغارة ، وله عقب من ذوي الالباب ، وفرسان المنبر والمحراب ، نسج على منواله ، واقتدى بصالح اعماله .

[274 - محمد بن محمد المحجوب]

ابو عبد الله محمد ابن العلامة المفتي ابي عبد الله محمد ابن شيخ المذهب ابي الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الماجد بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن غيره ، وحصل ملكة في الفقه ، وتصدر للتوثيق ، وتولى الخطط العلمية ، بعد وفاة أبيه ، وتقدم لخطه الفتوى في حياته ، عوض عالم الملة ابي الفداء اسماعيل التميمي ، لما امتحن ، ووقف في الخطه عند حده ، وحافظ على بناء أبيه وجده ، قانعا بالاسم ، شديد المحافظة على ما للخطه من الرسم ، مثبتا فيها ، لم يحفظ عنه خطأ ينافيها .

وكان وجيها مشاركا ، ماجدا من بيت علم وشرف ، كريم النفس ، عالي الهمة ، مهيبا .

ولم يزل على حاله ، مقتدياً بآله ، الى حين انتقاله ، أواخر ذي القعدة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والـف (أوائل نوفمبر 1847 م) ، رحمه الله تعالى ، آمين .

[275 - محمد المسعودي]

الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد المسعودي البوبكري .

أصل هذا الوجه ، من أحفاد الشيخ الصالح سيدي بوبكر صاحب القبة في تراب تبرسق .

ولد بناجعة قومه ، وقرأ القرآن ، وقدم للحاضرة ، فقرأ على الشيخ صالح وغيره ، وحصلت له مشاركة ، وله في فن التاريخ ورواية الشعر ملكة حسنة ، ثم انتخبه الكاهية رجب بونمرة ، لصحبة بينه وبين أبيه ، وتسبب له في خدمة الدولة ، فاستعمله الباي أبو محمد حمودة باشا في قلم الحسابان ببيت خزنة دار ، وضمه الى سليمان كاهية الاول ، واستكفى به في أسفاره ، وفي محلة قسنطينة المتقدم ذكرها . وعند رجوعه في المنهزمين لم يعاتبه الباي ولا أهمله بل أدناه ورفع منزلته ، يسميه كما يسمي كتابه في قلم الانشاء ، ويراها بعين نجابة ، ويكتب له أسرارها ، وهو اقرب الى صناعة الانشاء من غالب كتابه ، واستقل برئاسة قلم الحسابان لما امتحن صاحبه والذي الحاج بالضياف ، وانفصل منها في دولة أبي الثناء محمود باي ، فتصدر للتوثيق ، ثم اعيد لرئاسته .

وكان اديبا لودعيا ، حسن المحاضرة ، فصيح القلم واللسان ، وفيه كريم النفس ، واسع الصدر ، جميل الاخلاق ، مفرطاً في التواضع ، حسن القيرى ، يميل الى السذاجة العربية ، وجيها خيرا ، محبا للعلماء ، معظما لهم . وانتفع بدعوات الشيخ صالح الكواش لما نزل بداره ريثما بنيت دار سكناه ، فانه قابله بما يستحق به الدعاء ، وجميل الشاء ، وبدعوات شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، ثم اقعده الكبر ، وذهب بصره ، وعوفي ، وبقي على ما يعهده من العناية ، موافى الجراية ، الى ان توفي يوم الجمعة رابع (1) ذي الحجة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والـف (12 نوفمبر 1847 م) ، عن سن عالية ، واعقب اولادا هم الآن في خدمة الدولة ، أكبرهم من أعيان بلغاء الكتاب ، وفرسان ميادين الآداب ، صاحب « الخلاصة النقية في أمراء افريقية » ، كثر الله من امثاله .

[276 - حمدة الشباب]

ابو عبد الله محمد ويدعى حمدة بن علي الشباب .

هذا الرجل من أبناء الحاضرة ، وأبوه أمين صناعة الشعّر (1) بها ، ولمثله من الامناء وجاهة على مقتضى حالته ، وله خلطة مع الدولة في أشغالها من صناعته ، وتعلق بخدمة أبي العباس احمد باي في دولة عمه ، ولم يزل معه الى ان دالت له الدولة ، فرفع منزلته وقربه ، شأن ما تخلق به من الوفاء ، وأولاه الخطط النبيهة كالقمرق وغيره ، وكان يحبه حتى انه يبيت عنده بصرايته كل ليلة .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، سمح اللقاء ، متواضعا ، لم يحفظ عنه شر ، يقول الخير أو يصمت ، يميل الى الجد ، غير مضطلع بأموره ، مغفلا ، قانعا من الدنيا بمحبة سيده .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والـ (47) — 1846 م. ، وحزن مخلصه لموته ، ووزعت تركته في الديون ، رحمه الله تعالى .

[277 - محمد التميمي]

ابو عبد الله الحاج محمد بن يونس التميمي .

هذا الفقيه من منزل تميم ، وأتى الحاضرة في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كأبي العباس أحمد بوخريص ، وأبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وأبي عبد الله محمد الطاهر ، ولازم ركن العلم أبا الفداء اسماعيل التميمي ، وحاز من العلوم أوفر نصيب ، ورمى الاغراض بالسهم المصيب ، ودرس بالجامع ، وتصدر للشهادة ، فبرع في الوثيقة وإحكامها ، وتنزيل فصولها على مقتضى أحكامها ، وسبق الاقران في هذا الشأن ، لو تقدم لخطه القضاء ما تأخر عن الاعيان . وامتنح بالنفي ثم تسرح في محنة الشيخ اسماعيل . وكان فقيها فَرَضِيَا ، اديبا كاتبا ، وجيها حسن الاخلاق ، حلو المحادثة ، لطيف الذوق ، قليل التصنع ، مغفلا في احوال الدنيا ، يشبه الزهاد .

ولم يزل هذا حاله الى أن توفي في سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والـ (47) — 1846 م. ، رحمه الله .

(I) كنسيج الحيام (بيوت الشعر) والمخالي والحبال وغيرها من مصنوعات الشعر .

[278 - محمد الشاذلي بوخريص]

ابو عبد الله محمد الشاذلي ابن الشيخ العالم أبي العباس احمد بوخريص .

نشأ في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه ، وعن اخوته ، وعن شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة . وحصل ملكة علمية ، وتقدم لخطبة الكتابة في ديوان الانشاء ، وكان من أواسط رجالها في الوقت ، حسن المشاركة ، فقيها حبيبا ، عفيفا مجيدا لتلاوة القرآن ، عزيز النفس ، حسن المروءة .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والـف (اكتوبر - نوفمبر 1847 م) ، رحمه الله تعالى .

[279 - حسونة المورالي]

ابو محمد حسن ويدعى حسونة بن يوسف المورالي .

نشأ هذا الرجل في حجر الوزير أبي عبد الله محمد خوجة ، أمين الترسانة ، لمصاهرة بينهما ، واحسن تربيته الى أن شب ، فزوجه معه في داره ، وكانت عنايته متعلقة بالاسفار ، والجولان في الاقطار ، ومعاناة الاخطار ، وخلصته المحن خلوص النصار ، وأضافه الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى خدمته ، وتأثله من كرمه . وله معرفة تامة باللغة التركية والايطالية والرومية والفرانساوية والانكليزية .

وسافر مع أسطول دولة الانكليز في حربه للفرانسييس بمصر ، وخدمت في الخدمة أمانته ، فأعطاه الانكليز مرتبا ما دام حيا ، خدم أو لم يخدم ، وباعه كما يباع الربع والعقار .

وكان اخذه شقف من الانكليز لم يعرف منه الا الصنjq ، واسم الشقف المكتوب خلفه ، فتوجه الى لندرة ، واقام بها تسع سنين يخاصم ، والدولة أذنت وكيلها ان يناضل عليه في مجلس الحكم ، حتى ظهر اسم الشقف ، وفي اي مرسى وقع انشاؤه ، وبذلك علموا من أخذه ، واستوفوا ذلك من مخلفه ، مع ما صرفه في مدة الخصام ، بمقتضى ضمان التسبب ، وتأثم من أخذ فائدة المال . وأتوه يوم الحكم بمصحف ليحلف عليه على صدق دعواه فيما ضاع له ، وكان على سفر المصحف قوله تعالى : « لا يمسه الا

المطهرون » ، فقال لهم : « لا أحلف اليوم » ، فاسترابوه ، فقال لهم : « مكتوب على سفر هذا المصحف (لا يمسه الا المطهرون) ، واني غير طاهر الآن » ، ثم تطهر ، وأتى وحلف . واتى للحاضرة ، كما تقدم ذلك في الباب الاول (1) .

ثم سافر في غرض التجارة ، فاخذه اسطول الجزيريين ايام حربهم مع تونس ، وبعثوا بشقيقه للجزائر ، وبقي مأسورا في شقف من أخذه ، ومعه صندوقه ، ستهم الرئيس من الغنيمة ، فنقد ما عندهم من الماء ، وانعكس عليهم الريح ، فاتاح الله له شقفا من المراكب ، فأشاروا اليه ، ولما وصلوه قال لهم : « اني أعلم لغة الانقليز » ، فأنزله في قارب مع من يحرسه ، فقال لهم : « اني أسير في هذا الشقف ، وأتيت إليكم مستجيرا بذلك الصنجق ، وهؤلاء يطلبون منكم الماء لنفاده » ، فطلّعوهم لشقفيهم ، وخلصوا له صندوقه وتابعه ، وبعد ذلك أعطوهم الماء ، وقال له المراكب : « أين بلادك ؟ » ، فقال له : « ضعني فيما يقرب منك من بلاد المسلمين » ، فقال له : « لا بد أن نوصلك لبلادك » ، فأتى به لغار الملح مكرما ، ولما أنزله في البر سافر حينه خشيّة أن يهاديه . وكان رحمه الله يقول : « غاية ما أتمنى في الدنيا أن ألقى هذا الرجل » .

ولما سافرنا مع المشير أبي العباس أحمد باي الى باريس ، وكان سلطان الفرانسييس يومئذ لويز فيليب ، فكلمه بلغة الانقليز ، فقال له : « نطقك بنطق الانقليز نطق المولود بالانقلتيرة » ، فقال له : « اقمتم فيها تسع سنين » ، فقال له : « أكنت أسيرا بها ؟ » ، فقال له : « ايها السلطان ، إن رجلا من رعية تلك الدولة التي هي دولة الحق ظلمني ، وأخذ سفيتي ، فرفعت لها شكايتي ، وأذنت وكيلها أن يناضل علي حقي حتى ظهر ، وقبضته مستوفى » ، فقال له سلطان الفرانسييس : « لا غرابة في صدور الحق من تلك الدولة المنصفة » ، وكان ذلك بمحضر الباي ، ومحضرنا بعد الطعام .

وأخبار هذا الرجل فيما لاقاه في أسفاره كثيرة ، ثم ترقى بألسته (2) في دولة الباي أبي عبد الله حسين باشا الى أن صار من خواصه ، ورجال دولته ، وله ذكر في هذا الموضوع . وهو الذي كان يخبرنا باحوال اروبا ، وكنا نتهمه بالمبالغة والاغراب ، حتى ظهر مصداق قوله للعيان .

(1) انظر ص 79 ج 3 .

(2) كذا في ق ، وفي غ و ع : بالنسبة .

وكان وجيها كريم النفس ، عالي الهممة ، صادق اللهجة ، عارفا بالوقائع والتواريخ الغربية ، سليم الصدر صبورا ، يميل الى التمدن ويستحسنه ، ويبغض الظلم بطبعه ، وله مراقبة لله تعالى .

ولم يزل مكرما ، الى أن توفي عن سن عالية ، آخر كلامه الشهادة وذلك في جمادى الثانية من سنة 1264 اربع وستين ومائتين والف (ماي 1848 م).

[280 - مصطفى ماضور]

ابو النخبة الشيخ مصطفى ماضور.

نشأ هذا الرجل في بيت عفة ودين ، من أعيان الاندلس بسليمان ، وقرأ وحصل ملكة تصدر بها للتوثيق ، وتقدم لخطبة القضاء بسليمان ، وخطبة جامعها الكبير . وكان وجيها خيرا ، محافظا على مروءته ، ذا عفة ، جاريا على سنن سلفه . ولم يزل على حاله الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1264 اربع وستين ومائتين والف (اكتوبر 1848 م) ، وليبتهم عقب معدودون في الانخيار والاعيان .

[281 - عثمان المرباط]

ابو عمرو عثمان ابن الحاج عمر المرباط القيرواني .

اصل هذا الرجل من بني تميم ، احدى قبائل الفتح بالقيروان ، وتغرب أبوه في خدمة أولاد الباي أبي عبد الله حسين بن علي ، وجاء مع ركبهما ، فوفوا له بحق الخدمة ، وتقدم في الخطط النبيهة كسوسة والقيروان ، ونشأ ابنه هذا في خدمة الدولة على صغر سنه ، وتقدم لولاية القيروان ، وهي ما هي في ذلك العصر ، وجمع بين قيادة القيروان ورئاسة جند الصبايحية بها ، ولاعيان القيروان محبة فيه ، ووقعت محنة القيروان المتقدم ذكرها في الباب الرابع ايام ولايته (1) .

وكان غرا كريما ، متواضعا بعيدا عن التصنع ، قاصر الباع في السياسة ، والعا بالخييل والقنص ، غاض الطرف عن مساوىء الناس ، وجيها خيرا ، بقي عرضه بماله ، جاريا على الجادة في الكثير من أعماله ، وأصيب في آخر عمره بمرض الفالج ، ولم يزل به الى ان توفي سنة 1264 اربع وستين ومائتين والـف (48 - 1847 م.) ، واعقب أولادا ضربوا في النجاة بسهم ، لو ساعدتهم البخت والوقت .

[282 - أحمد الجويني]

ابو العباس احمد ويدعى المذكور بن بلقاسم الزهاني الجويني .

هذا الوجيه من سراة قومه أولاد جوين من دريد وأعيانهم ، مثل أبيه وجده وعمه ، اذ كان من خواص الباشا علي باي الحسيني ورجال مشورته .

وكان أبو صاحب الترجمة يعسوف قومه في دولة الباي أبي محمد حمودة باشا ، فامتحن بالتغريب عنهم ، المعبر عنه بالرهن . ولمكان وجاهته في القبائل غرب بتونس داخل القصبة ، وضرب بها خيامه على أهله وبنيه ، وأكبرهم صاحب الترجمة ، فقرأ بها القرآن ، ودخل الجامع لتعلم العلم ، فاستفاد ملكة ، وحصل ما لا بد منه ، وولد أخوه بالقصبة فسماه والده عثمان الفياشي ، على اسم كبير الموقتين بها . وطال مقامه بالقصبة الى ان عجز فتسرح .

وأقبل ابنه هذا على الخدمة ، فشاخ (1) على قومه ، وطالت مدته ، ثم تسنم ذرى الاعمال كولاية الفراشيش وغيرهم ، وقربه الوزير شاكير صاحب الطابع .

وكان فقيها نبيها ، فصيح اللسان ، ذكي الفهم ، حازما يقظا ، يتقن النخوة الدريدية ، ذا نفس أبية ودهاء ، حسن الوجهة الى الله ، آية الله في المحاضرة ، بتاريخ الوقائع ، وفي أخبار البلاد .

ولم يزل في تقديم وتأخير الى ان لبي داعي المنية والى الله المصير في سنة 1264 اربع وستين ومائتين والـف (48 - 1847 م.) .

(1) شاخ : ولي وظيفة شيخ القبيلة .

[283 - محمد بن عاشور]

ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن عاشور الاندلسي .
نشأ هذا العالم في بيت شرفه ، وقصر نفسه على العلم مذ برز من صدفه ، فأخذ
عن أعلام كالشيخ الصالح أبي عبد الله محمد المشاط ، وأبي اسحاق سيدي ابراهيم
الرياحي ، وأبي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، وأبي عبد الله سيدي محمد بن الخوجة
وغيرهم ، وفي أقرب وقت رقى ذروة التحصيل ، بماله من طبع الذكاء الاصيل ،
وتصدر للافادة بالجامع الاعظم ، وأجرى به سيل الافادة ، وبدأ الفضل وأعاده ، وسعد
به افق العلم أي سعادة ، وانتفع به اعلام ، من فرسان الآداب والاقلام .
وانتخبه المشير ابو العباس احمد باي لخطبة القضاء بالمحلة ، وعظم عليه الانتقال
من رياض العلوم ، والسبح في تيار المفهوم ، الى مزاولة الخصوم ، فاستجار بالوزير
أبي النخبة مصطفى خزنة دار ، وتعلل بضعف بدنه عن معاناة الاسفار ، وان الغصب
لا ينتج الا الفرار ، ومفارقة الأوكار ، ولما رأى الوزير عزمه ، وعده وكلم الباي في
هذا الشأن ، بان خروج مثل هذا الرجل نقصان ، فقبل اعتذاره وأقاله ، فرجع الى
أنسه ، بفرائد درسه ، واذكياء بني جنسه .
وكان خيرا عفيفا ، تقيا نزيه النفس ، عالي الهمة ، متضلعا بالعلوم العقلية والفقهية ،
ثاقب الفكر ، مقبلا على شانه ، متقدما على أقرانه .
ولم يزل عاكفا على العلم وأسبابه ، معدودا من أبوابه ، الى ان اقتطفت المنية
نور شبابه ، في السادس والعشرين من صفر الخير سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف
(الاحد 21 جانفي 1849 م.) ودفن بزاوية جده .

[284 - خالد الزهاني]

ابو البقاء خالد بن محمد الزهاني .
نشأ هذا الرجل في خدمة الدولة من لدن الباي أبي محمد حمودة باشا ، وخدم
كاتباً في أوجاق الصبايحية ، وحصل وجاهة ونباهة شان ، وله تعلق بالوزير أبي
المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وسافر معه في حروبه ، واستكتبه المشير أبو العباس
احمد باي في قلم الانشاء ، لما له من سالف الخدمة ، وهي أوكد حرمة .

وكان رحمه الله وجيها ، فصيح اللسان ، حاذقا نبيها ، عارفا بمقتضيات الاحوال وقتئذ ، خفيف الروح ، حسن اللقاء ، لم يفارق السجايا العربية .
ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في صفر سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (جانفي 1849 م) ، وله ابن في مبادئ خدمة أبيه .

[285 - علي الشريف الاندلسي]

الشيخ ابو الحسن علي بن قاسم بن عثمان بن مصطفى
ابن الحاج ابراهيم الشريف .

جد هذا السيد من أعيان أشرف الاندلس الوافدين على هذه الحاضرة فرارا
بدينهم ، ونشأ هذا السيد في منبت شرف ومجد ، ودعم مجده الموروث بمجد مكتسب ،
فقرأ بالجامع على أعلام كالشيخ صالح الكواش ، والشيخ حسن الشريف ، وحصل
ملكة قوية ، وتصدر للتوثيق ، ثم تقدم شيخا لطريقة الولي العارف بالله سيدي محمد بن
عيسى الباقية كرامته الى الآن بعد موته ، فزان صدرها ، ونشر فخرها ، ونور طريقها ،
وأدار على المحبين رحيقها ، وله في علوم السير والتاريخ والادب يد طولى .

وكان فقيها فاضلا ، خيرا عفيفا ، تقيا نقيًا ، كريم النفس ، هاشمي الهمة ، سليم
الصدر ، حسن اللقاء ، ما شئت من محاضرة تملأ الحياض ، وتفوق ازهار الرياض ،
باسمة عن حسن أخلاق ، دالة على كرم أعراق ، متحليا بالوقار والسكينة ، حالا من
الملوك وأهل الحاضرة بالمكانة المكيمة .

ولم يزل على رفعة ، وطيب سمعته ، وإطباق الناس على محبته ، والورود من
منهل طريقته ، الى آخر ساعته ، في الثاني عشر من رجب سنة 1265 خمس وستين
ومائتين والف (السبت 3 جوان 1849 م) ، رحمه الله تعالى بمنه .

[286 - محمد الجلولي]

ابو عبد الله محمد بن محمود بن بكار الجلولي .

مولد هذا القايد سنة 1195 خمس وتسعين ومائة والف (81 - 1780 م) ، ونشأ في
خدمة الدولة ، وتنقل في أعمال ولاياتها ، وقام مقام أبيه لما بعثه الباي أبو محمد حمودة
باشا لانشاء سفن حربية بمالطة .

وكان وجيها خيرا ، جديا ، مؤثرا للخير ، غير متكالب على المال ، كريم النفس ، شديد الحياء ، محبا لاهل عمله ، بل ولغيرهم ، يغلب عليه الخير ، المطبوع عليه اهل صفاقس .

وتوفي في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (الخميس 11 اكتوبر 1849 م) ، وأخوه الآن بصفاقس هو ضوء صباحها ، ومشكاة مصباحها .

[287 - احمد الجزيري]

ابو العباس احمد الجزيري .

هو من ممالك أبي الحسن علي الجزيري ، قرجي الاصل ، وتبناه اذ لم يكن له ذكر ، وزوجه من بنته ، وحبس عليها سائر كسبه ، وأدخله في خدمة الدولة ، وباشر الاعمال النبيهة ، وترقى الى رتبة باش آغة ، وقربه الباي أبو محمد حمودة باشا ، ووثق بأمانته في المهمات .

وكان خيرا ثقة ، نصوحا وجيها ، مهيبا معظما ، متوسط الادراك ، سجية عصره . وتوفيت زوجته عن ذكر ، فتسرى بجارية أولدها ابنا هو سبب نكبته ، وذلك أنه قد ادين من بعض الافرنج حتى استغرق الدين ذمته ، وكسب أبيه ، وحملته الشفقة على حمالة دين ابنه ، فاستغرق الدين ذمة المدين والحميل ، واستصفى الغرماء كسبه ، وسجن لاجل ذلك ، فطلب الغرماء سجن المدين بالكراكة لاحتياله على أموالهم ، شبه السارق ، فأحضره الباي أبو عبد الله حسين باي بين يديه ، وقال له : « ان الناس سموك سارقا » ، فقال له : « أعطني أبي في يدي ، وأنا أستخرج منه المال » ، فقال له : « أتضر به ؟ » ، قال : « نعم » ، فأمر بسجنه في الكراكة ، ثم تسرح بعد زمن طويل ، وتوفي في هذه المسدة .

وأما أبوه فانه تسرح وطرح ، وعاش بعد المحنة ، وقام به حفدته ، الى أن توفي في ذي الحجة من سنة 1265 خمس وستين (اكتوبر - نوفمبر 1849 م) ، وحفيده الآن من الاعيان ، جزاه الله أحسن جزاء على البرور بعجده .

[288 - حسين الباهي]

أبو عبد الله الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ
اسماعيل ابن الشيخ سيدي احمد الباهي

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وصلاح ، وأقبل على العلم ، فأخذ أولاً على عمه
في زاويتهم ، ثم دخل الجامع فأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ أبي محمد سيدي حسن
الشريف ، والشيخ سيدي الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم الرياحي ، وصهره أبي
عبد الله الشيخ محمد البحري بن عبد الستار . وحصل الملكة العلمية ، خصوصاً الفقه ،
لو زاد في قوتها بالتدريس ، وتقدم شيخاً بزاوية جده .

وكان عالماً فقيهاً ، حافظاً صحيح الفهم ، نيراً الإدراك ، تقياً عفيفاً ، كريم النفس ،
ما شئت من مجد صميم ، وخلق كريم ، وقلب سليم .

ولم يزل على حاله ، متجماً بكماله ، الى أن كانت التلبية الى دار الآخرة ختام
أعماله ، في سنة 1265 خمس وستين ومائتين والـ (49 - 1848 م) ، واعقب ابناً قام
بمقامه ، وتوفي ، رحمهما الله تعالى .

[289 - محمد البارودي]

أبو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ المفتي أبي النخبة مصطفى
ابن الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد ابن الشيخ المفتي الحاج حسين البارودي

نشأ هذا الخير في بيت مجده ، وتوجه للعلم ، فأخذ عن أعلام كشيخنا أبي
اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا أبي العباس سيدي احمد الأبي ، وشيخنا
أبي عبد الله سيدي محمد بيرم الثالث وغيرهم ، وحصل واستفاد ، ونال المراد ، وتقدم
للخطط العلمية ، وعلا ذروة المنابر ، وأحيا نغمات آله وهم من سكان المقابر . ولما احيا
الباشا أبو النخبة مصطفى باي جامع الطراز (1) الذي بممر درية الداي ، جعله إماماً
به ، وروى به « صحيح البخاري » ، وكتب على الباب الاخير منه كتابة حسنة ،
وحضره الباي يوم الختم .

(1) انظر تاريخ معالم التوحيد ص 152

وكان فاضلا عفيفا ، نقي العرض ، محافظا على مروءته فقيها ، عالما ، حسن الاخلاق ولم يزل على حاله ، مقتديا بسآله ، الى ان ارتحل الى دار البقاء متزودا بصالح أعماله ، في سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (50 — 1849 م.) ، واعقب ابنا يجري على قدم أبيه ، كثر الله من أمثاله .

[290 — محمد الشريف]

ابو عبد الله محمد ابن الامام محمد ابن الامام عبد الكبير الشريف

نشأ هذا السيد في بيت شرفه ، جاريا على نهج سلفه ، وأخذ عن والده وغيره ، وحصل ملكة المشاركة في العلم ، ثم تقدم لشهادة الديوان . وكان حميد الاوصاف ، متجملا بهمة وعفاف ، سالكا نهج السادة الاشراف حسن الاخلاق ، محمود المعاشرة ، كريم النفس ، متواضعا على رفعة شأنه ، محبا للقلوب . ولم يزل في برود كماله ، الى أن كانت الشهادة آخر اعماله ، يوم الاربعاء الثالث والعشرين من اشرف الربيعين سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (6 فيفري 1850 م.) ، بالمرض الوبائي ، المعروف بالكوليرة ، واعقب اولادا معدودين في الاعيان ، أصغرهم يتدرج في سلم المعارف والعرفان ، جاريا في مضمار اهل الشأن .

[291 — احمد امير لواء الخيالة]

ابو العباس احمد امير لواء الخيالة

اصله من المماليك الروم ، جاء ومعه أخوه الوزير الآن ابو النخبة مصطفى خزنة دار ، المتقدم ذكره ، وكانا في خدمة الباشا أبي النخبة مصطفى باي ، فتربى صاحب الترجمة مع أترابه في الصرايا ، وأخوه لصغر سنه تبناه المشير أبو العباس أحمد باي ، وجعله في حضانة أمه ، فعانته معاناة الحفيد ، الى أن شب ، وأخوه على خدمته بالصرايا يترقى ، وجعله المشير أمير لواء الخيالة ، واستكفى به في خدمته .

وكان فارسا راميا ، شجاعا ثابت الجنان ، فصيح اللسان ، نقي العرض ، سخيا كريما ، مطبوعا على الاخلاق العسكرية ، آية الله في الوفاء والصدق والتواضع ، محبا الى الناس ، حسن الاخلاق ، كريم السجايا .

ولم يزل على حاله ، الى أن بعثه مخدومه بعسكر الى الجهة الغربية ، يمنع الواردين ايام شدة المرض ، فأصيب ، وجيء به الى بستانه [بمنوبة] (1) ، ودفن بسيدي عبد الوهاب في أوائل سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (اواخر 1849 م) .

[292 - محمد الطيب الرياحي]

العالم ابو عبد الله محمد الطيب
ابن شيخ المسلمين ابي اسحاق ابراهيم الرياحي

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، وحفظ القرآن ، واعتنى به أبوه ، وأخذ عن العلامة المحقق أبي العباس الشيخ احمد بن حسين القمار الكافي ، باذن من الشيخ والده . ولما حاز درجة التحصيل ، أذنه شيخنا والده بالتدريس ، فدرس بالجامع الاعظم وحلّق ، وسطع منه نور التحقيق وتألّق ، فأفاد وأجاد ، واتي بما يستجد ، وجلى في هذا المضمار ، وسبق النظر ، وعزت مباحثه عن الانتقاد ، وسلمها اللسان والاعتقاد ، وألقت البلاغة اليه المقاد ، وانفسح في مجال العلم ميدانه ، فعظم شأنه ، وحل المشكلات ببيانه .

وتقدم خطيبا بجامع أبي محمد الحفصي ، وقراءة صحيح البخاري ، وحضره امير العصر ، وحضر والده ، فشنت الاسماع ، وظهر ما فيه من الباع ، وسأله ذلك الامير عن الميت بالمرض الوبائي ، المعروف بالكوليرة ، هل هو شهيد ، فأجاب بانه من الشهداء . وكتب في ذلك عقدا نفيسا ، لولا الاطالة جلبناه .

وتقدم في الباب السادس من شعره ، ما جعله الزمان قلادة نحره ، وشاح فخره . وكان رحمه الله عالما فقيها ، متضلعا بالعلوم العقلية والنقلية ، ذكيا تقيا ، صحيح النقل ، ناظما ناثرا ، عالي الهمة ، طامحا الى قنن المعالي ، أبي الضيم ، زكي النفس .

وبينما هو جاد في هذه الثنية ، إذ اقتطفته يد المنية ، في الثالث والعشرين من ربيع الانور سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (الاربعاء 6 فيفري 1850 م) ، بالمرض الوبائي المسمى بالكوليرة ، قبيل (كذا) جوابه بان ميته شهيد ، وانقطع عن البلاد وابله

(1) الزيادة عن ق

ومزُنُهُ ، وعمها حزنه ، وتخوف المشير ابو العباس أحمد باي على أبيه ، وكاتبه وعزاه ، وكان ما خاف ان يكون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وتوفي الشيخ بعده ، كما تقدم ذكر ترجمته ، استطرادا مع ائمة الجامع الاعظم .

[293 - محمد برتقيز]

الفقيه ابو عبد الله محمد برتقيز

من بيت مجد وعلم ، كان خيرا وجيها ، عفيفا نقي العرض ، محمود السيرة ، مقبلا على شأنه ، بعيداً عن الفضول ، حافظا لوجاهة بيته ، من المعدودين في اعيان العدول ، وتوفي في اشرف الربيعين من سنة 1266 ست وستين (جانفي - فيفري 1850 م).

[294 - حسونة بن الحاج]

ابو محمد حسونه بن أبي الربيع سليمان بن الحاج

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة مع اخوته ، وهو أنجبهم ، وتدرج في الخطط والاعمال ، كالقمرق ودار الجلد وغيرهما . وحصل اقبالا مع الوزير شاكير صاحب الطابع ، كاد أن يزاحم به آل بن عياد ، ثم خشي ضرر الملك المطلق ، فنجا بنفسه وبنيه الى مالطة ، وتقدم اخوه محمد الى خططة ، فعمل فيها على ذمة أخيه ، بتقديم من الباي ، واتبعه الباي الكاتب الفقيه صاحبنا ابا الحسن علي الحساد ، وإيزاكوزي زانّه ومنعاه من السفر بمقتضى الحكم ، كما تقدم في الباب السادس (1) ، ثم بدا له ان ركب إحدى سفن الدولة ، وأتى المشير أحمد باي على حين غفلة ، ملقيا الله القياد ، طالبا منه الفضل ، فعفا عنه عفو الكرام ، ورجّعه لخدمته ، وابتدأ في التراجع .

وكان حازما حاد الفكر ، محجاجا ذا مروءة وسياسة .

ولم يزل في اضمحلال ، والامور آجال ، الى أن توفي في التاسع عشر من رجب سنة 1266 ست وستين ومائتين والـ (الجمعة 31 ماي 1870 م) ، وأعقب أولادا تلوح عليهم سيماء النجاة ، لو ساعدهم الاقبال .

[295 - اسكندر آغة]

ابو محمد اسكندر آغة

هو من الموالي ، وأصله من الابازا (1) وترقى في خدمة الباشا ابي عبد الله حسين باي وصار آغة لعسكر زواوة ، ورأى إلحاقهم بآداب عسكر الترك ، وترقى في مدارج الخطط ، واكتفى به المشير ابو العباس احمد باي في المهمات ، فجلى في الاخطار ، وقضى بسياسته الاوطار ، وحسنت منه الآثار .

وكان فاضلا نبيا ، وجيها حسن الاخلاق ، طلق الوجه ، متخلقا بما تقتضيه الرئاسة ، يذكر بالجميل ، فارسا راميا ، صبورا كريم النفس ، نقي العرض . ولم يزل على حاله الى ان توفي في الرابع من شعبان سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (السبت 15 جوان 1850 م) .

[296 - محمد بن سلامة]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الفقيه العدل ابي عبد الله محمد الطيب ابن الشيخ ابي العباس احمد ابن الشيخ الفاضل ابي الحسن علي بن سلامة

نشأ هذا الفاضل في بيته النبويه بين يدي جده ، واعتنى بتمرينه وتدريبه ، وتعليمه وتهذيبه ، ثم قرأ على الشيخ العالم ابي عبد الله محمد الشاذلي بن المؤدب ، ولازمه ، وعلى شيخنا العلامة ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، وأجازته ، وعلى شيخنا ابي عبد الله محمد بن ملوكية ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا الكاتب ابي عبد الله محمد المناعي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وله سند في « صحيح البخاري » عن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بيرم الثاني .

ولما بلغ رتبة التحصيل ، لمساعدة ذكائه الاصيل ، تصدر للتدريس قليلا ، ثم لازم شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وأخذ عنه فقه الاحكام والوثائق ، وهو الذي دربه لخطه القضاء ، وتقدم قاضيا بالمحلة ، ثم بباردو ، ثم الى خطة القضاء

(1) اسم لاجد شعوب القوقاز (انظر Abazes في لاروس الكبير)

بالحاضرة ، ثم الى الفتوى ، وتقدم على المفتين ، فكان كاهية شيخنا الرئيس ، وغيرهما من الخطط العلمية ، كالخطبة في جامع سبحان الله ، وخطب من انشائه ، وغيرها . وله مع المشير أبي العباس احمد باي صحبة وتقريب ، من ايام سفره معه بالمحلة . وكان عالما فقيها ، أدبيا ذكيا حافظا ، راش سهام الاحكام وبراهما ، وأجرى القواعد الشرعية مجراها ، حتى تَقَدَّمَ تَقَدَّمَ البازل ، لحمل أحكام النوازل ، وأجال في كل فن قداحا ، وأورى زند الذكاء اقتداحا ، ما شئت من حفظ واطلاع ، وامتداد باع ، وعلو همة ، وكرم نفس .

وله حاشية على شرح الشيخ التاودي للتحفة ، لم تزل في مسودتها ، وتاريخ لدولة المشير نحا فيها منحي التاريخ الباشي ، لم يخرج عن مسودته ايضا ، ثم آنس أقرانه منه الترفع ، فأنفوا لذلك ، وذلك انه لما اقرأ « الشفاء » بالجامع الاعظم ، لم يستدع يوم الختم الا شيخنا ابا عبد الله محمد بن الخوجة ، وصاحبنا ابا عبد الله محمد بيرم ، وشيخنا ابا اسحاق ابراهيم الرياحي ، واجابه بعدم تيسر الحضور ، ولم يستدع بقية أهل المجلس ، ظنا منه انهم يعرفون اليوم والوقت ، وجاذب الصحبة يقودهم ، ولم يحضر يوم الختم غير شيخي الحنفية ، وحضر الباي ورجال دولته ، فتغير من عدم حضورهم ، وتغير من الباي حيث لم يعاتبهم ، ورام التسليم في الخطة ، لولا رجال من أصحابه منعه .

ولما وقع المرض الوبائي سنة ست وستين ، اجتمع اهل المجلس ، في مأتم الشيخ الطيب ابن الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي ، فقال لهم بمحضر الشيخ : « يا اخواننا نحن منتسبون للعلم الشريف ، وأخوته مدعمة لآخوة الاسلام ، ويجمل بمن هذه نسبته أن يعفو ويصفح ، وأشهدكم أنني سأحت كل واحد منكم » ، وطلب منهم المسامحة ، وتسامح جميعهم ، غفر الله لهم ، وعدت من حسناته الدالة على سلامة صدره ، وتحدث الناس بها ، وتصافحوا والشيخ معهم ، ومن عفا واصلح فأجره على الله .

ولم يزل رحمه الله على رفعتة في ارتقاء ، الى ان لبي الى دار البقاء ، والآخرة خير وابقى ، يوم الخميس الحادي عشر (1) من شعبان سنة 1266 ست وستين ومائتين

والف (20 جوان 1850 م.) ، وهو بجبل سيدي أبي سعيد ، وأوصى ان يدفن في جوار الولي العارف بالله سيدي عبد العزيز ، نفعه الله بما اختاره من الجوار ، وحشره مع الابرار.

[297 - حسين البارودي الثاني]

ابو عبد الله الشيخ حسين ابن المفتي ابي عبد الله محمد
ابن المفتي ابي عبد الله الحاج حسين البارودي

نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ العلم عن عمه ، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد الفاسي ، ولازمه وانتفع به ، كآل بيته ، وحصل في الفقه الحنفي ملكة ، وله باع في علوم القرآن .

وتقدم لخطبة الفتوى ، فباشرها بدين ، ومراقبة لله ، وانقياد الى الحق .
حضرته يوما بالمجلس الشرعي بباردو ، وقد حكم بين خصمين في تونس ،
وراجعه بعض الفقهاء فبين مستنده ، ووجه غلظه ، وأشهد المجلس انه رجع .
وكان فاضلا وجيها ، ماجدا خيرا ، عفيفا متواضعا ، ذا حسب توارثه الكابر
عن الكابر ، ووجاهة تأصلت من بطون المحارب وظهور المنابر .

ولم يزل على حاله الى ان توفي خامس رمضان من سنة 1266 ست وستين ومائتين
والف (الاثنين 15 جويلية 1850 م.) ، واعقب ابنا هو الآن في الخطط العلمية ، من
تدريس وامامة ، ثم تقدم لخطبة القضاء بالمذهب الحنفي ، كثر الله تعالى من أمثاله .

[298 - علي التميمي]

الشيخ ابو الحسن علي بن محمد التميمي

هذا الرجل من بيت نبه ، مشهور في خدمة الدولة ، ايام الباشا علي باي بن محمد ،
نال جدهم الحظوة والتقديم ، وقاد الجنود الى الكاف ، وتقدم له ذكر في هذا
الموضوع ، وحفيده صاحب الترجمة نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن شيخ الشيوخ
ابي محمد سيدي حسن الشريف وغيره ، وحصل ملكة حسنة ، لا سيما في الفرائض
والتوثيق ، وتصدر للشهادة معدودا من أعيان العدول ، ودرس بالجامع الاعظم مشهورا
بقوة العارضة ، وحدة الفكر والتحصيل ، وناب الخطبة الشرعية بجبل المنار .

وكان فاضلا وجيها ، خيرا عفيفا ، نقي العرض .
ولم يزل على احترامه الى ان توفي سنة 1266 ست وستين ومائتين والـ (50) —
1849 م .) ، واعقب ابنا اقتفى سنن أبيه ، وهو الآن من اعيان العدول .

[299 - مصطفى البلهوان]

أبو النخبة مصطفى البلهوان التركي

هذا الرجل من أفراد الجند بالحاضرة ، وانتمى للوزير ابي الربيع سليمان كاهية
الثاني ، وترقى بنجابته ، الى أن صار باش حانبه ، ثم صار آغة بيت المال ، وهي
من الخطط التي يترقى منها الى منصب الداي في بعض الاحوال ، وسافر لاسلامبول في
بعض الأغراض ، واصطُحبت معه في سفرة من اسفاره لها ، وتقدم له ذكر في هذا
المجموع .

وكان محمود السيرة ، طيب السريرة ، وجيها خيرا عفيفا ، ذا همة ، كريم
النفس ، ذا صدقات سرية ، ظهرت بعد موته ، لين العريكة ، متواضعا حسن الخلق ،
شجاعا ذا عبادة واوراد ، وله آثار بجبل المنار كالسبيل ، والبشر وغيرهما .
ولم يزل طيب الاثر ، حميد الخبر الى ان توفي سنة 1266 ست وستين ومائتين
والـ (50 — 1849 م.) رحمه الله تعالى ، آمين .

[300 - محمود باكير]

الامام ابو الثناء محمود ابن الامام الشيخ حمودة باكير

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، وقرأ عليه وعلى أعلام منهم شيخ الاسلام ابو
عبد الله محمد بيرم الثاني وغيره ، وحصل وتفقّه ، ودرس بالجامع الاعظم ، واختصه
الباي أبو محمد حمودة باشا اماما يصلي به الخمس ، بمسجد بيت الباشا ، وكان مقربا
أثيرا عنده ، وعند اخيه ، ثم صرف عن هذه الامامة ، وبقي يدرس بالجامع ، اماما
بجامع القصر ، ثم ألزم لخطبة القضاء ، فكان من قضاة العدل .

وكان عالماً فقيهاً ، متفنناً حافظاً ، فصيحاً شاعراً ، عزيز النفس ، أبي الضييم ، كريم الاخلاق ، حسن البداهة ، حاضر الجواب ، عزيز المحاضرة .
ولم يزل على وجاهته ونباهته ، الى آخر ساعته ، في أوائل ربيع الاول سنة 1267 سبع وستين ومائتين والف (اوائل جانفي 1851 م) .

[301 — محمد الخضار]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد الخضار

نشأ هذا السيد في طلب العلم ، فأخذ عن شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكة ، ثم أخذ عن شيخ الشيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، والشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيخ أبي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .
وحصل في زمن قليل ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فأفاد وأجاد ، ثم تقدم لخطبة القضاء بالمحلة ، ونقله المشير أبو العباس أحمد باي منها الى الفتوى بالحاضرة ، فقام بأعبائها ، وكان من نجوم سمائها ، متبثاً فيها ، بعيداً عما ينافيها . وتولى غيرها من الخطط العلمية .

وكان عالماً فقيهاً ، ذكياً خيراً عفيفاً ، كريم النفس ، غراً كريماً ، شاعراً بليغاً ، وله في الرثاء المنازع الغربية ، خطيباً من انشائه ، فصيحاً جهوري الصوت ، وله في إلقاء المواعظ أسلوب ، تخشع به القلوب ، بعيداً عن التصنع ، شبيهاً بالزهاد ، حسن المحاضرة ، حلو الدعاة ، ما نقصه ذلك ولا عابه ، ما شئت من ايناس يسري في الارواح مسرى الراح ، ومذاكرة أشهى من العذب القراح .

ولم يزل محمود السيرة ، طيب السريرة ، الى ان توفاه الله في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة 1267 سبع وستين ومائتين والف (الاربعاء 23 سبتمبر 1851 م) .

[302 — سليمان المحجوب]

الشيخ ابو الربيع سليمان ابن الشيخ القاضي ابي حفص عمر
ابن العلامة ابي الفضل قاسم المحجوب

نشأ هذا الشريف بين يدي أبيه ، واعتنى به ، وأخذ عنه جلّ الفنون ، وأخذ عن عمه شيخ الفتوى ابي عبد الله محمد المحجوب ، وعن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف وغيرهم .

وحصل الملكية العلمية ، وتصدر للتوثيق ، ونحا فيه منحى والده ، ثم استكتبه ابو النخبة مصطفى باي ، وسافر معه في المحال ، ثم انتقل لديوان الانشاء ، وله فيه تقدم وباع ، أخذ ذلك عن والده ، اذ كان هو المشار اليه في ذلك العصر ، وله عند مخدمه مكانة ، وصار كاهية رئيس الكتبة .

أرهبه دين في آخره ، سجن لاجله في بيت الضياف بباردو ، ثم انفصل من قلم الانشاء ، وبقي حليف داره ، متجملا على إعساره ، ثم تقدم لخطبة الفتوى منخرطا في سلك المفتين .

وكان فقيها كاتباً ، ناثراً خيراً ، عفيفاً وجيهاً ، ماجدا ذا وقار ، الى ان توفي سنة 1267 سبع وستين ومائتين والـ (51 - 1850 م) .

[303 - حميدة عزيز]

ابو العباس احمد ويدعى حميدة عزيز الصفاقسي

اصله من صفاقس ، وهو ممن تقدم بنفسه في بني جنسه ، وانتمى الى القايد أبي الثناء محمود الجلولي ، وكان ثقته ، ثم أقبل على الفلاحة والتجارة ، وسكن بلد سليمان ، وداره بها ملحومة ، ثم سكن تونس ، وتقرب في خدمة الدولة ، موثوقاً بأمانته ، في كل ما يرجع للامانة .

وكان فطنا ذكياً ، نقي العرض ، محافظاً على مروءته .

وقربه المشير أبو العباس أحمد باي ، واستكفى بأمانته في المهمات ، اذ كان خيراً يوثر عنه الجميل ، ثم لبى الى فريضة الحج ، وعند سفره لما اتى مودعا للمشير بكى ، وقال له : « ها أنا قادم الى الله ، ولم اترك في الدنيا غير ابني محمود ، وهو مكفول نظرك » ، فقال له المشير : « ادع لنا ، ومحمود الآن ابني » ، وسافر مع صهره العلامة أبي عبد الله محمد النيفر ، وتوفاه الله في عبادة ، وعداً مثاله فيها بأن يوكّل ملكاً يحج عنه في كل سنة ، كما ورد ، رحمه الله .

وكانت وفاته في ذي القعدة سنة 1267 سبع وستين ومائتين والـ (أوت - سبتمبر 1851 م) ، واعقب ابناً اقتفى نهج أبيه وزاد ، وهو الآن في الخطط والاعمال من الافراد ، محمود السيرة ، الدالة على طيب السيرة .

[304 - على الرياحي]

أبو الحسن علي ابن شيخنا العلامة ابي اسحاق ابراهيم الرياحي

هذا الفاضل نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أبيه وأخيه وغيرهما ، واعتنى به الشيخ والده اعظم اعتناء ، ورآه بعين بصيرته من نجباء الابناء ، فكان كما رأى ، والله عند ظن عبده به ، وطوع صعب المسائل بقريحته الوقادة ، فاته طائفة منقادة ، وحصل الفنون ، وأحرز جوهرها المكنون ، وتقدم بعقله ونقله لافادة الطالبين ، واخذ الراية باليمين ، وزان على صغر سنه سلك المدرسين .

وكان خيرا تقيا ، عفيفا نقيا ، فقيها عالما ، نحريرا ادبيا شاعرا ، حسن الاخلاق ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، نقي العرض ، حسن المحاضرة ، ما شئت من آداب تسحر الالباب ، وفكر يحل الصعاب .

ولم يزل على حاله ، يتدرج في مراقبة كماله ، الى ان اقتطفت المنية نورَه من غصن شبابه ، وعظمت الرزية بمصابه ، في محرم سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والـ (اكتوبر - نوفمبر 1851) ، ودفن بزاوية أبيه ، واعقب ابنا هو الآن من أعيان الكتّاب ، واهل الآداب .

[305 - علي الحداد]

ابو الحسن علي بن احمد بن حسونة الحداد

هذا الماجد من أعيان بيوت الاندلس ، وتقدم ذكر أبيه ، ولد سنة 1209 تسع ومائتين والـ (95 - 1794 م) ، وتربى في بيت مجده ، في عز أبيه وجده ، وأقبل على قراءة العلم ، فأخذ عن الشيخ الطاهر ، والشيخ ابراهيم ، والشيخ ابي العباس احمد الأبّي ، وأعيان من العلماء ، وحصل ملكة علمية تحسن بها المشاركة ، ثم انفصل عن القراءة ، ثم ضمه الباشا ابو عبد الله حسين باي الى الكتّابة في قلم الانشاء ، على كلال في قريحته ، ونسيان لما حصله في شببته ، ومع ذلك كان متوسطا في الصناعة . وسافر مع أبي عبد الله محمد باي في المحال .

وكان كريم النفس ، عالي الهمة ، فصيح اللسان ، نير العقل ، حسن البداهة ، غريب المنازع ، اديبا نقي العرض ، حسن المحاضرة ، ما شئت من محادثة أطف من نسيم الفجر ، وألذ من الوصل بعد الهجر ، وله وجهة عند المشير ابي العباس احمد باي ولم يزل وجيها مكرما ، الى ان توفي يوم الجمعة سادس محرم (1) من سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (31 اكتوبر 1851 م) .

[306 - احمد آغة]

ابو العباس احمد آغة التركي

اصله من جند طرابلس ، ورسم في الجند التونسي وترقى بالنصح والوفاء الى ان صار باش حانية . وهو الذي حل ثورة الجند على الباشا ابي الثناء محمود باي ، وحقن بفعله دماء من المسلمين ، باعانة الحاج حميدة الغماد ، شيخ المدينة كما تقدم في الباب الثالث ، وبذلك وغيره صار محببا لاهل الحاضرة .

وسفّر الى الدولة العلية العثمانية غير مرة ، وقدمه المشير أبو العباس أحمد باي دايا ، فاعطى الخطة حقها ، وضبط البلاد ، وخافه اهل الشر والفساد ، وتأنس به اهل الخير والعافية . وكان خيرا وجيها ، نزيها شجاعا ، حسن المروءة ، كريم النفس ، ذا وقار ، عالما بمنازل الناس ، يندب اصحاب المروءات الى الصلح .

ولم يزل معظما محببا الى ان توفي عن سبع وتسعين سنة في 25 الخامس والعشرين من رجب سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (السبت 15 ماي 1852 م) ، ودفن بمقبرة الاشراف ببطحاء القصبة ، التي جدد بناءها المشير أحمد باي ، كأنما بناها له ، وله عقب يحيي الاسم ، ويضرب في النجاة بسهم .

[307 - حميدة بن دالية الرزقي]

ابو العباس حميدة بن علي بن عزوز بن عمارة بن دالية الرزقي

هذا السري من سراة بني رزق ، في صميم دريد ، وجده عمارة بن دالية ، كان من خواص الباي حسين بن علي ، معروف المنزلة ، شهد معه الحروب ، ومات في بعض

حروبه ، كما تقدم في العقد الثاني من هذا الكتاب ، وحزن مخدومه لموته ، وله ذكر في « التاريخ الباشي » .

ولم تزل رئاسة بني رزق في بنيه ، وحفيده هذا نشأ في ظل الدولة واحسانها ، مغذى بلبانها ، وحملته الهمة العربية ، والنفس الالوية ، على تعاطي المجد المكتسب ، ولم يقف عند مجد النسب ، فأقبل على العلم ، وقرأ بزاوية الشيخ سيدي احمد التليلي بفريانة شيئاً من النحو والعقائد ، وحصل في الفقه ملكة تحسن بها المحاضرة ، وتمكن بها المناظرة ، يحسن بها ان يكون قاضياً في غير الحواضر ، ينقل من « مختصر » ابن الحاجب ، وشرحه لابن راشد القفصسي ، ثابت النقل ، مستحضراً ، وأقرأ بناجعة قومه ، فحصل رفعة زادته سمعة ، ثم تولى رئاستهم ، فأحسن سياستهم ، ثم رقاها المشير ابو العباس احمد باي في مدارج الاعمال ، الى ولاية نواجع دريد بتمامهم ، وجعل أخاه ابا الفضل عباس بن علي في رئاسة بني رزق ، وقربه المشير ، وجالسه واشركه في بعض الامور مع رجال دولته في الرأي ، وله رأي سديد ، وباع في الفكر مديد .

ولم يزل يرقيه الى ان صار في رتبة امير آلاي من الخطط العسكرية ، ويصغي لرأيه في أحوال القبائل من العربان .

وكان رحمه الله نزيه النفس ، عالي الهمة ، واسع الصدر ، أصيل الرأي ، سريع الفهم ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، زان سؤدده بحملى الكلى ، وكسب المعدم ، والاعانة على نوائب الدهر ، متثبتاً في الامور ، لم يتزعزع بريح القرب عن جادة الاستقامة ، لا يستعمل السجية الدريدية الا في موضعها ، وعند لزومها في عاداتهم ، صادق اللهجة ، نصوحاً عارفاً بمقتضى الحال ، ممتع المحاضرة بفن التاريخ ، آية الله في الوفاء ، ما شئت من أخلاق العرب ، وظرف اهل الادب .

ولم يزل على حاله ، يجر رداء كماله ، الى ان مرض المشير أبو العباس احمد باي بالمحمدية ، وهو معنا ، فبكى وقال : « اللهم لا تُحْيِيْنِي بعده » ، واشتد اسفه وحزنه ، فتغير مزاجه ، واصيب بدمل من غليان الدم ، والباي في مرضه يسأل عنه ، ويبعث له العواد ، وتقبل الله دعاءه ، فتوفي ، ومخدومه في فراش مرضه ، سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والـ 52 (1851 م) ، وأمر الوزير ابو النخبة مصطفى خزنه دار بكستان موته عن الباي ، خشية ان يتغير مزاجه ، وما علم بموته الا بعد ايام ، ودفن

بزاوية شيخ العصر وبركة هذا المصر ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وكان من تلاميذه في الطريقة التجانية ، وصرف مبلغا من ماله على بناء هذه الزاوية ، واعقب ابنا اقتفوا أثر أبيهم ، وكان يستنجب ابن اخيه ، ويوصي به اصحابه ، وهو ابو اسحاق ابراهيم الملقب بالرياحي ، وقام مقامه في ولاية دريد .

[308 - محمد ثابت]

ابو عبد الله محمد ثابت

نشأ هذا الوجيه في بيته النبويه ، وحفظ القرآن ، وكان كسبه من التجارة في الشاشية ، وتقدم لخطه يازجي المتجر ، وهي كتابة مجلس الحكم المتجري ، وصاحبها من العشرة الحكم ، ولها اعتبار يومئذ في الحاضرة ، ثم قدمه الباي شيخا بربض باب المنارة ، وقدم اكبر بنيه أبا حفص عمر لكتابة المتجر ، وثقل على صاحب الترجمة حمل اعباء هذه المشيخة ، لكن الله أعانه ، فاعطى حق الرئاسة ، بما اودع الله فيه من السياسة ، ثم سلم فيها لابنه ابي عبد الله محمد ، فنسج على منوال ابيه ، وثقته ومرييه ، وكان لهذا الفاضل محبة في طريقة الولي العارف بالله سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ، وجلى في ميدان هذه الطريقة ، وشرب من أسرارها رحيقه ، والاعمال بالنيات ، وظهرت بركتها للعيان فيه ، وفي اعقابه وبنيه ، وذلك انه انقطع الى الله بمراجعة القرآن ، فصار يتلوه عن ظهر قلب ، شاهدته يتلو في جامع الزيتونة ، وقسم أوقاته بين ظل المسجد وركن الدار ، عاكفا على التلاوة والاذكار ، سالكا نهج الاتقياء الابرار ، مترودا الى تلك الدار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ثم حن لأداء فريضة الحج ، فتوفي في تلك العبادة ، ولحق بالرفيق الاعلى ، وجاء خبره لتونس سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (52 - 1851 م) .

وكان وجيها فاضلا ، خيرا ، حيا ، نقي العرض حسن الاخلاق ، طيب الاعراق طلق المحيا ، فقيه النفس ، عالي الهمة ، محببا الى الناس ، وحبيهم موصول بحب الله ، فتزود التقوى ، وحن الى المأوى ، رحمه الله .

واكبر بنيه الآن على قدمه ، في جميع ما تقدم ، والولد نسخة من ابيه ، وحفيده معدود في الاعيان من أهل الادب والشان ، اكثر الله تعالى في الامة من أمثالهم .

[309 - محمد عباس]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن محمد بن محمد عباس

نشأ هذا الفاضل الماجد في صون وعفاف ، وتخلق بحميد الاوصاف ، على سنن آل بيته ، وولى وجهه شطر مسجد العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخنا ابي العباس احمد الابني ، وشيخ الجماعة ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا ابي عبد الله محمد ابن ملوكة ، وشيخنا ابي العباس أحمد بن الخوجه ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم ، فاستفاد وحصل ، وأنفق مما تحصل ، وعد من أعيان المذهب الحنفي ، وتقدم اماما بجامع القصبة ، وتجرد للخلوة والعبادة ، واختارها على الاكثار من الافادة .

يقال انه يتصرف في الجان ، وقصده الناس للتبرك به في اغراضهم ، ومداواة امراضهم ، والاعمال بالنية .

ثم قدمه المشير ابو العباس احمد باي الى خطبة الفتوى ، فزاناها بعلمه ودينه وتواضعه ، مثبتا في نقل الفقه من مواضعه ، وأقرأ وهو في الخطبة جانبا من « تفسير القاضي البيضاوي » .

وكان عالما فقيها خيرا عفيفا ، تقيا نقيا ، مراقبا لله مراقبة الابرار ، متواضعا حيا ، مقبلا على شانه ، نزيه النفس عن الفضول ، سليم الصدر ، يعفو ويصفح ، محببا الى الناس . ولم يزل على حاله ، متجملا بحسن خلاله ، الى حين انتقاله ، في جمادى الثانية من سنة 1269 تسع وستين ومائتين والـ (مارس - افريل 1853 م.) واعقب ابنا جرى على سنن أبيه وزانه ، وهو الآن امام بجامع القصبة .

[310 - عبد الوهاب الشارني]

ابو محمد عبد الوهاب بن يوسف الشارني

من بيوت قبيلة شارن ، ونشأ في جند الفرسان من المخازنية ، وتدرج في خططها ، بما فيه من النجابة والسياسة .

وكان الباي أبو محمد حموده باشا يميزه من بين أقرانه ، ويستكفي به في البعوث ، ويقدمه بين يديه ان غاب باش حانبه . وبعثه مع الميرة والمال الى سليمان كاهية الاول بمحلة قسنطينة .

وله اختصاص بالباشا ابي عبد الله حسين باي ، من ايام الشباب ، ولما آلت الدولة الى ابي النور عثمان باي ، واستبد به الحاج احمد بن عمار في تلك الايام القليلة ، وكان يغار من نجابته ، تسبب في عزله ، ومنعوه من الدخول الى باردو ، وكان يأتي الى الباي حسين تحت جناح الاختفاء .

ولما كانت الثورة على الباي عثمان تقلد سلاحه ، وأتى باردو ، وقال للباي حسين « اغتتم الفرصة باللاحاق الى حلق الوادي » ، وركب أمامه ، وكان ما كان مما هو مقرر في الباب الثاني .

وقدم معه من حلق الوادي بخطة باش حانبه ، ونال معه تقريبا وحظوة ، لم تؤثر فيها صولة الوزير شاكير صاحب الطابع ، وسالم كل منهما صاحبه . وكان فصيحاً فيما يقصد منه ، حسن البداة ، متضلعا بأحوال القبائل والعربان ، لين الجانب ، متواضعا متوددا الى الناس ، واسع الخلق ، يعرف للناس أقدارهم . ولم يزل معظما عند الملوك ورجال الدولة ، وأصيب في آخر عمره بذهاب بصره ، ومع ذلك يتجلد للخدمة ، الى ان توفي في آخر جمادى الثانية سنة 1269 تسع وستين ومائتين والف (أوائل افريل 1853 م) .

[311 — حسن عامل المنستير]

أبو محمد حسن عامل المنستير

هو من ممالك أبي النخبة مصطفى باي ، من اعيان ساقس ، أتى لاجله شقف حربي انقليز ، لانه بلغ أهله أنه أكره على الاسلام ، ولما أتى رئيس الشقف مع القنصل ، وطلبوا الخلوة به ، أجابهم بانه رغب في الاسلام وأسلم طوعا ، وقال له : « هل لك في الرجوع الى بلدك ، لان اهلك في انتظارك ، ولا تخش شيئا » ، فامتنع كل الامتناع ، وبقي بالصرايا ، فقرأ ما تيسر من القرآن ، وقدمه المشير ابو العباس الى الخطط النبيلة ،

كالمنستير وصفاقس ، ورحل الى محل أعماله ، وساس الناس برفق ولين ، واحتفاظ في الجباية ، مع عدل في خلاصها .

وابتنى علوا بدريبة الصغير حمودة ، يسكنه اذا أتى الحاضرة ، وتزوج وظهرت منه مروءة مع جيرانه ، دلت على حسن اخلاق ، يهاديهم بشار عمله ، وينظف الحومة على دوابه ، ويحمل منهم الكّل ، ويعين على النواثب . رايت كثيرا منهم يبكي يوم موته .

وكان خيرا وجيها ، ذا مروءة ، عزيز النفس مهيبا ، وقور المجلس مع تواضع ، ناقص الفصاحة ، واسع الصدر ، نقي العرض ، كريم النفس ، متوسط الفكر ، ندي الكف ، يميل بطبعه الى الخير .

ولم يزل على حاله الى ان مرض بصفاقس ، وأتي به ، فتوفي قرب هرقله في أواخر سنة 1269 تسع وستين ومائتين والـف (ذو الحجة — سبتمبر 1853 م) ، ودفن بالجلالز رحمه الله تعالى .

[312 — محمد بن حميدة بن عياد]

ابو عبد الله محمد بن حميدة بن قاسم بن عياد

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة ، متفيا ظلالها ، وبيتهم في خدمة الدولة معروف ، وقرأ في صغره شيئا من مبادئ النحو والتاريخ ، بقي فيه أثره ، وتدرج في الخطط كجربة ، وفيها ولد أولاده ، وسوسة ، والاعراض ، وغيرها .

وتوجه لباريس سفيرا عن الباشا أبي عبد الله حسين باي ، بعد أخذ الجزائر . وتوجه لها ايضا سفيرا عن المشير أبي العباس احمد باي ، وكان يستوثق به في كل مجال ، اذ هو من أفراد الرجال .

واستكفى به الوزير شاكير صاحب الطابع ، واعتمد رأيه في أموره ، وبرأيه تقدم ، وهو مع ذلك يعظم الوزير ، ويقف بين يديه موقف الخضوع ، ويعجب من حسن تصرفه . حضرت الوزير يوما في بيت خدمته ، وقد اتاه قنصل الفرنسي ، الكولير دي لسبس ، وكان يحسن النطق بالعربية ، في نازلة بالساحل ، فنادى محمد

ابن عياد ، وسأله فأجابه بان « ذلك كان قبل ان يمن الله علينا بوزارتك ، حتى عمرت بلادنا » . وانفصلت النازلة على غير شهوة القنصل ، فودع الوزير ، وخرج وانتظري في صحن البرج . ولما خرجت أخذ بيدي وقال لي : « انتم المسلمين تبالغون في الانكار علينا في شأن الصليب ، وتقولون ينجرون خشبة بأيديهم ثم يعبدونها ، وان كان الامر بخلاف ذلك ، فاننا لا نعبد الا الله ، وتلك الخشبة مثال نتذكر به ، ولكن انتم مثلنا » ، فسألته عن وجه الشبه ، فقال : « وزيركم هذا اشترى كاسائمة من جباية أموالكم ، وربيتموه ، وعلمتموه لغتكم وعاداتكم ، حتى وصل محمد بن عياد ، وهو من رجال دولتكم ، وأعيان بلادكم ، أن يقول له : « من الله علينا بك ، فعمرت بلادنا ، واني على يقين بأن الوزير لا يتكلم الا بلسان ابن عياد ، لكن له العذر حيث لم يظهر شئ من بلادك ، بانه ليس فيها من ترجى منه مصلحتها » ، ولما أردت الجواب ، قال لي : « لا أسمع جوابك ، لانك ان قلت الحق تخشى على نفسك ، وان قلت غيره لا أقبله منك » . وودعني وانصرف .

ثم ان هذا الوزير تنكر لابن عياد ، فلاذ منه بجوار الباشا ابي عبد الله حسين باي . [واحكم معه وصلة سرية ، وثق بها ولم يُظهر للوزير انه فهم منه التنكر ، ومرض الباي] (1) واشتغل الناس بمرضه .

وكان هذا الرجل من أفراد الدنيا ، وكل فرد على حسب مكانه وزمانه ، آية الله في ثقوب الفكر واتساع دائرة العقل والدهاء ، طمح الى الغايات فنالها ، وسابق رجالها ، فصيح اللسان ، محجاجا بقوة البرهان ، كريم النفس ، ندي الكف ، حسن اللقاء ، غيوراً على أهل جربة ، يرى صغيرهم ابناً وكبيرهم أخاً ، يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم ، معواناً لهم على نوائب الدهر ، صعب المقادة حتى مع بنيه ، لجوجاً ولو في ضرره ، يعين أغراضه بماله ، وهو اول من زاد في التزام دار الجلد ، من ثلاثمائة الف الى سبعمائة الف ، ليكيد دار ابن الحاج ، ومع ذلك يغلب خيره على شره ، وامتحن بموت اكبر بنيه ، وأبرهم به ، وهو أبو زيد عبد الرحمان ، وبمفارقة ابنه أبي الشاء محمود ، بعد وحشة ونخصام ، تقدم تفصيل ذلك في الباب السادس ، ولم يجد معينا لهرمه وشيبته ، الا حفيده الاكبر ابا العباس أحمد ابن ابنه الابن المتقدم ، وأنزله في

(1) الزيادة عن ق .

وصيته منزلة أبيه في الارث ، لانه عانى معه مشقة هروبه لدار الانقليز ، ودفع عليه الديون ، وبذل ماله المصون ، وغنم منه الدعاء له ولبنيه ، والله القريب يجيب دعوة الداعي ، ولا تضيع عنده المساعي ، وظهر مصداق ذلك في الوجود .

ثم طلق الدنيا بتاتا ، وتحقق غرورها ، وتقلبها بالعيان ، ولكل شيء اذا تم نقصان ، فلازم كسر بيته على صورة الحكماء والزهاد ، واستوحش حتى من الاهل والاولاد ، ونفض يده من الدنيا أبلغ نفض ، وقابلها بالاحتقار والرفض ، بعد ان شغل ميادينها بالركض ، في الابرام والنقض ، الى ان صار الى عفو الله ورحمته ، بمرض الكبير ، وهو ثابت العقل ينطق بالشهادة ، ويقرأ سورة الاخلاص ، سمعت ذلك من الفقيه الكاتب ابي محمد عبد القادر بن غشام ، وقد طلبه ليشهد احتضاره ، ويلقنه ، وكان ذلك سنة 1269 تسع وستين ومائتين والـ 53 (1852 م) ، وأعقب احفادا من الاعيان .

[313 - محمد الفراتي]

ابو عبد الله محمد الفراتي الصفاقسي

نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ العلم عن أعيان بلده ، كالشيخ الشرفي ، والشيخ خليف ، وغيرهما .

وله براعة في علوم القراءات ، وأكثر دروسه في التفسير والحديث ، وتقدم خطيبا ، وتقدم لخطبة القضاء ، وصرف عنها ، واعتزل الناس ، واقبل على كتب القوم . وكان فقيها خيرا ، حسن الاخلاق . توفي أواسط ربيع الثاني سنة 1269 تسع وستين ومائتين والـ 53 (أواخر جانفي 1853 م) ، رحمه الله تعالى .

[314 - محمد الريفي]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم
محمد ابن العالم الفاضل ابي عبد الله محمد الريفي

هذا الفاضل من بيت علم ومجد ، من أعيان بيوت سوسة ، نشأ بين يدي أبيه ، واستفاد منه ومن غيره من علماء سوسة ، كالشيخ الفاضل أبي الحسن علي السقا .

وتدرج في المناصب العلمية ببلده ، من تدريس وتوثيق وقضاء وفتوى ، ثم صرف عن القضاء برهة من الزمن ، لمنافسة علمية وقعت بينه وبين عالم البلد ومفتيها الشيخ ابي محمد حسن الهدية ، كادت أن تعطل بها الاحكام الشرعية ، فأمر امير العصر وهو يومئذ ابو الثناء محمود باشا المجلس الشرعي ان يكتب لهما رسالة في اصلاح البين ، فصدرت لهما من انشاء عالم العصر القاضي ابي الفداء الشيخ سيدي اسماعيل التميمي ، نصها : « وبعد ، فان المنافسة التي وقعت بينكم قد تفاقم أمرها ، وعظم على الناس ضررها ، وعم اهل عملكم شررها ، فتعطل بينكم الانصاف ، وكثر بسبب ذلك الاعتساف ، وصار من يطلب حقه متطلبا لما هو أعز من الابلق العقوق ، وامنع من يبض الانوق . ولقد كنا عاجلناها من قبل هذا بصلح ، فلم ينجع ، فأمهلناكم عسى ان تراجعوا انفسكم فلم ينفع ، وما ذاك الا لصغوكم لسماسرة الفتن ، وأهل الوشاية ، وعدم احتراسكم من عقارب السعاية ، حتى ابقوكم خبالا ، وضرب الناس بكم أمثالا ، بينما نحن ندبر في حسم ذلك ، واغلاق أبواب تلك المسالك ، باقامة ثالث يكون ناصرا للشرعية ، اذ فجأنا امر هذه الواقعة الاخيرة الشنيعة ، فتبين لولي النعم ، ومنصف المظلوم ممن ظلم ، سدد الله احواله ، وبلغه من نصر دعوة الاسلام آماله ، بعد ان تحقق امرها ، وعرف عجزها وبجرها ، ان الخرق اتسع ، وان السكوت عن ذلك لا يسع ، اذ قد انقسمتم طائفتين ، وتفرقت عدولكم شعبتين ، وجاوز الحزام الطبيين ، وصارت الخطتان في المعنى شاغرتين ، وتعسر تمييز الحق من ضده لعدم قبول كل وطائفته ، على صاحبه وشيعته ، فاتبع (1) الطريق الاقوم ، وحاد عما يفضي الى التحكم ، وتوجهت همته الزكية ، وفكرته القدسية ، الى حسم هذه القضية ، باقامة غيركم للاحكام الشرعية ، اداء بما يجب عليه من اقامة المراسم الدينية ، قائلا : « ان من لا ينقاد اليها ، كيف يؤمن عليها ؟ أم كيف يتيسر له إجراؤها في مجاريها ؟ » ودبر — أيده الله — في ذلك فأصاب ، لولا ان الله تعالى تدارككم بمفاوضة مع جماعتنا وقعت ، وشفاعات منهم بعد التي واللتيا قبلت ، فأنثنى عما هم به عزمه ، وغلبه — والحمد لله — حلمه ، فاختار ايسر الطريقين ، لعل الله يصلح بين الفريقين ، فتقدم لكم بالانذار ، مبالغة في الاعذار ، فأمركم على لساننا أوامر يساعدنا الشرع ، ويوافقها الطبع ، منها ان تلتزموا ان لا تعودوا

لما نهيتهم عنه ، وان يقوم كل بخطته ، ويعرف ما وُلِّي عليه ، فلا يتجاوز ذلك ، ولا ينتري احدكم على ما في ولاية الآخر ، وان تجتنبوا الخلاف المذموم ، الذي لا سبب له الا اتباع الهوى ، فاذا اختلفتم في شيء فردوه الى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، بمراجعة مواد الاحكام ، فان اهتديتم في ذلك والا فاعرضوه علينا ، عساكم ان تجدوا جوابه بنعمة الله لدينا ، وان تلتزموا حضور مجلس يوم الخميس على الوجه القويم ، ولتعطوا المجلس ما يستحقه من التعظيم ، فلا يباشر أحدكم صاحبه ، الا بما يقتضيه مقامه ويلائم منصبه ، وأن تصرفوا الوشاة عن أبوابكم ، وتحترسوا من عقارب السعاية حوزة اعتباركم ، الى غير ذلك من الصفات المناسبة لمقامكم ، فالله الله في أنفسكم بادروا علاجها ، وأصلحوا مزاجها ، بتقوى الله واصلاح ذات البين ، ومقابلة تلك الاوامر المطاعة ، بالسمع لها والطاعة ، فان رجعتم الى الحقيقة ، واستقمتم على الطريقة ، فلکم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، والا فربما يسبق السيف العنذل ، ويقع على الوجه الشنيع البشيع العزل ، فلا شفاعة شافع ، ولا يصغي اليه سامع ، ويعود الامر الى ما كان ، وما شاء الله كان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكتب في ربيع الانور سنة 1233 (جانفي — فيفري 1818 م) .

ولما لم تنفع تلك الرسالة ، صرف عن القضاء ، ثم وُلِّي الفتوى سنة 1238 ثمان وثلاثين (23 — 1822 م) ، ثم صار رئيس المجلس الشرعي في بلده ، سنة 1249 تسع واربعين (34 — 1833 م) .

وكان فاضلا فقيها ، حديد الفكر ، عالما بتطبيق النوازل ، واسرار التوثيق ، عالي الهمة ، صعب المقادة ، عزيز النفس ، شديد الاحتراس والاحتفاظ على عرضه ، موقرا معظما ، الى ان توفي عن سن عالية أواخر ربيع الاول من سنة 1270 سبعين ومائتين والـف (اواخر ديسمبر 1853 م) ، وله عقب يحيي اسمه ، ويحفظ رسمه .

[315 — احمد العثماني بو عتور]

ابو العباس احمد العثماني ابن الشيخ الاكـتب
ابـي عبد الله محمد الطيب بو عتور

نشأ هذا الوجيه ، في بيت مجده بين يدي أبيه ، واشتغل بالعلم برهة من الزمان ، فحصل ما تميز به عن العامة ، واستكـتب في ديوان الانشاء ، وكان بيده دفتر ديوان

المخازنية ، ودفتر ديوان زواوة ، فأتقن خدمته ، وان كان قاصرا في الانشاء ، معترفا بقصوره ، لا يأنف من السؤال .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، ذا همة ومروءة ، وفيًا بالعهد ، جاريا في خلاله على سنن آله .

ولم يزل على الصراط السوي ، حافظا لمجد بيته الاموي ، الى ان توفي أواخر ربيع الثاني سنة 1270 سبعين ومائتين والـف (أواخر جانفي 1854 م) ، وله عقب منظوم في سلك الكتاب .

[316 - فرحات الجلولي]

أبو المسرة فرحات بن أبي الشناء محمود بن بكار الجلولي .

ولد في ربيع الأول سنة 1213 (أوت - سبتمبر 1798 م) ، ونشأ في خدمة الدولة على حداثة سنه ، مرؤوسا بأبيه ، وتقلب في الخطط والاعمال ، ونال الآمال ، وجبى الاموال . وتخوف من سطوة ابن عياد ففر مع اخيه أبي عبد الله حسونة لمالطة ، واستقرا بها في أرغد عيش ، على بساط أمن ، ثم رجعا بواسطة قنصل الفرنسيين الى مسقط الرأس ، ومعهد الايناس .

وكان وجيها غرا كريما ، سامي الهمة ، جميل الظاهر ، عربي السجية ، أعجوبة في الفروسية والرماية ، يغلب عليه الخير .

ولم يزل مرضي الخلال ، بين غنى وإقلال ، لم يتدنس عرضه على كل حال ، الى أن توفي في التاسع عشر من جمادى الاولى سنة 1270 سبعين ومائتين والـف (الجمعة 17 فيفري 1854 م) ، وخلف اولادا نجباء ، في كفالة عمهم ، الذي هو الآن عماد بيتهم ، وكافل حيهم ومحبي ذكر ميتهم ، كثر الله من أمثاله .

[317 - علالة قايجي]

أبو الحسن علي ويدعى علالة بن محمد بن قايجي محمد التركي .

جد هذا الرجل من أعيان الجند ، وترقى الى ان صار باش حانبه ، وحفيده هذا ربيب الباشا أبي عبد الله حسين باي ، تربى في حجره مثل ابناء صلبه ، لمكانة أمه

عنده ، وزوجه من بنته ، وأسكنه بداره معه في باردو ، واعتنى بعمره ، كما يعتني الاب ببناء صلبه ، وأجرى عليه الجراية كآله ، وملّكه الربع والعقار ، وكانت امه لما ولدت من الباي ، قدمت ابنها هذا على إخوته ، اعتبارا لسنه ، وأغضى لها الباي عن ذلك ، لمكانتها عنده .

ولما توفيت امه بقي ذلك التقدم في نفسه ، ولم ينتبه الى ان علاقة الوصلة انقطعت ، ولم يطلب عملا ، ولا خطة في الخدمة ، اعتبارا لما دار في فكره من عدم التمييز بينه وبين اخوته ، مع ما حصل له من التقدم في السن ، ونسي أن النسب لولد الصلب ، وكتب في ختمه علي باي ، وانكر الباي عليه ذلك في نفسه ، وظهر في وجهه إعراضه عنه ، فأساء القول فيه ، متجاهرا غير محاشٍ ، وبلغ الباي ذلك ، فزاد في الاعراض عنه ، فصار ينقم على احوال الوزير شاكير ، وجاهره الوزير بالفرق بين الابن والريب .

ولما توفي الباي ، وتقدم شقيقه ابو النخبة مصطفى باشا ، والاه باكرام ومبرة ووصلة ، ولما قدم ابن اخيه للسفر بالمحال رأى في وجهه الانكار ، وتغافل عنه .

ولما تقدم المشير ابو العباس احمد باي امره بالتأخر عن اخوته في المواكب ، فاحتملها على مضض ، وزال ما دار في نفسه ، وهب من نومته ، وتنبه من غفلته ، ولازم السكنى ببستانه ، مقبلا على شانه ، مشتغلا بخويصة نفسه ، منخرطا في سلك بني جنسه ، راجعا على ما انقدح في حلسه .

وكان خيرا عفيفا ، ذا وقار وسكينة ، ممن سلم الناس من لسانه ويده .

ولم يزل على حاله ، في برود اجلاله ، الى ان توفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين (1) من صفر سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والـ (15 نوفمبر 1854 م) ، ببستانه في المرسى ، ودفن من الغد بمقبرة الاشراف ، حذو ضريح سيدي عبد العزيز ، وأعقب أولادا من جارية تزوجها بعد وفاة بنت الباي ، تلوح عليهم سيماء النجابة ، في ظل هذه القرابة .

[318 - محمد الحداد]

ابو عبد الله محمد الحداد .

نشأ في مروعة وعفة ، وأخذ العلم عن أعيان كالشيخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما . وحصل ملكة علمية مع ما في فطرته من الذكاء ، وتصدر للتوثيق ، وعد من مشاهير الموثقين ، ثم تقدم لخطبة الشهادة على الغابة . وكان وجيها فقيها ، حسن الاخلاق ، محمود السيرة ، ثاقب الفكر ، فصيح اللسان ، حسن المحاضرة ، لا سيما في أخبار هذه الحاضرة ، ومعرفة بيوتها وعاداتها ، محببا الى الناس ، لطيف الشماثل .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي في الرابع عشر من ذي القعدة سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والـ الف (الاحد 29 جويلية 1855 م) ، وأعقب ابناء زانوا قبره ، وأحيوا ذكره ، أكبرهم الآن في خطه ابيه ، كثر الله من امثالهم .

[319 - صالح الزكراوى]

ابو الفلاح صالح بن بلقاسم الزكراوى العونى .

أصل هذا الرجل من أعيان قبيلته ، وزاويتهم في أولاد عون معروفة ، خدم والده في فرسان الصبايحية وصار من الشواش ، ولما علا سنه بقيت له جراية أمثاله العاجزين ، وابنه هذا ترقى في الخدمة الى ان صار كاهية الوجع التونسي في دولة أبي محمد حمودة باشا ، ثم صار باش حانية أواخر شوال سنة 1249 تسع واربعين (أوائل مارس 1834 م) . وكان كريما ذا وآلوع بالفلاحة ، مكشرا منها ، اتخذها عوننا لقبيلته في المساغب ، يسلفها لهم عند الغلاء ، ويقبلها منهم عند الرخاء ، وحاك على منواله في هذا الصنع رجل من أعيان هذه القبيلة ، وهو بلقاسم بن طاع الله ، وبذلك اكتسب مزيد المحبة من قبيلتهما . وكان جديا ، سليم الصدر ، وجيها ، ملازما لـ اخلاق السداجة العربية ، لم تؤثر الحضارة في أخلاقه ، حسن اللقاء ، وفي العهد ، قريبا الى الخير ، سليم العرض ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والـ الف (جويلية — اوت 1855 م) . وأعقب ابنا جرى نحو ابيه فأعقب ابنا مغفلا ضيع تراث أبيه وجده . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

[320 - عبد الله الهدة]

أبو محمد عبد الله ابن الشيخ احمد ابن الشيخ محمد الهدة السوسي .

نشأ هذا الرجل في بيت مجده ، وقرأ شيئاً من العلم ، وتصدر للتوثيق بسوسة ، ثم تولى خطة الفتوى بها ، واستعان فيها بعمّه العلامة أبي محمد حسن الهدة ، وتولى غيرها من الخطط العلمية .

وكان فقيهاً مشاركاً موثقاً ، كريم المحتد ، ذا وقار ، محافظاً على ناموس الخطة ، توفي في ذي الحجة من سنة 1271 إحدى وسبعين ومائتين والـف (أوت - سبتمبر 1855 م) . واعقب ابناً جرى على سنن الاعلام ، من علماء الاسلام .

[321 - خلف المحرزي]

أبو البركات خلف المحرزي .

نشأ هذا الخيّر في بيت مجده ، واقتفى سنن أبيه وجده ، وقرأ العلم فحصل على ملكة المشاركة ، وله معرفة بالتوثيق ، وتولى قضاء الفريضة ببيت المال ، وتقدم شيخاً بزاوية جده سيدي محرز بن خلف .

وكان خيراً عفيفاً ، فاضلاً تقياً ، نقي العرض ، غيّرًا والمؤمن غر كريم ، ذا مهابة ومروءة .

ولم يزل على اخلاقه ، المستفادة من طيب أعراقه الى ان توفي سنة 1271 إحدى وسبعين ومائتين والـف (55 - 1854 م) ، واعقب ابناً جرى على قدمه ، وتولى خطة الشهادة في البحيرة ، وتوفي فأعقب ابناً جرى على سنن آله ، متجماً بحسن خلاله ، كثر الله تعالى من أمثاله .

[322 - محمد القبائلي]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد القبائلي .

نشأ هذا الوجيه في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كاشيخ حسن الشريف ، والشيخ احمد بوخريص والشيخ الطاهر ، والشيخ ابراهيم ، والشيخ بن ملوكة وغيرهم .

وله قوة عارضة في الفهم ، وحصل العلوم ، ودرس ، ثم احترف بالتجارة لمعاشه ، ولم يترك العلم ولا نبذته .

وقدمه المشير أبو العباس احمد باي لخطبة الفتوى ، فاحسن القيام بها في التثبت . وكان تقيا خيرا ، عفيفا حسن المحاضرة ، المعيا جيّد المباحثة ، حسن الاخلاق ، منصفاً من نفسه ، نقي العرض ، فقيها غير متصنع .

ولم يزل محببا في الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، في ذي الحجة من سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1855 م) ، رحمه الله تعالى .

[323 — خير الدين كاهية]

ابو محمد خير الدين كاهية .

أصل هذا الخير من بلاد القرج ، قدم صغيرا مع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، حين رجع من سفارته للدولة العلية ، وأهداه الوزير لسيدته ، فنشأ في خدمته ومحبته .

وكان عند مخدمه في محل الثقة والامانة ، فحسده مملوك اسمه دلوار ، ووشى به لسيدته ، بانه يترصد الفتك به على غفلة ، حين يقف وراءه ، فاعتقله زمنا طويلا بالزندالة ، ثم سرحه قبيل وفاته ، وبقي في خدمته .

ولما جاءت دولة عثمان باي ، أعتقه مع من أعتق من ممالك أخيه ، وبقي عند الوزير أبي المحاسن .

ولما جاءت دولة ابي الثناء الباشا محمود باي قرّبه ، وصار آغة وجق من اوجاق الصبائية ، وصاهره على بنت الوزير أبي الفداء اسماعيل كاهية ، ومات في عصمته . ولم يزل يتدرج في الخطط الى ان صار كاهية بدار الباشا .

وكان خيرا فاضلا ، عفيفا نقيا تقيا ، صادق اللهجة ، متواضعا نقي العرض ، سليم الصدر . سألته ليلة ، ونحن في سفين سفرنا الى اسلامبول ، عن سبب محنته ، فبكى وأخبرني بها ، وقال لي : « اشهد علي بين يدي الله اني ساحت من تسبب لي ، وساحت من سجنني ، وله العذر ، ويا ليتني مت فداه » .

وكان شجاعاً ثبتاً في الحروب ، قوي الجنان . لما ثار جند الترك على سيده ، سنة ست وعشرين ، وبعث الوزير ابا المحاسن يوسف صاحب الطابع الى تونس في الليل ، وبقي في قلق انتظار ، وخير الدين من جملة مَنْ بين يديه ، بكى فقال له سيده : « لِمَ تبكي ؟ » ، فقال له : « أي حاجة لك بأمثالنا غير هذه الحاجة ، دعني ألحق الوزير الى تونس » ، فسرّحه ، وظهر منه عدم الاكتراث برمي الرصاص من القنينة .

وكان يكتب بالقلم المشرقي ، صاحب أذكار وأوراد ، آخذاً سبيل الجِدِّ والاقتصاد ، قانعاً بالكفاف ، متأخراً في الفصاحة مع حبة في نطقه ، يميل الى الخير والجد ، وله في اهل المملكة محبة قوية ، لا سيما العلماء .

ولم يزل بهذا الحال ، محمود الخلال ، مشكور الخصال ، مرضي المقال والفعال ، مومقاً بعين المحبة والاجلال ، الى أن صار الى رحمة الرحيم المتعال ، يوم الثلاثاء من ربيع الثاني من سنة 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والـ (ديسمبر 1855 — جانفي 1856 م) ، ودفن بصحن التربة الحسينية ، وشهد أمير العصر جنازته ، وأعقب أولاداً هم الآن في الخدمة . وأما صاحبه دلوّار الذي تسبّب له في المحنة ، فقد مات بـجربة ، منفياً فاقد الصبر ، على أسوأ حال ، والله يجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

[324 — احمد الكيلاني]

الشيخ ابو العباس احمد بن محمد الكيلاني .

نشأ هذا العالم بين يدي ابيه ، في صون مروءة ، وقرأ عليه مبادئ العلوم ، ثم أخذ بالجامع الاعظم عن أعلام ، كالشيخ صالح الكواش وغيره ، وتضلّع بالفنون العقلية والادبية ، ولازم التدريس بالجامع الاعظم ، وأكثر دروسه في النحو والبيان ، وانتفع به جم عظيم من الطلبة ، مع الانتصاب للتوثيق . وله في الفقه درجة . وله قدم راسخ في الآداب .

وتولى من المخطوط العلمية الشهادة على دار البارود بالقنينة .

وكان عالماً ذكياً فصيحاً بليغاً أديباً خيراً عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن اللقاء ، وجيهاً نقى العرض ، آية الله في المحاضرة بالتاريخ والفنون الادبية ، أشعاره تسع مجلداً ، معظمها عند الخاصة والعامة .

ولم يزل على فضله واشتهاره ، وسكنته ووقاره ، الى ان توفي في سن التعمير ، والى الله المصير ، في السادس والعشرين من جمادى الثانية من سنة 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والف (الثلاثاء 4 مارس 1856 م) ، واعقب ابناً قام مقامه ، وحفيداً كاتباً شاعراً ، كثر الله من أمثاله .

[325 - محمد العصفوري]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ حمودة العصفوري .

نشأ هذا الوجيه بين يدي أبيه في بيته المشهور ، وناهيك برئيس النبلاء ابن عصفور ، وتربى في عفاف ، وجميل أوصاف ، ثم اجتباه المشير ابو العباس احمد باي ، وأقامه شيخ المدينة ، على عادة اعتنائه باعيان البيوت ، وقال لوالده : « انت رجل كبير ، فدرّب ابنك على نظرك » ، فتقدم للخطبة وزانها ، وستر البلاد وأعيانها ، وأمن لياليها . وكان ذكياً فصيحاً ، محجاجاً ، نقى العرض ، عالي الهمة ، كريم النفس ، حسن السياسة ، مطبوعاً على اخلاق الرئاسة .

ثم صرف عن الولاية بعد وفاة المشير ، وبقي عزيزاً بعد عزله ، متجعلاً بعرضه ونبله ، الى ان اقتطفته يد المنية ، من بين اترابه ، على نظارة شبابه ، وأجمل والده الصبر على مصابه ، في منتصف ذي الحجة من 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والف (الاحد 17 أوت 1856 م) ، واعقب أولاداً يتعللون باسم بيتهم ، وذكر ميتهم .

[326 - محمد الوزير]

ابو عبد الله محمد بن حسونة الوزير .

نشأ هذا الرجل في بيت نباهته ووجاهته ، جارياً على سنن أسلافه ، متجعلاً بأوصافه يحترف بالتجارة في الشاشية ، ثم ولي رئاسة مجلس التجارة والشواشية ، لما سلم فيها الفاضل الوجيه ابو محمد حسونة الحداد .

وكان وجيها خيرا ، معدودا من الاعيان وأهل الشان ، جدّي الطبع ، عالي الهمّة ، عزيز النفس ، حسن اللقاء ، لطيف السجّية ، يميل الى الحق ، جاريا على سنن آله ، الآ ان الدهر ، وان اسعفه بكرم الخلال ، لم يسعفه في نمو المال ، ومع ضيقه لم تنزل مروءته على حالها ، واخلاقه على كمالها ، وتأخر في آخر مدته عن الخطّة ، وولّيها اخوه ابو العباس احمد الوزير ، وبقي هو في معاناة مرضه ، الى أن توفي في محرم سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والـف (سبتمبر 1856 م) .

[327 - احمد البارودي]

ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام المفتي ابي عبد الله محمد
أبن الشيخ الامام المفتي ابي عبد الله الحاج حسين البارودي .

نشأ هذا الخير بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن عمه ، وعن الشيخ أبي العباس احمد بوعبده ، وعن العلامة المحقق أبي عبد الله محمد الفاسي ، وحصلت له مشاركة في الفقه ، لا سيما في العبادات ، والنحو ، وتقدم اماما بمسجد بيت الباشا ، وخطيبا بالجامع الحسيني المعروف بالجامع الجديد ، وتوابعه .

وكان فاضلا خيرا ، عفيفا سليم الصدر ، حسن اللقاء ، مطبوعا على الجد ، حافظا لمروءة الخطّة وزيّتها ، حسن الصوت بتلاوة القرآن ، ولخطبه تأثير في الآذان ، يوقظ القلب الوسنان ، ما شئت من حسب توارثه الكابر عن الكابر ، ومجد تأصلت أدواحه بين بطون المحارب وظهور المنابر .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، يرفل في برود كماله ، الى ان لبي الى دار البقاء ، والآخرة خير وأبقى ، يوم الخميس السابع والعشرين (1) من ربيع الانور سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والـف (27 نوفمبر 1856 م) ، واعقب أولادا ، أكبرهم من زَيْن محرابه ومنبره ، وأحيا خبره ، كثر الله من أمثاله .

[328 - محمود خوجة]

الوزير ابو الثناء محمود كاهية ابن الوزير أبي عبد الله
محمّد خوجة أمين الترسخانة ابن محمد خوجة .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، في ظل الدولة ، مغدّي بلبانها ، سابحا في بحار
إحسانها ، وقرأ القرآن ، وشيئا من العبادات والعربية ، مع حسن الكتابة ، وناب والده
في حلق الوادي ، مدة حياته ، وسابق في ميادين السياسة فجلّسى ، ما كبا جواده ولا
توكّلى ، وتوجه سفيرا الى السلطنة الفرانساوية عن الباشا أبي عبد الله حسين باي ليشهد
لبس السلطان يومئذ للتاج ، وقوبل بحسن القبول ، وله معرفة باللغة الاطالمانية .
ولما توفي والده في الدولة الاحمدية ، أقامه المشير أبو العباس احمد باي مقام أبيه ،
ثم سماه وزير البحر .

ولما سافر الى فرانس فوض له امر حلق الوادي ، وهو باب الحاضرة ، لانه كان
يعتمد امانته ، ويعرف رتبته ، ويدني منزلته ، حتى ان والده هذا الباي اذا لزمها تبديل
الهواء لمرضها ، تنزل بداره في حلق الوادي ، مع آل بيته ، مُنَزَّلَة منهم منزلة الام
في السدار .

وكان فاضلا عفيفا ، نقي العرض ، سليم الصدر ، عالي الهمة ، نزيه النفس ،
متين الديانة ، فريدة سلك بيته ، وفخر حيه وميته ، وقور المجلس ، فصيح اللسان ،
اصيل الراي ، صحيح الفهم ، بعيدا عن الفضول ، يميل الى الصمت ، حتى لزمه من
لم يعرفه بالكبر ، مقتصر على خطته وخويصة نفسه ، يميل الى جهة الخير ، وله في
السياسة حسن سلوك ، يقول الحق ولو لم يوافق اغراض الملوك ، كثير الحياء ، صادق
اللهجة ، استحق بنفسه مزية التقديم ، غير ملتفت لما في بيته من مجد الخدمة في القديم ،
صبورا لا يتبدل حاله في الملهمات ، كثير التجميل على ضعف جرائته ، ملازما لجادة
الخير ، سائرا في طريق الاستقامة أحسن سير ، ما شئت من خلق تدل على الكمال
مخائله ، ومجد كرمته أواخره وأوائله .

ولم يزل رفيع المقام ، في سلك اهل الحل والابرام ، الى ان حل به خاطف
الحمام ، في الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والف

(الخميس 19 فيفري 1857 م.) ، وحضر جنازته أمير العصر ابو عبد الله محمد باي وآله ، وجميع الاعيان ، ودفن بتربة آله بالجلالز ، وله ابن في الخدمة ينظر الى خلال ابيه ، وتقدم عوضه لهذه الوزارة ابو محمد خير الدين .

[329 - محمد بن محمد المناعي]

أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان المناعي .

نشأ هذا الكاتب بين يدي أبيه ، واحسن تربيته ، وسلك به طريق العلم ، فحفظ من المتون والشروح عددا مستكثرا ، وقرأ على أبيه ، وعلى أعيان من المدرسين ، وحصل ملكة علمية ، واستكتبه الباي في حياة أبيه بديوان الانشاء ، فأبدع فيه ما شاء ، مع جمال في الخط .

وكان ادبيا شاعرا ، كاتبا مفلحا ، يستوقف الاسماع ، ببدايع اليراع ، ذا فهم حديد ، وباع في الآداب مديد ، حاز من المفاخر أوفر نصيب ، ورمى الاغراض بالسهم المصيب ، وأضافه شاكير صاحب الطابع الى الخدمة معه ، ثم سافر مع أبي عبد الله محمد باي في المحال ، ما من وجهة قام فيها الا زانها ، واعلى شانها ، ما شئت من فصاحة وأدب وظرف ، وفهم يسبق رد الطرف ، ومحاضرة تسحر الافكار ، وتستوقف الانظار ، وتزري بالعقار ، ومع هذه الصفات الواضحة وضوح النهار ، لم تساعده في دنياه الاقدار ، وعاش حليف إقلال وإعسار ، وانفصل من الكتابة في آخره ، لعدم مواظبته الخدمة ، والرزق بالتقدير لا بالتدبير .

ولم يزل على حاله الى ان توفي رحمه الله وسامحه ، وغفر له وقابله بما هو اهله من المغفرة ، في شعبان من سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والـ (مارس - افريل 1857 م.)

[330 - محمد الامين الكيلاني]

أبو عبد الله محمد الامين ابن الفقيه الاديـب

أبي العباس احمد ابن الفقيه أبي عبد الله محمد الكيلاني .

نشأ هذا الفاضل في بيته النبیه ، واخذ العلم عن ابيه ، وعن غيره كالشيخ أبي اسحاق ابراهيم الرياحي والشيخ أبي العباس احمد الابي ، والشيخ أبي عبد الله محمد المناعي ، وحصل واستفاد ، ودرس واقتبل على صناعة التوثيق .

وكان فقيها ذكيا ، خيرا وجيها ، نقي العرض ، كريم النفس ، عالي الهمة ، حسن الخلق ، طيب المعاشرة ، ممتع المحاضرة .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي في الثامن من جمادى الاولى سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والـ (الجمعة 25 ديسمبر 1857 م) ، واعقب ابنا امتطى ذروة الادب والنجاة ، وانتظم في فرائد سلك الكتابة .

[331 - احمد الابي الحنفى]

شيخنا ابو العباس احمد ابن الشيخ الفقيه ابى الثناء محمود الابي الحنفى

مولده ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب سنة 1180 ثمانين ومائة والـ (الاحد 12 رجب — 14 ديسمبر 1766 م) ، ونشأ في حجر أبيه ، وأخذ عنه مبادئ العلوم ، ثم أقبل بقلبه وقالبه على العلم ، فأخذ عن الشيخ صالح الكواش ولازمه ، وأخذ عن شيخ الاسلام ابى عبد الله محمد بيرم الثاني ، وغيرهما من الاعلام .

ولما اخذ راية التحصيل باليمين ، ألزمه شيخه ابو الفلاح صالح الكواش للتدريس على شبابه ، فامتنع ، ورأى نفسه قاصرا عن رتبة الافادة ، فقال له شيخه : « أنا اعلم بحالك منك » ، فتصدّر بالجامع الاعظم ، وأفاد ، وعد من الافراد ، وروى منهله الوراد ، وكان لا يحسن النطق بالراء ، ولم يشن ذلك فصاحته ، وعمر الجامع بحلق التدريس ، يث الجوهر النفيس ، ثم انتخبه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى امامة جامعه والتدريس به ، وغمره في بحر كرمه ، فدرس بالجامع النحو والفقه وغيرهما ، واستفاد منه جم غفير ، ويروي بعد العصر « صحيح البخاري » ، على كيفية لم يسبق اليها ، وذلك لانه لا يتعبّد بلفظ الحديث ، بل يفسر ألفاظه ، واجمال ما يستفاد منه ، ويسرد الظاهر الذي لا يحتاج الى التفسير ، وأمرني أن الازم درس الحديث ، واعطاني نسخة من الحبس .

وكان رحمه الله عزيز النفس ، أبى الضيم ، عالي الهمة ، ذا قدم راسخ في تحقيق العلوم ، لا سيما الفقه والنحو والبيان والاصول ، ثابت الجنان في قول الحق ، يرى الحق اكبر من كل كبير ، آية الله في الوفاء .

لما طوبل بنقل دروسه للجامع الاعظم ، اجاب بانه امام الخمس بجامع صاحب الطابع ، وان ثياب صاحب الجامع باقية عنده على جيدتها ، فكيف ينسى عهده ، ومن جملة طيلسان من الكشمير أبيض ، كان يقول : « أرجو الله ان اغطى به على نعشي » . ولم يزل في بث العلم ، الى ان قيده السن ، وقدمه المشير ابو العباس احمد باي مفتيا ، فجلس حذو الرئيس ، ولم يتصدر للفتوى ، وامتنحن على سنه بموت اكبر بنيه ، فاستقبل محن الدنيا الدنية ، الى ان طرقه رائد المنية ، يوم السبت الخامس والعشرين (1) من رمضان سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والـف (8 ماي 1858 م) ، وغطي على نعشه بذلك الطيلسان ، وصلى عليه الشريف العالم ابو الثناء محمود محسن ، أمام باب البهور من الجامع الاعظم ، ودفن بتربة آله في الجلاز ، قرب الامام ابن عرفة ، وأعقب ابنا هو الآن من المدرسين ، كثر الله من امثاله .

[332 - حسين خوجة]

الوزير ابو عبد الله حسين خوجة .

اصل هذا الوزير من عمل مدينة نابلي ، ونشأ في تربية الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وسافر معه الى القسطنطينية ، طفلا صغيرا دون الاثغار ، وأسلم في مرسى ساقس ، من غير دعوة ، وكان الوزير كشك حسين قبودان باشا في المرسى ، بالاسطول السلطاني ، فطلب ان يسمى باسمه ، فسماه سيده بذلك ، ونسبه الى ساقس ، وتبناه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وأدخله المكتب ، فنال ما تيسر من القرآن ، وشيئا من الكتابة ، واجهد نفسه في مطالعة الكتب ، لا سيما التاريخ ، ولازم الوزير ملازمة ظله ، وصاحبه في أسفاره ، وهو الذي قدم بشيرا بخبر النصر في محلة سراط ، وانقطع الى الباشا أبي عبد الله حسين باي ، بعد مقتل سيده ، فنال منه حظوة التقريب ، وصاهره على بنته ، وبني له داره المعروفة بباردو ، وسمي باشا مملوك ، ومنه ظهر لهذه الخطة اسم .

ولم يزل يترقى بما يُسمَّى نجابة في ذلك الوقت ، وزاحم الوزير ابا عبد الله محمد العربي زروق حتى غص منه بالريق ، وخلا له جو الوزارة بعد قتله ، برهة من الزمن ، وعيون الحوادث نائمة ، واعلام السعود قائمة ، فجرى في أغراض سيده ، ملء العنان ، من غير توقف ولا اعمال فكسر في شان ، شأن الوزراء لملوك الاطلاق ، وتأنق في اقتناء الظرف ، وسار في ميادين السرف ، وأعانه على ذلك اختصاص الدولة يومئذ بزيوت الساحل ، ثم زوحم بالوزير شاكير صاحب الطابع ، لما توقفت الدولة بسبب السرف في الترف ، وعُدَّ ذلك من سوء تدبيره ، وهو عبد مأمور ، حسبه تنفيذ الامور ، شان الوزراء لملوك الاطلاق ، فاستمال الوزير شاكير الرجال ، وفسح لهم في الامل المجال ، وبقي صاحب الترجمة على حاله ، وظاهر لإجلاله ، وسائر ما له من المصوغ المرهون ، أفنته فائدة الديون ، ثم استدان مالا لا يفي به كسبه ، وظن ان الدولة تدفعه ، وهو في الحقيقة مصرعه .

ولما طلب ارباب الديون اموالهم عند توقف فائدتها بيع فيه كسبه ، وسجن في بقيتها بالصرايا ، ايام المشير أبي العباس احمد باي ، ثم تسرح لطول سجنه .

ومن كسبه كتبه ، اشتراها المشير ، ودفع الثمن للغرماء ، واوقفها بالجامع الاعظم ، كما تقدم في الباب السادس .

وكان كريما لين العريكة ، حسن اللقاء ، فصيح اللسان ، مطواعا لسيده ، غير مفكر فيما ينشأ له من ذلك ، وفي العهد ، صبورا محببا لاهل الحاضرة ، يتبع ما استطاع آثار سيده الاول ومربيه في اصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف ، وقد وقته مصارع السوء .

ولم يزل على هذا الحال ، غير متأسف على ضياع ما له من المال ، صابرا على الاقلال ، شاكرا ربه على اللطف في المآل ، الى ان توفاه الله تعالى في سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والـ (1857/58 م) ، وترك ابنين هما الآن من الاعيان ، لو ساعدهما الوقت .

[333 - محمد المعيل]

أبو عبد الله محمد ابن الحاج محمد المعيل التميمي القيرواني .

من أعيان قبائل الفتح بالقيروان ، نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان العلماء بالقيروان ، كالفقيه الحاج قاسم بو الاجفان ، والشيخ القاضي أبي عبد الله محمد بوراس وغيرهما .

وتصدر للتدريس والتوثيق ، ثم ولي القضاء ببلاده ، ثم انتقل للفتوى .

وكان خيرا ، فقيها عفيفا ، موثقا .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي سنة 1275 خمسين وسبعين ومائتين والف (1858/59 م) .

[334 - محمد الفراتي]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ المفتي

عبد العزيز الفراتي الصفاقسي .

أخذ من علماء بلاده ، كالشيخ مقديش الكبير ، والشيخ الشرفي ، والشيخ علي خليف ، ورحل في طلب العلم لتونس ، فأخذ عن بعض أعلام الجامع ، ثم رجع لبلده ، ودرس وتصدر للتوثيق ، ثم لخطبة الفتوى ، وانفصل عنها .

وكان عالما فقيها ، ذا عفة وصيانة ، الى ان توفي طاعنا في السن غرة رجب من سنة 1275 خمس وسبعين ومائتين والف (الجمعة 4 فيفري 1859 م) .

[335 - احمد الاصرم]

ابو العباس احمد بن ابي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الخير مع أبيه وأخويه ، في خدمة الدولة ، وتدرج الى ان صار وكيلا على رابطة الحبوب ، وهي من الخطط النبوية ، عوض أبي النخبة مصطفى الارناؤوط .

وكان ثقة أمينا ، خيرا عفيفا ، غرا كريما . وامتنحن بموت ابنه ، ثم تخلى عن الخدمة ، ولزم كسر بيته ، وطعن في السن ، وأصيب في آخر عمره بسرقة داره ، وتلونت في شأنها الاخبار .

وتوفي طاعنا في السن ، في اشرف الربيعين سنة 1275 خمس وسبعين ومائتين والف (اكتوبر - نوفمبر 1858 م).

[336 - حمودة الطرابلسي]

أبو محمد حمودة بن احمد الطرابلسي

ولد هذا الرجل بتستور ، وحفظ بها القرآن العظيم ، ورحل في طلب العلم بتونس ، وسكن بمدرسة حوانيت عاشور ، وقرأ على شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وعلى الشيخ أبي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهما . وحصلت له ملكة المشاركة ، وله معرفة بالسير وعلم التاريخ ، حسن الكتابة ، واضطره الحال الى الارتزاق بقلمه ، فكتب في أشغال الدولة كالعلفة والكوشة والغابة وغيرها . وأرسي حاله عند القائد الشهير ابي الربيع سليمان بن الحاج ، فاستكفى به في مهماته ، واشركه في أمره ، موثوقا بأمانته ، حتى انه اودع ختمه عنده ، لما توجه الى الساحل ، خشية تعطيل دفع الاعشار ، ولم يأتين عليه ابنه ، وانتفع كل منهما بصاحبه .

ولما اشتاقت زوجة هذا القائد لاداء فريضة الحج ، وجهها مع ابنه منها ، وخاطب كاتبه هذا ان يحج ناظرا على ابنه .

ثم جذبه الوزير شاكير صاحب الطابع الى الكتابة عنده ، ثم انتظم في ديوان الانشاء ، يسافر مع الوزير للساحل وغيره .

ولما توفي الوزير بقي في سلك الكتاب ، وكان المشير ابو العباس احمد باي يستنجه ، ووجهه مع الوزير ابي النخبة مصطفى خزنة دار لفرانسة .

وكان حسن المحاضرة ، مشاركا ادبيا ، صحيح الفكر ، مصيب البداهة ، كريم النفس ، عربي السجية ، يميل الى السذاجة ، بصيرا بعواقب الامور ، حنكته التجارب ، عارفا بجهات المملكة كاد ان يعرف سائر سكانها ، أعجوبة في ذلك .

ولم يزل حسن الحال ، نبيه الخلال ، الى ان توفي في الحادي عشر من شعبان
الاكزم سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والـف عن سن عالية (السبت 3 مارس 1860 م) .

[337 - محمد بن ملوكة]

شيخنا ابو عبد الله محمد ابن الولي ابي الفلاح صالح بن ملوكة

نشأ هذا الفاضل في بركة أبيه ، المزار بزاويته المعروفة خارج باب القرجاني ،
وحفظ القرآن ، واشتغل بتحصيل العلوم ، فأخذ عن العلامة أحمد بوخريص ولأزمه ،
وعن شيخ الشيوخ وعمدة أهل الرسوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وعن العلامة
ابي عبد الله سيدي محمد الطاهر بن مسعود ، وعن امام المحققين ابي اسحاق سيدي
ابراهيم الرياحي ، وعلا درجة التحصيل ، ولم يلبث ان اقتحم على العويصات أغيالها ،
وطمح الى الغايات فنالها ، وأثمر روضه ، وفاض بالعلوم حوضه ، مع الفكر الحديد ،
والفهم السديد .

ثم تصدر للتدريس ، ونثر الدر الفاخر ، من البحر الزاخر ، وأرى الناس مصداق
قولهم : كم ترك الاول للآخر ، حتى قيل ان علمه وهبي لاكسبي .

ولما برز في ميادين المعارف وجلّى ، واشتهر اشتهاً النهار اذا تجلّى ، اقبل على
نفع الناس ، واختار تعليم القرآن على اسلوب لم يسبق اليه ، فكان التلميذ يخرج من
زاويته حافظاً للقرآن ، عارفاً بالرسم ، عالماً بضروريات دينه ، وتقويم لسانه بالعربية ،
حافظاً لمتون علمية . ويروض أبدانهم خشية السامة بالمصارعة والرماية ، وتلقف الكرة ،
ونحو ذلك مما يحسن بالرجال ، ويدرب على اقتحام الاوجال ، وهو مع ذلك لا ينفك
عن التدريس تارة بجامع الزيتونة ، واخرى بغيره من المساجد القريبة من زاويته ،
واخرى بالزاوية نفسها ، على حسب النفحات (1) .

وانتفع به غالب من يشار اليه في هذه المملكة . اذا استفتح الدرس ترى البحر
العجاج ، والواابل الشجاج ، يوضح الغامض ، بفكر يسبق البرق الوامض ، وله قدم
راسخ في الفرائض والعلوم العقلية ، كالحساب والهندسة ، وله في معارف التصوف
ذوق واطلاع ، ورسوخ قدم وطول باع ، تقف دونه الاطماع .

(1) النفحة : ميل الساعة (لهجة تونسية)

وخوطف في القضاء والفتوى ، فأعانه الله على الامتناع ، وخوطف لامامة الجامع فامتنع بظرف ، وهو أن لا يغير زيّ لبسه الى زيّ الايمة ، لانه كان يلتحف بالحرام ، ويلبس الخشن ، ولا يعتّم بعمامة الفقهاء .

وزاوية منزله العلماء والأتقياء ، ومرتع الأدباء والاذكياء ، وهو مع ذلك يجالس تلاميذه مجالسة الاقران ، ويجاريهم في ميادين العرفان ، وربما باشر معهم الرماية ، وكان فيها آية ، وهو على فضله وجلالاته ، يباشر ما يلزمه ، ويخدم ضيفه ، ويناولهم الطعام بنفسه ، ويحب شاته ، الى غير ذلك من اخلاق الصالحين ، وسجايا الزاهدين .

وكان رحمه الله صالحا معتقدا ، عالما فصيحاً ، تقيا نقياً ، ذكيا نزيه النفس ، محتقرا للدنيا ، صبوراً سليم الصدر ، يعفو ويصفح .

بلغه أن العلامة القاضي اسماعيل التميمي ذكره في مجلسه ، بما ينقص مقامه ، فأثاه الى داره ، وقال له : « بلغني ما ذكرتي به ، واني أقبح مما ذكرت ، واثبتك لتعلم أنني ساحتك في الدنيا والآخرة ، فقل ما شئت ، وانت في حل مني ، لانك من الاشراف ، ولا احب ان الله يعاتب شريفا من اجلي » ، فخجل الشيخ ، وتسامحا ، غفر الله لهما ، وصار الشيخ اسماعيل بعد ذلك يعبر عليه بالولي في لسان الشرع .

وكنت من تلاميذه الساكنين بزاويته ، وشاهدت من حسن أخلاقه وعبادته ، ما يستوقف القلم .

فكان يصلي بنا العشاء ، ثم يدخل داره ، ويخرج في جوف الليل الى جهة القرجاني ، في زي اختفاء ، ليصلي ، ويأتي قبل الفجر ليوقظنا للصلاة بقوله رافعا صوته : « قرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا » .

وكان متواضعا على تلك الرفعة ، جميل الظن بالناس ، وله صدقات سرية وجهرية على فقراء يأتون الزاوية للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حسن اللقاء ، ممتنع المحاضرة في غير الشعر ، ما شئت من ظرف وعلم ودين ، وتقدم في مستحسن الميادين ، وعلو نفوس الزاهدين ، ووقار المهتدين ، وانقطاع العابدين ، وثقوب فكر المجتهدين .

ولم يزل معظما عند الملوك ، محببا للعامة ، يقصدونه في استشفاء مرضاهم ، والتميم بأسبابه في كشف بلواهم ، الى ان ارتحل من دنياهم ، ولحق بالرفيق الاعلى ، وترك

الاخبار الجميلة تتلى ، وذلك في منتصف نهار الجمعة الثامن والعشرين (1) من شوال سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والـف (18 ماي 1860 م.) ، ودفن بزاويته قرب والده ، وحضر جنازته صاحب القانون المشير ابو عبد الله محمد الصادق باشا باي ، في آل بيته ورجال دولته ، وباشر بنفسه حمله من بيته الى نعشه ، وصلي عليه بالجامع الاعظم امام باب البهور ، ولم يعقب ولدا ذكرا ، لانه امتحن بموته ، وانما اعقب شرحا نفيسا على « الدرة » في الفرائض ، لم ينقطع به عمله ولا اسمه ، مع ما بثته من العلم في صدور الرجال ، قابله الله بالرضوان والاجلال ، ورحمه ورضي عنه ، آمين .

[338 - صالح الغنوشي]

الشيخ أبو الفلاح صالح الغنوشي السوسي .

نشأ هذا الفاضل بسوسة ، وأخذ عن الاعلام من مشيخة الاسلام ، وكان شيخنا أبو الفداء اسماعيل التميمي يطيل الثناء على علمه ، ودقة فهمه ، وتولى الخطط العلمية كالتوثيق والفتوى والخطبة بالجامع الاكبر في بلده ، وصار رئيسا بالمجلس الشرعي في بلده ، بعد ان درس فافاد ، ونفع العباد ، وتضلع من منهله الوارد ، وعد في المملكة من الافراد ، والحفاظ النقاد .

وكان موثقا ، متبحرا في الفقه ، عالما في غيره ، مطالعا جيد الحفظ ، بارع التطبيق ، كريم النفس ، عالي الهمة ، ذا مهابة ووقار ، مع حسن اخلاق واستبشار . ولم يزل مقصودا للافادة ، معروفا بالحفظ والاجادة ، الى أن ألقى بيد المنية المقادة ، في شوال سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والـف (افريل - ماي 1860 م.) ، رحمه الله .

[339 - محمد النيفر]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن احمد النيفر .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، على عفاف وصيانة ، وهو من بيت شرف أصله من صفاقس ، فحفظ القرآن العظيم ، وشمر في طلب العلم عن ساقه ، واستخراج ثماره

من أوراقه ، فقرأ على شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا أبي العباس سيدي احمد الابي ، وشيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بيرم الثالث ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد المناعي ، وشيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن الخوجة وغيرهم .

وانقطع الى العلم انقطاعا كلياً ، ونبت ما سواه ظهرياً ، فلم يلبث ان سبق الاقران ، وفاق من تقدمه بأزمان ، والعبد الفقير ممن تقدمه ، ويقر له بفضيلة التقدم ، والمتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبَسي زور ، فحصل واستفاد ، واقتنى من كنوز انقطاعه ما لا يُخاف عليه النفاق ، بفكر وقاد ، يومئذ به الى الشوارد فتنقاد ، ملقية للمقاد .

ثم تصدر للتدريس ، فانهل ودق العلم وانثال ، ونسج على غير مثال ، ما سرى مسرى الامثال ، بفصاحة سحباتية ، وبلاغة حسانية ، وابدع في لقاء العلوم ما شاء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

درس « تفسير القاضي البيضاوي » بالجامع الاعظم ، فجلّتي في مضمار الانظار ، وأتى بما يزري بالنصار ، فكأن يتلو الآية من حفظه ، ويأني بجميع ما يمكن ان يقال في تفسيرها من حفظه ، ولا كتاب معه ، يظن سامعه انه يؤلف في حاشية على التفسير ، ويقول في الدرس ما كتبه ، جلوسه في الدرس بخشوع ووقار وسكينة ، لا يستعين في تقريره باشارة يد . وكان شيخنا أبو عبد الله محمد بن الخوجة اذا رآه على تلك الحالة ، يقول لنا : « هذا معنى راحة العلم ، لان مسائل الدرس صارت في نظره كالضرورة » .

وتقدم لخطبة القضاء بالمحلة ، وكاد ان لا يقبلها ، لولا الزام شيخه ابي عبد الله محمد بيرم ، وهو الذي أشار بولايته ، وكتب للباي في ذلك بخطه ، فسافر قاضياً ، وهو على السداجة العلمية الدينية ، يرى الحق أعظم من كل عظيم ، فرفعت اليه مظلمة من الكاهية صالح بن محمد في أمر سياسي فأقر ، لما يرى انه غير مؤاخذ باقراره ، فحكم عليه برد الحق او السجن ، فبعث اليه باي المحلة ، وهو يومئذ ابو عبد الله محمد باي ، كاتبه البارع الاديب صاحبنا أبا عبد الله محمد الباجي المسعودي يلاطفه ، بما محصله : « ان هذا الرجل ، والحالة هذه ، أمير جيش في خدمة ، وانا لا أقدر على سجنه ، الا باذن خاص » ، فقال له : « انا قلت ما لزمني ، وله النظر في السجن وعدمه » . ولما

رجعت المحلة قدم الباي المشير أبو العباس احمد غيره للخطبة ، فاستراح ، وأقبل على دروسه ، ومجالسة كسبه وطروسه ، والتلذذ بمألوفه ومأنوسه ، وفرح بنجاته من مزلق الاقدام ، وحبائل الخصوم ، الى رياض الجنة وثمرات الفهوم . وترقب الباي ، لَمَّا فعل فعلته ، متزلفا او مداهنا يحسنها ، او يَشِينُ الرجل ، بعدم السياسة ، فلم يسمع الا السكوت ، فندم ولات حين ندم .

وكان مهما تذكرها ، يقول : « فعل ما يجب عليه ، وابقى لنفسه فخرا » . ثم داوى استعجاله ، وكان من السياسة بالمكان المكين ، فقدمه لخطبة القضاء بالحاضرة ، وكانت ولايته يوم ولاية شبيهه ابي عبد الله محمد البَسَّاء للفتوى ، واحضر يوم ولايتهما رئيس المفتين ، وبركة المصر شيخنا ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، فقال له بمحضر الملأ من الديوان : « أصبت في انتخابك ، لا زلت تصيب ، هما خير أقرانهما علما ودينا » ، وناهيك بهذه الشهادة ، من ذلك العدل ، في ذلك المشهد ، فقبل الولاية بعد لأي وما كاد ، وقام ما استطاع لحق الله وحق العباد ، بدين متين ، وشدة مكسوة بلين ، أعانها الانصاف ، والقناعة بالكفاف .

ثم انتقل لخطبة الفتوى ، فزانها بالتقوى ، واعتماد القول الاقوى ، مع غيرها من الخطط العلمية .

وكان رحمه الله تقيا عفيفا ، نقي العرض ، موثرا لحق الله ، سالكا نهج الصالحين ، متضلعا بالعلوم ، واسع الصدر ، يعفو عن ظلمه ، بعيدا عن الفضول ، محبا الى الناس ، وحبهم موصول بحب الله ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على تلك الرفعة المكيينة ، منشورة عليه بركات مكة والمدينة ، ما شئت من كرم اخلاق ، وطيب اعراق ، وعلو همة ، ونفس بمعاها مهتمة ، وادراك ماضية نصوله ، وتحقيق علت فروعه وطابت اصوله ، ومحاضرة كالروض لما اعتدلت فصوله .

حج الفريضة وتطوع بثنائية ، وثالثة ، وحمل أمانة الحرمين الشريفين في سفين الدولة ، اعتناء بشأنه ، وثبطته في الحجة الثالثة ، وقلت له : « درس التفسير المتعدي نفعه خير من التطوع بحجة مقتصر ثوابها عليك » ، ولما أكثرت عليه من الالحاح ، لِمَا رأيت من قوة عزمه ، قال لي : « أريد ان أدفن في البقيع » ، أو « لا تحرمني من مدفن البقيع » ، نسيت اللفظ ، وهو يدور على هذا المركز ، وحقق الله رجاءه ، فانتقل الى

ما عند الله ، وهو خير وأبقى ، يوم الأحد الثاني عشر (1) من محرم فاتح سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـف (29 جويلية 1860 م.) ، وصلي عليه بالمسجد الحرام النبوي ، ودفن بالبقيع ، بمقربة من قبة الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وأعقب أولادا تخلقوا بخلقهم النفيس ، زانوا المجالس ، وحلق التدريس ، وعضدوا مجد النسب ، بمجدهم المكتسب ، كثر الله من أمثالهم .

واخوته سلكوا نهجه في العلم والقضاء والفتوى ، كثر الله من أمثالهم .

[940 - كشك محمد الداي]

أبو عبد الله كشك محمد السدي .

أصل هذا الرجل من الارناووط ، قدم لهذه الحاضرة ببضاعة يتجر فيها ، وهو صغير ، وكان خاله من عسكر البحر في حلق الوادي ، فاستقل بضاعته ، وقال له : « انت في قوة شبابك ، لم لا تثبت نفسك في ديوان الجند » ، فامتنع ، فنسبه الى الجبن ، وقال له : « اين اخلاق التجار ، من اخلاق الصبر والثبات في المخاوف ؟ » ، فانف من ذلك ، وثبت في الجند ، وسافر اثر ثبوته في شقف حربي للغزو ، فحمدت شجاعته .

ولم يزل يترقى الى ان صار قبطان البحر ، وهو رئيس الرؤساء في البحر ، وخرج أميراً في الاسطول الذي حرق باورين (2) .

وسافر الى الدولة العلية العثمانية مرارا ، وقضى أوطارا . وكان المشير أبو العباس احمد باي يعرف درجته ويستكفي به ، الى ان اولاه خطة الداي ، وقال له يوم الولاية : « أمتثل أمرك في كل خدمة ، وأعرف ما لهذه الخطة من العادات والظروف الفارغة ، التي منها أن تقدم اليّ ، ولا آتيك الا باذن ، وهو اشدها علي ، وان يكون الترجمان هو الرسول بيني وبينك ، وان لا اتوجه لموضع الا باذن خاص كالمسجون ، الى غير

(1) هو 10 حسب التقويم

(2) يريد نافرين او ناورين ، وهو خليج في اليونان وقعت به معركة بحرية في 1827 (1243 هـ) انتهت بانتصار اساطيل بريطانيا وفرنسا وروسيا على الاساطيل العثمانية قال الشيخ بيزم في الصفوة (ص 136 ج 1) : « وفي سنة 1243 (1827 م) ارسل حسين باشا سبع سفن اردفها باثنتين لاعانة الدولة على حرب اليونان ، واحترق مع جملة سفن الدولة ومصر والجزائر بعمل اساطيل الدول ... » ولم يتعرض ابن ابي الضياف لهذه الواقعة في قسم التاريخ .

ذلك ، فان أعفيتني من هذه الامور ، بان تقدم اليك متى اردت ، وأقبل يدك كسائر وزرائك ، وأقوم معهم بين يديك ، واتوجه حيث شئت ، فاني خادملك ، تضعني فيما تراه ، والا فاني في خدمتي بحلق الوادي ، شاكرًا لله ، محسوبًا من الاعيان » ، فقبل منه المشير ذلك بسرور ، واذن له في التوجه حيث يشاء ، بشرط ان لا يبيت خارج الحاضرة ، لان حراستها في عهده ، فقبل الولاية بالمحمدية ، واطلقت عليه المدافع لما خرج ، وقلت للمشير : « ان هذا اشترط ان لا يكون مثل الدايات في عاداتهم ، ومن عاداتهم ان لا يزورهم احد منا الا باذن خاص ، فلا استأذنك حينئذ في زيارته ، لان لي معه صحبة ، أحكم ربطها السفر في البحر » ، فضحك وقال لي : « لك ولغيرك الاذن في ذلك مهما أردتم » .

وكان خيرًا وجيها ، عفيفا ذا همة عالية ، وشجاعة وصبر ، صادق اللهجة ، سوي الظاهر والباطن ، عزيز النفس ، آية الله في الوفاء والنصح ، وآداب المعاشرة .

ولم يزل معظمًا مكرما ، مشكور الخدمة ، موفى الحرمة ، الى ان توفي يوم الجمعة الحادي والعشرين (1) من صفر سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـف (7 سبتمبر 1860م) ودفن من الغد بزواوية سيدي احمد بن نفيس من السلسلة (2) ، ولم يتخلف عن جنازته أحد من الاعيان .

[341 - محمد بن محمد الاصرم]

الوزير ابو عبد الله محمد ابن الوزير ابي عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجيه في بيت مجادته ، ونجم في أفق سعادته ، راضعا من الدولة ثدي نعمائها ، مستنيرا بضيائها ، ولسلفه في خدمتها اختصاص قديم ، ومزايا اقتضت التقديم ، فأقبل على العلم في شبابه ، واتى المجد المكتسب من بابه ، فأخذ عن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهما . وحصل ملكة في النحو والبيان ، والحساب والعلوم الرياضية كالفلك ، وشيء من الفقه .

(1) هو 20 حسب التقويم

(2) هي مقابر قديمة كانت متسلسلة داخل سور المدينة ابتداء من ضريح سيدي علي بن زياد الى ما يسمى الان باب الجديد .

وولسع بقرض الشعر، وحاك منه ما يستحسن ، ويضرب في صناعة الانشاء بسهم .
استكتبه الباي أبو محمد حمودة باشا في صغره ، فرغب عن ذلك ، واختار الاقبال
على شأنه ، واجتناء ثمر العلم من أغصانه .

ولما توفي والده قدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي كاهية لعمه أبي النشاء محمود ،
وتخطى أعناق من تقدمه كشيخنا أبي عبد الله محمد المناعي ، وأبي الربيع سليمان
المحجوب ، وهما من فرسان الانشاء يومئذ ، ثم تقدم لرئاسة القلم بعد وفاته (1) ،
فكانت الرئاسة له ، والقلم بيد غيره ، ولا أقول عن قصور ، الا انه يكتب كما يريد ،
قياسا على حوك الشعر ، لا كما يراد منه ، وهو سر قلم الانشاء .

ونال في دولة المشير أبي العباس احمد باي جاها واقبالا ، وأفاض عليه من صنوف
الانعام سجالا ، وبلغ من الخطوة والاجلال آمالا ، واختص بوزير الدولة يومئذ أبي
النخبة مصطفى خزنة دار ، ثم نافر ، ونبذ الخدمة ، مُدَّلاً بتوقف الامر عليه ، ولا
سبب يقتضي استرضاءه أو اقصاءه ، فأقبل الوزير يسوس أحوال الدولة بمن يستكفي
به ، وللشيخ اسم الخطة ، فانتخب كتابا للحسبان ، وآخرين للانشاء ، فجرت احوال
الدولة على منهاجها ، وصدقت مقدمات انتاجها ، فأنف الشيخ لذلك وارتمض ، وهكذا
كل من يرى توقف شيء عليه ، وانحجز في داره ، مستوحشا حتى من جواره ، وساءت
ظنونه ، وتوقع المكروه ، وحفيده بين يديه طوع امره ونهيه ، وابنه خارج عنه ، حتى
انه لم يأت مخدمه عند سفره لفرانسه ، ولا يوم قدومه ، ولا عزاه في موت أمه ،
فأثر ذلك فيه ، وغلبه ما جبل عليه من الاحتمال ، والتجاوز عن زلات الرجال ، ولما
مرض أتاه الى المحمدية ، فلم يجتمع به .

ثم جاءت دولة المشير أبي عبد الله محمد باي فجاءه للبيعة ، وتعرض للخدمة ،
واستأنف لها عمرا جديدا ، يقال للحاجة في نفسه على الوزير أبي النخبة مصطفى خزنة
دار ، ولما ايس منها ، ترك الخدمة واعرض عنها ، ولازم ظل جداره ، وانقبض في
كن داره ، على جراية خطته من الدولة ، مرموقا بعين اجلال واحترام ، على ما للخطة
من المقام .

(1) اي بعد وفاة عمه

وكان فقيها مشاركا ، أدبيا عالي الهمة ، منصفاً عزيز النفس حتى أفرط ، أبيّ الضميم ، صعب المقادة ، حتى نسب للشدة في غير محلها ، مشغولاً بخويصة نفسه ، حتى عن آله وبني جنسه ، ضيق الصدر ، حافظاً لحطام دنياه ، إلا أنه يعين على نوائب الدهر بالقرض ، غير غافل عما يجب من إنظار المعسر ، مقتصدًا في معيشته . يقال إن والده قال فيه ، مع شدة حبه له ، إذ هو أكبر بنيه ، واحقهم بالحب : « إن ابني سيدي محمد أمة برأسها » . وقال فيه ابنه : « إن أبي نافر أباه وأخوته ومخدومه ، فانا معهم » . ومع ذلك فلم ينقل عنه شر ، ولا تسبب لاحد في ضرر ، وله أن يفعل في نفسه بما يراه ملائماً ، وإن خالف عقول الناس ، إذ رضاهم غاية لا تدرك ، وله وجهة إلى الله ، يقول الخير أو يصمت .

ولم يزل على حاله ، في احترامه واجلاله ، متجملاً بخلاله ، إلى أن توفي رحمه الله يوم الجمعة العشرين (1) من شوال سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـ (3) ماي 1861 م. ، ودفن بمقبرة أبيه من الجلاز ، وحضر جنازته أمير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي ، ومعه أخوته ورجال الدولة ، وأعقب ابناً سعى في هدم المبنى من مجده ، وحفيداً اقتفى أثر جده ، وهو الآن من الأعيان ، وكل من عليها فان .

[342 - مصطفى صاحب الطابع]

الوزير أبو النخبة مصطفى صاحب الطابع.

أصل هذا الفاضل من القرجستان ، أهده القائد أبو الثناء محمود الجلوي إلى الباي أبي محمد حمودة باشا ، وهو صغير السن ، كبير العقل ، فنشأ في الخدمة بين يدي سيده في الصرايا ، وكان يستنجه ، ويثق به على حداثة سنه .

ولما توفي سيده عتق مع سائر من عتق من الممالك ، وأراد الخروج من الصرايا مع أبي النجاة سليم ، المتقدم ذكره ، فمنعه الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ضنا به ، لأنه رأى فيه مخائل الصدق والنجابة ، وضمه إليه في علوه بباردو ،

ثم ضمه الى ابن البايع عثمان أبي الفلاح صالح باي ، فقربه في تلك المدة القصيرة ، وأبلى ليلة الثورة البلاء الحسن ، سمعت ذلك ممن حضرها .

ولما جاءت دولة الباشا ابي الثناء محمود باي ضمه الى ابنه مصطفى باي ، ولقبه بصاحب الطابع ، ولازمه في سائر أسفاره بالمحال ، واستكفى به في أموره ، وقربه نجيا ، وفتح أذنه لرأيه ، وجعل لنظره تربية ابنه أبي العباس احمد باي ، فكان يجالسه مجالسة الصاحب ، ويفيده في صورة محادثة ومؤانسة ، وهو الذي حضه على معرفة التاريخ ، وأخبار الناس ، ويقول له : « الجهل في نفسه قبيح ، وهو في عظماء الناس أقبح » ، سمعت ذلك مرارا من المقول له .

وله عند الباشا حسين باي منزلة نبهية ، يُحضّره في مجالس مشورته ، ويعتبر رأيه ، ويبني على اساس تدبيره ، فوزّاه في هذه الدولة وزان الوزير الشهير ابي النخبة مصطفى خوجة (1) في دولة البايع أبي محمد حمودة باشا ، يقتدي به الكبير والصغير ، ولا يقطعون أمرا دونه ، تيمنا برأيه ، وهمّة صلاح ذات البين بين الاخوين ، وسائر اهل هذا البيت ، حتى ان شيخنا العلامة ابا عبد الله محمد بيرم الثالث يسميه بقية السلف الصالح .

وصاهره البايع مصطفى باشا على بنته ، وبنى بها في داره ، قبيل وفاته ، وأوصاه على بنيه وبناته ، في مرض موته ، فكان فوق الظن ، حنا عليهم حنو الام على الفطيم ، حتى زوجهم ، وقال لما تزوجت الاخيرة ، بالوزير الخطير أبي النخبة مصطفى خزنه دار : « الآن ملكت أمر نفسي » .

وبالجملة ، فعل مع اولاد سيده أكثر مما يفعله الاب البر والام الشفيقة .

وله فراسة في الرجال تكاد لا تخطيء ، والمؤمن ينظر بنور الله ، كان يتوسم في أبي عبد الله محمد خزنه دار ، وفي أبي محمد خير الدين ، ما رأينا منهما الآن ، وكان يجلسهما بين يديه ، ويحدثهما ، ويسألهما كالمسترشد ، ويفتح أذنه لجوابهما ، وهما في اول سن الشباب ، وشأوه لا يلحق في السياسة ، وغوره فيها بعيد ، لم يتجه عليه انكار ولا اعتراض ، في سائر ما باشره على اختلاف الاغراض .

(1) في خ و ع : خزنه دار ، وهو خطأ (انظر ج 3 ص 12)

وسافر في غرض سياسي الى الجزائر اثر أخذها ، ومعه الاكتب البارع ابو الربيع سليمان المحجوب .

ملاً حب الوطن قلبه ، وخامر لبه ، يوتر عادات البلد ، في النفس والولد ، يقدم المصلحة على نفع ذاته ، وسائر لذاته .

لما جلس ابن تربيته المشير ابو العباس احمد باي على أريكة المملكة ، رأى (1) ان يوتر بوزارته ابا النخبة مصطفى خزنة دار ، لاسباب قررهما لمحبيه ، منها ان سيده يحبه ، والانسان ينقاد بالطبع الى رأي من يحبه ، ومنها أنه رأى في هذا الرجل مخائل النجابة ، واسباب التقدم ، فأراد أن يضم له عقل الممارسة والتجريب . ولما امتنع من القبول كلمه ، وأغلظ له في القول ، فأبى ان يتقدم ، فاستأذن في التوجه لتفقد احوال الساحل ، وقال له : « ها أنا مسافر ، فان تقدمت لخدمة سيدك الذي ربك في حجر أمه ، فعلت بعض ما يجب عليك ، والا فالبس جبة العقوق » ، فتقدم عن كره خوفا من وصمة العقوق .

وتقدم لهذا الفاضل ذكر في الباب الخامس والسادس ، والآثار تغني عن الاخبار . وكان خيرا فاضلا ، سليم الصدر ، صبورا ، غاض الطرف عن المعائب ، كريم النفس ، عالي الهمة ، حسن الخلق ، ندي الكف ، قل ان تجد واحدا ممن عاصره ليس له فضل عليه ، ولذلك لم يتمول كأمثاله ، شجاعا ثباتا ، جيد الفهم ، ثاقب الفكر ، لو أوتي فصاحة على قدر فكره ما جرى لاحق في مضماره ، يحب التاني والرفق ، متخلقا باوصاف الكمال والخير ، لم يحفظ عنه انه تسبب في ضرر ، بل يحتمل المضرة ، ويصفح .

اشتكى به القايد محمد بن سليمان بن الحاج في نازلة بالمحكمة ، لو سمعها أنصفه قبل الشكاية ، وأساء الادب معه ، ونال منه ، كأنه مغرّى به ، فاحتملها ، وتجاوز له ، ولما عضه الدهر رق له وأعانه ، وذكر لامير الوقت سلفه في الخدمة ، واستعطفه الى مؤاساته وجبره . ولامه بعض خواصه في ذلك ، فقال : « سبحان الله ، المؤمن لا يُصير على حقد » . الى غير ذلك من أخلاق الاخيار .

يحب العلماء ويعظمهم ، ويعرف معنى العلم وثمرته ، وان لم يكن من اهله ، يقول الحق ولو على نفسه . استشار المشير رحمه الله رجال دولته في أمر ، وكان هو وجه الجماعة ، فقال للمشير : « أي شيء تشتهي [سيادتكم ؟] » ، فبين له مراده ، وانفضّ الجمع على غير رأي . ولما خرجنا انكرت عليه قوله : « أي شيء تشتهي سيادتكم ؟ » [قلت له : « لو أراد شهوته لفعلها بدون مشورة » ، فقال لي : « اذا غالطنا أنفسنا ، لا نغالط ربنا ، وهو أعلم بنا منّا ، ناشدتك الله ، أترى خدمتنا مقصورة على المصلحة ، وما يقتضيه العقل والتجربة ، من غير اعتبار لشهوة الملوك ؟ أترى نفسك في فرانسايها الشيخ ، ودليل ذلك عدم نتيجة هذا الجمع » ، فلم اجد جوابا .

يُحِبُّ المساواة في الحكم ، كانت له غنم ببستانه المعروف بسبالة الكاهية ، فأكلت غلة الزيتون المجاور له ، فرفعت الشكاية للمشير ، فقال له : « ما افعل يا أباي ؟ » ، فقال له : « الواجب عليك ان تفعل ما تفعله مع اقل الناس » ، فقال له : « نعم نطبع الغنم ، ونطعمها للعسكر على العادة » ، ففرح ، وباع الاذن في طبعها بنفسه ، سرورا بلذة التساوي .

ولما وقع عهد الامان والقانون ، قال : « هذا ما كنت اهتف به منذ عرفتكم » ، يشير الى ان ملك الاطلاق لا يكون الا لله ، وان القانون لا محيص عنه ولو بعد حين ، « وارى انه تجدد ملك لاولاد حسين بن علي بهذا القانون في هذا القطر » .

وكان ذا ولوع بمقدمة ابن خلدون ، حتى كاد يحفظ محل الحاجة منها ، وصار رئيس المجلس الاكبر ، وهو مجلس الشورى .

وكان لا يستحسن صرف العناية في التحسين والتقليد ، ويقول لنا : « بقدر العناية بهذه الزوائد تضعف العناية بالاصل ، والتحسين جاء لاهله شيئا بعد شيء » ، وهذا شأنه في النصيحة .

وكان ابن العريكة ، طلق الوجه ، يغلب عليه الصمت ، لقصور فصاحته ، متوددا الى الناس . أناه ابن صلبه ليقبل يده ، ونحن معه ، في انتظار خروج الباي صباحا ، وقد صدر امر يتحجير تقبيل يد غير الباي ، فانتهره وقال له : « ألم يبلغك الامر ؟ » ، فأجابه الابن بان التحجير في غير الآباء ، فقال له : « انت الآن في محل خدمة ، وأنا وأنت كسائر رجالها ، كل على حسبه ، فاذا صرنا الى دارنا تمحضت الابوة والبنوة ،

وهؤلاء الناس كل واحد منهم يراني كأبيه ، وأراه كابني ، ولا أوثرك من بينهم ، وفيهم من يعزّ عليّ مثلك ، وأكثر منك ، باعتبار ما فيه من النفع لهذه البلاد » ، الى غير ذلك من اسباب المودات ، ولو من الحساد العداة .

وكان آية الله في الوفاء ، فعل مع دار الجلولي من الاعانة على نوائب الدهر ، ما بعد العهد بمثله في أخبار الوفاء ، يعرف ما للبيوت النبيهة من المنازل ، سواء في ذلك الحواضر والعربان .

ركبه دين في أواخر امره ، اضطر فيه الى بيع الربع والعقار ، وذلك في دولة أبي عبد الله محمد باي ، فأخذ الله بيده ، والله يأخذ بيد الكريم ، وأتاح له من غيرة الوزير أبي النخبة مصطفى خزنة دار ما فرج كربه ، وأدى أكثره من ماله ، وان فعل معه في أوائل هذه الدولة ما لا يقتضي ذلك ، مما لا يعد الا على مثله من الافاضل ، ومن الذي ما ساء قط ، ومن له الحسنى فقط .

ثم لم يزل بالغ الامنية ، رافلا في أوصافه السنية ، واعماله الدالة على خلوص النية ، والسياسات على رأيه مبنية ، والاجلال يرد عليه من كل ثنية ، الى ان وافاه رائد المنية ، عشية يوم الجمعة سلخ شوال سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـف (10 ماي 1861 م) ، وحضر جنازته أمير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي وآل بيته ، ودفن بالتربة الحسينية ، وهو الذي قبل عزاءه ، وتولى رئاسة المجلس الاكبر عوضه الوزير أبو محمد خير الدين ، الذي كان يستنجه ، وهو كاهيته .

[343 - محمد علي آغة]

أبو عبد الله محمد علي آغة

أصل هذا المملوك من جنوة ، وأسلم صغيرا ، وتربى في الخدمة في الصرايا عند الباشا أبي عبد الله حسين باي ، وأجراه خلف ابنه حتى كبر ، وسافر معه في المحلة من جملة المماليك ، وقدمه الباشا أبو النخبة مصطفى باي آغة وجق ، عوض أبي عبد الله محمد شولاق ، لما قتل الوزير شاكير صاحب الطابع .

وتدرج في الخدمة وساعده البخت ، وتولى الاعمال كوطن رياح ، والوطن القبلي ، واشتدت وطأته على أهل عمله ، وعاث في أقارب شيخنا بركة العصر سيدى

ابراهيم الرياحي ، ولم يرع فيهم إلاّ ولا ذمة . وسبب ذلك انه طلبه رجل بحق شرعي عند الشيخ ، فبعث له الشيخ يعلمه ليحجب ، فأنف من ذلك ، وصدرت منه مقالات ، انتقدتها عليه اهل العقل والكمال ، من بني جنسه ، وسقط من أعينهم . ثم ان الشيخ لم يرفع به شكاية ، وانتصف بالله القوي المتين ، وذلك ايام مرض المشير أبي العباس احمد باي .

ولما دالت الدولة لابي عبد الله محمد باي ، وهو عامل بالوطن ، اشتد على رجل من اهل الوطن ، وضربه ضربا مبرحا ، حتى اشرف على القتل ، فشكاه أهله ، فكتب اليه برفع يده ، وحلف اذا مات المضروب ليقبلته به ، وقدم منكرا لفعل الباي فمرض . وكان عسوفا جريئا ، متهورا على الاحكام الشرعية ، ضيق الصدر ، فارسا راميا ، وأصيب ببصره في مرضه الطويل ، الى أن تمنى له أحبابه الموت . ويقال ان الرجل الذي ضربه مات ، فصالح صهره الاولياء على مال ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وتوفي ببستانه بمنوبة سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـ (61 - 1860 م) ، ودفن بزاوية سيدي عبد الوهاب ، سامحه الله وغفر له .

[344 - احمد حافظ خوجة]

أبو العباس احمد حافظ خوجة

أصل هذا الرجل من قبرص ، وحفظ القرآن ببلده ، وسمي حافظا على عادة الترك ، ثم قدم الى اسلامبول لقراءة العلم ، وسكن بعض المدارس ، ورام زيارة بلده ، في بعض ايام البطالة من الدروس ، فصار يأتي الى المرسى باسلامبول ليجد مركبا متوجها لبلده ، وفيها سفن لتونس لجمع العسكر ، على العادة السابقة ، فقابله الرايس علي العشي ، وقال له : « انا أحملك الى بلدك في سفينتي بلا كراء ، لان مروري عليها » ، فحمله ، ولما خرج به من البوغاز ، قال له : « انا متوجه الى تونس » ، فجاء به ، ورسم في دفتر الجند ، على عهد الباي أبي محمد حمودة باشا على كره ، وخدم في صناعة القلم خوجة ، وبعد عام أتى الباي يطلب التيسريح لبلده ، فقال له الباي : « اني متوجه في العام المقبل

الى اسلامبول ، واحملك معي بلا كراء ، كما قدّمت » ، فرجع الى القشلة مسرورا ،
وأخبر رفقاءه من الجند بهذا الوعد ، فضحكوا من جده ، وأعلموه بغلظه ، فصبر .
وترقى الى ان صار باش خوجة في المحكمة ، ثم باش خوجة الديوان ، وانحصر
فيه ، على قصوره ، القلم التركي .

وسافر للقسطنطينية مع الوجيه محمد امين باش خوجة .
وسفر لمصر عن الباشا أبي عبد الله حسين باي ، بهدية اعزى مصر ، الطائر
الصيت محمد علي .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا غرا كريما ، حسن الاخلاق ، جميل المعاشرة ، بعيدا
عن منازع الفضول ، لين العريكة ، وفيا بالعهد .

واعتراه مرض قبل وفاته اقعده عن الخروج من محله ، الى ان توفي يوم الخميس
الثالث عشر (1) من ذي الحجة سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـ (20) جوان
1861 م. ، واعقب اولادا تخلقوا بخلق أبيهم ، من أمثال اهل الحضرة .

[345 - سليمان الحسنى]

أبو الربيع سليمان بن خالد الحسنى

هذا القائد من نبهاء بيوت القائد حسن ، مملوك مراد باي ، نشأ في خدمة الدولة على
عادة آله ، وتسلم ذرى الاعمال النبيلة في العروش كدريد وغيرهم . وله عند مخدمه
الباشا ابي عبد الله حسين باي مكانة وقربى ، يجالسه ويسامره .

وكان وجيها كريم النفس ، ندى الكف ، حسن اللقاء ، فطنا لبيا ، فصيح
اللسان ، حلو المحادثة ، جامعا بين سداجة العرب وحذق الحضارة .

ثم تراجع به الاقبال ، ورمته الليالي بالنبال ، وافضى حاله الى الاضمحلال ،
والدنيا لا تدوم على حال ، وتوفي بحال اقلال سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـ
(61 - 1860 م.) .

[347 - محمد پیرم الرابع]

ودرس بالجامع الاعظم ، والمدرسة العنقية والباشية ، وتقدم لخطبة الفتوى ، عند وفاة جده ، مرؤوسا بأبيه ، فأخذ رايها باليمين ، وسابق في ميدانها السابقين ، وعُدَّ فيها من الراسخين ، وعارض أباه في مجالس الحكم بما أوتي من حدة الفهم .

وتقدم للخطبة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فجلّسى في ميادين الخطباء ، كما جلّسى في ميادين الادباء .

ثم انتقل لخطبة الجامع اليوسفي ، وكان المشير أبو العباس احمد باي يستشير ويدينه ، ويسرع الى بلوغ أمانيه ، ويصله بما يغنيه ، وبكل إجلال يعنيه .

وامتحن في آخر أمره ، بما امتحن به جده ، وهو انتخاب عدد معين من الشهود ، فسخطه كثير من اهل البلاد ، وسلقته الالسن الحداد ، وأنّى للمخلوق وارضاء العباد .

وذلك ان ابا عبد الله محمد باي كان ينكر كثرة الشهود ، ويراهم مفسدة ، ولما دالت الدولة له ، تكلم مع الشيخ في ذلك ، وقال له : « ان الحاضرة لا يكون فيها أكثر من مائتي شاهد ، وبلدانها على حسب اتساعها » ، وأمره بانتخاب المائتين في الحاضرة ، فثقل عليه ذلك ، وقال له : « الاولى ان يتقيد سائر من في الحاضرة من الشهود ، وتعطى نسخة من ذلك التقييد لكل واحد من اهل المجلس الشرعي ، ينتخب منها مائتين بمقتضى ما يدين الله به ، ثم تجمع تلك النسخ ، فمن وقع عليه الاتفاق من سائر المجلس في الانتخاب لا كلام فيه ، وما وقع عليه اتفاق الاكثر يُبقَى الى تمام المائتين » .

وكان في الحاضرة يومئذ أكثر من ستمائة شاهد ، ولما تم الانتخاب ، ظهر للباي ان يثبت ما انتخبه الشيخ وحده ، ظنا منه ان ذلك من تعظيم الشيخ ، فكتب له في جريدة انتخابه ، وأمره ان يكتب في أمر كل واحد ممن انتخبهم خطّه ، كما فعل جده ، فامثل الشيخ هذا الامر ، من غير مراجعة ولا توقف ، حتى يظهر للعيان أنه مأمور بتنفيذه ، وأنف اهل المجلس الشرعي من ذلك ، ورأوها ازدراء بهم وحطة ، وتجرعوا مرارتها ، وعاداه كل من لم ينتخبه ، واطلق لسانه في مصون عرضه ، وجاهر بالدعاء عليه وبغضه ، وصدق من هَدِيَهُ لا يترك ، « رضى الناس غاية لا تدرك » ، قال الله تعالى لرسوله : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ » ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وهو من أشد الناس خوفا على عرضه ، ومن المقدور لا يغني الحذر .

وكان رحمه الله تعالى من أفراد الدنيا ، حالاً من الكمال بالمرتبة العليا ، رجل الفتوى وابن رجالها ، وفارس مجالها ، ان نطق استمال القلوب ، أو كتب فاز بكل مطلوب ، بذهن يكشف الغوامض ، ويسبق البرق الوامض .

وله في الفقه باع ، وتبحر واطلاع ، وفي غيره من العلوم أوفر نصيب ، يرمي فيها بالسهم المصيب .

وله في الادب سهام راشقة ، وعقود متناسقة ، ما شئت من همة عليّة ، ونفس عصامية ، ومحاضرة تفعم الحياض ، واخلاق كازهار الرياض ، وسياسة ودين ، وتقدم في الميادين ، التي منها الاجتماع الشرعي بالديوان ، والامر المعلق به من انشائه ، ليومنا هذا .

ولم يزل متقدماً بنفسه ، على ابناء جنسه ، الى يوم رمله .

توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء الرابع (1) من جمادى الاولى سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والف (5 نوفمبر 1861 م) ، وحضر جنازته المشير ابو عبد الله محمد الصادق باي ، في آل بيته ووزرائه ، وحمله بنفسه ، ودفن بالجلال حذو ابيه ، وبكته الاشعار بمراثيها .

وله رسالة في الشفعة ، وموضوع في تراجم خطباء الحنفية ، لم يخرج من مسودته . وكتاب في شعر المتأخرين سماه « الجواهر السنّية » ، ورسالة شرح بها قواعد عهد الامان .

[348 - على الخليوي]

أبو الحسن علي ابن الحاج قاسم الخليوي العراقي القيرواني

نشأ هذا الرجل بالقيروان ، وحفظ بها القرآن العظيم ، ثم جد في طلب العلم ، ورحل اليه من بلده على نقص في رحله ، وهو فاقد البصر ، حاد البصيرة ، فأخذ عن أعيان الحاضرة ، كشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار وغيرهم .

ولما حصل ملء حوضه ، رجع الى مسقط رأسه ومنبت روضه ، فأخذ يبت العلم في الصدور ، ويزين الصدور .
وكان خيرا عفيفا ، جيد الحفظ ، فصيح اللفظ ، يصيب الاغراض بسهمه ، على قوس فهمه ، حسن الخلق ، طيب المعاشرة ، زكي النفس ، لطيف المحاضرة .
ولم يزل في هذه الثنية ، الى ان وافته المنية ، في العشرين من شعبان سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والـ (الخميس 20 فيفري 1862 م) .

[349 - حسونة القسطيني]

أبو محمد حسونة ابن الحاج احمد القسطيني

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، واقبل على التجارة ، ولما توفي والده قام مقامه في وكالة الجامع الاعظم ، ثم انضم الى الوزير أبي عبد الله حسين خوجة ، وامل الانتظام في سلك رجال الدولة ، وطلب من الباشا أبي عبد الله حسين باي ان يزور بستانه في في مرناق ، فاحتفل لذلك ، وأتاه الباي ، وتغدى عنده ، وترفع في أحواله عن سيرة ابيه ، فضيع الموجد ، ولم يحصل المقصود ، واخذ القهقري وأرهقه الدين والربا ، وطار كسبه كالهبا ، وتوفي سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والـ (62 - 1861 م) ، وكان يتمنى الموت في آخره ، وشر من الموت ما يُتمنى به الموت ، رحمه الله تعالى وغفر له .

[350 - محمد بن حميدة بن الخوجة]

شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد

ابن العلامة شيخنا أبي العباس حميدة بن الخوجة .

نشأ هذا العلامة بين يدي أبيه ، واخذ عنه ، وعن غيره كالشيخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخ الاسلام أبي عبد الله سيدي محمد بيرم الثاني ، والشيخ بيرم الثالث ، وغيرهم .

وشمر في طلب العلم عن الساق ، حتى سبق اهل السباق ، ثم تصدر للتدريس ، ونثر الدر النفيس ، بتقرير يدل على امتداد الباع ، وسعة الاطلاع ، تقف دونه الاطماع ،

فاستمدت من شمس علومه البدور ، وانتفعت به العامة والصدور ، وعلق أياديه في النحور ولم ينقطع عمله بعد موته ، كما في الحديث المأثور .

ثم زين خطة القضاء بالمذهب الحنفي ، فأجرى الحق وأوضح ما خفي ، وبرع في تطبيق الاحكام على النوازل ، مسوياً بين الخصوم وان اختلفوا في المنازل ، بعدل ميزانه قائم ، وجزالة لا تنثني عن الحق بلائهم .

وكان شديدا في معاوضة الاحباس . ظهر للبasha أبي النخبة مصطفى باي ان يعطي هنشيرا يعرف بهشام ، لوزيره وصهره أبي النخبة مصطفى صاحب الطابع ، لقربه من بستانه المعروف بسبالة الكاهية ، وكان الهنشير من احباس جد الباي ، وهو احد المستحقين ، فأمرني بخطاب هذا القاضي ، فامتنع ، فلاطفته ، فليج في الامتناع ، فقلت له : « سبحان الله ، من مذهبكم جواز معاوضة الحبس ، بما هو أعود نفعا ، واطيب صنعا » ، فقال لي : « ذلك موكل الى قاضي اللجنة ، الذي النفس به مطمئة » ، ثم استأذنت الباي أن اكلمه في المجلس بمحضر الجماعة ، فقال لي : « تكلم بالنيابة عني » ، فجلست مجلس الخصوم ، وأعدت المطلب ، فقال لي في ذلك المشهد : « يا ابني ، ان بدني لا يطيق النار » ، ثم التفت الى الباي ، وقال له : « انا نائب عنك ، ولم تظهر لي مصلحة في هذا العوض ، فان ظهرت لك المصلحة فافعل ، وكاتبك هذا يحسن الكتابة ، وانت تحسن النظر » ، فرجع الباي ، على عادته في الوقوف مع الاحكام الشرعية ، والادب معها ، رحمه الله .

ثم انتقل الى خطة الفتوى ، فأخذ رايتها باليمين ، وترينت بالعالم المحقق الامين ، وتقدم لخطة القضاء أكبر بنيه ، فابتدأ من حيث انتهى أبوه ، وزانها بالعلم والتقوى ، كثر الله من امثاله في العلماء .

ثم انتقل الشيخ من الفتوى الى رئاستها ، فبلغت به الى غايتها . وكان هذا المحقق تقيا نقيا ، ورعا معدودا في درجة المجتهدين ، خاتمة المحدثين ، كاد ان يحفظ « صحيح البخاري » ، لانه اتخذ قراءته كل يوم وريدا ، ذا فكرة يدعوها فلا تتوقف ، ويلقي عصاها فتتلقف ، رفع للعلم راية خافقة ، واقام له سوقا نافقة ، وجرى في ميادينه طلق الاعينة ، ماضي الطبا والاسنة ، متبلغا بما دون الكفاف ، متجملا بالعفاف ، ما شئت من كرم أخلاق ، وأياد في الاعناق ، ألزم من الاطواق ،

ونفس لطيفة الشمائل والشميم ، ومحاضرة يفوق نفعها الدائم ، مع بركة تظهر عليه سيماها وديانة لا تعرف الشبهات حماها ، ولا غيّر الدهر اسمها ولا مسماها .

ولم يزل ركن استلام ، الى ان فجع بنعيه الاسلام ، في يوم عاشوراء من سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والـف (الثلاثاء 8 جويلية 1862 م.) بجبل المنار ، وأتي به الى داره بتونس ، وقدم لجنازته صاحب الدولة المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي من حلق الوادي ، في يوم شديد الحر . وطلب بعض الاعيان ان يصلّي عليه بصحن جامعهم ، فقال الباي : « العادة ان يُصلّي على مثله ببطحاء القصبه ، وربما يظن ابنه اننا عدلنا به عن أمثاله » ، ولما استؤذن في ذلك ، قال : « لا اختيار لي ولا نظر ، والنظر لمن له النظر ، غير أنني أعرف ان والدي يحب الرفق مطلقا » ، فصلّي عليه بجامعه ، ودفن حذو والده بزاوية سيدي عطية قرب داره ، وجدد الباي هذه الزاوية .

وأعقب ابناء تسابقوا في ميادين الكمال والنجابة ، من قضاء وفتوى وتدريس وكتابة .

واتفق ان كان تاريخه لفظ « عاشوراء » ، رحمه الله .

[351 - فرحات المملوك]

أبو المسرة فرحات المملوك

هو من الجراكسة ، ومن مماليك الباي أبي محمد حمودة باشا . نشأ في الخدمة في الصرايا ، ثم خرج في دولة الباشا أبي عبد الله حسين باي ، وتزوج بتونس ، وقربه المشير أبو العباس أحمد باي ، وسفر عنه الى الدولة العلية العثمانية غير مرة ، ثم قدمه امير آلاي عسكر زواوة .

وكان تركي السجية ، فصيحاً بالتركية والعربية ، فارساً رامياً ، حسن النغمة بتلاوة القرآن . قرأ بالمحفل (1) يوم اقيمت الصلاة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فشنف الاسماع ، وظهر منه في الاداء باع .

(I) المحفل : منصة تجاه المحراب يصعد اليها بسلم في جوامع الخنفية ، جعلت للقراءة والدعاء

وكان حسن الاخلاق ، عالي الهممة ، نزيه النفس ، نقي العرض ، حسن المجادثة ، يكتب بالقلم التركي ، ورتبته في ديوان الجند خوجة . .
ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان صار الى مآله ، في ذي القعدة من سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (افريل — ماي 1863 م) .

[352 — عبد القادر بن غشام]

الكاتب ابو محمد عبد القادر بن غشام

نشأ في بيت شرف وعفاف ، وأصل جده من سلا ، قدم الحاضرة ، وتنقل في الخطط العلمية ، من عدالة وامامة ، وتولى خطة القضاء في بنزرت ، وخطه معروف في الكتب ، وله تأليف في الادب سماه « السكوكب الثاقب في الاخبار والمناقب » ، ونسج بنوه وحفدته على منواله ، وتسابقوا للاتصاف بخلاله .

وكان هذا الخير منهم ، فحفظ القرآن ، واقبل على العلم ، فأخذ عن عالم العصر شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي وغيرهما .

واستفاد وحصل الملكية ، ثم تصدر للتوثيق ، فكان من رجاله ، وفرسان مجاله ، ثم استكتبه ابو الثناء محمود بن عياد في بعض أشغال عمله ، وتعلق به ليستفيد منه ، وأنزله منزلة شيخ ، وقرأ عليه كتباً عديدة ، من تواريخ الاسلام .

وسافر معه لفرنسا على كره ، بالزام من المشير أبي العباس احمد باي . ولما طالت مدة الاقامة ، رجع الى مسقط رأسه ، ومعهد إيناسه ، صفر اليدين ، مثقلا بالدين ، ونفض يده من هذه الطريقة ، وارتزق من رشح قلم الوثيقة .

ثم ان المشير استكتبه في قلم الإنشاء ، فقام بخطته ، ثم توجه لاداء فريضة الحج ، فحج وزار ، وغسل الاوزار ، وقفل راجعا للوطن والمصر ، فوافاه رائد المنية بمصر ، في سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (63 — 1862 م) .

وكان فقيها مشاركا ، فرضيا ، كريم المحتد ، حسن الاخلاق ، طيب المعاشرة ، خيرا وجيها ، محافظا على عبادته ، وهي من أسباب سعادته ، رحمه الله .

[353 - مصطفى بوغازلي]

أبو النخبة مصطفى بوغازلي الحنفي

نشأ هذا الرجل في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا أبي العباس سيدي أحمد الابي وغيرهما .
ودرس بالجامع الاعظم ، وغالب دروسه الفقه الحنفي ، وتولى شيخا في مدرسة باردو ، وضافه المشير ابو العباس احمد باي الى ابن تربيته الوزير الشهير الطائر الصيت أبي النخبة مصطفى خزنه دار ، فقرأ عليه الفقه ، وانتفع به .
كان فقيها خيرا وجيها ، عفيفا نقي العرض ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .
ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي عن سن عالية ، اواسط محرم من سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (اواسط جويلية 1862) .

[354 - محمد بابوش]

الكاتب ابو عبد الله محمد ابن الكاتب ابي المحاسن يوسف بابوش

نشأ هذا الرجل في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان كشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد ابن الخوجة ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وعالم العصر شيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .
واستفاد وحصل ملكة المشاركة ، وتقدم خطيبا بجامع القصبة ، وكتابة دار الباشا ، بعد أبيه ، ثم انفصل عنها بلا ذنب ، ثم أعتد لها ، الى ان انقرض الديوان بدار الباشا ، وكان فقيها خيرا وجيها ، مشغلا بنفسه ، رافضا للفضول ، يغلب عليه الحياء ، ذا مروءة وعزة نفس .
ولم يزل على أدبه ، الى ان اجاب داعي ربه في منتصف رجب سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (اوائل جانفي 1863 م) .

[355 - مصطفى بيرم]

أبو النخبة مصطفى ابن شيخنا شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد
ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم
نشأ هذا الرجل في شرف بيته ، ومجد حيه وميته ، فقرأ ما تيسر ، وعلم ما يجب
لدينه ، واقبل على أحوال معاشه ، ونمو كسبه ورياشه ، وصرح لايه بانه اختار هذا
المسلك فأسعفه .

ثم قدمه صهره المشير أبو عبد الله محمد باي لخطبة الحسبة على الاحباس ونحوها ،
فرام ان يسلك بها سبيل السلف الصالح ، ولم يسعفه طبع آخر الزمان الكساح ، وصار
بين قادح ومادح ، شأن من يلي الاحكام . ثم دفع ما استخلصه من فواضل الاحباس ،
وآثر امانة الدولة على أمانته ، ورآه من ديانته .

وكان ثقة أمينا ، وجيها ماجدا ، خيرا عزيز النفس ، حسن المعاشرة ، جاريا على
سنن آله ، في غالب احواله ، وعافاه الله من ثقل الحسبة .

توفي في جمادى الاولى من سنة 1280 ثمانين ومائتين والـ (اكتوبر - نوفمبر
1863 م) ، واعقب ابنا هو الآن في سلك المدرسين .

[وهلاله في نمو ، كثر الله من امثاله] (1) .

[356 - محمد العربي الشريف]

أبو عبد الله محمد العربي الشريف

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كالشيخ حسن ، والشيخ الطاهر ، والشيخ
الرياحي ، والشيخ بن ملوكة . فحصل واستفاد ، ودرس فافاد ، ونفع العباد .
وكان فقيها فريضا ، ذكيا فصيحاً ، خيرا عفيفاً ، حسن الاخلاق ، عالي الهمة ،
نقي العرض .

ولم يزل على حاله ، متجملا بدروسه وخلاله ، الى ان توفي اواخر جمادى الاولى
من سنة ثمانين ومائتين والـ (أوائل نوفمبر 1863 م) .

(1) ما بين القوسين ساقط من نـ مثبت في ع و ق .

[357 - فرحات المملوك]

أبو المسرة فرحات المملوك

أصله من أبناء الروم ، رباه المشير أبو العباس أحمد باي ، وقرأ القرآن ، وحفظ ما تيسر منه ، وجوَّده على الشيخ أبي عبد الله محمد المكني ، مع غيره من مماليكه ، على عادة اعتنائه بتهذيبهم ، قبل استعمالهم وتقريبهم ، ثم استعمله وعلَّمه الصناعة العسكرية ، وبرع فيها ، ثم أمَّره على عساة صرايته من العسكر ، فقام بواجبها ، وبعثه سفيراً عنه لطرابلس ، فرجع ناجح السعي .

ولما هرب أبو الثناء محمود بن عياد استكفى به سيده في ضبط خطئه ، واهمها يومئذ الرابطة ، بعد أن عرضها على قرينه أبي محمد خير الدين ، فامتنع واعتذر ، وأمره أن يقتضي سيرة بن عياد ، ففعل وحصل للدولة ما كان يستأثر به ابن عياد ، كما ذلك محرر في دفاتر حسابه ، ونجم في هذه الخِدَم ، وبرع على حسب ما أريد منه ، وما أمر به ، وإن لم يسلم من اعتراض ، على حسب الأغراض ، وقام بخدمة سيده في مرضه على حسب غرضه . ولما توفي أقره الباشا المشير أبو عبد الله محمد باي في إمارة العساة ، وبعض ما بيده من الخطط ، وسافر في المحلة مع أبي عبد الله محمد الصادق باي . ولما رجع نقم عليه صاحب الدولة أموراً عزله بسببها ، لأجل التربية ، وبعد أيام رضي عنه ، وأعادته إلى منزلته ، وسافر عنه في غرض التهئة لِرَيِّ نَابُلَيْي ، فأحسن السفارة .

ولما آلت الدولة لصاحبها الآن المشير أبي عبد الله محمد الصادق باي ، قربه ورفع منزلته ، وصيره من رجال مشورته في مجلسه ، وأولاه آغة بالكاف ، وأعمال عروش ونيفة ، وسافر لها وجبى الستة والثلاثين ، مغلول اليد بالقانون وبطبعه .

ثم اقتضى نظر الباي ورأى من واقفه ، وقليل ما هم ، تضعيف الإعانة ، فظهرت نار فتنة الاثنين والسبعين ، وجاءت الأخبار باتفاق كلمة العربان ، بل والبلدان ، على الامتناع ، وسهّل الاتفاق اتحاد السبب .

وكان رحمه الله ، قال للباي في مجلسه بمحضرنا : « أن عرباننا لا تطيق ذلك ، وأنهم في شدة من الستة والثلاثين ، وفي العام الماضي بعث خيام كثير منهم ، وتركهم مع صغار بنهم تحت أديم السماء » ، فلم تستحسن مقالته ، ثم صدر له الأمر في التوجه

لعمله ، اخلاص الاثنين والسبعين ، ويكتب لوجق الكاف يتعرض له ، فتخوف من وصمة الجبن ، وهو في موضعه خير من الشجاعة ، فوضم بالتهور ، واجتمعت به قبل سفره بيوم ، فقال لي ، يندب نفسه : « فرحات يسافر ويموت قتيلًا ، ويبقى ابنه الشاذلي يتيما » ، فقلت له : « سبحان الله ، اي سبب في هذا التصميم ؟ » ، فاخرج لي مكتوبا من نائبه العربي القياس ، يحذره من القدوم ، وان لا يعتمد على المخازنية ، فانهم ان لم يكسونا عليه ، لا ينفعه احد منهم بشيء ، لاتفاق عامة الناس ، وما تصنع المخازنية مع اتفاق العامة ، الى غير ذلك من التحذير . وسافر مستسلما لقضاء الله وقدره ، فبعث له قايد دريد بمكانه من تبرسق ، يحذره ويخبره باتفاق العامة ، ويستضيفه ليتفق معه على رأي ، فبعث له : « اني واعدت الوجق ، وعينت لهم المكان واليوم ، فلا يمكن تخلفي » . وسار واجتمع بالوجق ، فكلمه نائبه والشواش ، بان « العامة اضعاف الوجق ، بحيث نموت جميعا بلا فائدة » ، فصم الاجل اذنه .

ولما وصلوا قرب الكاف ، رأوا جما غفيرا على بعد ، فقال له نائبه والشواش : « هؤلاء يقصدونك ، فالاولى ان ننحرف عن الطريق ، حتى ندخل للكاف » ، فقال : « هذا هروب » ، فأقبلوا عليه هاجمين ، فضربوا فرسه ، فسقطت ، ووقف تحت زيتونة ، وله مكاحل ذات جعاب متعددة ، وهو من أفراد الرماة ، واهل الثبات ، فدفع على نفسه دفاع المستميت ، وخذاه يعمران له في مكاحله ، ورصاص القوم يتناثر نحوه فضرب من يعمر له بعد أن قتل من هؤلاء عددا ، ثم رموه على يد واحدة ، فسقط ميتا بعد ان جرح في جلد جبينه ، وهو يمسح الدم ، ويقاقل . هذا ، وسائر الوجق ، من الشواش والمخازنية ، ينظرون اليه ، خوفا من استئصال شافتهم ، لكثرة القوم ، واذا سبق التقدير ، بطل التدبير .

ثم حملة خليفته الى الكاف ، وغسله وحنطه ، وبعث به الى بستانه المعروف بقبة النحاس ، بل بقبة النحاس ، ودفن جوار سيدي عبد الوهاب بمنوبة ، وحضر الباي وآل بيته جنازته ، وترك ابنه يتيما ، كما قال (1) .

وكان رحمه الله فصيح اللسان ، سليم الجنان ، معدودا من اهل الفضل والاحسان ، زينة امثاله من الاعيان ، آية الله في الترنم بتلاوة القرآن ، حاذقا ظريفا ، حسن

الاخلاق ، محمود المعاشرة ، وفيًا عالي الهمة ، نجيبا في أعماله ، جسورا في إقدامه ، الى ان كان سببَ حمامه .

وقتل رحمه الله شهيدا مظلوما ، وسبحان من يقول : « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَانًا » ، في ذي القعدة من سنة 1280 ثمانين ومائتين والـ (اوائل ذي القعدة — أواسط افريل 1864 م) .

[358 - اسماعيل كاهية]

ابو الفداء اسماعيل كاهية

اصل هذا الخير من القرج ، ونشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، وخرج مع من خرج من مماليكه ، ثم رجع للخدمة في دولة الباشا محمود باي ، وصار آغة وجق باجة ، وصاهره الباشا ابو عبد الله حسين باي على بنته ، وتدرج في الخطط ، وسافر في المحال ، وزاول الاعمال ، وقاد الفرسان الى ميادين القتال ، وصار كاهية باي المحال . وكان آية الله في الحياء والصدق ، والعفاف وكرم النفس ، والاشار وعلو الهمة ، سليم الصدر ، أبعد الناس عن الفضول ، وأقربهم الى الخمول ، نقي العرض ، متواضعا ، ما اغتر برفعة ، حليما صبوراً ، محبباً الى العباد ، يغلب عليه الجد في أحواله ، يقال في شأنه ، سلم الناس من يده ولسانه . وامتنح بموت ولده ، واعقب ابنا تلوح على صغره مخايل النجابة .

ولم يزل في صفاته الفاخرة ، الى ان لبى الى الدار الآخرة ، في ذي الحجة سنة 1280 ثمانين ومائتين والـ (ماي — جوان 1864 م) ، ودفن في التربة الحسينية ، وحفيده الآن هو الذي يعمر داره .

[359 - حميدة بيرم]

ابو العباس حميدة بن ابي عبد الله محمد بن ابي العباس حميده
ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

نشأ هذا الالمعي في بيت مجده وشرفه ، وأقبل على طلب العلم كغالب آله وسلفه ، فأخذ عن عم ابيه العلامة الفاضل المفتي أبي النخبة مصطفى ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وعلى ابن عمه الشيخ بيرم الرابع وغيرهما .

واعانه على تحصيل المراد ، ما له من الفكر الوقاد ، لكن عاقته الامراض ، عن غالب الاغراض ، وكان فقيها ذكيا ، خيرا عفيفا ، ذا وقار وسكينة ، نزيه النفس ، عالي الهمة ، محمود السيرة ، ممن اختير لمجلس الشورى .

ولم يزل رافلا في حالاته المرضية ، الى ان اجاب داعي المنية ، أواخر ذي الحجة من سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (أوائل جوان 1864 م) .

[360 - محمود الباجي]

أبو الثناء محمود ابن الوجيه محمد الباجي .

نشأ هذا الشاب في ظل أبيه ، وأحسن تربيته ، وصار من أعيان التجار ، وانتخب للمجلس الاكبر على صغر سنه .

حاله : نقي العرض ، حسن التجميل ، حسي .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى أن ارتحاله ، أواخر ذي الحجة سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (أوائل جوان 1864 م) ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

[361 - حسن الخيري]

الشيخ الفاضل ابو محمد حسن الخيري المنستيري .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ورحل اليه ، فأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد حسن الشريف ، والمحقق ابي عبد الله محمد الفاسي ، والمحقق ابي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .

وبلغ درجة التحصيل ، مع فرط الذكاء الاصيل ، ودرس بالجامع الاعظم فأجاد وأفاد ، وانفق مما لا يخاف عليه النفاذ ، فشجذ الافكار بتحقيق فهمه ، وملا الحياض بوابل علمه .

ثم تقدم لمخطة الفتوى ببلده المنستير وامامة جامعها الاعظم . ثم تقدم لمخطة القضاء بها ، فقام للعدل بواجبه ، وأجرى الحق على أعدل مذاهبه . ثم تقدم لرئاسة المجلس الشرعي بها ، فزان الرئاسة ، بالعلم والسياسة .

وكان عالماً فقيهاً ، ثاقب الفكر ، تقياً خيراً عفيفاً ، نقي العرض ، حسن المحاضرة ، جميل الاخلاق ، ما شئت من علوم جمّة ، ونفس بمعادها مهتمة ، وفضل وانصاف ، وحميد أوصاف .

ولم يزل محباً الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (64 — 1863 م.) رحمه الله تعالى .

[362 — محمد بن عبد الستار]

ابو عبد الله محمد بن ابي عبد الله حسين ابن الحاج عبد الستار .

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، وقرأ ما تيسر ، وأقبل على شأنه ، ولم يسلك سبيل أخيه وأبيه ، وسلك ما يسره الله اليه من التكسب بالفلاحة ، وآثرها على البطالة والراحة ، وانخرط في سلك المجلس البلدي على كره .

وكان وجيهاً خيراً عفيفاً ، حسن الاخلاق ، وفي العهد ، كريم النفس ، حياً عالي الهمة ، ممن سلم الناس من لسانه ويده .

ولم يزل بحاله ، متجماً بخلاله ، مقتدياً بآله ، الى ان توفي في صفر الخير من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والف (جويلية 1864 م.) ، رحمه الله تعالى .

[363 — محمد العابد الشفي]

ابو عبد الله محمد العابد ابن ابي الحسن الحاج علي الشفي .

نشأ هذا الوجيه في بيت شرفه ومجده ، مقتدياً بأبيه وجده ، يرتزق من تراث آله ، وتجارات أعماله .

وكان وجيهاً خيراً ، عالي الهمة ، نزيه النفس . تقدم أميناً على العطارين ، فزان ولايته بجميل السيرة .

ولم يزل معدوداً في الاعيان ، الى أن أجاب داعي الرحمان ، في أشرف الربيعين من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والف (اوت 1864 م.) ، وقام ابنه في الخطة مقامه .

[364 - محمد بن سليمان بن الحاج]

القائد ابو عبد الله محمد ابن القائد أبي الربيع سليمان ابن الحاج .

شب هذا الرجل في خدمة الدولة ، بين يدي أبيه ، ثم تولى الاعمال النبيهة كصفافس ودار الجلد ، وغير ذلك من الولايات المشار اليها . وساعده البخت في أعماله ، وحصل غالب آماله ، والدهر لا يدوم على حاله ، فتراجع حاله بعد الثروة والسعادة الى الاقلال ، عادة الله في امثال هؤلاء العُمَمال .

ولم يزل نازلا في درجات الاضمحلال ، الى ان سترته يد المنية ، في شعبان من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والى الف (جانفي 1865 م) ، وجهزه الوزير الخير ابو النخبة مصطفى خزنة دار ، الى لحدده ، وأعقب أولادا اثبتهم المشير ابو عبد الله محمد الصادق باشا باي شوأشا في وجق المخازنية .

[365 - صالح شيبوب]

أبو الفلاح صالح بن عثمان شيبوب الجربي .

والده من أواسط أهل جربة ، يتجر في سوق البركة ، في نسج جربة ، وثبت ابنه هذا على صغر سنه في الموسيقى العسكرية ، في دولة الباشا أبي عبد الله حسين باي ، ومكث مع غيره بسانية الفدان ، يتعلم صناعة الموسيقى ، ثم سافر مع اسماعيل مملوك الوزير شاكير صاحب الطابع ، لما سافر مع أبي عبد الله محمد باي في المحلة ، وبقي مختصا به مدة ، ولما نُفسي بعد قتل الوزير ، بقي مع طائفة الموسيقى بباردو ، ثم استخدمه المشير أبو العباس احمد باي ، وحمد نجابته وخفة نفسه ، فأولاه بنباشي .

ولم يزل يتدرج بالبخت ، الى ان صيّرهُ أمير لواء على العسكر الذي يخرج من الخدمة بالعوض ، وبني له قشلة بغار الملح ، ومَسَاكِنَ تقارب أبنية المحمدية ، وصرفت في ذلك أموال لها بال ، لا داعي لها ، الا ان تكون لهذا الرجل إمرة على عسكر ، وبعثه سفيراً بنيشان الى ملك سردانيا ، وحركه في الخدم المهمة ، وزوجه من بنت الوزير أبي الشناء محمود ابن الوزير أبي عبد الله محمد خوجة ، ووافق ابوها غير ملتفت لكفائة ، أمثالاً لغرض الباي ، وبني بها في حلق الوادي ، قرب دار أبيها ، في علو بناه له . وابتنى قرب غار الملح قصرا في سانية ، ضاهى بها قصور الملوك .

ثم نقم عليه سيده أمورا ، سببها الغلط والتهيه ، وبعثه من حمام الأنف مسجوناً في بيته من قصر باردو . فحمله امير لواء العسة فرحات ، المتقدم ذكره ، وأركبه معه في كروسته ، وأوصله الى بيته بالصرايا ، وأوصى المأمور بالمطبخة أن يجري له طعامه مثل عادته ، اعتباراً لصحبة الخدمة .

ثم سرحه ، وأعادته الى رتبته .

ولما آلت الدولة لأبي عبد الله محمد باي ، أخذ سائر كسبه ، ونفاه لجربة .

وكان حاذقاً نبيها ، خفيف النفس ، حسن اللقاء ، منطوياً على شر ، والمرء مجزي بعمله ، مواعداً بالسعاية ، لو وجد لها من سيده اذناً واعية ، لم يحنكه الدهر بتجريب ، ولا اقتدى بأريب ، ندي الكف الا انه من مال جمعه في اقرب مدة ، من غير تعب ولا شدة .

لما تسرح من سجنه ، وأتى الصالحية ، والمشير مريض بها ، قال لي بمحضر جمع : « بلغني ان سائر الناس فرحوا بسجني وبُعدي ، ولم يقل احد منهم يا لطيف ، فما انا خرجت لهم ، فوالله لا ألعب مع أحد الا بالدم » ، فقلت له : « اطلب اللطف يا ابني ، واعرف قول العامة : كل احد يلبس من صندوقه » .

وطلق زوجه بعد تسريحه ، وبعد أيام قال للمشير : « في ظنك أنك سجتني لتعذبني ، فوالله ان عيشي بالسجن في بيتي ، خير من عيشك ، بوصاية أمير لواء عستك ، أنت تشدد ، وهم يخففون » ، فأعرض عنه ، وعلم من قبح سريرته الكنه ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

ولما أتى جربة قابله أعيانها بالاجلال ، وأجروا له طعام الضيف ، فرآه ضريبة عليهم ، وشدد في اقتضائها ، فقطعوا ذلك عنه . ولولا ان تداركه الله بجراية من المشير أبي عبد الله محمد الصادق باي سدّ بها رمقه ، مات جوعاً .

وتزوج بجربة ، ووُلد له ، فتمخاضهم يوماً مع امرأته فاغضبته ، فأخذ قارورة من الروم المقطر ، وجلس بها تحت شجرة يسلي الهموم ، فطرقة الاجل المحتوم ، في أوائل سنة 1282 اثنين وثمانين ومائتين والـ (1865 م) ، ودفن بها ، سامحه الله ، وغفر له .

[366 - محمد العذاري]

الشريف أبو عبد الله محمد العذاري بمساكن .

نشأ بمساكن في طلب العلم والخير ، ودرّس وعلا ذروة منبرها ، فذكر القلوب
الناسية ، وألان الصخور القاسية ، وله في طريق القوم ذوق ، وإلى ما عند الله شوق ،
واسرار لازمته ملازمة الطوق .

وكان ، نفعا لله به ، تقيا نقيا ، صواما قواما ، مراقبا لله في حركاته وسكناته ،
محاسبا نفسه في سائر لحظاته ، لا يرى في الوجود ، غير الواحد الموجود ، نبذ الدنيا
ظهريا ، وترك حظوظها نسيا منسيا ، طالما بكى ووعظ في الفتنة اهل بلاده ، وجرى امر
الله على خلاف مراده ، وسبحان من اقام العباد ، فيما اراد ، وله المراد ، فيما يريد .

ولم يزل معظما محبا معتقدا ، وأخبار زهده وكراماته تتلى ، الى ان التحق بالرفيق
الاعلى ، سنة 1282 اثنتين وثمانين ومائتين والـ (66 - 1865 م) .

[367 - حمودة العصفوري]

الشيخ ابو محمد حمودة بن محمد العصفوري .

أصل هذا الوجه من بيت مجد ورفعة ، وعلم وسُمة ، قدم جدهم الاعلى من
اشبيلية ، وخدم في دولة بني أبي حفص ، وتابعه آل بيته في الخطط النبيهة ، كالوزارة
لبني أبي حفص ، والكتابة والقضاء والفتوى وامامة الجامع الاعظم ، وغير ذلك من
الخطط العلمية والقلمية ، الى جد صاحب الترجمة ، فكان من شعراء دولة الباشا ابي
الحسن علي باي بن محمد ، وله تعليق على خطبة مقامات الحريري ، يدل على امتداد
باعه في الادب .

ونشأ صاحب الترجمة في أطلال بيته ، قانعا بما سلف من ميته ، وعاش في ربه
وعقاره ، مرموقا بعين احترام .

ولما تقدم شيخا بمدينة تونس ، تعجب الناس من قبوله ، اذ لم تكن من خطط
آله ، ولا مناسبة بينها وبين أعماله ، ومع ذلك فقد جلى في ميدانها ، وما قصر في شأنها ،
ودانت له الحاضرة بأعيانها ، وله عند الملوك وجاهة .

ثم قدم المشير ابو العباس احمد باي ابنه للولاية على عادة اعتنائه باهل البيوت ،
ففرح بالراحة ، وصار تاجرا لله في الفلاحة ، وامتنحن بموت ابنه ، ففاز بأجر الصبر .
ثم ان أحد أبنائه تآقت نفسه الامارة ، الى ما رآه من ثروة التجارة ، وحملته على
التداين بالربا من الافرنج ، ولما حل اجل الدين ضمنه ابوه ، بمقتضى الشفقة الطبيعية ،
وبهذه التقلبات ذهب الطارف والتالد ، وطار كسب الولد والوالد ، فلزم كسر البيت ،
حيثا كَمِيَتْ .

وكان خيرا وجيها ، يميل الى الخير ، من رجال حزب الامام الشاذلي رضي الله
عنه ، عزيز النفس ، وفيما نصوحا ، شانه الستر .

ولم يزل في هم دين ورقٍ لعسار ، الى ان انتقل الى تلك الدار ، في جمادى
الثانية من سنة 1282 اثنتين وثمانين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1865 م) .

[368 — محمد الشرقي]

الكاتب ابو عبد الله الحاج محمد الشرقي المغربي .

وفد على هذه الحاضرة من المغرب ، واتخذها دارا ، واستكتبه الوزير أبو عبد
الله محمد خوجة بحلق الوادي ، وعرف كل منهما مزية صاحبه ، وامتزجا كما امتزجا
في عالم الارواح ، وعلم أولاده الكتابة ، وحثهم على التخلق بالنجابة ، ثم طلبه الوزير
ابو عبد الله محمد العربي زروق خزنة دار لرئاسة الكتبة في بيت الحسبان ، فرأى ذلك
أشد من فراق الاوطان ، وحثه صاحبه على القبول ، فتقدم على كره ، ثم تعلل بمرض ،
يقعد عن هذا العرض ، فقال له الوزير : « آثرت الكتابة عند صاحبك ، على كتابة
سيدنا » ، فقال له : « اني في بيت خزنة دار كاتب سيدنا على يدك ، واني في حلق
الوادي كاتب سيدنا على يد خديمه » ، ورجع لصاحبه وإلفه ، ورافقها في الحاضرة
كالفرقدين .

ولما توفي صاحبه بقي بداره ، ثم صار وكيل المغاربة بتونس ، واستولى عليه الهرم
في بدنه وماله ، فاجرى عليه المشير ابو العباس أحمد باي جراية شهرية ، من جباية فندق
الغلة ، اعتبارا لسالف خدمته بحلق الوادي ، ستر بها وجهه تجمله .

وكان وجيها ، خيرا عفيفا ، ذا مرؤة ، كريم النفس ، حسن الاخلاق ، مليح المحاضرة ، ذا مشاركة ، آية الله في الوفاء .

ولم تزل نفسه مع الاقلال غنية ، الى ان وافاه رائد المنية ، في رمضان سنة 1282 (جانفي - فيفري 1866 م.) عن سن عالية ، واعقب أولادا ، لم ينقطع بدعائهم عمله .

[369 - محمد المساكني]

ابو عبد الله الشيخ محمد المساكني .

شب في طلب العلم ، وأخذ عن خاله العالم الامام ابي عبد الله محمد الشاذلي بن المؤدب ، وعن الشيخ الطاهر ، والشيخ ابراهيم الرياحي وغيرهم . وحصل ملكة علمية ، وتصدر للتوثيق ، وناب خاله في حزب الشاذلي بالمغارة ، وخطبة جامع باب الجزيرة . وكان مؤثرا في إلقاء الخطبة ، جهوري الصوت ، يملأ الجامع .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا فقيها ، حسن الأخلاق والمحاضرة ، كريم السجية ، عزيز النفس ، فصيح اللسان ، متوددا إلى الناس ، يذكر بالجميل ، محافظا على مروءته . ووقع إنتخابه بمجلس الشورى .

ولم يزل بحاله متجملا بخلاله إلى أن توفي في شوال سنة 1282 (فيفري - مارس 1866) إثنين وثمانين ومائتين والـف .

[370 - مصطفى بن عزوز]

العالم الولي العارف بالله أبو النخبة سيدي مصطفى بن عزوز .

هو من بيت فضل وعلم وصلاح ، وزاويتهم بصحراء الزاب من عمل بسكرة ، ومحل زاويتهم ببلدة صغيرة تسمى بالبرج . ولآل بيته شهرة بتلك النواحي ، كما له بهذا القطر الإفريقي . ودخل هذا الولي للقطر التونسي وبث الطريقة الرحمانية في العروش ، وجدد لهذه الأمة أمر دينهم ، وطريقته لا تشديد فيها إلا لمن أراد التوغل في السلوك والخلوة ، يأمر الناس بأداء فريضة الصلاة وذكر « لا إله إلا الله » بقدر الإمكان .

وطار صيته وظهرت كراماته في العربان ، لا سيما في الجهة الغربية . وأنشأ زاوية بنقطة للصادر والوارد . وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعظم شأنه ويعجله ، واجتمع به غير مرة .

وسافر لأداء فريضة الحج ورجع لتونس .

ومن الله به على هذا القطر فأطفأ نار فتنة تأججت في سنة ثمانين لاجل مغرم الإثنين وسبعين . وضمن للناس الأمان ، وطوع العاصي ، وقرب القاصي ، واستنزل أهل المنعة من الصياصي ، ساقه لذلك من بيده النواصي . ورجع لزاويته بنقطة . وكان ما كان من الإغترار بالأمان ، فتغير الشيخ وأصبح من النادمين من أجل ذلك ، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

وكان تقيا نقيا ، فقيها صوفيا ، قسم حياته بين تلاوة وذكر ، ونظر في المسكوت بأعمال فكر ، ووعظ وإفادة ، وإخلاص في التهجّد والعبادة ، وهداية إلى طرق السعادة ، وإصلاح ذات البين ، وإعانة المحتاجين ، ورحمة المساكين ، وهداية الضالين ، إلى غير ذلك من أخلاق الصالحين .

وكان رحمه الله فصيح اللسان ، بليغ البيان في أسرار آي القرآن ، صاحب ذوق في مقام العرفان ، متواضعا على رفعة هذا الشأن ، يرشح وعائمه بالرحمة والرفقة والحنان ، يحب الخير لكل إنسان ، داعيا لعباد الله بالهداية والإيمان والإحسان ، ما شئت من محاضرات أبرار ، ومطالع أسرار وأنوار ، وزهد أخيار .

ولم يزل على حاله ناظرا المآله ، يحاسب نفسه عن دقائق أعماله ، ولقاء الله أحب آماله ، إلى أن أحب الله لقاءه ليلة الإثنين آخر ذي الحجة سنة 1282 (14 ماي 1866) ودفن بزاويته بنقطة . وترك الدنيا وأهل عصره يشنون عليه بخير ، والآخرة خير ، رحمه الله .

[371 - محمد بن محمد البنا]

الشيخ العالم أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي عبد الله محمد البنا .

نشأ هذا الفاضل في بيته النبويه ، واقتدى بأبيه ، وتبلغ بالكفاف ، وزان بيته بخمول العفاف ، ثم تآقت نفسه الزكية إلى طلب العلوم ، وابتغاء ثمرات الفهوم ، فدخل جامع الزيتونة ، وتقيأ ظلاله وفنونه ، فأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ،

وعن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وعن الشيخ أبي العباس أحمد الأبى ، وعن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي ، وهو الذي زكاه بالعلم والدين في ديوان المشير أبي العباس أحمد باي ، كما تقدم في خبر رفيقه المحقق أبي عبد الله محمد النيفر ، وأخذ عن غيرهم من الشيوخ ، وامتلاً حوضه وتطلع ، وفاز بما إليه تشوف وتطلع ، ودرس بالجامع وأفاد ، وانفق مما لا يخشى عليه النفاد ، بل مما يؤمل بانفاقه الإزدياد ، وانتفع به جم من العباد ، وبقي به عمله إلى يوم التناد .

ثم انتخب لخطبة القضاء فزانا بعلمه وانصافه ، وما يحمد من جميل أوصافه ، فأجرى الأحكام الشرعية والنفوس به مطمئنة ، ومع ذلك يستشير في المظنة ، شأن قاضي الجنة . ثم انتقل لخطبة الفتوى ، فكان ركنها الأقوى ، وزانها بالعلم والتقوى ، مع غيرها من الخطط العلمية .

وتقدم إماما ثانيا بالجامع الأعظم ، وخطب من إنشائه على منبره بالنيابة ، وظهر في الناس من وعظه لا من لفظه الخشوع والإنابة ، مع ملازمة الدروس ، والتأنس برياض الطروس . وكان عالما فقيها مطالعا ، جيد الحفظ ، ثاقب الفهم ، تقيا نقيا ، عالي الهمة ، متواضعا ، واسع الصدر ، لين العريكة ، جم الفضائل ، متحليا بالوقار والسكينة ، فائزا من محبة الناس بمكانة مكينة ، بعيدا عن التصنع والفضول ، معمور الأوقات بالعبادة ، من إقامة صلوات وفتوى وإفادة ، إلى أن رحل للدار الآخرة ، بعد أن قدم زاده ، يوم الإربعاء السادس عشر (1) من محرم سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والـ (30) ماي 1866 م. ، ودفن يوم الخميس بالجلالز ، ولم يتخلف عن جنازته إلا من له عذر ، وتخلف أمير العصر لعذر مرض ، وبعث آل بيته والأعيان ، ولم يعقب ولدا ذكرا ، وإنما أعقب الذكر الجميل ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، آمين .

[372 - يوسف أمير عسكر زواوة]

أبو المحاسن يوسف أمير لواء عسكر زواوة.

هذا الرجل أصله من بلاد القرج ، جيء به للباي أبي محمد حمودة باشا صبيا في سن الأثغار ، وتربى مع مماليكه مثل ابنه ، وآل أمره بعد وفاة سيده إلى الباي أبي النخبة مصطفى باشا ، فتربى مع ابنه منخرطا في سلك مماليكه .

ولما آلت الدولة له بعد أبيه ، اكتفى به في بعض أعمال الخدمة ، فأولاه كاهية ببنزرت ، فباشر العمل بسياسة وصدق ، ورأفة على الرعية ، وشدة ولين في موضعهما . ثم نقله إلى إمرة زواوة ، وسافر بهم إلى جربة وغيرها . وتحمل من شدتهم ما يناهز طبعه . وكان قنوعا أشبه الناس بأخلاق الزهاد ، كريم النفس ، عالي الهمة ، على قلة ما بيده ، حسن الأخلاق ، متوددا إلى الناس ، محافظا على عرضه ، آية الله في الصبر والوفاء والصدق . شكاه رجل من أهل بنزرت للمشير أبي العباس أحمد باي بالمحكمة ، بأنه أخذ منه ثلاثمائة ريال ، وكان واقفا بين يديه ، فقال له المشير : « هل أخذت منه ما ذكره ؟ » ، فقال : « نعم » ، فاضطر المشير إلى أن قال له : « رجّعها له الآن » ، فرجّعها . ولما خرج من المحكمة قال للوزير : « ان يوسف لا يعرف عادة العمال » ، ولما كلمه الوزير في ذلك قال له : « سيدنا سألني ، وأستقبح الكذب ، خصوصا مع سيدنا » ، فقال المشير عند ذلك : « ان يوسف لا يليق بطبعه إلا الخدمة العسكرية لا الخدمة العملية » ، ونقله بعد ذلك لعسكر زواوة ، فترفع عن أشياء من دخل أمثاله ، وتركها لأعيانهم .

[وكان] سليم الصدر ، بعيدا عن الفضول والحسد ، يراه اعتراضا على الله تعالى ، فصيح اللسان ، لطيف الشماثل ، حسن المجالسة ، مشتغلا بنفسه عن عيوب غيره ، متواضعا حياء ، والحياء خير كله ، يميل إلى الخير في سائر أحواله ، يقول ما يراه حقا ولا يبالي . ولم يزل بهذه الحالة المرضية ، إلى أن وافاه رائد المنية ، في رجب الأصب من سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والـ (نوفمبر — ديسمبر 1866 م) ، ودفن بزواوة سيدي عبد الوهاب ، صاحب الإمام الشاذلي رضي الله عنهما ، وأعقب صبية حمير الحواصل ، كفلهم الوزير أبو النخبة مصطفى خزنة دار ، وحنوا عليهم حنو الوالد .

[373 - مصطفى آغة]

الوزير أبو النخبة مصطفى آغة ، وبهذا اللقب عرف .

أصل هذا الخير من القرج ، ونشأ في خدمة الباشا أبي النخبة مصطفى باي ، واختص به ، وسافر معه ، وحمد خدمته ، وعلم مزيته ، وصاهره على بنته ، وتدرج إلى أن صار باش آغة ، في وجق الحاضرة .

وتقدم في دولة المشير أبي العباس أحمد باي لوزارة الحرب ، واستعان به في جمع العسكر ، وغير ذلك من المهمات ، ودفع به الملمات ، وسافر معه لباريز ، وتردد في السفارة للدولة العلية العثمانية ، ولطرابلس ، محمود الأثر ، طيب الخبر .

وله عناية بالعلم ، ومطالعة الكتب التاريخية والفقهية .

وكان خيّرًا عفيفًا ، ثقة أمينًا ، مشاركًا في الفقه ، لا سيما أبواب العبادات ، نقى العرض ، يسلك الطريق الجادة ، بعيدًا عن الغلط (1) والتشبع بما ليس عنده ، يكره البطالة ، لا يفتر لسانه عن الذكر ، وأكثر أذكاره الحمد والشكر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، يعرف معنى العلم ، ويعظم العلماء ، يغلب عليه الطبع العسكري ، في عدم الالتفات إلى مقتضى الحال والسياسة ، من دينه النصيحة ، يقول الحق ولا يبالي ، وله في ذلك أخبار تذكر ، وآثار تشكر .

وكان المشير أبو العباس أحمد باي يتجاوز له في ذلك ، ما لا يكاد يتجاوزه لغيره ، والملك مطلق ، ما ذاك إلا لاختلاص السريرة مع الله ، فصيح اللسان ، ثابت الجنان ، متأنيا ، خلص بتأنيده الحاضرة من ورطة هرج في الدولة الأحمدية ، وذلك أن بعض أفراد العسة من زواوة بباب باردو ، وقعت منهم مشاجرة مع أمير آلاي عسكر الخيالة ، وتعصبوا على عادتهم ، ودخلوا بيت عستهم ، وذلك في العشائين ، فأمره الباي باخراج المدافع ، ويرمي البيت حتى يهدمها عليهم ، فخرج ممتثلا ، وتوانى وتعلل ، وأخرج المتعصبين من البيت ، وأودعهم في السجن ، وأتى الباي ، وقال له : « ان هؤلاء الذين أسأوا الأدب ، أخرجناهم من البيت ، وهم الآن في السجن ، إلى أن ترى رأيك فيهم غدا ، ولا حاجة حينئذ لرمي المحل بالمدفع ، في هذا الليل » .

[وكان] يكره الجور ، ويحب الخير بطبعه ، باشر أعمال بعض القبائل من الخيام ، فساسهم باللين ، الذي أسس فيهم ثروة ، وكاد ان ينسيهم ما في طباعهم من القسوة ، وعلى فضله وانصافه ، وحميد أوصافه ، كان شديد التعصب للمماليك من قبيلته ، بكيفية لا تشين جمال فضيلته .

(1) الغلط : الغرور ، الادعاء (عامية تونسية) .

ومال في آخر عمره إلى التخلي ، ولم يزل يدأب على ذلك ، إلى أن أسعفه أمير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي ، فأجرى له ما يجرى لمن وهب قوة شبابه ، في خدمة الدولة ، إلى أن شاخ ، ورأى قرب المناخ ، فبقي ببستانه ، معروف الخدمة ، موفى الجراية ، مرموقا بعين الإجلال والعناية ، ولكل عمل ثواب ، ولكل أجل كتاب ، وطول الخدمة ، أوكد حرمة ، ولا بد لكل وقت من أعيان ، وسبحان من كل يوم هو في شان .

ولم يزل ببستانه في ظل الأمن والعافية ، شاكرا ربه على نعمه الوافية ، يتزود بأعماله إلى الدار الباقية ، متمسكا بعروة الله الوثقى ، إلى أن أجاب داعي الله ، والآخرة خير وأبقى ، يوم الأحد الثالث عشر [1] من شوال سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والف (17 فيفري 1867 م.) ، في بستانه المعروف بالكرم ، ودفن من الغد بمقبرة الأشراف ، جوار الولي العارف بالله سيدي عبد العزيز القرشي ، بمرسى الجراح ، وشهد المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي وآل بيته جنازته ، وقضى نهاره كله في ذلك ، ولم يتخلف عنها أحد من رجال الدولة ، وأعيان العسكر ، رحمه الله .

وأعقب أولادا أحسن آدابهم ، وجعل العلم دأبهم ، حتى رآهم في حياته من الأعيان ، كثر الله من أمثالهم .

[374 - محمد السبوعي]

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد السبوعي .

هو أحد الأعيان من قبيلة جلاص ، خلفا عن سلف ، ولهم في خدمة الدولة القدم الراسخ ، ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه المتقدم خبره ، وتقاب في الخطط .

وكان كريم النفس ، حسن القرى ، فصيحاً محجاجاً ، أبيّ الضيم . وله في فتنة الإثنيين والسبعين صوت مسموع في إخوته ، حتى انه اشار على قبيلته بقتل أخيه العبيدي ، لأنه من حزب الدولة ، ولأجل ذلك أبعدته الباي عن القبيلة ، وألزمه سكنى الحاضرة ، إكراما لأخيه ، لما له من جميل الأثر في الخدمة ، وسكن صاحب الترجمة بتونس على

فراش مرض ، مقعد عن كل غرض ، إلى أن توفي في غربته ، على فراش محنته ، أوائل ذي الحجة من سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والـ ألف (أوائل أبريل 1867 م) ، ودفن بمقبرة الولي العارف بالله سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه .

[375 - أحمد العلمي]

أبو العباس أحمد العلمي .

من أعيان الحاضرة ، نشأ في صيانة ، ومروءة رفعت شأنه ، وتعلم ما خرج به من ربة الجهال ، ونظمه في سلك رجال الكمال ، وله بمعرفة الفرائض والحساب تقدم ، وآثر مثلى الطريقة ، على التكسب بالوثيقة ، فطلب الرزق من أبواب التجارة ، ورأى من بركة الصدق فيها آثاره ، فصار من أفراد الأعيان ، المعدودين في أهل الشأن ، ووقع اختياره لمجلس الشورى ، وهو المجلس الأكبر ، فباشر مدة ثم استقال ، وكأنما نشط من عقال .

وكان خيرا عفيفا ، نزيه النفس ، نقى العرض ، مشغلا بخويصة نفسه ، إلى يوم رمسه ، في صفر من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـ ألف (جوان 1867 م) .

[376 - رشيد]

أمير الأمراء أبو محمد رشيد .

أصل هذا الوجه من ممالك الوزير أبي الربيع سليمان كاهية ، تربى بداره صغيرا ، وهو من القرج ، وقرأ ما تيسر له ، ثم أخذه الباشا أبو عبد الله حسين باي ، وأضافه لابنه أبي محمد حمودة باي ، ثم نقله للخدمة العسكرية ، إلى أن صار أمير آلاي بعسكر سوسة ، ثم أضيفت إليه قيادتها ، بعد قتل الوزير شاكير صاحب الطابع ، فخدمها قليلا من الزمن ، ثم استعفى منها ، لمباينتها الطبع العسكري ، وولع بعلم الصناعة الحربية ، وهو أول من اعتنى بتعريف كتبها ، في هذه الإيالة ، وحصل من علمها ملكة واسعة ، تشهد له أقرانه بالتقدم في ذلك .

ولم يزل يترقى إلى أن صار أمير أمراء في الدولة الاحمدية ، التي هو أحد أعيانها ورجالها ، وتوجه لسلطان الفرانيسيس سفيرا ، واختاره المشير أبو العباس أحمد باي لامارة عسكره الذي أرسله لخدمة الدولة العلية العثمانية ، ومجموعهم أكثر من إثني عشر الف مقاتل . ومعه أسطول في البحر تحت امرته ، وذلك سنة 1270 كما تقدم تفصيل ذلك في الباب السادس (1) .

وهو أول من قاد عسكرا نظاميا من المغرب إلى المشرق ، وحمدت بهذه الوجهة لإمرته ، وظهرت سريرته ، وساس هذا العسكر سياسة اقتضت طيب خبرهم ، وحسن أثرهم ، بحيث لم يحفظ عنهم ما يخذش وجه المروعة الإنسانية ، ولا ما يشين الوطن التونسي . واتفق أن كان موضع قتالهم وخيما ، ومرض كثير من العسكر ، فعانى بنفسه مرضاهم ، ووارى موتاهم ، كما تواتر ذلك عنهم وعن غيرهم ، ورجع بهم إلى أرضهم ، محافظا على أبدانهم وعرضهم ، في يوم مشهود ، وموكب معدود .

وله محبة في الخير ، وإعانة المحتاج ، وبها استأذن الباي في بناء قنطرة بحلق المنجل ، من طريق سوسة ، فاستنفر الناس والعسكر ، وبنّاها بأيسر مصروف ، في أقرب وقت ، وعم نفعها السالك .

وسهل طريق خنقة الحمامات ، حتى عبرتها العجلات ، بسهولة من غير مصروف ، وذلك ان العسكر لما يأتي من سوسة إلى الحاضرة ، يقول لهم : « من فخامة العسكر أنه إذا كان مجتمعا ، ومرّ بأوعار في الطريق ، يسهلها إبقاء لأثره ، وأقام بهم أياما في هذه الخنقة حتى سهلها .

وكان لا يستخدم أحدا من العسكر في حاجات نفسه الخاصة به .

وعنايات المشير أحمد باي ، وابن عمه ، مصروفة له .

وأتى المشير ابو عبد الله محمد الصادق باي فأقره على مقامه ووجاهته ، واستعان به في المهم من الأمور ، واختاره ممن اختار لمجلس الشورى ، ولمجلسه الخاص . لم تحفظ عنه سيئة ، ولا شأن عرضة ، حتى جاءت فتنة الإثنيين والسبعين ، فبعثه إلى سوسة في البحر ، ليأتي بالعسكر منها ، وأبى أهل سوسة إخراجهم ، ورأى في وجوه العسكر

الإمتناع ، لان مصيبة تضعيف الأداء تشمل آباءهم وإخوتهم وأقاربهم والمسرح منهم ، بعد أن أفنى في الخدمة شبابه ، وطيب عمره ، فتغافل عن ذلك ابقاء لستر تجميلهم ، حيث لم يلجئهم إلى المكافحة بالعصيان ، وكاتب الباي بذلك ، فأجابه بالإستحسان ، وأسرها في نفسه ، وفتح أذنه للوشاية به .

حال هذا الرجل :

كان عالي الهمة ، سليم الصدر ، صادعا بالحق ، وهي إحدى الكبائر عند ملوك الإطلاق ، شجاعا مقداما ، صبورا حازما ، صعب المقادة ، أبي الضيم ، غير السجية ، والمؤمن غير كريم ، متخلقا بالطبع العسكري ، كريم النفس ، حسن المعاشرة ، وفي العهد ، حافظا لمروءته من دنس المداينة والملق .

ولم يزل على ما حصله من العناية والإحترام ، وأيام دهره في ابتسام ، إلى ربيع الأول سنة 1282 اثنتين وثمانين (24 ربيع الأول 1282 — 17 أوت 1865 م.) فكان من الأعيان الذين أمرهم الباي بعدم الإتيان لقصره ، ولم يسلبهم شيئا من مالهم ، ولا من ألقابهم (1) ، فبقي بمحله إلى أن خرج أبو عبد الله محمد العادل باي لجبل خمير ، وتوجه أخوه باي المحال أبو الحسن علي باي بالمحلة ، واتفق أن وجده طريحا في فراش مرض الحمى ، فبعث له ولاطفه ، وضمن له الأمان ، واستنطقه ، فسمى له أفرادا ذكر أنهم أغروه ، وأن رشيدا صاحب الترجمة منهم ، وأعانه بمال وسلاح لخاصة نفسه ، وكاتب بذلك أخاه المشير .

وبمجرد وصول الكتاب من باي المحال ، بهذا الخبر الذي نقله ، رأى الباي أن ذلك من القرائن على تحقيق الدعوى ، فبعث له بمجرد وصول الكتاب ، من اقتحم عليه داره بتونس ، فدافع وحده بعض مدافعة ، وجرح بعض المأمورين بالقبض عليه ، فأوثقوه كثافا ، وجعلوه في كروسة ، وطاروا به إلى باردو ، فوجدوا الباي في انتظاره بصحن الصراية .

ولما دخلوا به شتمه ، وقال له : « غدرتني أولا ، وتجاوزت لك ، والآن تريد أن تسفك دمي بدمي » ، ولم يترك له لحظة للجواب ، وأمر بخنقه في بيت وزير

(I) انظر ص 54 ج 6 .

الحرب ، ثم خنق بعده اسماعيل الآتي ذكره ، في علو الفسيالات ، وكان ذلك عشية يوم الجمعة سادس (1) جمادى الثانية سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (4 أكتوبر 1867 م.) ، ودفنا ليلا بزاوية السيدة بركة ، بربض باب الجزيرة .

ووقع العجب من هذا الإستعجال ، كما تقدم في الباب الثامن (2) ، وان وقع بعده الندم ، وهل يرد ما فات ، وعند الله تجتمع الخصوم ، في يوم العرض المعلوم ، رحمه الله .

وأعقب ابنا من زوجه الشريفة بنت أبي عبد الله محمد ابن الوزير العربي زروق ، اعتنى بتربيته خاله أمير اللواء ، ورئيس المجلس البلدي ، محمد العربي زروق ، وقرأ مبادئ العلوم بالجامع الأعظم ، وظهرت عليه سيما النجابة والتقدم ، وهو الآن في مدارج الخطط العسكرية ، يعمر دار أبيه ، وينفق من إرثه ، في كفالة خاله وسمي جده العربي زروق ، وانتخبه الوزير المباشر أبو محمد خير الدين للاستعانة به في مأموريته ، كما انتخب بعض أولاد من الأعيان .

[377 - اسماعيل السنّي]

أمير الأمراء أبو الفداء اسماعيل صاحب الطابع .

أصل هذا الرجل من الروم ، من مماليك الباشا أبي عبد الله حسين باي ، جاء صغيرا في سن الإثغار ، وتربى في داره ، مضافا لأكبر بنيه أبي عبد الله محمد باي . وقرأ شيئا من القرآن مع ابن سيده ومخدومه ، تعلم به شيئا من نقوش الكتابة ، ولمحبة ابن سيده فيه ، تسميه أقرانه « ولد الباي » .

واستكفى به مخدومه قبل الولاية في بعض مهماته المالية ، وثوقا بأمانته ، وكان يأتمنه على أسرارهِ ، وزوجه من شقيقته ، وأسكنه معه بداره ، وتوفيت في عصمته ، وتركت منه ابنا ، ثم تزوج بنت أبي محمد رشيد كاهية ، وتوفيت في عصمته أيضا ، وتركت منه ابنا .

(1) هو 5 حسب التقويم .

(2) انظر ص 97 ج 6 .

ولما تقدم مخدمه أبو عبد الله محمد للولاية ، بعد ابن عمه ، خرطه في سلك الوزراء اورجال الدولة ، وسماه صاحب الطابع ، وربما اغتر بهذا اللقب ، وذلك ان هذه الخطة ، إنما عظمت برجال رفعوا شأنها ، وانتقلوا منها للوزارة ، وبقي عليهم لقبها ، مع ترفعهم عن مباشرتها ، وظن بعض الغافلين أن الخطة في نفسها عظيمة ، وليس كما ظن ، فانها كصاحب الدواة والسلاح وغيرهما ، والحاجة للكاتب في الدول أشد من الحاجة لصاحب هذه الخطة ، وولاه مخدمه عمل جربة ، ولم يزل يرقيه ويستدنيه ، وثوقا به ، ثم تنكر له في مرض موته ، لو شايات من بعض حساده .

ولما توفي سيده ، جامله المتولي بعده ، وخرطه في سلك رجال الدولة والوزارة ، كما خرطه في سلك المنتخبين لعمل القانون ، وأولاه وكالة الرابطة ، وحسن فيها أثره ، وأجلس جسده على منصة الرئاسة بمجلس التحقيق في الأحكام ، أيام القانون ، ونظمه في سلك من انتخب لمجلس الشورى ، المعروف بالمجلس الأكبر ، ولمجلسه الخاص . وهو أول من استحسن مصيبة الإثنين والسبعين (1) ، تضعيف الإعانة ، تزلفا وتقربا ، وهي البضاعة لكل خيلسي من أدوات التقدم ، وسمعنا من مخدمه ، الذي أظهره ، غير مرة ، أنه كان يزين له الخروج على ابن عمه ، ويسهل عليه امره ، يحكي ذلك ، رحمه الله ، في معرض صبره وثبته .

حاله :

كان ظاهر العفة ، ملازما للصلوات والأذكار ، حتى كان يسميه بعض أصحابه في محاوراة المباشطة بالسني ، متوسط الإدراك ، وان تشبع بما ليس عنده ، يروم الإلتحاق بالحدائق ، بلا حافر ولا ساق ، مطواعة لأمر سيده ، حتى أن أهل جربة أهدوا له خمسين الف ريال ، لما ولد ابنه ، وكان ذلك وقت ضرب مخدمه على أيدي العمال ، في أخذ الزائد على الإعانة ، فردها إلى فقرائهم أحسن رد ، واعتنى في ولايته بأهل جربة ، ووقف بغاية جهده في مصالحهم وحقوقهم ، وان ختمها بسجن رجل من أعيانهم ، اسمه محمد بدرة ، لم يأت مهنثا بالعيد ، فسجنه في يومه ، وعجب أهل جربة من ذلك ، ورفعوا شكايتهم قائلين : « إن عاملنا ممن أختير لترتيب القانون المؤسس على العدل ، أمن العدل سجن إنسان في يوم عيد ، حيث تأخر عن تهنئة العامل ، من غير سؤال عن سبب التخلف ؟ » .

[وكان] يميل إلى صحبة أهل العلم ، عظيم الحياء ، جدي السجية ، لم يتدرب في السياسة ، ولا مارسها ممارسة من أراد اللحاق بهم .

ولما جاءت فتنة الإثنيين والسبعين التي استحسن مثارها ، قدمه صاحبها أميرا على المحلة التي جهزها لإطفاء تلك النار ، وان اطفأها الله على يد الولي الصالح السالك العارف بالله سيدي مصطفى بن عزوز ، وقد نقل صاحب الترجمة في تلك الأيام عن العربان ، أنهم يطلبون ابطال المجالس بالكلية ، ولم يفه بها غير واحد من شرارهم ، من قبيلة ورتان ، وأخذ الله بعد الإمهال ، أخذ عزيز مقتدر .

وذلك ان صاحب هذه المحلة يكره القانون والمجالس بطبعه ، لقصوره عن مدارك الأفهام ، والمرء عدو ما جهل .

ثم رجع من تلك المحلة مريضا بالحمى ، وقام مقامه فيها الوزير أبو الضياء رستم ، وظهر فيها ما طبعه الله عليه من الثبات والسياسة ، فمهد العافية .

ولما رجع ألبسه النيشان الذي اخترعه ، وسماه نيشان العهد ، بعد أن ألبس مثله لصاحب الترجمة ، الذي خرج بالمحلة أولا .

وفي سنة 1282 ، بعد هذا النيشان بأيام ، بلغته عنه وعن بعض أعيان وشايات ، أمرهم لاجلها بلزوم منازلهم ، وان لا يغشوا قصره ، فبقي بيستانه المعروف بالبرطال ، في زوايا الخمول . وللرجل ولوع بالظهور والتقدم .

ثم خرج أبو عبد الله محمد العادل باي إلى الجبل عند خمير في جمادى الأولى من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـف ، وبعث الباي أخاه أبا الحسن علي باي بالمحلة ، فلاطف أخاه وأمنه وهو على فراش مرضه ، وسأله عن الذين معه في هذه الثورة ، فأخبر بصاحب الترجمة ، وأمير الأمراء رشيد المتقدم ذكره ، فكاتب باي المحال أخاه بذلك الخبر ، وبمجرد وصول المکتوب ، بعث له الباي ، وأُتِيَ به من بستانه إلى محبسه بالصرايا ، ريثما يقدم أمير الأمراء رشيد ، المتقدم ذكره ، وفي حين وصوله أمر بخنقه ، من غير أن يعلمه بما اتهم به ، فضلا عن سماع جوابه ، واستعجل في ذلك ، أكثر مما يستعجله الجائع في قتل عنق دجاجة ، لسد رمق حياته ، ثم أمر بعده بخنق صاحب الترجمة ، وكان ذلك عشية يوم الجمعة سادس جمادى الثانية سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـف (5 جمادى الثانية — 4 أكتوبر 1867 م) ، وأمر بدفنهما في

زاوية السيدة بركة ، فقبرا ليلا ، وذهبا كأمس الدابر ، شأن النفوس المحرمة في نظر الملك المطلق ، الذي لا وازع له من قانون شرعي أو سياسي ، والله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال . وتكلمت قناصل عظماء الدول في هذا الإستعجال ، كما تقدم تفصيل ذلك في الباب الثامن ، من هذا الكتاب (1) .

[378 - محمد بوعصيدة]

أبو عبد الله محمد المعروف بأبي عصيدة .

أحد الأعيان من أبناء الحاضرة نشأ في طلب العلم وأخذ عن الشيخ الصالح العلامة شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكة النحو والفرائض وغيرهما وأخذ عن شيخنا خاتمة المحققين أبي اسحاق إبراهيم الرياحي وعن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد الأبي ، وعن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بيرم الثالث . وتسلم ذرى التحصيل وتصدر للتدريس فافاد ، وتقدم مجالس الأحكام فاجاد ، وعدت من الأفراد .

وكان خيرا تقيا نقياً ، ذكياً المعيا ، عالي الهمة كريم النفس نقي العرض ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ما نقص الأقلال من همته ، ولا غير شيئاً من محمود سجيته . ولم ينزل على حالاته المرضية ، إلى أن لبى داعي المنية أواخر جمادى الثانية سنة 1284 (أواخر أكتوبر 1867) .

[379 - محمد زروق]

أبو عبد الله محمد ابن الوزير أبي عبد الله محمد العربي زروق ابن أبي عبد الله الحاج محمد زروق .

هو من بيت شرف أصيل ، ومجد أثيل ، نشأ في خدمة الدولة بين يدي أبيه . وكان الباي حمودة باشا الحسيني يستنجه ، على صغر سنه . ثم امتحن بمحنة أبيه المتقدم

(1) انظر ص 99 ج 6 .

خبرها في الباب الثالث من هذا الموضوع (1). ثم حال الحال وساعده الإقبال مع الباشا أبي عبد الله حسين باي فقربه نجيا ، واتخذة خلا وفيا ، ورفعته مكانا عليا ، ومع هذه المكانة والحظوة ما دنس شرفه بشر ، ولا تسبب لأحد في ضرر ، ولا ذكر أحدا بين يدي مخدمه بسوء ، يقول الخير أو يصمت .

وكان كريم النفس ، عالي الهمة ، لين العريكة ، حسن اللقاء ، يحب أن يرى أثر نعمة الله عليه ، حسن المحادثة حلو المفاكهة ، وفي العهد جدي السجية ، سوي الظاهر والباطن ، شان السادات الاشراف .

ثم استقبل مشيبه بالأوبة والتوبة ، والنوافل والأذكار ، وزيارة الأولياء ، وانخرط في سلك الاتقياء ، ونبد الحظوظ ظهريا ، وترك الغرور نسيا منسيا ، ومتعه الله بطول السنين ، وبرور نجباء البنين .

ولم يزل على محمود حالته ، مستغرق الأوقات في اذكاره وعبادته ، إلى آخر ما قدر له في حياته من ساعته ، في نهار يوم الأحد سابع (2) رجب من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـ [3 نوفمبر 1867] ودفن بتربة آله الكرام في الجلاز . ولم ينقطع عمله بدعاء صالح الولد ، رحمه الله تعالى .

[380 - محمد المازري]

أبو عبد الله محمد المازري ابن الإمام العالم الصالح
الشيخ الطاهر بن مسعود .

نشأ في دوحة تقوى وعفة وصيانه ، واعتنى والده بتربيته ، وأخذ عنه وحصل ، وفاز بما تحصل ، وتصدر للتدريس بعد والده في مدرسته السلیمانية وفي جامع الزيتونة . واضطره الحال إلى التكسب بخطة التوثيق ، ثم صار من رجال مجلس الحكم ، فزان بالتقوى مجالس الأحكام .

وكان رحمه الله نقى العرض ، تقيا عفيفا ، واسع الصدر ، عزيز النفس ، متعلما بأخلاق الصالحين ، ناسجا على منوال آله المهتدين ، معظما محبا إلى الناس ، إلى آخر

(1) انظر ص 138 ج 3 .

(2) هو 6 حسب التقويم

ما قدر له من الأنفاس ، في الثامن من رجب سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (الثلاثاء 5 نوفمبر 1867 م) ودفن بالجلالز قرب والده رضي الله تعالى عنه .

[381 - صالح زيد]

أبو الفلاح صالح زيد باش حانبه .

نشأ في الخدمة المخزنية ، وتدرج في سلمها من صبايحي إلى أن صار باش حانبه أواخر دولة المشير أبي العباس أحمد باي . وفي خلال ذلك باشر بعض الأعمال . ولاقي خطة باش حانبه وقد أخذت في التقصان على ما اقتضاه حال الزمان .

وأصيب بثقل في سمعه ، غطى ما علم من حذقه وطبعه ، ففنع باسم الولاية ، وان لم يستفد منها غاية .

وكان شجاعا جريئا ، باذل النصيح في الخدمة ، يستكفي به في البعوث لحزمه ، يقدم على نفسه مصلحة من وراءه من الفرسان ، كما هو الشأن .

ولم يزل يتقلب في حالاته بتقلب الأيام ، إلى أن وافاه الحمام ، أواسط رجب من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (أواسط نوفمبر 1867) ودفن بزاوية سيدي أحمد الرصاص .

[382 - قضيوم الفرشيشي]

أبو عبد السلام قضيوم بن محمد بن مراد الفرشيشي من أولاد علي .

نشأ هذا الرجل في حيه من الأعيان ، وتقدم بنفسه ، وزان أبناء جنسه ، وشاخ على قومه ، ولمشايع العرب يومئذ حرمة مرعية .

ونال الخطوة عند الباي أبي محمد حمودة باشا ، يستنجه ويسأله ويعتمد جوابه . وزاد في معناه المشير أبو العباس أحمد باي ، وولاه عمل قومه ، وقربه بما يقتضيه حاله ، ورقاه إلى رتبة لم تعهد لامثاله ، وانذر بفتنة الإثنيين وسبعين ورآها قبل وقوعها ، وفي بعض القلوب عيون ، وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم .

ولما جاءت الفتنة وشب ضرارها ، امتحن فيها من العامة التي قدرت ان تقول
وتصول ، إلا أن صنائع المعروف وقته مصارع السوء ، فدارى القوم لمنجاة نفسه من
الهلاك المحقق .

وامتحن من الخاصة أيضا ، فان بعض رجال الدولة اتهمه بالتقصير في الإصلاح ،
لما يعلم من حاله ، وما تقدم من خصاله ، ورب ملوم لا ذنب له ، إذ القوة يومئذ بيد
العامة ، والخاصة أذل من وتد بقاع ، حسبهم التحيل لمنجاتهم ، والناس اتباع من غلب .
ولاقي بسبب هذه التهمة السجن مع ابنه عبد السلام ، ثم تسرح وأُمر بالإقامة في
الحاضرة ، ثم استعمل وأمر بالتوجه لأهل عمله ، عند تراكم الخوف والجوع ونقص
الأموال والأنفس والثمرات ، وهو لا يقدم غرضا على طاعة وازع الحكم . فتوجه وترك
أكبر بنيه في محبسه الذي مات فيه ، ولما وصل قومته أسف لحالهم مع أسفه على ابنه
ففاجأه مرض موته ، فبقي به أياما وصار لرحمة ربه أواخر شعبان سنة 1284 أربع
وثمانين ومائتين والـ ألف [أواخر ديسمبر 1867] ودفن بزاوية تالة .

وكان عالي الهمة ، جوادا لا ترى أبناء السبيل غير نار قراه ، جبان الكلب ، مهزول
الفصيل ، لا يسأل عن السواد المقبل ، واسع الصدر شجاعا صبورا ، صادق اللهجة ،
سوي الظاهر والباطن ، فصيح اللسان ، يحمل الكل ويكسب المعدم ، ويمين على نواب
الدهر ، أحيا في هذا العصر ما أندرس من مفاخر العرب ، ولكل وقت حاتم وأحنف
وكعبه ، آية الله في الوفاء ، قابله الله برضوانه وغفرانه وإحسانه ، وهو الكريم الذي
يحبّ الكريم .

[383 — عبد الحليم المحرزي]

الشيخ أبو عبد الله عبد الحليم المحرزي .

زان بيت مجده ، على قدم أبيه وجده ، وبركة الصديق عليهم تلوح ، وطيبها من
بيتهم يفوح .

وحصل الملكة العلمية ، لا سيما في علمي الفرائض والحساب . ونصدر للتوثيق
وعد من رجاله ، وفرسان مجاله ، ثم انتقل للشهادة على أحوال دار السكة بباردو .

وكان تقيا فاضلا وجيها ، حسن الأخلاق ، محمود المحاضرة ممتع المذاكرة ، محبا إلى الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ، في التاسع من رمضان سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـ (4 جانفي 1868) ودفن بزاوية جدتهم ، منبت مجدهم ، رحمه الله .

[384 - محمود محسن]

أبو الثناء سيدي محمود ابن الإمام أبي الحسن سيدي علي ابن الشيخ سيدي أحمد ابن سيدي محمد ابن سيدي محسن ابن الشيخ سيدي أحمد الشريف الشهير بامام جامع دار الباشا ، وتقدم شيء من ترجمته مع الأئمة بجامع الزيتونة .

نشأ في بيت شرفه ، نشأة الجواهر في صدفه ، فقرأ القرآن على الشيخ الحافظ العفيف أبي محمد حسن بن عمر ، واقتبل على العلم فأخذ عن ابن عمه الشريف الحسن ، وعن الشيخ الطاهر بن مسعود .

ثم الجأه حال الضيق ، إلى التعلل برشح من قلم التوثيق ، فتصدر لذلك متخلقا بالعدالة ، مرموقا بعين الجلالة . ثم قدمه الباشا أبو عبد الله حسين باي إماما ثالثا بالجامع الأعظم جامع الزيتونة ، وأولاه الشهادة على أوقاف الحرمين الشريفين ، وهي يومئذ من الخطط النبيهة ، وعدالته اقتضت معاينة ما يلزم لرم تلك الأحباس ، فأهدى له الباي فرسا ، عناية بشأنه .

ثم تدرج في سلم الإمامة إلى أن صار الإمام الأول ، وعليه في أمر الجامع المعول ، فقام بوظيفته وزانها وأعلى شأنها .

وكان شيخ العصر وتقى المصر شيخنا أبو اسحاق ابراهيم الرياحي يرغب في صحبته وانسه ، ويقدمه على نفسه ، وقدمه كما تقدم على صغار بنييه ، لما رأى فيه . وكان محبا إلى الخاص والعام من أهل البلاد ، وحب الله ، كما ورد ، موصول بحب العباد .

وكان الشيخ الشاذلي بن المؤدب المفتي انف من المشي خلفه على عادة أئمة الجامع ، وبلغ ذلك إلى أبي النخبة مصطفى باي ، فبعثني اليه مع شيخنا القاضي أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار في غرض الإصلاح بينهما مع المحافظة على عادة

الجامع . هذا أبو حفص عمر المحجوب القاضي كان يمشي خلف الشيخ علي البكري ، فحلف الشريف أن لا يتقدم على الشيخ الشاذلي ، ثم صفا جو الوداد بينهما ، شأن الأفاضل .

وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعرف منزله ، ويجله مع ما يبلغه عنه من بعض الوشاة ، بسأته لا يحبه ويميل إلى ابن عمه ، ويقول للواشي : « إن أحبني فهو من سعادتي وإن كانت الأخرى فما أفعل مع ابن علي وفاطمة ؟ » على عادة تشيعه في حب هؤلاء السادة .

وكان عالي الهمة نزيه النفس سليم الصدر ، فقيها نبيها حسن الأخلاق ، ممتع المحاضرة حسن اللقاء متواضعا على شرفه ، تقيا نقيا عفيفا ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، شديد المحافظة على العادات المألوفة في الجامع ، بل وفي سائر حالاته ، حتى أن المجلس البلدي أجرى ماء زغوان إلى مiazza السلطان ومiazza الحفيان عند باب الجامع ، فانكر ذلك ورده من حيث ان الماء مغصوب ، وفيه ما فيه من الكلام ، وأي داع للتسبب في تطهير المسلمين بما فيه كلام ، وهو خلاف عادة البلد . آية الله في الوفاء حتى انه اعتراه مرض بعينه وبجسده غير مزاجه لما توفي صديقه شيخنا الكاتب أبو عبد الله محمد بن سليمان المناعي .

وتعلق في آخر عمره بزهد الأبرار ، وكره المقام بهذه الدار ، يطلب من أصحابه الدعاء له بذلك ، وأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه عشية يوم الجمعة السادس عشر (1) من رمضان المعظم سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـ (10 جانفي 1868) ، بعد أن أوصى بالصلاة عليه للشيخ الإمام المفتي التقي العالم أبي الحسن علي العفيف . ومن الغد صلى عليه أمام باب البهور بجامع الزيتونة ، وصار جنازته موكب شهده الباي وآله ورجال الدولة ولم يتخلف إلا من به عذر من أهل البلاد ، وتراحمت الناس على التبرك بحمل نعشه ، ودفن بتربة آل صلوات الله عليهم .

وقام مقامه في إمامة الجامع الأعظم ابن أخيه سيدي محمد بن سيدي محمد محسن ، وهو الإمام الثاني .

[385 - عثمان البارودي]

أبو عمرو عثمان ابن الشيخ الإمام المفتي أبي عبد الله محمد
ابن الإمام المفتي أبي عبد الله الحاج حسين البارودي .

تركه والده صغيرا وكفله أخواه ، الشيخ الإمام أبو عبد الله حسين ، والشيخ
الإمام أبو العباس أحمد . وأخذ عنهما ثم أخذ عن اعلام كالشيخ أحمد الأبي ،
والشيخ محمد بيرم الثالث ، والشيخ ابراهيم الرياحي . وحصل ملكة علمية وانتقل
للخطبة والإمامة إلى أن صار خطيبا بجامع باردو .

وكان تقيا عفيفا خيرا ، نقي العرض ، عالي الهمة ، حسن الأخلاق ، فقيها .
ولم يزل على المحمود من خلاله متجملا بكماله ، ناسجا على منوال آله ، إلى
حين وفاته وانتقاله ، أواخر رمضان من سنة 1284 (أواخر جانفي 1868) ، وخلف ابنا
قام مقامه ، وتسلم ذروة المنبر ومحراب الإمامة ، كثر الله من أمثاله .

[386 - عثمان هاشم]

أبو عمرو عثمان بن محمد هاشم .

نشأ بين يدي أبيه ، معينا له على أسباب المعاش . وهو من أمائل الحاضرة ، ثم أخذ
للخدمة العسكرية بقشلة الطبجية ، فبرع فيها وتقدم بنفسه .

وسافر مع الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع في محله لجبل ماطر ، ولم
يستطع أحد من حساده وانظاره بجهد ما حمد من خدمته .

وسفر عن الدولة لاسلامبول وغيرها من بلدان أوروبا ولاميركا ، وانصاف الوزير
خير الدين اقتضى ان اختاره مستشارا ، وتدرج في سلم الخطط العسكرية بباعه إلى أن
صار أمير لواء .

وكان حازما شجاعا صبورا ، عالي الهمة كريم النفس حسن الأخلاق ، متوددا
إلى الناس .

ولم يزل على حاله متجملا ببرود كماله وجميل خصاله ، إلى حين انتقاله في الثاني
من شوال سنة 1284 (الاثنين 27 جانفي 1868) ، ودفن بموكب يناسب مقامه العسكري .

[387 - سعد بن عبيد]

من قبائل اتباع بني رزق من دريد ، وثبت في الخدمة بوجع الحوانب ، واختص به الوزير أبو النخبة مصطفى صاحب الطابع ، ثم اختص به الوزير أبو النخبة مصطفى خزنه دار ، وجعله واسطة بينه وبين عمال العربان في انهاء مصالحهم ، ومع هذه الخدمة تقلب في الأعمال ، وجبى المال ، ونال من الحظوة والقرب فوق الآمال ، وربما نظر لنفسه ، وجعل ذلك مناط فكره وحده ، وغفل عن واجب النصيح لمخدومه ومصلحة بني جنسه .

وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، عريقا في السداجة البدوية ، لو أضاف إليها الهمة العربية .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في العشرين من شوال سنة 1284 اربع وثمانين ومائتين والنف (الجمعة 14 فيفري 1868) ، ودفن بموكب مشهود ، وأعقب أولادا تسنموا ذرى الأعمال .

[388 - صولة الشعلي]

صولة بن الشيخ سعيد الشعلي ببيت بني زيد .

هذه القبيلة من أعز قبائل عمل الأعراض في النجدة والشجاعة والإيواء ، على قلة عددهم ، شأن قلة الكرام .

والشيخ سعيد هذا يعسوب قومه ، ومرجع رأيهم ، يقفون عنده ويسلمون له الرئاسة ، وهو الذي يتكلم على لسانهم وحده بين يدي الباي إذا وفدوا ، سجية انفردت بها هذه القبيلة ، وهي السبب في تقدمهم .

وله أثر جميل في الخدمة لما توجه المشير أبو العباس أحمد باي بعسكره الجرار إلى أوطان الساحل والأعراض سنة 1256 (1) .

(T) انظر ص 39 ج 4 .

ونشأ أكبر بنيه صاحب الترجمة على سنن أبيه وبه اقتدى ، ومن يشابهه أبه^١ فما اعتدى .

وكان كريم السجية ، ظاهر الهمة ، مولعا بالأخلاق المرضية ، والهمة العربية . وله اخوة نسجوا على هذا المنوال ، وتخلقوا بجميل الخلال .

وامتحن صاحب الترجمة من الجهتين في فتنة الإثنيين والسبعين ، ثم توفي في وفدته للحاضرة غرة ذي القعدة من سنة 1284 (الاثنين 24 فيفري 1868) ، ودفن بالسلسلة .

[389 - علي العروسي]

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد العروسي .

نشأ في بيت مجده ، على سنن أبيه وجده ، ثم تقدم في مباشرة الخطط والأعمال ، كولاية صفاقس وغيرها من قبائل العربان . ثم أرسى أمره إلى التقدم لرئاسة مجلسي التجارة والشاشية ، فباشر أعماله مباشرة حسنة مرضية ، وكان نقبي العرض ، طيب الأخلاق ، حسن المروءة ، محمود المعاشرة مع الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ، في غرة ذي القعدة سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (24 فيفري 1868) ودفن بتربة آله بالجلالز .

[390 - محمد الوزير]

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد حسن الوزير .

من بيوت الأندلس وأعيان الحاضرة في القديم والحديث . نشأ بين يدي أبيه وحفظ القرآن وحصل ملكة علمية ثم أقبل على صناعة آله من المتجر في الشاشية وغيرها ، غير جانح لأسباب الولايات . ولما كسد سوق الشاشية بابتداء النقص في متجر الحاضرة ، تعلل من رشح قلم التوثيق اضطرارا .

ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي وكيلا على خزائن الكتب العلمية بالجامع الأعظم ، لمكانته المكيئة في الأمان .

وكان خيرا عفيفا تقيا نقيًا وجيها ، له إلى الله وجهة حسنة ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل متجملًا بهمة على اقلاله ، رافلا في برود كماله ، يزيد باخلاقه في مجد بيته وآله ، إلى حين انتقاله في ذي القعدة سنة 1284 (فيفري — مارس 1868) ، ودفن بمقبرة آله بالجلالز . وأعقب ولدا قام مقامه ، ونسج على منواله ، كثر الله في الأمة من أمثاله .

[391 - عمر ثابت]

أبو حفص عمر ابن الشيخ أبي عبد الله محمد ثابت .

نشأ بين يدي أبيه ، فدربه على الكمال وما يزين بيتهم النبوي ، وحفظ القرآن وعلم ما يجب علمه من أصول العقائد وفقه الدين ، وله في علم الحساب اليد الطولى ، وتقدم لكتابة مجلس المتجر وهي من الخطط النبيهة قديما وحديثا ، وصاحبها ممن يشار اليه . ثم الزمه المشير أبو عبد الله محمد باي مشيخة المدينة وصاحبها يسمى أمين الأمناء ، فامتنع وبكى وتضرع ، فوقع الزامه فباشرها على كره ، فأسبل قناع الستر ، واعتذر لما شاخ ، ورأى قرب المناخ ، فقبل منه العذر ، وأبقى طيب الثناء وجميل الذكر .

واقبل على ما يقرب إلى الله زلفى ، من ملازمة الجماعة وتلاوة القرآن في غالب أوقاته ، وكان في ذلك نسخة من أبيه المتقدم ذكره .

حاله :

كان خيرا عفيفا تقيا ، نقي العرض واسع الصدر ، عالي الهمة حسن الأخلاق ، محبا إلى الناس .

ولم يزل بين تلاوة وعبادة ، وإمارات سعادة ، إلى أن لبى داعي الله والقي لرحمته المقادة ، يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة 1284 (17 مارس 1868) ، وأعقب ابنا يحيى ذكره وينشر فخره ، انخرط في سلك أهل العلم وعد من النجباء وأعيان الأدباء ، وطلب إلى مشيخة المدينة فاعرض عنها وأبى ، كثر الله للأمة الإسلامية من أمثاله .

[392 - أحمد الوزير]

أبو العباس أحمد بن حسونة الوزير .

من أعيان بيوت الأندلس بالحاضرة ، نشأ في صيانة مجده ، واقتفى نهج أبيه
وجده ، وتقدم لرئاسة مجلسي المتجر والشاشية ، ولم تحفظ عنه إلا الخصال المرضية ،
وزان سلك الأعيان بالمجلس الأكبر .

وكان عزيز النفس ، عالي الهمة ، ثاقب الفكر فصيح اللسان ، نقى العرض ،
محبيا إلى الناس ، معدودا من الأعيان أهل الشأن .

ولم يزل راغلا في خلاله المرضية ، إلى أن أجاب داعي المنية ، في الرابع والعشرين
من ذي القعدة سنة 1284 (الاربعاء 18 مارس 1868) ، ودفن بقرية آله من الجلاز ،
واعقب إبننا كان كأبيه بل زاد ، كثر الله من أمثاله في الأولاد .

[393 - علي الدرناوي]

أبو الحسن علي بن محمد الدرناوي .

ربته جدته لأمه لتغيب أبيه وهو رضيع ، وحشته على التعلم ، فقرأ القرآن واقتفى
على العلم ، فأخذ عن أعيان من المتأخرين كالشيخ العلامة أبي عبد الله محمد النيفر ،
والشيخ المحقق أبي عبد الله محمد بن عاشور ، وأخيه الشيخ الطاهر بن عاشور وغيرهم .
وحصل ملكة علمية ، واضطره الإقلال إلى التكسب من رشح القلم ، فانتصب للتوثيق ،
ثم صار خوجة العسكر بالمحمدية ، ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي لقلم الإنشاء ،
فكان من أواسط الكتاب . وبعثه غير مرة للدولة العلية مع الأمير كشك محمد ، واستوثقه
في عهد النخيل مع الأمير أحمد زروق .

ثم سافر مع مشير العصر أبي عبد الله محمد الصادق باي في سائر محلاته ، ووفى
له بعد موت أخيه .

وكان كريم النفس حسن المروءة ، عفيفا ذكيا ، ملازما لقناع التجمل حتى افرط ،
وعده عليه العقلاء خروجا عن الطور ، ومن شذ عن طوره يفتضح ، طامح النفس إلى معالي
الأمور ، لو ساعده البخت والوقت .

ولم تزل أبواب الثروة عنه مسدودة ، وآماله متسعة ممدودة ، إلى آخر أنفاسه المعدودة ، ظهر يوم الجمعة ثاني يوم عيد الأضحى (1) من سنة 1284 (3 أفريل 1868) ، ودفن بالسلسلة رحمه الله . واعقب ابنا ضعيف البدن ، أقامه مخدومه مقام أبيه على صغر سنه ، تفضلا منه .

[394 - محمد الطاهر بن عاشور]

أبو عبد الله محمد الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور .

نشأ هذا الذكي في حجر أبيه وتربية أخيه . وهو من بيت شرف وصلاح ، وترجم لخدمهم الوزير في تاريخه وكذلك حسين خوجه . ولما حفظ القرآن بمكتب حوانيت عاشور أقبل على العلم ونبذ ما سواه ، فأخذ عن أخيه أبي عبد الله محمد بن عاشور ، وعن شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكة ، وكان يستنجه ويقدمه ، وعن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن الخوجة ، وعن شيخ الشيوخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي ، وعن شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وعن الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد معاوية . وكان ذلك عند التفات الهمة من المشير أبي العباس أحمد باي إلى العلم وأهله ، بترتيب المدرسين وإجراء جراياتهم ، ووقف الكتب العلمية بالجامع على الطلبة . فحبس على طلب العلم شبابه ، ولازم أبوابه ، ولم يلبث أن اقتحم على الفحول أغيالها ، وطمح إلى الغايات البعيدة فنالها ، وفاض بالعلم حوضه ، واثمر روضه ، فتصدر للتدريس في النحو والبيان والأصول وغيرها من علوم الأدب ، فانثالت إليه الناس من كل حدب ، وجرى منه بالجامع الأعظم سيل الإفادة ، وسعد به سوق العلم أي سعادة ، يقدم الإفادة على سائر لذاته ، بداع قوي من ذاته . إذا تصدر للتدريس رأيت الدر الفاخر من البحر الزاخر ، ومصداق « كم ترك الأول للآخر » .

وانتفع به أعيان من أهل المملكة أي انتفاع ، ولم تزل رتبهم في ارتفاع ، فلم يرعهم إلا تقديمه لخطه القضاء ، فانطووا على أحر من جمر الغضى ، وذلك أن الرجل لما علا كعبه واشتهر في العلم صيته في قليل من الزمن ، وتحقق المشير أبو العباس أحمد

(1) هو 10 ذو الحجة حسب التقويم .

باي ان تحصيله كان في دولته ومن ثمرات عنايته قال في مجلسه : « هذه ثمرة غرسني نريد الإنتفاع بها في حياتي » واستشار فيه صاحبنا شيخ الإسلام أبا عبد الله محمد بيرم ، فلم يعبه الا بصغر السن ، فقال له : « هل تعلم أعلم منه ممن تقدمه بالسن ؟ » فاجاب بعدم العلم ، فقدمه للخطبة في 25 رجب من سنة 1267 سبع وستين (الاثنين 26 ماي 1851) وكان يومئذ في الفنون المعقولة أحسن منه في الفقه .

وللرجل همة حملته على الإنقطاع إلى الدواوين الفقهية ، وعمّر بها أوقاته ، حتى تدارك في قليل من الزمن ما فاتته ، وجرى مع فحول الفقهاء في مضمارهم ، ومعارك انظارهم ، يحذو في الفقه حذو العلامة أبي الفداء اسماعيل التميمي من مشاركة الأصول بالفروع ، لا يذكر فقها وترجيحا إلا بحديثه ويقول : « لا يعجبني أن أقول هكذا قال الفقهاء ، وما يمنعني أن أعلم الدليل مثل ما علموه ؟ » .

وباشر الخطبة إذ ذاك بميزان عدل ، لا يلتفت إلى خوف ولا عزل ، وشرد أهل الزور ، وغلّ أيدي الملدين وأهل الفجور .

ولباي ذلك العصر عناية باخباره ، واستحسان لآثاره ، وأطلق يده في أخذ أوامر المتصيين للإشهاد ان رأى ريبة ويبعث بالأوامر له . وكان كثيرا ما يقول لي : « ما فعل القاضي الشريف ؟ » ، فاحكي له ما يبلغني عنه من غريب منازعه وجيد مباحثه ، ففرى السرور بوجهه . وعلى ثقل الخطبة كان يريح نفسه بالتدريس في بعض الأحيان .

ورغب منه أعيان من تلامذته أن يكمل لهم شرح المحلي لجمع الجوامع فاجابهم لذلك بين العشاءين . وله حاشية على القطر ، وتقاييد على حاشية عبد الحكيم في البيان ، وشرح على بردة البوصيري . هذا ما يتعلق بترجمة الرجل في العلم وثقوب الفكر ومباشرة خطة القضاء .

ثم انتقل في دولة المشير أبي عبد الله محمد الصادق باي إلى خطة الفتوى ونقابة الأشراف والاحتساب على فواضل الأحماس في طرق البر العامة ، والنظارة على بيت المال ، على خلاف نص المحبس وقصده ، بمقتضى التحبيس المعلق عند باب الشفاء من الجامع . وبذلك سلقته الألسن الحداد ، من الأكفاء والحساد .

ثم انتقل إلى مجلس الباي الخاص والمجلس الأكبر للشورى الحامي لحقوق المملكة والدولة والسكان ، فلم يكن عند الظن في مصلحة البلاد والعباد ، وربما أعان شراع الوحدة بالإستبداد ، لما رأى في ذلك من المصلحة بالإجتهد .

وكان عالي الهممة ، زكي النفس ، لم يقنع بشرف النسب ، حتى أضاف له الشرف المكتسب ، من نور الفهم والتضلع بالعلم ، وهما نعمتان وكل ذي نعمة محسود . وعلى وجود حساده وتظاهر اضداده ، لم يجدوا في قضائه موضعاً لانتقاده .

[وكان] سليم الصدر ، حسن الأخلاق ، عذب البيان ، كاتباً شاعراً بليغاً ، أبي الضيم ، ثابت الجنان ، طيب المعاشرة ، لا سيما مع تلامذته ، حتى حلّ منهم محل العين من الإنسان والإنسان من العين ، بعيداً عن التصنع في الزي الذي هو رأس مال المفلس ، يلتحف في الشتاء بالحُولي ، ويقول لمن يعذله دونك وقولي ، ما شئت من محاضرة تتحف المجالس والمحاضر ، ويسبي النواظر زهرها الناضر .

وعلى كل حال فقد عاش ممسلاً الأغراض ، غير مكترث بما في أيدي الحسدة من سهام الإعتراض ، ومن نقص الهممة ، الحسد على النعمة .

ولم يزل في هذه الدار يدأب على أسباب الخطوة والارتقاء ، إلى أن رحل إلى جوار جده بدار البقاء ، نهار يوم الإثنين الحادي والعشرين (1) من حجة سنة 1284 (13 أبريل 1868) ببستانه بأريانة . وحمل جسده الشريف إلى داره بتونس ، ومن الغد دفن بزاوية جده مع آله الطيبين . وحضر جنازته إلباي واخوته ورجال دولته ، واشتد عليه أسفه بالبكاء ، وكاد أن لا يتخلف عن جنازته أحد . وأعقب ابناً صغيراً تلوح عليه النجابة . ورثاه شاعر العصر أبو الثناء الشيخ محمود قابادو بقصيدة كلها عيون (2) .

[395 - أحمد سيالة]

أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد سيالة .

من أعيان هذه الحاضرة ، ولييتهم المجد الأثيل بصفاقس قديماً وحديثاً . نشأ بين يدي أبيه ، ناسجاً على منوال آله وذويه . وأخذ عن عمه شيئا من العلم خرج به من ربة الجهل ، وأدى فريضة الحج ، وأقبل على شأنه ، وعد من أفراد زمانه .

(1) هو 20 حسب التقويم .

(2) مطلعها : خطب له الدين ارني لفظ مذعور * والناس ما بين مبهوت ومبهور . (راجع الديوان ص 137 ج 1)

وكان عالي الهممة واسع الصدر ، نقى العرض عفيفا متواضعا ، حسن الأخلاق ، فصيح اللسان حسن الإدراك ، يغلب عليه الحياء ، من الأعيان المنتخبين لمجلس الشورى المعروف بالمجلس الأكبر .

ثم اختير شيخا للمدينة وامتنع وألح ، ووقع إلزامه فصبر ورآها بلية ، وبُعِيد ذلك صَبَّحَتِه مَغِيرَاتِ المنية ، أواخر محرم غرة عام 1285 (أواخر ماي 1868) ، ودفن بالسلسلة .

[396 - محمد الغماد]

أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس الحاج حميدة الغماد .

هو من آل الغماد المعدودين من أقدم بيوت البلاد ، طالما زانوا خططاً علمية وسياسية ، ونشأ صاحب الترجمة مقتفياً أثرهم ، حافظاً خبرهم ، وما قصر عن شأوهم باعتبار الوقت والحال ، ولكل زمان رجال .

تقدم شيخا لربض باب الجزيرة ، فاسبل الستر وأحسن السيرة ، ودل ذلك على ما أودع فيه من السريرة .

وكان عالي الهممة زكي النفس ، قانعا بقناع التجمل ، على شدة الأقلال ، حياء عفيفا صبورا ، نقى العرض متواضعا ، حسن الأخلاق متوددا إلى الناس ، يزور المرضى ويشهد الجنائز ويهش لقضاء حوائجهم .

ولم يزل على كماله محببا إلى الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ، في غرة صفر من سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـ (الاحد 24 ماي 1868) ، وساء الناس نعيه وتسابقوا لجنائزته ، ودفن بتربة آل في الجلاز ، وأعقب ابنا صغيرا .

[397 - محمد الرصاع]

الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ عثمان ابن الشيخ قاسم الرصاع .

نشأ بين يدي أبيه زينة لبيت مجده ، على سنن أبيه وجدته ، وليت الرصاع في هذه الحاضرة مجد أصيل ، وفخر أثيل . قرأ على أبيه وغيره وحصل ملكة علمية لا سيما في الحساب والفرائض ، وتصدر للوثيقة ، وسار فيها على أقوم طريقة .

ثم تقدم بعد وفاة والده لخطبة قضاء الفريضة والشهادة على بيت المال ، وباشرها بما اقتضاه مجده من صفات الكمال ، ثم اقتضت همته رفضها . وذلك ان الوزير أبا محمد شاكير صاحب الطابع قال له يوما مداعبا : « ان بيت المال بيدك ويد الآغة تدفعان للدولة منها ما شئتم » ، فقال له : « أما الصندوق فهو بيد الآغه وهو أقرب مني إليكم ، وقدمتموني للشهادة عليه فيما يقبض وله فيما يصرف ، وحيث طرأ لكم شك في أمانتي فانظروا غيري من الآن » . وخرج ولم يدخل إلى باي العصر وهو الباشا أبو عبد الله حسين باي ، فقال والذي للوزير وكان من محبيه ونصحاؤه : « ان هذا الرجل من دار كبيرة ولا يرضى لعرضه ان يمس » ، فقال الوزير للوالد : « راجعه في عزمه » . فتوجه له ليلا وراجعه وألح عليه فأبى . فقدم الباي عوضه أبا عبد الله محمد القلشاني ، وهو من بيوت المجد أيضا . واختير صاحب الترجمة لمجلس الشورى المعروف بالمجلس الأكبر في آخر أمره ، ثم استقال لثقل وقع بسمعه .

وكان وجيها خيرا عفيفا ، محافظا على عرضه ومقامه ، أبي الضيم عزيز النفس عالي الهمة ، صادعا بالحق بعيدا عن المداينة . وامتنحن قبيل وفاته بموت أكبر بنيه ، على حال احتياج بضعف الشيبة اليه .

ولم يزل على حال مرضه أسيفا حزينا على فقده ، حتى جاوره بلحده . فتوفي رحمه الله يوم الخميس الحادي والعشرين (1) من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـ (11 جوان 1868) ، ودفن من الغد بترربة آله بالجلالز ، والدنيا مجاز ، واعقب أولادا يبقى بهم ذكره ، ولم ينقطع بوجودهم عمله .

[398 - محمود الأبى]

أبو الشاء محمود ابن العلامة أبى العباس أحمد ابن الوجيه محمود الأبى .

نشأ بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن غيره من علماء العصر ، وحصل ملكة علمية تصدر بها للتدريس ، وتقدم لامامة جامع صاحب الطابع بعد وفاة أبيه . ثم صرف عنها لأن باي العصر بعث له يوم الختم في رمضان أن ينتظر في الختم قدومه ، ولما قرب وقت

(1) هو 19 حسب التقويم .

الغروب ، وسمع ان البايع رجع إلى باردو من شيخ الربض ، ختم . ولما انفض الموكب جاء البايع وتغير . ومن الغد عزله عن الإمامة فقط وبقي منتظما في سلك المدرسين . وكان فقيها خيرا عفيفا ، نقى العرض مقبلا على خويصة نفسه ، صبورا قانعا بقناع التجمل .

ولم يزل على حاله ، والمحمود من خلاله ، إلى ساعة انتقاله ، يوم السبت الثالث والعشرين (1) من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـف (13 جوان 1868) ، ومن الغد دفن بتربة آله من الجلاز ، رحمه الله .

[399 - محمد برناز]

الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد

ابن الإمام المفتي أبي عبد الله حسين بن مصطفى برناز.

نشأ هذا العفيف بين يدي أبيه الذي ترجم له شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بيرم كما تقدم في هذا الموضوع (2) ، وأخذ عنه وعن العلامة أبي العباس أحمد الأبسي ، وعن الشيخ المفتي أبي العباس حميدة بن الخوجة ، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بيرم ، وعن الشيخ الطاهر وغيرهم . وحصل ملكة في النحو والفقه والمنطق والأصول وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم وغيره ، وانخرط في سلك المدرسين ، وتقدم إماما بجامع يوسف داي وشيخ مدرسته ، ثم انتقل إلى إمامة جامع القصر .

وكان خيرا تقيا عفيفا ، نقى العرض ، يعجبه الخمول ويتأنس بالإنفراد ، ممن سلم الناس من يده ولسانه ، ففيها حافظا متبثا ، حيا والحياء كله خير ، حسن النعمة في القاء الخطب ، معدودا من الأخيار ، إلى أن انتقل إلى تلك الدار ، في السادس والعشرين من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـف (18 جوان 1868) .

(1) هو 21 حسب التقويم .

(2) انظر ص 84 ج 7 .

[400 - محمد الشاذلي العصفوري]

أبو عبد الله محمد الشاذلي بن أبي محمد حمودة العصفوري .

نشأ بين يدي أبيه ، مقصور النظر على اجداث آبائه وذويه ، قانعا من أوصافهم بمجد النسب ، عن المجد المكتسب وهو الحسب ، شأن الأعقاب في البيوت العالية ، من الإغترار بالرّمم البالية .

ثم سولت له النفس الأمانة ، تقليد الإفرنج في كيفية التجارة ، فتداين لربح المتجر بالرّبا ، حتى طار كسبه مع الهبا ، ويمحق الله الرّبا . وتغيب في الحاضرة خشية مذلة الدين ، حتى ضمنه والده شان حنان الآباء على البنين ، وخرج بذلك من جميع كسبه ، وصار لرحمة ربه ، وبقي الإبن المضمون ، يعاني مع الاقلال ثقل الديون . وكان وجيها من أعيان الطريقة الشاذلية ، ولم يزل على حاله إلى ان سترته يد المنية ، في موفى صفر من سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـف (الاحد 21 جوان 1868) ودفن بتربة آله في الجلاز .

[401 - أحمد بن حسين]

خاتمة المحققين الشيخ أبو العباس أحمد بن حسين القمار الكافي .

من أعيان بيوت الكاف ، كان آله يتداولون خطط الأعمال السياسية ، ونجمت منهم أفراد . ونشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، في ظل بيته النبیه ، فحفظ القرآن العظيم بالكاف ، وتاقت همته العلية إلى التخلق بالصفات العلمية . فعزم على الرحيل من مسقط رأسه ومعاهد إيناسه ، ووافقه على ذلك والده وارتحل معه بأهله ، وسكن دارا بتونس للقيام بضروريات ابنه الذي اختار السكنى مع المهاجرين في طلب العلم . فسكن المدرسة السلیمانية واختص بشيخها الشيخ الطاهر بن مسعود ، وقرأ عليه النحو والفقه والمنطق والبيان والأصول ، وبلغ إلى درجة التحصيل ، مع ما فيه من الذكاء الأصيل ، ولما توفي الشيخ الطاهر انتقل لمدرسة صاحب الطابع بجامعة ولازم شيخنا المحقق أبا إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي ، وقرأ عليه تفسير القاضي البيضاوي ، وصحيح البخاري بشرح القسطلاني ، والمختصر الخليلي . وقرأ على شيخنا المحقق أبي العباس أحمد

الأبسي مختصر السعد البياني ، وغالب شرح المحلي لجمع الجوامع . ولما أمتلأ بالعلوم العقلية والنقلية حوضه ، واثمر روضه ، طلبه شيخنا أبو إسحاق إبراهيم الرياحي أن يقرىء ابنه الشيخ الطيب النحو وغيره ، وكان يعرف منزلته ويشهد له بالتقدم . فامتثل أمر شيخه وقال له : « نأتيه كل يوم إلى الدار » . فقال له الشيخ : « العلم يؤتى إليه ولا يأتي » . فتأدب مع شيخه وقال له : « لا نقرىء في جامع صاحب الطابع وانت المدرس به » . فاختار مسجداً قريبه ، واستفاد منه ابن شيخه ومن معه من أعيان الطلبة أي استفادة ، وسعدوا بعلومه أي سعادة .

ثم ناداه الوطن ، وعز على شيخنا سيدي إبراهيم خروج مثله من الحاضرة . ثم تسبب له شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد البحري بن عبد الستار ، وهو يومئذ قاضي الجماعة ، في خطة القضاء بالكاف ، فتحملها على كره ، وذلك في عام 1248 ثمانية وأربعين ومائتين والـ (33 — 1832) وقام في الخطة بما يجب لله ، نقى العرض مشكور السيرة ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

ونقل بيتهم من الرئاسة العرفية إلى الرئاسة الشرعية ، إلى أن توفي شيخنا عالم الملة أبو إسحاق إبراهيم الرياحي ، على عهد الأمير المشير أبي العباس أحمد باي فقال : « لا يسد هذا الثلم إلا مثل الشيخ أحمد بن حسين الكافي » . فاستقدمه من الكاف وأولاه خطط شيخه ، عدا إمامة الجامع الأعظم ، وذلك في شوال من سنة 1266 [أوت — سبتمبر 1850] ، فتقدم على كره أيضاً ، وصعب عليه فراق وطنه ومسقط رأسه ، وكأنه استشعر نفرة من أهل البلد . وقام بالخطة أوفى قيام ، واقتبل على التدريس بجامع صاحب الطابع ، فأفاد وأجاد ، ونفع الله به العباد .

وكان رحمه الله تقياً نقياً محققاً ، إماماً في المعقول والمنقول ، نزيه النفس عالي الهمة ، وقور المجلس يغلب عليه الصمت وحب الإنفراد . وامتحن قبيل وفاته بموت أكبر بنيه الذي كان ينوبه في الخطبة بجامع أبي محمد ، وهو من الأعيان .

ولم يزل هذا العالم على حاله ، متجماً بأردية كماله ، مقبلاً على مآله ، شأن العاملين الأبرار ، إلى أن لبي إلى تلك الدار ، وذلك ليلة الإثنين (1) غرة شعبان من سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـ [16 نوفمبر 1868] ، ودفن بتربة أعدها لنفسه بدرب عسال قرب داره . وحضر جنازته أمير العصر والوزراء والأعيان .

(1) الإثنين هو يوم 30 رجب حسب التقويم .

وترك أولادا نجباء أكبرهم الآن من أعيان المدرسين ، نسخة من أبيه ، كثر الله من أمثاله في علماء المسلمين .

[402 - حمودة بوسن]

الكاتب أبو محمد حمودة بوسن .

ولد بتونس ، وتوفي والده وتركه صبيا ، فكفله عمه التاجر في حضانة والدته أخت الفقيه القارئ المعلم شيخنا أبي عبد الله محمد بن قاسم معتوق النابلي ، وعنه حفظ القرآن في مسكته المعروف بكتاب سيدي ابن عروس ، ويبيت بدار خاله المذكور . ولما حفظ القرآن تآقت نفسه للعلم فقرأ على الشيخ محمد بن نصر القابسي ، والشيخ الطاهر ابن مسعود وغيره .

ثم سافر لأداء فريضة الحج ، بعد أن رشده عمه ودفع له إرثه من مخلف أبيه ، وغاب ريثما حج وزار ، ورجع إلى الحاضرة وأقبل على شأنه من قراءة العلم ، ثم اضطره الحال إلى التكسب ، ومعلوم أن كسب أمثالنا من رشح القلم ، فاستكتبه الوزير الشريف أبو عبد الله محمد العربي زروق خزنة دار ، ثم نقله الباشا أبو عبد الله حسين باي إلى قلم الحسبان في بيت خزنة دار ، ثم نقله إلى ديوان الإنشاء بالمحكمة ، واختص به في غالب أوقاته ، ولازم بابه ، يكتب له ما عسى أن يطرأ في غير أوقات الخدمة ، لما عنده من الميل إلى طبعه .

وكان فقيها أديبا كاتباً وفيأ أميناً ، تغلب عليه السذاجة الإسلامية ، بعيداً عن الحضارة المسماة في هذه الأعصار تمدنا ، وهو سبب ميل الباي إليه ، شديداً في سد الذرائع ، وربما افراط حتى أنه يرى هذا الزي النظامي العسكري قريباً من الكفر ، لمحافظته على السذاجة الإسلامية ، ويرى تقليد غير الإسلامي ولو في الأمور الضرورية منكراً يقارب الكفر ، وله في هذا المعنى المنازع الغريبة التي انفرد بها ، حتى أني لما رجعت من فرانسا مع المشير أحمد باي ، لا زمني ملازمة مستكشف عن حالي في العقيدة وأنا أرى ذلك منه .

ولم يزل على حاله إلى أن أقعده الكبر والهرم عن ملازمة الخدمة الملكية ، إذ قام بها ابنه الأكتب المثقن محمد الطيب وانخرط في سلك الوقت وامتزج باهله .

ولم يزل على حاله في السذاجة الإسلامية ، ويرى طبع الوقت بلية ، إلى أن لبى داعي المنية ، رحمه الله ونفعه بما عقد عليه النية ، وذلك ليلة الإربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والف (2 جوان 1869) ، ودفن بتربة آله من مقبرة سيدي سفيان ، داخل باب الخضراء .

[403 - قاره عصمان]

قاره عصمان صاحب الطابع .

أصله من ممالك الوزير سليمان كاهية ، وتربى في خدمته وحججه ، ثم انتقل لخدمة الباى وتعلق بابنه مشير الوقت وأوقف نفسه على خدمته بالقلب والقالب ، وسافر معه في المحال مرضي السيرة ، وتزوج ابنة الباشا المرحوم حسين باي ، المتوفى عنها زوجها الوزير شاكير صاحب الطابع .

وكان حسن الأخلاق نقى العرض ، على قصور فيما يقتضي التقدم .

ولم يزل على حاله في سعادته ، إلى أوان منيته ، في الحادي عشر من أشرف الربيعين من سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والف (21 جوان 1869) ببستانه في منوبة ، وحضر الباى والأعيان جنازته ، ودفن بزاوية سيدي عبد الوهاب .

[404 - مصطفى بيرم]

الشيخ العالم أبو النخبة مصطفى ابن شيخ الإسلام

أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

لهذا البيت البيروني في هذا القطر التونسي أخبار تذكر ، وآثار تشكر ، وقد تقدم الاماع بذكر هذا الفاضل عند ذكر والده ، وان جدهم الأول لما قدم للجهاد مع سنان باشا ، ويسر الله فتح هذه البلاد بذلك الجيش السعيد ، اختار السكنى بهذه المدينة ، وتزوج بها وصار من أهلها ، ومن ذريته من نجم في خدمة الرتب السياسية ، وناله ما ينال أهلها من خدمة الملوك . ووفق الله والد صاحب هذه الترجمة للاعتزاز بنور العلم كما تقدم في ترجمة والده . ولما توفي أواخر شوال سنة 1214 (أواخر مارس 1800)

تركه صغيراً ، فكفله أخوه شيخ الإسلام محمد بيرم الثاني ، ورباه كأولاد صلبه ، وزقه من خالص معارفه حتى صار نسخة من أبيه . ولما أنس منه الرشد سرحه للأخذ عن الأفاضل ، فأخذ عن شيخ الإسلام ابن أخيه محمد بيرم الثالث ، ثم أخذ عن أعلام كالشيخ السنوسي الكافي ، وأخيه أبي العباس أحمد زروق ، والشيخ أحمد العوادي ، والشيخ أحمد الأبسي الحنفي ، والشيخ سيدي حسن الشريف إمام الجامع الأعظم ، والشيخ إبراهيم الرياحي ، والشيخ الطاهر بن مسعود ، والشيخ أحمد بوخريص أخذ عنه المطول لسعد الدين ، والشيخ إسماعيل التميمي أخذ عنه مختصر ابن الحاجب الأصلي بشرح العضد .

ولما إمتلأ بزال العلم حوضه ، واثمر روضه ، تصدر للاقراء . ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي لخطبة القضاء بالمذهب الحنفي في ذي القعدة سنة 1262 إثنين وستين ومائتين والف (أكتوبر - نوفمبر 1846) ، وكانت يومئذ هي قطب دائرة الخطط الشرعية ، فاعطى القوس باريها ، وبأشر الحكم بدار القاضي كل يوم بكرة وعشية ، على العادة السابقة من قضاة العدل ، ولم يقبل نازلة في داره ، وقام لله في النوازل الشرعية أوفى قيام ، وضرب على أيدي أهل الباطل من مردة الوكلاء للخصام ، ثم انتقل لخطبة الفتوى في منتصف ربيع الثاني من 1277 (آخر أكتوبر 1860 م) ، وتقديم من تقدمه لخطبة الفتوى إنما هو الشح بمثله عن مفارقة خطبة القضاء .

وكان هذا الفاضل متضلعا بالعلوم العقلية والنقلية ، وقور المجلس ، متواضعا على رفعة شأنه ، حسن المحادثة لا سيما في فن التاريخ ، فقد أخذه عن أخيه من أيام صباه ، تقيا نقى العرض ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، شأن قضاة العدل ، وشيعة أهل العلم والفضل ، محباً إلى الناس مرموقاً فيهم بعين التعظيم والأجلال من العامة والخاصة ، على طول مقامه في خطبة القضاء ، وهي مزلة الأقدام . ولم يتكلم فيه عاقل ولا جاهل من الخاصة والعامة بما يخذش وجه الخطبة ، مما يقال في القضاة المتأخرين من نسبتهم إلى الغرض لاسبابه المعلومة ، والحر عبد إذا طمع ، والعبد حر إذا قنع ، وإن كانت هذه خصوصية في آل هذا البيت البيروني ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والسبب في ذلك تباعدهم عن مظان هذا الريب ، خلفاً عن سلف .

وقد كان أخو صاحب الترجمة شيخ الإسلام محمد بيرم الثاني أيام محنته بخطبة القضاء ، يأتيه أمين الحجامين الحاج إسماعيل ليحلق رأسه فلا يخاطبه ببنت شفة ، ولما يفرغ من الحلق يخرج ويدفع له أجره ، وقد كان هذا الأمين من أعيان الحنفية فاستثقل نفسه وتأخر عنه وصار لا يأتيه إلا بالإرسال فيقضي الوطر من صناعته ويخرج . ولما عوفي من الخطبة بعث له على العادة فلما جاءه رحب به وسأله عن حاله وأولاده على ما كان يألف منه ، فقال له الخلاق : « يا سيدي مرحبا بك ! في أي موضع كنت ؟ » ، فقال له : « ألام تعلم أنني كنت قاضيا ؟ وصاحب هذه الخطبة يلزمه أن يتباعد عن مخالطة الناس بالتودد لهم » ؛ إلى غير ذلك . سمعت هذه الحكاية من صاحب الترجمة ، كرم الله تربته وقدسها ، وطيب روحه الزكية وانسها .

ولم يزل هذا العالم في أخلاقه العلية ، وسيرته البهية ، إلى أن رجعت نفسه المطمئنة إلى ربه راضية مرضية ، في أوائل ذي القعدة من سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والـ (أوائل فيفري 1870) ، ودفن بتربة آله مع أبيه وأخيه . ولم يتخلف عن جنازته أحد إلا لعذر ، وتبرك بحمل نعشه الوزراء والأمراء . وخلف ولدين كانا بفضل الله سبحانه نسخة منه في خلقه النفيس ، زانا المحراب والمنبر وحلق التدريس . كثر الله من أمثالهما في علماء الإسلام .

[405 - محمد محسن]

الإمام الشريف سيدي محمد ابن سيدي محمد ابن سيدي علي محسن .

نشأ هذا الفاضل في مجد بيتهم ، وبركة حيههم وميتهم ، وقرأ على عمه وغيره ما لا بد منه ولا يستغنى عنه . وانخرط في سلك أهل العلم ، وتزوج بنت عمه الإمام سيدي محمود محسن المتقدم ذكره . ثم أقبل على خويصة نفسه يتجر في حانوته بسوق العطارين ، شأن الأتقياء العابدين ، ولازم التعبد بتلاوة القرآن ، وعمر به غالب الأزمان ، وتقدم إماما في الجامع الأعظم بسنة التراويح في شهر رمضان ، الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فوصلت تلاوته الخارجة من قلبه إلى قلوب السامعين ، والموعظة إذا صدرت من أهلها اثرت في الحين . ثم تقدم إماما ثالثا بالجامع لصلاة

الفريضة ، ثم ترقى إلى أن صار إماماً أول بعد وفاة عمه سيدي محمود محسن في رمضان من سنة 1284 أربع وثمانين .

حال هذا الإمام :

[كان] حسن الأخلاق تقياً نقياً براً وفياً ، مراقباً لله في سائر حالاته ، متملقاً من الكمال بأفضل صفاته . انخرط مع الأعيان في سلك المجلس الأكبر أيام القانون ، فزان المجلس . لاتأخذه في الحق والنصيحة لومة لائم ، ونطق لسان سيرته عن طيب سريره ، شان الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

ولم يزل على حاله ، والمحمود من خلاله ، رافلاً في الذات من كماله ، إلى حين وفاته وانتقاله ، وكان ذلك يوم مولد جده صلى الله عليه وسلم في سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والـ (الاثنين 20 ماي 1872) ، وأوصى أن يكون دفنه حذو الولي الصالح صاحب الإمام الشاذلي سيدي الجلّال ، فدفن حذوه في قبته . رحمه الله ونفعنا بمحبة آلـه ومحبة . ولم يتخلف عن موكب جنازته أحد من أهل البلاد إلا من أقعده المرض . ومشى أمام جنازته الوزير المباشر أبو محمد خير الدين راجلاً إلى أن واره في قبره . واعقب أولاداً أوسطهم الآن إمام الجامع الأعظم بصلاة التراويح في شهر رمضان ، وشيخ الكرسي المعد في الجامع للوعظ بتلاوة القرآن . وبقية أولاده تلوح عليهم سيماء جذب الولاية ، كعمهم سيدي علي .

[406 - حسن المقرون]

الأمير الشريف أبو محمد حسن ابن الشريف الوجيه

أبي حفص عمر المقرون المساكني .

هذا الفاضل من أعيان بيوت الشرف بمساكن ، من كبار بلدان الساحل ، ولوالده رفعة وسمعة بها . واختير للخدمة العسكرية ليكون أسوة لامثاله من الأعيان ، وخدم بالمحمدية من انباشي وتدرج في سلم الخدمة إلى أن صار أمير لواء . وأقبل في مبادئ أمره على تعلم الصناعة الحربية بجد واجتهاد حتى صارت هذه الصناعة طبيعية من ذاته ، والإشتغال بها من أكبر لذاته . وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعرف منزلته ويوليه

ما يناسبها من الحظوة والتقريب زيادة على حظوة أبيه المعروفة المسلمة في بلاده ، واعطاه المشير أبو العباس أحمد باي الدار التي بناها الوزير شاكير صاحب الطابع ببلد مساكن . وله في خدمة الدولة آثار مشهورة وأخبار مذكورة . ووجهه الباي صاحب القانون إلى بلده مساكن في فتنة الإثنين والسبعين كما تقدم تفصيل ذلك في الباب الثامن (1) ، وخرج منها خائفا يترقب ، لأن الأمر يومئذ بيد العامة ، وأخوه وأمثاله يومئذ تلعب بهم أيدي العامة وأهل البطالة ، حتى كان ما كان من لطف الله بهذه الإيالة وخروج الوزير أبي العباس أحمد زروق بالمحلة وقهره للعامة بالساحل . وربما يقول القائل ان هذا اللطف من الله نعمة لكن في طيها نقمة أبادت الساحل وثروته وتركته كأمس الدابر . وهرب أخوه ، لما استل سيف انتقام المحلة ، إلى دار قنصل الأنقليز بسوسة ، ووراءه عقارب السعايات ، وانتاشه القنصل وأجاره من ذلك العدوان ، وطواب بعين من المال يدفعه معجلا ، وتلونت الأقوال في القاب جوره ، وهو السبب في خروجه من هذا القطر .

وكان في أيام القانون تقدم رئيسا على ضبطية الحاضرة ، فزاتها وضبطها ورتب أسباب الامن والراحة ، فقصرت الأيدي العادية وامنت الساحة ، وكان تقدمه لهذه الرئاسة في شعبان سنة 1278 ثمان وسبعين (فيفري 1862 م) ، بإشارة الوزير المنصف أبي محمد خير الدين ، كما تقدم في الباب الثامن (2) .

وكانت ولايته من الطاف الله بهذا القطر . وذلك أنه في فتنة الإثنين والسبعين والهرج الذي وقع في البلاد ، وكانت سفن الفرانسييس يومئذ بحلق الوادي ، وطلبوا النزول للبر للاعانة ، ولم يوافقهم الباي ، وقع من بعض الأوباش من سفلة العامة التي إذا اجتمعت ضرت وإذا افتترقت نفعت ، وفيهم جم غفير ممن له رغبة في فتنة تقع في البلاد لفائدة تخصه ، وحرك بعض الصبيان لخطف شيء من ثياب بعض اليهود قرب باب البحر ، فطار إليه الخبر وهو بالدريية ، فخرج في الحين راجلا ومعه غالب الضبطية إلى باب البحر ، وتمكن ببعض الصبيان وانفار من الذين انخرطوا في سلوكهم وأتى بهم للدريية ، وحكّم في أبشارهم الضرب بالعصى أمام الدريية في شارع المارة ، ليرى مبصر ويسمع واع . وبات تلك الليلة يدور في البلاد راجلا وملا السجن من هؤلاء ، ومنهم من أعاد

(1) انظر ص 178 ج 5 .

(2) انظر ص 92 ج 5 .

له الضرب . وكان الضرب يومئذ محجورا ، فكاتب الباي بأنني الآن أضرب بالعصا على خلاف القانون ، إرتكابا لأخف الضررين ، وأنا بين يدك غدا والآن . وأنجى الله هذه الحاضرة على يد هذا الشريف من نهب وسفك دماء ، وسفن الفرانسييس بشاطئها ويعلم الله ما وراء ذلك . ومن الغد شكره كل ساكن في البلاد من أهلها ومن غيرهم ، وشكره الباي ورجال دولته . ولو لم يكن له من المآثر إلا هذه لسكفته في دينه ودنياه . ومع ذلك لزمه الهروب إلى دار قنصل الأنقليز ارتكابا لأخف الضررين ، وسافر مع أخيه على يد القنصل إلى طرابلس ومنها إلى مصر ، واستقر بها . وكاتبه الباي وأمنه ، فرجع يقوده إيمان حب الوطن . واستعمله الباي على بنزرت فسار فيها بحزمه وإنصافه ، وما يحمد من أوصافه .

[وكان] يقرب إلى الأمية ، شغلته العلوم العسكرية عن اتقان الكتابة وتوابعها . ثم انهكه ضعف البدن وشيخوخة السن والجأه ذلك إلى الإستعفاء وقبل منه . ولم يزل على مقامه واحترامه ، وامتحن قبيل وفاته بقطع رجله لمرض أصابه ، وخرج الأطباء يومئذ متعجبين من ثباته وصبره ، قريبا من قطع رجل عروة بن الزبير . وكان شهما حازما ، نقى العرض ، بعيدا عن التصنع ، نزيه النفس عن المطامع التي تدنس النفس والخطط والرئاسة ، عالي الهمة يقدم أدنى مصلحة عمومية على أعظم مصلحة تخصه ، ناهيك من أخلاق علوية ، ونفس عظامية عصامية ، وهمة من المطامع برية . ولم يزل على جميل حالاته ، رافلا في جميل صفاته ، إلى آخر ساعاته ، وذلك في اشرف الربيعين من سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والـ (ماي 1872) ، وعزم أخوه على حمل جسده الشريف إلى تربة آله ببلد مسكن ، فمنعه الباي خوفا على بدنه من التغيير بحر الصيف ، وإكرام الميت الدفن . ودفن بالسلسلة كامثاله ، قابله الله بالرحمة والرضى .

[407 - حسن الشريف]

أبو محمد سيدي حسن ابن سيدي محمد ابن سيدي محمد ابن سيدي عبد الكبير الشريف ابن السادة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

نشأ هذا الفاضل في بيته الأصيل ، وشرفه الأثيل ، في حجر أبيه وجده . ولما توفي والده بالمرض الوبائي سنة 1266 ، اضطر للقيام على إخوته وأهل داره إلى أعمال الفلاحة

في الحبوب والشجرة المباركة ، وعاقه ذلك عن الإشتغال بالعلم كآبائه وأجداده ، وان كان الذي عاقه هو الزاد لمعاده ، وببركة ذلك لم يخرج الوصف العلمي من دارهم . وذلك أنه حنا على أصغر اخوته حنو الوالدة على الفطيم ، ورغبه في تحصيل العلم وأعانه عليه حتى كاد أن لا يبقى له وقتا لراحة بدنه ، مع ما فيه من حدة الفهم والذكاء . فاختار العالم الفاضل التقى الشيخ أبا الحسن علي العفيف أبا إفادة ، وهو مقدم على أبي الولادة ، وتبناه شيخه إذ لم يكن له ولد صلب ، وتفنن في تربيته وإفادته تفنن الآباء مع نجباء البنين ، وأخوه مع ذلك يحثه على ملازمة شيخه والإقتداء به ، حتى أراه الله فيه فوق أمنيته ، جزاء من الله على حسن نيته ، وطيب طويته . وعاد مجد العلم للدار والعود أحمد .

ثم اشتاقت نفسه الزكية ، لاداء فريضة الحج وزيارة جده خير البرية ، فسافر في رفقة من أعيان تونس اتخذوه مركز دائرتهم ومرجع مشورتهم ، وجعلوا أموره لإمرتهم ، فلم يرعنا إلا نعي وفاته بعمل مصر في حال الكرنيتية ، وباتت الحاضرة يوم وصول هذا النعي أسيفة حزينة ، في أواسط ربيع الأنور سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والـ (أواسط ماي 1872) ، وهو ثالث الأشراف الذين فجعت البلاد بفقدهم في هذا الشهر ، جعل الله ذلك خاتمة الفجائع والشدائد .

حال هذا السيد :

كان تقيا نقيا ، برا وفيا ، حلوا الشوائل ، متواضعا ، هينا لينا ، إلا في تغيير منكر . يهش لإعانة الضعفاء ، ويفرح بقضاء حوائجهم .

واختاره الباي ، في أعيان من أهل الحاضرة ، لجمع ما يتيسر على يدهم من الصدقة للفقراء الذين ساقتهم المسغبة وفتنة الاثنين والسبعين لهذه الحاضرة ، فقاموا لله بما ظهر أثره وبقي خبره ، جزاهم الله جزاء المحسنين . وتقدم خبر ذلك في الباب الشامن . (1)

وقدّمه أيضا محتسبا على قبض الأعشار برابطة الطعام ، حذرا من التطفيف ، وويل للمطففين ! فقام لله بما يجده يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .

وانخرط في سلك أهل المجلس الأكبر أيام القانون وصار كاهية الرئيس ، فقام لله بدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم . يقول الحق ولا يبالي ، سواء عنده في ذلك الأمير والمأمور .

وكان رحمه الله مقصدا لإعانة المضطرين ، وللإعانة على نوائب الدهر . يعود المرضى ويشهد الجنائز ، وربما نزل إلى القبر لمواراة الميت .

ولأهل تونس تيمّن به في أمورهم ، ولو برأي منه . وكل من عرفته لا ينطق باسمه إلاّ مقرونا بالسيادة . ولهم فيه تعظيم ومحبة زيادة على الواجب لآل البيت النبوي . وإذا أحبّ الله عبدا حبّبه . وحبّ العباد موصول بحب الله .

وماذا أقول فيه ، والذي ملأ الكون يكفيه . ومهما فاح من طيب الثناء عليه الأرج ، يقول لسان الحال : حدث عن البحر ولا حرج . كرّم الله تربته وقدّسها ، وطيب روحه الزكية وأنّسها ، ونفع هذا القطر بمحبة آل البيت الذين حبهم إيمان وأمان .

(وهنا نمسك عنان القلم فيما أردنا جمعه من ترجمة هؤلاء الأعيان ، أسكنهم الله بحبوبة الجنان ، بحرمة من عمّت رسالته الإنس والجان ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . كتبه الفقير العاجز أحمد بن أبي الضياف ، مسلّما على كل من يطلع عليه . غفر الله للجميع) (1) .

(1) ما بين القوسين ساقط من ن وع مثبت في ق .



ملحق

من نسخة المرحوم الشيخ محمد القروي

قال العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه ما نصه : ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت ، فقل أن تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتحليين للفضائل على العموم ، وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه ، وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها ، وقد تصادف موضعها وتكون طبقاً على صاحبها . والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت إنما هما بالأخبار ، والأخبار يدخلها الدهول عن المقاصد عند التناقل ، ويدخلها التعصب والتشيع ، ويدخلها الاوهام ، ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال ، لخفائها بالتلبيس والتصنع او الجهل الناقل ، ويدخلها التقرب لأصحاب التجلية والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الاحوال وإشاعة الذكر بذلك ، والنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه أو ثروة ، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا منافسين في أهلها ، وأين مطابقة الحق مع هذه كلها . فتختل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة ، وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبخت كما تقرر ، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق (1) هـ .

قلت وامثال ذلك كثيرة في هذا التاريخ ، منها ترجمة ممد خزنة دار التي تخلص فيها المؤلف هنا ، بعد أن ذكرها مراراً في صلب التاريخ ، ليتمكن إشهارها حتى تذاقمتها الالسن واعتقدتها الناس . وحقيقتها ان الرجل يوناني الأصل أتى به الحاج محمد المزاز التاجر الصفاقسي من الاستانة ، وباعه لقائد الشوارع بثلاثمائة ريال تونسي صغرى ، ثم صار الى شاكير بالبيع او بالهبة . ومن عادة البايات والكبراء هنا أنهم يقدمون مماليتهم للأعمال الوجيهة ، وفي ذلك زيادة رفعة لأسيادهم ، لأن المملوك لا يستنكف من شيء يريد سيدة . فجعل شاكير

(1) الفقرة الأخيرة من الفصل السابع والثلاثين من المقدمة

صاحب الترجمة خزنة دار له ، وهي وظيفة خاصة لا عامة مثل مصطفى خزنة دار لأحمد باي لما كان ولي عهد وتكليفه بمصاريفه وإيصال ما يرد له من المال ، ولادفاتر في ذلك حيث أنهم أميتون . ثم صار هذا اللقب دوليا ، وجعل له محل وكتاب ودفاتر تحت مراقبة باش كاتب الدولة .

وسبب غضب شاكير على مملوكه محمد خزنة دار لأنه أتى بأمره من بلادها ، وهي من الطبقة السفلى في قريتها و متمسكة بدين اليونان . فرأى شاكير أن ذلك لا يناسب حالة مملوكه المسلم و رهبان اليونان تتردد على داره . فشدد عليه النكير ، وحجره مدة ثم رضي عنه . ونقلت اليونانية الى دار بزقة الجنون ، قرب سوق النحاس ، فكانت تتبخر هناك بصليب من ذهب في رقبتها . ولما ماتت جعل لها صندوق مكسو بالقماش المؤبر مصفح بالصفائح المذهبة ، وكانت لها جنازة ملوك .

وأما الرضاية التي أصابت ركبة محمد خزنة دار من يد محمد شولاق فإما أن يكون ذلك خطأ أو عمداً فأمرها بين اثنين لا غير . ودعوى أن شاكير أغراه ، لأنه حسد مملوكه على فضله ونجايته ، فهو أمر غير معقول ، إذ يعد أن يعيب المالك مملوكه ، وإن كرهه فما عليه إلا أن يبيعه بالحاضرة كما هو جائز في ذلك الوقت . نعم ، إن الممالك الجراكسة والقرج يسكروهن الممالك اليونان لمبالغتهم في الملق لأسيادهم ودناءة طباعهم ، ويرون أن أداء مراسم العبودية يكون بقدر الحاجة وبدون إخلال بالمروءة ، وفي طباعهم إباءة الضيم وكرم الأخلاق وحب الإنسانية . ويرون فضلهم على اليونان لكونهم عريقين في الاسلام ، واثمانهم أضعاف أثمان غيرهم ، وقد شاهدت ما يؤيد ذلك في جرائد أثمان مشتركهم .

هذا وقد وجدت مكتوبين من محمد خزنة دار نقلتهما هنا من خطه بحروفهما ، نص الاول :

الحمد لله . الى سيدي حفظكم الله . وبعد فإنه يوم التاريخ حمق علي سيدنا وغضب علي غضبة شديدة وقال لي إنتي تعميل قدّاش من حاجة من غير مشورة سيدك ، وما تخبروشي المقبوض والمصرف ، وجيت

أُمَّكَ مِنْ غَيْرِ مَشْوَرتُو . وانا ... (1) الا من الجواب الذي بعثته سيادتك .
واليوم بقيت بين الناس ذليل أذلّ مِنْ ذِمِّي . وانا مملوكك ، كان حَكُمْتُ
مملوكك وكان سمحت مملوكك . واما قول سيدنا انا بُعِثْتُ جِئْتُ امِّي من
غير مَشْوَرت سيادتكم ، أنا لا عندي أم ولا بو لِنْتِي امِّي وانتي هو بابا ،
وما عندي غير سيادتكم . واذا مراد سيادتكم بالحُكْمِ اُحْكُمُ فِيَّ سَيَادَتِكُمْ
بِالْوَجْهِ الذي تُحِبُّ . والواصل لسيادتكم تَجْرِيدَةً فيها مَقْبُوضٌ وَمَصْرُوفٌ
لتطلع عليها . والسلام من ابنكم مقبّل أقدامكم مَحْمَد . الخميس في 8 صفر سنة 1248 .

والظاهر أن شاكير لم يجبه بما يقتضي رضاه عنه ، فعاد الى استعطافه بمكتوب
آخر : ... واما سيدنا باقي معنا مثل ما خیرتكم . والله العظيم ، الذي في الكَرَاحِ
أَرْطَحُ (2) مِنِّي . والبقره اذا تَحَيَّت (3) تُكْشِرُ السَّكَاكِنَ . وكيف تكون
سيادتكم راضي بهذا ، أنا عندي احلا من العسل . هذا عندي انا وعند سيادتكم
اذا ما كان بالمرؤة يكون بالصيف (4) . وربنا ان شاء الله يهنّيك ، وهنا سيادتكم
خير لي من كلام كلّ احد . والسلام من ابنكم مقبّل أقدامكم مَحْمَد . في صفر 1248 .

وهذه التفاصيل لا يجدها المؤلف ، لأبيه كان إذ ذاك كاتباً لشاكير ، كما
أنه لا يجهل بعض ممالك اليونان لأهل البلاد وتحقيرهم ، وقولهم بكل مناسبة :
« اولاد تونس زُكَايِط (5) لا يصلحو لشي » . وهو سمعها كما سمعتها أنا مراراً....

(1) كلمة مطبوسة

(2) ارطح = ارتج : أكثر راحة

(3) تحت = طاحت

(4) بالصيف = بالسيف : غصبا

(5) زكايط : مفردة زكطي : لنيم ، خبيث ، شرير

فهرس الموضوعات

للمجلد الثامن من كتاب

«اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»

قسم التراجم

الصفحة	المترجم
11	197 - اسماعيل التميمي
14	198 - محمد الميزع
14	199 - سليمان بن الحاج
15	200 - محمد الشتيوي
15	201 - محمد الجندوبي
16	202 - عبد الرحمان الكامل
17	203 - محمد عريف
17	204 - محمد امين باش خوجة
18	205 - يوسف بن فرحات
18	206 - محمد بوكاف
18	207 - حسن برتقيز
19	208 - محمد المشاط
19	209 - حسونة الوزير
20	210 - محمد بوراس
20	211 - محمد عزوز
21	212 - محمد شيخ روحه
21	213 - حمودة الاصرم
21	214 - محمد البنا
22	215 - يوسف كاهية دار الباشا
22	216 - نور الله خوجة
23	217 - عبد الرحمان بن عياد

الصفحة

المترجم

23	ابراهيم الخراط	218 -
24	محمود مقديش	219 -
24	احمد الشريف	220 -
25	عبد الله البلش	221 -
25	محمد العروسي	222 -
26	احمد حافظ خوجة	223 -
27	احمد المنستيري	224 -
27	محمود الاصرم	225 -
28	شاكير صاحب الطابع	226 -
32	سليم امير الاي	227 -
32	سليمان الموسكو	228 -
33	محمد بن حمودة صدام	229 -
33	محمد شولاق	230 -
34	اسماعيل الباهي	231 -
34	يوسف بن ذا النون	232 -
35	احمد بن عمار	233 -
35	محمد البحري بن عبد الستار	234 -
37	الحاج بالضياف	235 -
39	سالم المحجوب	236 -
39	سليمان كاهية	237 -
41	علي النفاتي	238 -
41	محمد السنوسي الكافي	239 -
42	محمود الجلولي	240 -
42	حسين بن عبد الستار	241 -
43	محمد التومي	242 -
43	احمد بن عاشور	243 -
44	عبد الملك العوني	244 -
45	دلووار المملوك	245 -
45	محمد بن عامر	246 -
46	علي المازغني	247 -
48	علي العنابي	248 -
48	محمد القسطللي	249 -

الصفحة

المترجم

49	محمد السقاط	250
49	محمد شلبي	251
50	محمد بن حمودة الاصرم	252
50	محمد الشافعي التليلي	253
51	مصطفى اتدادي	254
51	حسن بوكاف	255
52	محمد شيخ روحه	256
52	احمد المزيو	257
53	مصطفى التركي	258
53	محمد بن السبوعي	259
54	محمد بيرم الثالث	260
55	رمضان باش مملوك	261
56	مصطفى خوجة	262
56	مصطفى غربال	263
56	احمد المحجوب	264
57	علي السقا	265
57	سلطان الحسني	266
59	محمد بن الامين	267
59	قاسم عظوم	268
60	محمد خوجة	269
60	محمد بن ابي بكر صدام	270
61	حمدان سيضه	271
62	علي الدرويش الحنفي	272
62	محمد الشاذلي المؤدب	273
63	محمد بن محمد المحجوب	274
64	محمد المسعودي	275
65	حمدة الشباب	276
65	محمد التميمي	277
66	محمد الشاذلي بوخريص	278
66	حسونة المورالي	279
68	مصطفى ماضور	280
68	عثمان المرابط	281

69	احمد الجويني	282
70	محمد بن عاشور	283
70	خالد الزهاني	284
71	علي الشريف الاندلسي	285
71	محمد الجلولي	286
72	احمد الجزيري	287
73	حسين الباهي	288
73	محمد البارودي	289
74	محمد الشريف	290
74	احمد امير الحياطة	291
75	محمد الطيب الرياحي	292
76	محمد برتقيز	293
76	حسونة بن الحاج	294
77	اسكندر آغة	295
77	محمد بن سلامة	296
79	حسن البارودي الثاني	297
79	علي التميمي	298
80	مصطفى البلهوان	299
80	محمود باكير	300
81	محمد الحضار	301
81	سليمان المحجوب	302
82	حميدة عزيز	303
83	علي الرياحي	304
83	علي الحداد	305
84	احمد آغة	306
84	حميدة بن دالية الرزقي	307
86	محمد ثابت	308
87	محمد عباس	309
87	عبد الوهاب الشارني	310
88	حسن عامل المنستير	311
89	محمد بن حميدة بن عياد	312
91	محمد الفراتي	313

الصفحة

المترجم

91	314 - محمد السريفي
93	315 - احمد العثماني بوعتور
94	316 - فرحات الجلولي
94	317 - علالة قايجي
96	318 - محمد الحداد
96	319 - صالح الزكراوي
97	320 - عبد الله الهدة
97	321 - خلف المحرزي
97	322 - محمد انقبائلي
98	323 - خير الدين كاهية
99	324 - احمد الكيلاني
100	325 - محمد العصفوري
100	326 - محمد الوزير
101	327 - احمد البارودي
102	328 - محمود خوجة
103	329 - محمد بن محمد المناعي
103	330 - محمد الامين الكيلاني
104	331 - احمد الابي الحنفي
105	332 - حسين خوجة
107	333 - محمد المعيلل
107	334 - محمد افراطي
107	335 - احمد الاصرم
108	336 - حمودة الطرابلسي
109	337 - محمد بن ملوكة
111	338 - صالح الغنوشي
111	339 - محمد النيفر
114	340 - كشك محمد الداوي
115	341 - محمد بن محمد الاصرم
117	342 - مصطفى صاحب الطابع
121	343 - محمد علي آغة
122	344 - احمد حافظ خوجة
123	345 - سليمان الحسني

124	346	— محمد بن احمد بوخريص
124	347	— محمد بيرم الرابع
126	348	— علي الحليوي
127	349	— حسونة القسنطيني
127	350	— محمد بن حميدة بن الخوجة
129	351	— فرحات المملوك
130	352	— عبد انقادر بن غشام
131	353	— مصطفى بوغازلي
131	354	— محمد بابوش
132	355	— مصطفى بيرم
132	356	— محمد العربي الشريف
133	557	— فرحات المملوك
135	358	— اسماعيل كاهية
135	359	— حميدة بيرم
136	360	— محمود الباجي
136	361	— حسن الخيري
137	362	— محمد بن عبد الستار
137	363	— محمد العابد الشفي
138	364	— محمد بن سليمان بن الحاج
138	365	— صالح شيبوب
140	366	— محمد العذاري
140	367	— حمودة العصفوري
141	368	— محمد الشرقي
142	369	— محمد المساكني
142	370	— مصطفى بن عزوز
143	371	— محمد بن محمد البنا
144	372	— يوسف امير عسكر زواوة
145	373	— مصطفى آغة
147	374	— محمد السبوعي
148	375	— احمد العلمي
148	376	— رشيد
151	377	— اسماعيل السني

الصفحة

المترجم

154 محمد بوعصيدة	378
154 محمد زروق	379
155 محمد المازري	380
156 صالح زيد	381
156 قضيوم الفرشيشي	382
157 عبد الحليم الحرزي	383
158 محمود محسن	384
160 عثمان البارودي	385
160 عثمان هاشم	386
161 سعد بن عبيد	387
161 صولة الشعلي	388
162 علي العروسي	389
162 محمد الوزير	390
163 عمر ثابت	391
164 احمد الوزير	392
164 علي الدرنياوي	393
165 محمد الطاهر بن عاشور	394
167 احمد سيالة	395
168 محمد الغماد	396
168 محمد الرصاع	397
169 محمود الابي	398
170 محمد برناز	399
171 محمد الشاذلي العصفوري	400
171 احمد بن حسين	401
173 حمودة بسوسن	402
174 قارة عصمان	403
174 مصطفى بيرم	404
176 محمد محسن	405
177 حسن المقرون	406
179 حسن الشريف	407
183 ملحق	

ISBN : 9973-10-191-X (T.4)

الإنجاز الفني: مخابر العالم العربي للآلة
4، شارع محيي الدين القليبي - المنار 2 - تونس
الهاتف: 888 255 - الفاكس: 888 365

طبع بالمطبعة الأساسية المنطقة الصناعية - بن عروس تونس
المال: 380.201 : Tél.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
VI 4324

